



مجلة العلوم الإنسانية والعلمية والاجتماعية

مجلة دورية نصف سنوية محكمة

تصدر عن كلية الآداب والعلوم قصر الأخيار - جامعة المربك

العدد الثاني ديسمبر 2016

المراسلات

بريد إلكتروني: may70n@yahoo.com

هاتف: 00218-916224082

هيئة التحرير

رئيساً	د. محمد عطية الحامدي
عضوأ	د. الدوكالي المبروك ابو جناح
عضوأ	د. مدحية رجب الشاوش

اللجنة الاستشارية

د. الصادق المبروك الصادق	جمعية الدعوة الاسلامية
د . عبدالله سالم مليطان	جامعة طرابلس
د. حميدة ميلاد ابورونية	جامعة طرابلس
د. ابوروبي محمد الجنازي	جامعة طرابلس
د. ابراهيم عبدالله سلطان	جامعة المرقب

المراجعة اللغوية

د. ابو عجيلة رمضان عويلي

أ. عصام علي عواج

مدير التحرير

أ. أحمد عياد المنتصري

التصميم والإخراج

أ. أحمد عياد المنتصري

أ. نورس كاظم يوسف

©

لا يسمح باعادة اصدار محتويات المجلة أو نقلها أو نسخها بأي شكل من الاشكال دون

موافقة رئيس التحرير

إن كافة البحوث تعبر عن وجهة نظر أصحابها ، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو الكلية

جميع الحقوق محفوظة

(أ)

قواعد النشر

حرصاً من هيئة التحرير على استخدام الأسلوب العلمي في كتابة البحوث والدراسات المراد نشرها، ينبغي اتباع القواعد التالية :

الغلاف ينبغي أن يحتوى على العنوان واسم الباحث (الباحثين) ، والدرجة العلمية وجهة العمل ، والدولة ، والبريد الإلكتروني ، وسنة النشر .

المتن يشتمل على ملخص للبحث (عربي - إنجليزي) بعكس لغة البحث لا يتجاوز ورقة واحدة.

تحضع البحوث المقدمة للنشر للتحكيم العلمي ، ولهيئة التحرير ان تطلب من المؤلف بناء على اقتراح المحكمين بإجراء التعديلات المطلوبة على البحث قبل الموافقة على نشره .

ضوابط ومواصفات البحوث المقدمة للنشر

1. ان يكون البحث او الدراسة ضمن الموضوعات التي تختص بها المجلة .
2. إلا يكون البحث قد سبق نشره في احدى المجلات او مستلا من اطروحة علمية او يكون الباحث قد تناوله بعنوان اخر في وسيلة نشر اخرى ويتحقق ذلك بتعهد خطى بهذا الخصوص .
3. فيما يخص البحوث العربية تكتب هامش البحث وقائمة المراجع وفق دليل جمعية علم النفس الأمريكية (American Psychological Association) (APA) الطبعة الخامسة بالنسبة للبحوث العربية وتكون الطباعة على وجه واحد على ورق (A4) بخط (Traditional Arabic) بحجم (14) للنص مع ترك مسافة 1 بين السطور وتكون الهامش 2.5 سم و مع ترك هامش 3 سم من جهة التجليد ، فيما يخص البحوث باللغة الإنجليزية تكتب وفق نظام (MLA) (Modern Language Association) (Times New Roman) مع ترك مسافة 1 بين السطور مع وجود ملخص باللغة العربية في بداية البحث بحيث لا تزيد صفحات البحث 17 صفحة ي يكون التوثيق داخل المتن (اللقب ، السنة ، الصفحة) .

5. عنوان البحث يجب ان يكون مختصرا قدر الامكان وان يعبر عن هدف البحث بوضوح ويتبع المنهجية العلمية من حيث التناول والإحاطة بأسلوب بحثي علمي ، وان لا تزيد ورقات البحث عن 25 صفحة بما في ذلك صفحات الجداول والصور والرسومات وغيرها .
6. يجب على الباحث التقيد بأصول البحث العلمي وقواعد من حيث اسلوب العرض والمصطلحات وتوثيق المصادر والمراجع في اخر البحث ، وهو المسئول بالكامل عن صحة النقل من المصادر والمراجع المستخدمة ، وهيئة التحرير غير مسئولة عن اية نقل خاطئ (سرقات ادبية وعلمية) قد تحدث في تلك البحوث .
7. البحوث المقدمة للمجلة تخضع للتقدير من قبل متخصصين بشكل يضمن التقىيم العلمي ، ويطلب من الباحث مراعاة سلامة بحثه من الاخطاء اللغوية والإملائية .
8. تلتزم المجلة بإشعار الباحث بقبول بحثه ان كان مقبولا للنشر او قابلا للتعديل بعد التقىيم على ان يرسل الباحث اذا قبل بحثه سيرة ذاتية (CV) مختصرا قدر الامكان يتضمن الاسم الثلاثي - والدرجة العلمية - والجامعة والكلية والقسم - واهم المؤلفات او وجدت - البريد الالكتروني - والهاتف .
9. البحوث المقدمة للمجلة لأتعاد لأصحابها سواء نشرت او لم تنشر ، وهي تعبر عن رأي أصحابها فهم المسئولين عنها أدبيا وقانونيا ولا يمثل بالضرورة رأي المجلة .
10. المجلة تنشر كل ما يتعلق بالمجال العلمي والبحثي وما يتعلق بالمؤتمرات والندوات والأنشطة الأكademie وملخصات الرسائل العلمية ونقد الكتب على ان لا تزيد عن خمس صفحات مطبوعة
11. اشعار الباحث بقبول بحثه وإرجاعه للتصحيح او الاضافة او التعديل ان يقوم بتزويد المجلة بنسخة من البحث في صورته النهائية على قرص مدمج (CD).
12. تعتبر البحوث قابلة للنشر من حيث صدور خطاب صلاحية النشر وتحال الى الدور بانتظار الطبع حسب اولوية الدور وزخم الابحاث المحالة للنشر .
13. يزود الباحث بنسخة من اعداد المجلة التي نشر بها بحثه .

هيئة تحرير المجلة

افتتاحية العدد

باسم الله المولى الاجل سبحانه له الحمد في الاولى والاخرة ، نستفتح بالذى هو خير ،
ربنا عليك توكلنا وعليك أربنا وعليك المصير ، والصلوة والسلام على خير البرية سيدنا وحبيتنا
محمد بن عبد الله وبعد ...

المنهجية والبحث والنشر العلمي بات تحديا مطلوب لكثير من الباحثين ، فمع ازدياد
وكثرة المجالات العلمية المحكمة وتعدد مجالات وشروط قبولها ومجالات البحث وطبيعته ،
بالإضافة الى عوامل اخرى عديدة مثل تكلفة النشر والبحث عن المجلة المناسبة للنشر فيها ،
والجهد العلمي المراد نشره ، كل تلك الامور مواضيع ومجالات لابد على أي باحث جاد ان
يخوضها وأن يتعامل معها بشكل جيد ، ثم تأتي المرحلة الثانية فيما يتعلق بذلك المنتوج العلمي
الذى يعتبر جزءاً مهماً من حياة أي باحث ، فقد تطورت عملية النشر العلمي وأصبحت أكثر
فاعلية للنشر المعرفة وايصال المعلومة المطلوبة والتواصل بين الباحثين والماكر والجامعات ،
عليه كان لابد من تحديد مجالات البحث ومجالات النشر والتخصص بغية ان يكون اوسع واعم ،
ثم يأتي وضع اجراءات للتعامل مع الكم المقدم من البحوث التي تقدم لتلك الاصدارات البحثية ،
بغية اولا الحصول بحوث في ذات التخصص المطلوب ، وثانيا تكون من الجودة والتميز البعيد
عن التكرار أو عدم الفائدة ، فهي في نهاية الامر جهد علمي تخصصي في مجاله بما يقدمه من
معلومات أو فكرة .

لكننا لابد ان نشير الى انه بالرغم من كل تلك النجاحات التي حققها التقدم العلمي في
مجال النشر البحثي في العلوم العلمية المختلفة من خلال الاصدارات (الورقي - و الالكتروني)
بالمقدار الذي ما يتعرض له النشر العلمي من هجمة شرسه تهز الثقة في نتائجها وخاصة مع تزايد
النشر الوهمي بغية الاسراع في الترقية العلمية أو الحصول على سيرة علمية ، لكن الامانة وشفافية

وحرص الباحثين والعلماء المميزين الواثقين من جهودهم يمكننا القضاء والتقليل على الأقل من هذه القرصنة العلمية التي بكل أسف انتقلت إلى محارب العلم .

وفي مسعى من هيئة التحرير واعتبارنا من اصدارها الاول الورقي سعى الى ان يكون كذلك الاصدار الالكتروني بحيث تكون متاحة للباحثين والقراء من خلال موقع المجلة على البوابة الالكترونية للجامعة المرقب وهذا والله قد تحقق ..

ختاما نأمل ان تتحقق هذه الدورية الهدف الذي نرجوه ونطمح اليه في سبيل الرقى العلمي والبحثي للوصول الى أسمى مراتب التميز والجودة وخدمة المجتمع والامة ، يسرنا ان نجدد الدعوة لجميع الباحثين والباحثات لنشر منجزهم العلمي في هذه المجلة ، املين التوفيق والسداد للجميع .
وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه .

رئيس هيئة تحرير المجلة

محتويات العدد

رقم الصفحة	عنوان البحث	ت
1	منير خليل برشان - دراسة تاريخية في تجربته الشخصية ودوره في الجمعية التأسيسية ولجنة الدستور 1893 م - 1951 م د. عمر رمضان حمودة	1
16	إيلاف قريش وأثره على العلاقات الخارجية في المجتمع المكي "سياسيًّا ، اقتصاديًّا ، اجتماعيًّا" أ. عبد الحكيم عاشور ميلاد الشعافي	2
42	نهر الكفرة الجوفي - حقيقته و أهميته العلمية والاقتصادية أ. محمد احمد علي الكف	3
59	دور الجانب التعليمي في إثراء الحياة الاجتماعية بولاية طرابلس الغرب أثناء الحكم العثماني الثاني د. احمد عطية محمد يحيى	4
90	إتجاهات النمو الحضري لمدينة ترهونة ، ليبيا ، المشكلة والحل د. المختار أحمد أحمد غيث	5
109	النبات الطبيعي (سيدي عمير-قصر اخيار-غنية) نموذجا أ. علي محمد نجاح	6
146	دراسة ديدان البلهارسيا بأحواض عين تاورغاء د. الطاهر عبدالواحد الجهيمي أ. صالح محمد بيكي	7

s.n	Title	Page
15	Electrical and Magnetic properties Comparison between LCMO and LSMO system Ramadan E. Shaiboub	1
159	زراعة الزيتون في شمال إفريقيا خلال العصر الروماني أ. حميدة عوادات القماطي	8
179	سمسيات علم العقيدة حتى بداية القرن الخامس الهجري د. إبراهيم عبد الله سلطان	9
207	الصمود النفسي والخلافات الزوجية "عينة من الليبيات المتواجدات بمصر" د. زهرة سالم على قشيش	10
230	ضغط العمل في المستشفيات العامة بوادي الشاطئ د. عيسى أحمد إبراهيم ناجم محمد	11
252	بلغة الغدول في التعبير القرآني (سورة الصبح نموذجاً) د. علاء الدين محمد الأسطي	12
272	مؤتمر سرت 1922-1-21م د. الصادق محمد السنوسي	13
307	الانتماء التنظيمي عند العاملين في صناعة الأسمنت دراسة ميدانية على عينة من العاملين بمصنع أسمنت زليتن(الشركة العربية للأسمنت) د. محمود أحمد الغويل	14

16	The agricultural activities in Libya during the second Era of Ottmanians (1835-1911AD) Ali A.Abdussalam Jamaa	14
17	Why Many People Wish To Use Public Transport System A Case Study in Tripoli-Libya Adel Ettaieb Elmloshi	34
18	Genetic Markers For Healthy Milk Production Ashraf M. Ward - Tarek M. Elgusbi	58
19	Involvement of HIF-1 &HIF-2 in the hypoxic induction of VEGF and MMP-7 genes Laila Elbarghati Lubna Azzouz	71
20	Analgesic Effects Of Libyan Fresh Pomegranate Fruit Of Punica Granatum Lamees BenSaad, Kim Kah Hwi, Mabruka Elashheb, Najat Saeed, Samia Hassan, Fatma Benrabha	96
21	Semantic Repetition in Translating between Arabic and English Mohammed A AL Sharif	115
22	A New Cmos Design And Analysis Of Current Conveyor Second Generation (Ccii) Mahmoud Ahmed Shaktour Alaa Yousef Okasha	124
23	Accelerating the Modified Picard Iteration By Using Green's Function Approach Mufeedah Maamar Salih Ahmed	139

منير خليل برشان

دراسة تاريخية في تجربته الشخصية ودوره في الجمعية التأسيسية ولجنة الدستور

1893 م - 1951 م

د. عمر رمضان حمودة

كلية الآداب والعلوم قصر الاختيار / جامعة المرقب

omrhamoda70@gmail.com

الملخص

تختص هذه الدراسة التاريخية بأحد الرجال الوطنيين ، الذين كان لهم حضوراً متميزاً في تاريخ ليبيا وهو «منير برشان» ، تبدأ هذه الدراسة بمقدمة يعرض فيها موضوعها ، ويتساءل الباحث عن سبب الاهتمام التي حظيت به الشخصيات القيادية التي قاومت الغزو الإيطالي ، حيث لم تحظى الشخصيات الوطنية الذي اختارت العمل السياسي دون حمل السلاح نفس الاهتمام ، وحتى هذه الأخيرة ورغم محدودية الاهتمام بعضهم إلا أن بعضهم الآخر لم يتم الالتفات إليه كلياً ، ومن هؤلاء «منير برشان» موضوع هذه الدراسة .

ثم يحاول الباحث توضيح أسباب إهمال هذه الشخصية علمياً طيلة المرحلة الجماهيرية التي بدأت مع الأول من سبتمبر 1969م ، رغم الاهتمام بشخصيات أخرى في هذه المرحلة ، ويسترسل الباحث في التعريف بسبب اختياره لهذا الموضوع وأهميته ويوضح المنهج الذي اعتمد عليه في هذه الدراسة ، والصعوبات التي واجهته لتغطية تجربة هذه الشخصية الوطنية ، وقد قسم الباحث هذه الدراسة إلى مباحثين اثنين : -

المبحث الأول: التكوين والتجربة الشخصية.

يحتوي هذا المبحث على تعريف مفصل بالشخصية وأصوله الاجتماعية والعرقية ، ودراسته منذ طفولته حتى تخرجه ضابطاً من تركيا ، والحروب التي خاضها خارج ليبيا ، ثم عمله صحفيًا ومعلماً ومفتشاً في عهد الإدارة البريطانية ، واللغات التي يجيدها ، ثم المناصب التي تقلدها حتى اختياره عضواً في الجمعية التأسيسية الليبية عن طرابلس ، وحتى وصوله إلى منصب السكرتير العام للشئون البرلمانية برئاسة الوزراء.

المبحث الثاني: دوره في الجمعية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور

ويحتوي هذه المبحث على مداخلاته واقتراحاته في اجتماعات الجمعية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور، وتفاصيل هذه الاقتراحات التي كان لها تأثير واضح في تاريخ ليبيا طيلة الفترة الملكية ، أي حتى عام 1969م ، ويختتم الباحث دراسته بخاتمة تحتوي على مجموعة من الاستنتاجات والتالي ، ثم قائمة بمصادر ومراجع هذه الدراسة.

كلمات مفتاحية

جمعية وطنية تأسيسية ، لجنة دستور ، منير برشان ، مقترن.

المقدمة :

شهدت مرحلة النضال الوطني في ليبيا في فترة الاستعمار الإيطالي ، وعهد الإدارة البريطانية ، بروز العديد من الشخصيات الوطنية الفاعلة ، وقد حظيت هذه الشخصيات باهتمام متفاوت من الباحثين المختصين ، فكان النصيب الأكبر للزعamas والقيادات التي برزت في مقاومة الغزو الإيطالي عسكرياً ، وقبلهم الذين خرجوا عن الحكم العثماني ، وكان النصيب الأقل من الاهتمام بالشخصيات الوطنية التي اختارت العمل السياسي وطنياً . وهؤلاء أيضاً لم يحظوا بنفس الدرجة من الاهتمام ، بل منهم من لم تتم الإشارة إليه إلا نادراً رغم أنه لعب أهم الأدوار وطنياً ، ومن هؤلاء الشخصية التي خصصت لها هذه الدراسة وهو السيد ”منير برشان“ ، في الفترة منذ مولده عام 1894م-1951م ، و حتى الانتهاء من عمله في الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها ، وكان الباحث يأمل أن تمت هذه الدراسة حتى تاريخ وفاته عام 1965م إلا أن ندرة الوثائق والمصادر العربية والأجنبية التي تحدثت عنه كانت السبب في توقف حصر هذه الدراسة إلى عام 1951م ، فالوثائق الخاصة بالمرحلة الملكية لم تكن في المتناول فيما قبل 2011م ، أما بعد هذا التاريخ فلازال التعامل معها محدوداً فيما صُنف منها في أرشيف مركز المخطوطات التاريخية ، وخاصة أنه لم يصنف إلا القليل قياساً بالكم الذي يفترض أن تكون الفترة التي امتدت ثمانية عشر عاماً قد تركته ، وسيعمل الباحث على إعداد دراسة أخرى مستقبلاً تعنى بدور ”منير برشان“ في بناء المملكة الليبية المتحدة ، عندما يتنهى تصنيف وثائق الفترة بعون الله .

ويخمن الباحث أن سبب إهمال شخصية كبيرة ومهمة وطنياً كالسيد «منير برشان» يمكن أن ترجع إلى طبيعة علاقة الأنظمة السياسية بهذه الشخصية تحديداً، سواء وهو على قيد الحياة أو بعد وفاته وبالنسبة للنظام الملكي ، فللمعني أحد رجالاته الذين ساهموا مساهمة فعالة في ولادته وتثبيت دعائمه من خلال تقلده لعديد من المناصب ولعبه لكتير من الأدوار التي سيأتي ذكرها في حينها ، فإن الفترة التي تلت وفاته ليست أكثر من أربع سنوات ، سقطت بعدها هذا النظام وهي فترة قصيرة لا تمكننا من القول إنه لم يحظ بالاهتمام المناسب من الباحثين والدارسين خلاها ، إضافة إلى أن الجامعات الليبية كانت حديثة التأسيس وتفتقر إلى الأساتذة من العنصر الوطني ، بل إن حاملي الشهادات الجامعية عندما ولدت الدولة الليبية الناشئة لم يتتجاوز عددهم الستة عشر جامعياً ، حسب شهادة أول سفير أمريكي في البلاد. (فيلار 2013 ، ص.7)

أما في فترة النظام الجماهيري ، الذي بدأ مع الأول من سبتمبر 1969م ، فيتمكن القول بوثيق أن هذه الشخصية موضوع الدراسة لم تحظ بالاهتمام الذي يليق بها ودورها الوطني ، ويمكن إرجاع ذلك في وجهة نظر الباحث إلى الأسباب التالية :

- التوجه القومي العروبي للنظام الجماهيري.
- موقف العداء الذي اتخذه هذا النظام من الشخصيات السياسية المحسوبة على النظام الملكي ، والدستوريين منهم على وجه الخصوص .
- انحياز النظام إلى القيادات والزعamas التي قاتلت الاتراك العثمانيين والإيطاليين عسكرياً.
- موقف العداء الذي اتخذه النظام من الأعيان والوجهاء خاصة الذين ينحدرون من أصول غير عربية عرقياً ، وعائلة ((برشان)) من ضمنهم ، أما غير الأعيان من نفس الأصول ، فلم يناسبهم النظام العداء ، بل لعبوا أدولاً وتقلدوا مناصب .

سبب اختيار الموضوع وأهميته.

يرجع سبب اختيار الباحث لهذا الموضوع وأهميته لعدم وجود دراسة علمية عن هذه الشخصية ، إضافة إلى تميزها العلمي وطبيعة الدور الذي قامت به و خاصة في الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة صياغة الدستور وتحديداً طلب المعنى تحديد صلاحيات الملك « محمد إدريس السنوسي » دستورياً * .

-منهج الدراسة:-

المنهج التاريخي الوصفي المقترن بالتحليل.

الصعوبات التي واجهت الباحث.

يمكن حصر الصعوبات التي واجهت الباحث في ندرة المعلومات المتاحة عن هذه الشخصية ، إضافة إلى وفاة ابنه (أحمد) الذي يملك أكبر قدر من المعلومات عن والده ، وذلك راجع لطبيعته الشخصية حسب رأي شقيقه (نجم الدين) وأيضاً عمله في السلك الدبلوماسي وكيلًا لوزارة الخارجية في فترة ما . ناهيك عن تحفظ أقارب المعنى الآخرين عن الإدلاء بأي معلومات للباحث ، بل إن بعضهم رفض المقابلة عندما علم بأن المهد هو إعداد دراسة عن «منير برشان» .

وقد قسم الباحث هذه الدراسة إلى مبحاثين اثنين:-

المبحث الأول :-

التكوين والتجربة الشخصية

المبحث الثاني :-

دوره في الجمعية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور

ثم خاتمة أوجز فيها الباحث نتائج هذه الدراسة ، وتليها قائمة بالمصادر والمراجع المستخدمة .

المبحث الأول :

* وجوب التنبيه ، ومن باب الأمانة العلمية أن الأستاذ الكاتب والناقد « أمين مازن» هو من نبه الباحث إلى طلب السيد [4]

التكوين والتجربة الشخصية .

ولد «منير برشان» في غريان عام 1894م (صحيفة طرابلس الغرب ، 1965، ص2) ، وتحدر أصوله من الأناضول ، فجده الأول في ليبيا «سليمان» كان ضابط مسؤولاً عن المهمات والمخازن في غريان ، وتسمى البلدة التي انحدر منها هذا الجد «بلدة طاوس» أحد ولايات الأناضول ، وكان مجده إلى ولاية طرابلس الغرب عام 1800م ، وتزوج من امرأة اسمها «اقميرة» من «أولاد سمير» من قبيلة «تعسات» . أما والدة السيد «منير برشان» فهي السيدة «فاطمة محمد صقر الشريدي» (لقاء أجراء الباحث مع نجل السيد منير برشان 2014) (فilar, ص.87)

وقد بدأ دراسته الأولى في مسقط رأسه بغريان ، ثم انتقل إلى طرابلس والتحق بالمدرسة الرشيدية (ورقة مطبوعة متوجة وصورة فوتografية للسيد منير برشان 2014) ، وفي عام 1911م سافر إلى تركيا والتحق بالكلية الحربية ، ومنها تخرج ضابطاً ، كما تلقى تعليماً عسكرياً في ألمانيا وشارك في حرب الدردنيل ، و المعارك البلقان ، وعدة جبهات أخرى في منطقة الشرق الأوسط (صحيفة 1965).

وقد تم أسره من طرف السلطات الاستعمارية في سوريا وعذب تعذيباً شديداً ، وعاد بعدها إلى ليبيا على متن غواصة تركية (صحيفة طرابلس الغرب ، 1965، ص2.) ، وبعد رجوعه بدأ حياته الصحفية ، حيث عمل في صحيفة العدل محرراً. (المصراطي ، 2000 ، ص.244) ، وكذلك بصحيفة «اللواء الطرابلسي» لسان حال الحكومة الوطنية ، ثم دخل سلك التعليم ، فكان من رجال التعليم الأوائل عند تأسيس المدارس الابتدائية الإيطالية العربية وكان مدرساً في أول مدرسة ثانوية عربية ، وهي المدرسة الإسلامية العليا (ورقة مطبوعة متوجة، مصدر سابق) (القرمانلي ، 1982 ، ص.354) والتي كان التعليم بها في مستوى الأزهر والزيتونة (الثابت، 1983، ص.263) ، وكان من زملاء السيد «منير برشان» في هذه المدرسة كلاً من : إسماعيل كمال ، مصطفى القلالي ، علي سيالة ، عمر الباروني (لقاء أجراء الباحث مع د . عبد الكريم أبو شويرب ، 2014) ، وفي الفترة ما بين سنة 1930م – 1933م ، التحق بجامعة «بيروجا» الإيطالية وتحصل منها على شهادة عالية في الأدب وتاريخ الفن الإيطالي (صحيفة طرابلس الغرب ، 1965، ص2).

كما كان يجيد سبع لغات هي : الإنجليزية و الفرنسية ، الألمانية ، الفارسية ، التركية ، الإيطالية (نيويورك تايمز، 1952م) ، كما تمكّن من الإلمام الجيد باللغة الروسية عندما كان سكرتيراً عاماً للبرلمان الليبي ، حيث زاره السفير الروسي بمكتبه بمقر البرلمان الليبي (صحيفة طرابلس الغرب ، 1965، ص2)، وكف سكرتيره وزوجته بتعلم "منير برشان" اللغة الروسية . (لقاء أجراه الباحث بنجل السيد منير برشان) ومع بداية عهد الإدارة العسكرية البريطانية سنة 1943م عين مفتشاً بإدارة المعارف للمنطقة الوسطى (سواني بن آدم / وازن) والمنطقة الغربية (جنزور / العesa) ثم عين سنة 1946م رئيساً لتحرير صحيفة "طرابلس الغرب" (ورقة مطبوعة متوجهة وصورة فوتوغرافية للسيد ((منير برشان)) 2014).

وكان أول رئيس تحرير ليبي للصحيفة المذكورة ، وامتازت كتاباته فيها بالمتانة وعمق التحليل (صحيفة طرابلس الغرب ، 1959) ، وفي عام 1958م عهد إليه أن يكون أول عميد لكلية العلوم بالجامعة الليبية بطرابلس وقد زاره في منصبه هذا وزير المعارف "أبوبكر أبو نعامة" زيارة تفقدية (صحيفة طرابلس الغرب ، 1959)، كما ترأس الوفد الليبي في المؤتمر الأول للجان الوطنية العربية التابعة لمنظمة "اليونسكو" الذي عقد في "فاس" المغربية وزار الملك "محمد الخامس" في قصره الذي استقبله وأهداه صورة له ممهورة بتوقيعه . (صحيفة طرابلس الغرب ، 1959).

أيضاً فإن السيد "منير برشان" هو أحد الشخصيات المرخص لها من المستشار القضائي للعمل بالخاتمة والمرافعة أمام المحاكم العسكرية البريطانية في القطر الطرابلسي ، حيث ورد اسمه في المنشور الصادر العام رقم (533) والقاضي بتخريص محامين (جريدة طرابلس الرسمية، 1949 ، ص6) ، وقد اختاره الشيخ "محمد أبو الاسعاد العالم" كأحد أعضاء الجمعية التأسيسية الليبية عن طرابلس" (المقريف 2004 ، ص.55) ، كما انتخب مقرراً للجنة الدستور ، وكان ضمن اللجنة المكلفة بدراسة الدساتير الفيدرالية في العالم ، لانتقاء ما يصلح منها لليبيا (محاضر لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ، ولجنة الدستور المنبثقة عنها سنة 1371-70هـ ، محاضر الجلسة (1) 6 ديسمبر 1950 ، ص153) ، وأسس السكرتارية العامة لمجلس الأمة وكان أول سكرتير عام للبرلمان بشقيه الشيوخ والتواب ، ثم شغل منصب السكرتير العام للشئون البرلمانية برئاسة الوزراء (لقاء أجراه الباحث بنجل السيد).

وقد استضافه الكونغرس الأمريكي ، بصفته أول سكرتير للبرلمان الليبي والقى عدة محاضرات أثناء تجواله بالولايات المتحدة الأمريكية ، معروفاً بوطنه ، وتم منحه الوطنية الشرفية لمدينة واشنطن ، والمفتاح الرمزي لها وغطت الصحف الأمريكية تقلاطه وحوالاته ولقاءاته بالشخصيات المختلفة (راجع كلاً من الصحف الآتية ، صحيفة نيويورك تايمز ، 1952 ؛ صحيفة نيوهافين ، 1952م ؛ صحيفة يوفالوكورير أكسبريس ، 1952 ؛ صحيفة هارتفورد تايمز 1952م ؛ صحيفة رفورد تايمز 1952م؛ صحيفة شاينزيرس ، 1952م) ، علماً بأن المعنى قد سافر إلى الولايات المتحدة في منحة ((قائد)) ضمن مشروع النقطة الرابعة ((مشروع ترومان)) وذلك لدراسة الشؤون الدستورية، وعندما رجع سخر تجربته للتطوير من قدرات النواب الليبيين ومهاراتهم الدستورية (فيلار، 2013 ، ص7) ، عبر دوره في الجمعية التأسيسية الليبية ولجانها وعلى رأسها لجنة الدستور .

المبحث الثاني :

دوره في الجمعية التأسيسية ولجنة الدستور :

بدأت الجمعية الوطنية التأسيسية في اجتماعاتها اعتباراً من حلستها الأولى المؤرخة في يوم السبت الموافق 25 سبتمبر 1950م ، ولم يتغيب السيد «منير برشان» عن حضور الجلسات إلا مرة واحدة ، وهي الجلسة رقم (36) المؤرخة يوم الاثنين الموافق 22 أكتوبر 1951م (مجموعة محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ، ولجنة الدستور المنبثقة عنها ، ص126) (1962، ص260) ، وقد كان السيد «منير برشان» عضواً عن طرابلس في اللجنة الخاصة المكلفة بوضع اللائحة الداخلية للجمعية ، وانتخذت هذه اللجنة من مكتب هيئة الأمم المتحدة بالفندق الكبير ((قراند هوتيل)) مقراً لها (محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ، ولجنة الدستور المنبثقة عنها 1950، ص4) ، وأوضح السيد «منير برشان» أن زيادة قد حصلت في مواد اللائحة الداخلية على ما تم تقديمه سابقاً فأصبح عدد المواد ثلاث وأربعين مادة (محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ، ولجنة الدستور المنبثقة عنها 1950، ص6)، واقترح أن يضم الدستور مادة تنص على أن من حق البرلمان الليبي تعديل أي مادة من بنوده (المصدر نفسه ، نفس الصحيفة) ، كما طرح وجهة نظره بخصوص تولي أحد الوكيلين الرئاسة إذا تغيب الرئيس ، وأن يكون اجتماع الجمعية قانونياً إذا حضر ثلاث أرباع الأعضاء ، ولكن بشرط أن يمثل الحاضرين الأقاليم الثلاثة (المصدر نفسه ، نفس الصحيفة).

أما اقتراحه بخصوص الأصوات فقد كان أن يكون لكل عضو صوت واحد بما فيهم الرئيس (المصدر نفسه ، ص.7). وعندما فرغت الجمعية من إقرار اللائحة الداخلية اقترح وضع جدول أعمال ، وكذلك الموافقة على ملكية سمو الأمير "محمد إدريس السنوسي" في الدستور (المصدر نفسه ، ص.9،8)، وفيما يتعلق بنظام الحكم كان السيد "منير برشان" أول من أكد أن يكون اتحادياً فيدراليًّا عادلاً (المصدر نفسه ، ص.9).

وذلك استناداً على القانون الأساسي الذي سنته الجمعية الوطنية والقاضي بأن تكون ليبيا دولة اتحادية قبل اتخاذ أي خطوة في وضع الدستور (خدوري ، ص193) (محمود أحمد أبوصرة 2013، ص.193)، وقررت الجمعية ذلك مع مبادرة الأمير "محمد إدريس السنوسي" ملكاً وهي البيعة التي تمت يوم 2 ديسمبر 1950م (حكيم ، 1970 ، ص.79).
والسيد "منير برشان" هو الذي اقترح على الجمعية التأسيسية الليبية إرسال رسالة إلى جلالة الملك لإبلاغه قرارات الجمعية وهي :

أولاً : أن تكون ليبيا دولة مستقلة ذات سيادة ، وأن يكون شكل الحكم فيها اتحادياً فيدراليًّا عادلاً.

ثانياً : أن تكون الحكومة ملكية دستورية ، ديمقراطية ، نيابية ، تحت تاج الملك " محمد إدريس المهدى السنوسي"

ثالثاً : أن ترفع الجمعية إلى جلالة الملك قرارها التاريخي ، وتعتبره ملكاً شرعاً على ليبيا منذ الآن (مجموعة محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها 1950م ، ص10) ، (الشنطي ، 1951م ، ص348 ، ص349) ، ولم يكتفي السيد "منير برشان" بأن يطلب وضع اختصاص للحكومة الاتحادية ، بل طلب تحديد اختصاص للملك أيضاً ، أي تحديد صلاحيات دستورية للملك ، وأن يؤخذ رأي الجمعية التأسيسية الليبية قبل تشكيل الحكومة الاتحادية ، لا أن ترك الجمعية في الظلام مثلما حدث في الحكومات المحلية (مجموعة محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها 1951 ، ص48.46) (المغرif 2008 ، ص.97) (زيادة 2002 ، ص.358).

وتواصل اسهامات السيد « منير برشان» بشكل متتابع في الجمعية التأسيسية الليبية ليقف على قضايا غاية في الأهمية في دلالة على سعد حصيلته القانونية والدستورية ، وإلمامه بتاريخ ليبيا و جغرافيتها وتركيبتها السكانية ، و ما هو يطلب إضافة بندان إلى جدول الأعمال هما:

تحديد شكل العلم الليبي ، وإرسال وفد من الجمعية إلى الملك ((محمد إدريس السنوسي)) ليرفع إليه قرار الجمعية بإعلانه ملكاً (مجموعة محاضر الجمعية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها، 1951، ص.12) ، ورد الملك على رسالة الجمعية برسالة أعرب فيها عن استعداده لقبول دعوة الجمعية ليكون ملكاً على ليبيا ، ولكنه يؤثر تأجيل المناداة به ملكاً بصفة رسمية إلى ما بعد وصول الخطوات السياسية ، والإدارية والدستورية إلى المرحلة التي يستطيع فيها مباشرة سلطاته الملكية ، ورغم ذلك فإنه مارس سلطاته ملكاً بطريقة غير مباشرة لنصيحة بريطانيا (الشنيطي ، ص348 .(349،

أما فيما يتعلق باستقالات بعض أعضاء الجمعية التأسيسية الليبية ، فقد نبه السيد « منير برشان» إلى ضرورة نشر الاستقالات التي تقدم بها كلاً من : السيد أحمد الصاري ، السيد عبد العزيز الزقلي . في الصحف المحلية ، كما تساءل في نفس الجلسة حول وجود صلاحيات للحكومة الليبية من عدمها في الإشراف على الانتخابات المقبلة(محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها 1951 ، ص 59) ، وأضاف مقتراً في جلسة أخرى وهو ضرورة أن يقدم رئيس الحكومة أي تعديل وزاري إلى الجمعية لدراسته والموافقة عليه قبل أن يتم التعديل(محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها ، 1951م ،ص 67) ، وتساءل هل الحكومة مسؤولة أمام الجمعية أم لا . (محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها 1951 ، ص 69).

ورفض السيد « منير برشان» عبارة أن الملك طرف ثانٍ في الدستور ، لأن ذلك في وجهة نظره لا يعتمد على أساس ديمقراطي ، لأن الملوك لا تضع الدساتير ولا تناقشها ورفض أيضاً المادة رقم (40) من الدستور التي ورد فيها حق الملك وذرته بلقب أمير برقة ، حيث يقول لقد ارتقى الملك من أمير إلى ملك وصاحب جلاله فلا أرى أن ينزل إلى لقب أمير ، وشدد كذلك على إضافة عبارة ((الوحدة القومية)) للمادة رقم (47) باعتبارها هدف وطني ، ورفض أن تكون للخاصة الملكية أي حصانة ، فالحصانة للملك فقط.

وأردف قائلاً : إن القوانين الموجودة في العالم تختم أن تكون السيادة للشعب لا الملك ، فالمملك لن يخلد ، ولذلك كان حرصنا على دقة الدستور ، وأن تكون الأمة مصدر السلطات لا الملك (محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها 1951 ، ص 100, 105, 107).

أما في ما يتعلق بوراثة العرش فقد اعترض السيد « منير برشان » على المادة (44) والتي تقول (عرش المملكة وراثي ، وتنظم وراثة العرش بأمر كريم يصدره الملك « إدريس الأول) في بحر سنة من تاريخ إصدار هذا الدستور و لا أحد يعتلي العرش إلا إذا كان سليم العقل ولبياً مسلماً ، وولداً لوالدين مسلمين من زواج شرعي ، ويعتبر الأمر الملكي الذي بنظم وراثة العرش ذا صيغة دستورية). وكان اعتراضه على هذه المادة بقوله صراحة ((إن هذه المادة تعتبر من وضع الملك)) (محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها ، 1951 ص 118).

ولم تتحصر مقترنات السيد « منير برشان » في ما توقفنا عنده في السابق بل كانت له مداخلات واقتراحات مهمة أخرى كاقتراحه تعديل المادة الثالثة من قانون الانتخاب فيما يتعلق بشروط الانتخاب لتكون صياغة المادة محددة في النص التالي : (إذا لم يكن محكوماً عليه بالسجن لسرقة أو رشوة أو خيانة الأمانة ، أو تزوير أو احتيال أو غير ذلك من الجرائم المخلة بالشرف بصورة مطلقة ، ولم يرد إليه اعتباره) (محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها ر 1951 ، ص 132).

كما أكد أن استشارة وزير العدل في تعيين المناطق الانتخابية استشارة استرشادية " (محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنبثقة عنها 1951 ، ص 134).

وقد تواصل الحضور المتميز للسيد « منير برشان » في اجتماعات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية الليبية، فقد كان من اقترح تكليف السيد « عمر بك شبيب » رئيساً للجنة الدستور ، كما كان هو شخصه مقرراً لهذه اللجنة باقتراح من السيد « محمد عثمان الصيد) (محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية 1950 ، ص 153, 154)، كما تم اختياره ضمن الأعضاء المكلفين لدراسة الدساتير الفيدرالية في العالم لانتقاء ما يصلح فيها لليبيا (محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية، 1950 ص 155)

والملفت للانتباه أن السيد « منير برشان » قد تغيب عن حضور خمسة جلسات من أصل أربعة وعشرون جلسة للجنة الدستور ، وهي الجلسات (18,10,7,6,3) (محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة

عن الجمعية التأسيسية، 1951م، ص157)، ويحمن الباحث أنه كان في مهمة حتمت عليه هذا الغياب باعتباره ضمن اللجنة المكلفة بدراسة الدساتير الفيدرالية في العالم ، والتي رعاها تتطلب السفر خارج ليبيا ، وقد لاحظ السيد «منير برشان» بعد قراءته للدساتير الفيدرالية أن الدستور السوري هو أوسعها (محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية، 1951، ص158).

وقدم مقترحاً بالاشتراك مع السيد «عبد الجيد كعبار» يوضح صيغتان تعريفيتان : الأولى لليبي ، والثانية لأهم المبادئ الأساسية لحصول الأجنبي على الجنسية الليبية ، ثم انفرد بالتأكيد على حق الأجنبي الحاصل على الجنسية الليبية في التمتع بما يحصل عليه الليبي من حقوق (محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية عنها 1951، ص174) ، وفيما يتعلق بعضوية مجلس الشيوخ فقد رأى أن تكون بالتعيين والانتخاب (محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية 1951، ص174).

المقترحاً أن يتم انتخاب نصف مجلس الشيوخ تفاديًّا لأي طعون مستقبلية في الدستور ، إلا أن اللجنة اعتمدت التعيين وليس الانتخاب ، ورغم ذلك فقد أضاف اشتراط خلو النائب من السوابق والاحكام (محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية 1951، ص178، 179) ، وأخر اقتراحاته كانت أن تكون مدة شغل عضوية مجلس الشيوخ أربع سنوات واضافة مادة تنص على عدم سيطرة الحكومة الاتحادية على دخل الجمارك (محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية، 1951، ص189) ، وإضافة ((المحافظة على الوحدة القومية)) لصيغة اليمين القانونية (محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية، 1951، ص193)

الخاتمة :

توصى الباحث من خلال الدراسة للاستنتاجات التالية :-

- 1- شخصية السيد «منير برشان» عكست إمكانيات كبيرة في حيله ورعايا الأجيال التي جاءت بعده على المستويين الشخصي والوطني .
- 2- أن مسألة الأصول العرقية لا أهمية لها إطلاقاً في الحياة الوطنية.
- 3- على الرغم من أن هذا الرجل بدأ حياته كعسكري وبرتبة ضابط ، إلا أن سيرته الشخصية الوطنية كانت ضد الدكتاتورية والسلطة المطلقة ، والدليل طلبه للجمعية التأسيسية الليبية بتحديد صلاحيات الحكومة والملك

4- يعتبر السيد «منير برشان» الشخصية الأكثر حضوراً وفاعلية في الهيئة التأسيسية ولجنة الدستور والدليل المقترنات التي أوردتها له في هذه الدراسة ، والتي تعكس عملية وطنية علمية رصينة.

المصادر والمراجع :

1. جريدة طرابلس الرسمية .(1949) طرابلس ليبما : تصدرها الإدارة العسكرية البريطانية ،
2. راجع كلاً من الصحف الآتية ، صحيفه نيويورك تايمز *The New York Times* (1952) ؛ صحيفه NEW HAVEN (1952) ؛ صحيفه نيوهافين يوفالوكورير اكسبريس (1952) ، Iovalokorir newspaper Express هارتفورد تايمز (1952)؛ صحيفه رفورد تايمز The Hartford Times (1952)، صحيفه شاينزيرس Haanzirs Times (1952)
3. رواية الأستاذ خالد الثابت عن المدرسة الإسلامية العليا (1983) . طرابلس - ليبما : مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي .
4. حكيم ، سامي (1970) حقيقة ليبما . (ط.2). مصر : مكتبة الانجلو المصرية
5. طرابلس الغرب ، صحيفه ، ع130، س22، مصدر سابق ، نفس الصفحة
6. طرابلس ، صحيفه باللغة الإيطالية . (1965) مقال بعنوان ((احتفاء منير برشان)) ترجم المقال الباحث عن اللغة الأيطالية ، د. نور الدين سعيد ، أستاذ السينما والفنون المرئية بكلية الفنون والأعلام ، جامعة طرابلس . طرابلس
7. المصراتي ، على مصطفى (2000) عرض ودراسة تحليلية لتطور الفن الصحفى في ليبما . (ط2) . مصراته . ليبما : الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان
8. لقاء اجراء الباحث مع نجل السيد ((منير برشان)) السيد ((نجم الدين منير برشان)) الخميس الموافق 16/10/2014م ، بشارع ميزران بطرابلس ، الساعة (11) صباحاً ، محل محمد الغالي للخدمات المنزلية ، وحضور د. محمود الديك ؛ راجع ايضاً بمخصوص أصوله التركية : هنري سيرانو فيلار ، مذكرات أول سفير امريكي في ليبما ، ليبما المملكة العربية الجديدة في شمال افريقيا ، مصدر سابق ، ص87
9. لقاء اجراء الباحث مع د . عبد الكريم أبو شويرب ، بصالحة المكتبة بمراكز المخطوطات التاريخية ، طرابلس ، ليبما ، بتاريخ 04/11/2014م ، الساعة (12) ظهراً

10. محاضر لجنة الدستور المنشقة عن الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية، ولجنة الدستور المنشقة عنها سنة 70-1371هـ، محضر الجلسة (1) 6 ديسمبر 1950، ص 153؛ سالم الكبيتي، ليبيا مسيرة الاستقلال، وثائق محلية دولية، ج 3، تكوين الدولة لها، الدار العبية للعلوم ناشرون، دار الساقية للنشر، بنغازي، ليبيا، 2012م ص 1079.
11. محاضر جلسات لجنة الدستور المنشقة عن الجمعية التأسيسية، محضر الجلسة (2)، 9 ديسمبر 1950 ص 155.
12. محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية، ولجنة الدستور المنشقة عنها جلسة رقم (2) الاثنين 27 نوفمبر 1950، ص 4.
13. محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية، ولجنة الدستور المنشقة عنها جلسة رقم (3) السبت 6 ديسمبر 1950، ص 6.
14. مجموعة محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنشقة عنها، محضر الجلسة (3) السبت 2 ديسمبر 1950، ص 10؛ راجع أيضاً: محمود الشنطي، قضية ليبيا د.ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة و مصر، 1951م، ص 348، 349.
15. محاضر جلسات لجنة الدستور المنشقة عن الجمعية التأسيسية، محضر الجلسة (4) 12 أبريل 1951، ص 158.
16. مجموعة محاضر الجمعية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنشقة عنها، محضر الجلسة (4)، 8 يناير 1951، ص 12.
17. مجموعة محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنشقة عنها، محضر الجلسة (5) الخميس 15 مارس 1951م، ص 46، 48؛ راجع أيضاً بخصوص صلاحيات الملك: محمد يوسف المقرif، ليبيا من الشرعية الدستورية إلى الشرعية الثورية، دراسة توثيقية تحليلية، ط 1، دار الاستقلال، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 2008م، ص 97؛ راجع أيضاً: نقولا زيادة، ليبيا من الاستعمار الإيطالي إلى الاستقلال، سلسلة الاعمال الكاملة، رقم (10) د.ط، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، 2002م، ص 358.
18. محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنشقة عنها، محضر الجلسة (12) 12 يونيو 1951، ص 174.

19. محاضر جلسات لجنة الدستور المنشقة عن الجمعية التأسيسية، محضر الجلسة (14) 24 يونيو 1951، ص 174.
20. محاضر جلسات لجنة الدستور المنشقة عن الجمعية التأسيسية، محضر الجلسة (14) 24 يونيو 1951، ص 178.
21. محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنشقة عنها ، محضر الجلسة (19) ، الخميس 29 مارس 1951 م ، ص 59.
22. محاضر جلسات لجنة الدستور المنشقة عن الجمعية التأسيسية، محضر الجلسة (21) 27 أغسطس 1951، ص 189.
23. محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنشقة عنها ، محضر الجلسة (22) ، أربعاء ، 67، ص 1951.
24. محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنشقة عنها ، محضر الجلسة (23) ، السبت ، 16 يونيو 1951 ، ص 69.
25. محاضر جلسات لجنة الدستور المنشقة عن الجمعية التأسيسية، محضر الجلسة (23) 15 سبتمبر 1951، ص 193.
26. محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنشقة عنها ، محضر الجلسة (32) ، الثلاثاء ، 2 أكتوبر 1951 ، ص 107, 106, 105, 100.
27. محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنشقة عنها ، محضر الجلسة (34) الأحد 7 أكتوبر 1951 ، ص 118.
28. مجموعة محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ، ولجنة الدستور المنشقة عنها جلسة رقم (36) الاثنين 22 أكتوبر 1951 ، ص 126 ؛ حسن سليمان محمود ، ليبيا بين الماضي والحاضر الالف كتاب (426) ، مؤسسة سجل العرب ، القاهرة ، مصر ، 1962 م ، ص 260.
29. محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنشقة عنها ، محضر الجلسة (38) ، السبت ، 3 نوفمبر 1951 ، ص 132.
30. محاضر الجمعية الوطنية التأسيسية الليبية ولجنة الدستور المنشقة عنها ، محضر الجلسة (39) ، السبت ، 3 نوفمبر 1951 ، ص 134.

31. محاضر جلسات لجنة الدستور المنبثقة عن الجمعية التأسيسية، راجع محاضر الجلسات : الثالثة 2 ابريل 1951 ، ص157 ، الجلسة السادسة ، 1مايو 1951 ، ص160 ، الجلسة السابعة 3مايو 1951 ، ص161 ، الجلسة العاشرة، 17 مايو 1951 ، ص165 ، الجلسة الثامنة عشر 2 أغسطس 1951 ، ص181 ،
32. خدورى ، مجید (2013) *ليبيا الحادىحة - دراسة في تطورها السياسي* . (ط1). طرابلس - ليبيا: دار الرواد ، 193م،ص
33. المقريف ، محمد يوسف (2004) . *ليبيا بين الماضي والحاضر ، صفحات من التاريخ السياسي* . (ط1). بيروت لبنان: توزيع الفرات للنشر والتوزيع
34. الشنطي ، محمود . *قضية ليبيا*
35. نيويورك تايمز (1952) .*The New York Times* . صحيفة أمريكية ، خبر عنوان ((مسؤول برلماني ليبي يقوم بزيارة لحكومة المدينة ، وصناعتها ، ومدارسها)).
36. فيلار ، هنرى سيرانو(2013) . مذكرات أول سفير أمريكي في ليبيا ، Libya المملكة العربية الجاذبة في شمال أفريقيا . (ط1). طرابلس ليبيا: شركة المدى للخدمات الإعلامية ورقة مطبوعة متوجه بصورة فوتوغرافية للسيد ((منير برشان)) اعدها بخله((بجم الدين منير برشان)) وسلمها للباحث في لقائه به المشار إليه يوم 16/10/2014 ؛ طرابلس الغرب ، صحيفة ،

إيلاف قريش وأثره على

العلاقات الخارجية في المجتمع المكي

"سياسياً ، اقتصادياً ، اجتماعياً"

أ. عبد الحكيم عاشور ميلاد الشعافي

كلية الآداب والعلوم قصر الاخيار جامعة المرقب

Jalpo1967@gmail.com

مقدمة

ما لا شك فيه أن شبه الجزيرة العربية بموقعها الجغرافي الممتاز قد قامت بدور مهم في تجارة العالم عبر مختلف العصور ، وخاصة فترة ازدهار التجارة القرشية ، وكانت بمياهها الماء وشواطئها الصالحة للملاحة وتتوسطها قلب العالم القديم حلقة وصل رئيسة تربط بين أقدم عالمين عرفتهما البشرية عالم الشروات الطبيعية في الشرق ، وعالم البحر المتوسط في الغرب .

وعندما بدأت الصراعات تتزايد حول طرق التجارة بين دولتي الروم والفرس في شبه الجزيرة العربية من ناحيتها الشمالية والجنوبية ، ظهرت مكة بقيادة قريش على النحو الذي ستتناوله هذه الدراسة ، لتساعد التجارة الشرقية في مواصلة نقلها من شبه الجزيرة العربية إلى كافة أقطار العالم و خاصة الدولة البيزنطية ، التي كانت بحاجة إلى سلعها ، مثل البخور والعطور والحرير والتوابل ، وأخذت هذه التجارة تزدهر شيئاً فشيئاً حتى أصبحت مكة الوسيط التجاري الوحيد الذي لا منافس له في المنطقة بتنظيمها وقوافلها .

وعلى كثرة ما كتب في هذا الموضوع ، فلا زالت المكتبة الليبية بحاجة إلى دراسة علمية موضوعية ومتکاملة لبداية تاريخ مكة السياسي والاقتصادي والاجتماعي في الفترة التي تم اختيارها لهذا الدراسة ، لأن مثل هذه الدراسة من شأنها أن تكشف عن طبيعة العلاقات المكية في مراحلها الأولى وهذا الكشف ضروري لمعالجة العلاقات القرشية وتحليلها تحليلًا موضوعياً يمكن من معرفة تاريخ الدولة بعد ظهور الإسلام معرفة جيدة ، وعليه فقد ركزت هذه الدراسة على تطور نظام الحكم في مكة قبل ظهور الإسلام ، (نظام الإيلاف) كخطوة سياسية لدار الندوة ، وعن أحوال مكة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وذلك

لتبلور الدور المهم الذي قام به الإيلافيون ، ودورهم السياسي في النهوض بالمجتمع المكي في جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والأدبية والفكرية وربطها بالنظام السياسي ، وأثره على المجتمع القرشي .

أولاً : تحديد معنى الإيلاف:

وردت العديد من الروايات في معنى الإيلاف من قبل المفسرين واللغويين والمؤرخين يورد الباحث المشهور منهم :

قال أبو إسحاق الزجاج : "في لإيلاف قريش ثلاثة أوجه : لإيلاف قريش ، وإيلاف قريش ، ووجه ثالث لإلف قريش ، قال : وقد فرِيءَ بالوجهين الأولين"(الازهري ، د.ت ، 378)، ويتبين من بعض مصادر التفسير والمعاجم أن الوجهين الأول والثالث من معنى واحد . لكن الأول متعد لمؤلفين من قولك : "آلفت فلاناً الشيء إذا ألمته إيه ، أولفه إيلافاً" ، والثاني متعد لمؤلف واحد من قولك : "آلفت الشيء وألفت فلاناً إذا أنسث به"(ابن منظور ، 1968م ، 38)، وألفت بينهم : إذا جمعت بينهم بعد تفرق(الم سعودي ، 1987م ، 59)، وقد ذكر ابن هشام في سيرته اللفظة بقوله : "إيلاف قريش إيلافهم الخروج إلى الشام في تجارتكم ، وكانت لهم حرجة : خرجة في الشتاء وخرجة في الصيف... والإيلاف أيضاً : أن تولف الشيء إلى الشيء فيألفه ويلزمه"(ابن هشام ، د.ت ، 110).

كما قيل في معانٍ للإيلاف : بأنه الدأب(ابن سعد ، 1990م ، 75)، أو أنه العود(البغدادي ، د.ت ، 162)، وقيل أنه أمان الطريق والناس عند مرورهم بأرض غيرهم(البغدادي ، 1964م ، 33)، كما جاء معناه بأنه الإجارة ، فيؤلف: أي يجير ، لذلك سمى أبناء عبد مناف بالجيرين(الزيبيدي ، 1981م ، 44)، أو الجيرين لأن الله جبر بهم قريشاً(الطبرى ، 1991م ، 504) ، أو أقداح النثار ، وفي رواية لابن العباس : أن الإيلاف يعني الذمام(الطبرى ، 2001م ، 371)، كما جاء بمعنى الحبال والعقود(الأندلسي ، 1967م ، 328)، يقال كانت بينهم حبال فقطعوها ، أي عهود وذمم ، وذلك أن العرب كانت تخيف بعضها بعض فكان الرجل إذا أراد سفراً أخذ عهداً من سيد قبيلة فيأمن بذلك ما دام في حدودها حتى يتنهى إلى أخرى فيأمن بذلك(الزيبيدي ، 269)، أو العصم، ومعناها المنع . وعصمه تعني منه ما يوقيه(دراركة ، 1984م ، 56)، كما ورد أيضاً بأنه ريح خصصه هاشم لرؤساء القبائل ، ويحمل لهم متاعاً من متاعه ، ويسوق إليهم إبلًا مع إبله ليكتفي بهم مؤنة الأسفار ، ويكتفي قريشاً مؤنة الأحداء ، فكان ذلك صلحاً للفرقيين ، إذ كان المقيم رابحاً والمسافر محفوظاً(الشعالي ، 1965 ،

116)، ويدرك أنه معنى خصوصاً لا ينطبق إلا على العهود التي عقدها الرعماء المكّيون مع ملوك الأطراف لضمان سير تجارتهم(سحاب ، 20 ، 1992)، وفي تفسير الإيلاف قال : الخليل بن أحمد الفراهيدي : آلف يؤلف ، وقال الأزهري : الإيلاف شبه الإجازة بالخفاقة ، يقال آلف يؤلف . وألف يؤلف ، إذا أجاز الحمائل بالخفاقة ، والحمائل جمع حمولة وذلك أن قريشاً لم يكن لهم زرع ولا ضرع ، فكانوا يرحلون رحلتين... والناس يتخطفون ، وسواء أكان هذا أم ذاك فإن الإيلاف ضرب من المال ، يدفع طوعية كهدایة أو منح لرؤساء القبائل التي تم بحرها القوافل التجارية القرشية ، ولكن يمتنع في الإيلاف عنصر الإلتزام أو الإكراه لمكانةبني عبد مناف الأربعه لدى أولئك الرؤساء ، ولأن العرب كانت تعظم القرشيين وتدعوهم "أهل الحرث"(الشامي ، 1990 ، 316)، ويرجع التفاوت لمعنى الإيلاف في فهم المعنى العام إليه كظاهرة عملية لقرיש ، أو فهم المعانى اللغوية من حيث علاقتها بنعمة الاستقرار والمجتمع في مكة ، والاعتياد على القيام بالرحلات التجارية بأمن وطمأنينة بفضل الأحلاف أو العصم أو الجبال التي أخذها سادة قريش من زعماء الدول المجاورة ، ومن رؤساء القبائل النازلة على طرق التجارة(دراركة ، 53).

ثانياً: مسألة الإيلاف في كتب التفسير .

ليس من طموح البحث الخوض في مسائل قرآنية هي أصلاً من اختصاص المفسرين ، وللتفسير دون شك أساسه الابيستيمولوجية*(Epistemology) المستقلة وال مختلفة عن أسس المنهج التاريخي ، لذا سيقتصر الباحث على التأمل من جديد في مفهوم الإيلاف سواء من خلال النظر إلى تناول المفسرين لمفهومه والطريقة التي نظروا بها إلى المسألة أو من خلال الروايات التاريخية التي تداولها المفسرون ووثقوا بها لأسباب النزول.

طرح سورة الفيل وسورة قريش على وعي المفسرين مسائل علمية كثيرة ، فلم يكن من مشاغلهم بطبيعة الحال كتابة تاريخ قريش ، لكن بما أن الآية تحيل على وقائع تاريخية ، ولعلها الآية الأكثر تاريخية واتصالاً بأزمة قريبة من التاريخ العربي عشية الإسلام ، فقد كان مطروحاً على وعيهم أن يوضحوا مقاصد التنزيل واستئثار المعارف التاريخية الوالصلة إليهم لفهم بلاغات الآية ، والذي يمثل فرصة مساعدة على

(*) تعني الكلمة (Episteme) في اللاتينية العلم الجديد الذي يدور حول المعرفة أو معنى آخر دراسة طبيعية ومصداقية المعرفة ، أو باختصار "نظريّة المعرفة" ، عامر رشيد مبيض ، موسوعة الثقافة السياسية الاجتماعية الاقتصادية العسكرية ، "مصطلحات ومفاهيم" ، دار المعارف للنشر ، حص ، 2000 ، ص 25
(18)

توسيع دائرة السير والتقصي حول مفهوم الإيلاف (سعيد ، 2006م ، 142) ، تسوق كتب التفسير جدلاً ثرياً حول تفسير سورة قريش لما لها من خصوصية جعلت التاريخ حكماً في المسألة ، فمن المعروف أنها تبدأ بشكل يثير شيئاً من الغرابة في بناء الجملة العربية إذ تبدأ بشكل يوحى بأنها استمرار لكلام سابق ، ولذلك كان للمسألة أهمية كبيرة بما لها من امتدادات لغوية وأسلوبية وتاريخية ، عليه لا يجدو من الضروري توسيع دائرة السير والتقصي في اتجاه كل التفاسير(سعيد ، 143) ، فالباحث يوجه اهتمامه إلى أهمها وأكثرها شمولية : تفسير الرازي وتفسير القرطبي وتفسير الطبرى ، وتفسير ابن كثير:

يقسم الرازي تفسير سورة قريش إلى أربعة مسائل يفرد الباحث منها الآتي :

المسألة الأولى / اللام في قوله "إيلاف" تحتمل وجهاً ثلاثة :

الوجه الأول : أن تكون متعلقة بالسورة التي قبلها ، وفيه احتمالات:

- وهو قول الزجاج وأبي عبيدة إن التقدير ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ لإلف قريش أي أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش ، وما قد ألغوا من رحلة الشتاء والصيف... ، بل إنما فعل ذلك بهم (إيلافهم قريش) ولتعظيم منصبهم وإظهار قدرهم....

. أن يكون التقدير ﴿أَلْمَ تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبَّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾، ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾، كل ذلك إنما كان لأجل إيلاف قريش.

. أن تكون اللام في قوله تعالى ﴿لِإِيلَافِ﴾ بمعنى أنه قال فعلنا كل ما فعلناه في السورة المتقدمة إلى نعمة أخرى عليهم وهي إيلافهم ... رحلة الشتاء والصيف...(الرازي ، 1938م ، 103)

وقيل : إن هذه السورة متصلة باليقظة قبلها في المعنى . يقول : أهلكت أصحاب الفيل لإيلاف قريش ؛ أي لتأتلف ، أو لتفتف قريش ، أو لكي تأمن قريش فتؤلف رحلتها(القرطبي ، 1952م ، 200).

الوجه الثاني : وهو أن اللام في ﴿لِإِيلَافِ﴾ متعلقة بقوله فليعبدوا وهو قول الخليل وسيبويه ، والتقدير ﴿فَلَيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ أي ليجعلوا عبادتهم شكرًا لهذه النعمة واعترافاً بها... ذلك لأن نعم الله عليهم لا تمحى(الرازي ، 105)، فالعبادة مأمورة بها شكرًا لما فعل بأعدائهم "أحباش اليمن" ولما حصل لهم من إيلافهم الذي صار سبباً لطعامهم ولأمنهم وتأسيسًا على هذا

الاحتمال ، ويعتقد فكتور سحاب أيضاً أن السوريين تشهدان على "امتداد نفوذ الجبعة في غرب الجزيرة واحتمال سيطرتهم على خطوط التجارة . فإذا كانت أخبار الرحلتين إلى الشام واليمن مقبولة في المصادر العربية ، وليس ثمة ما يوحي أنها غير صحيحة ، فإن نفوذ الأحباش لا بد وأنه امتداداً عظيماً من اليمن إلى شمال الحجاز... ولعل سبب امتداد هذا النفوذ أن شمال الحجاز كان منطقة نفوذ الغساسنة ، وكلا الفريقين "الأحباش، الغساسنة" كان في معسكر بيزنطة السياسي..."(سحاب ، 23).

الوجه الثالث : أن تكون هذه اللام غير متعلقة ، لا بما قبلها ولا بما بعدها ، قال الزجاج : قال قوم هذه اللام لام التعجب ، كأن المعنى : أعجبوا لإيلاف قريش ، وذلك لأنهم كل يوم يزدادون غياً وجهلاً وانغمساً في عبادة الأواثان ، والله تعالى يؤلف شملهم ويدفع الآفات عنهم ، وينظم أسباب معيشهم ... هذا اختيار الكسائي والأخفش والفراء(الرازي ، 105)، أما ابن كثير فيذكر بقوله : "قال ابن حجر : الصواب أن اللام لام التعجب كأنه يقول أعجبوا لإيلاف قريش ونعمتي عليهم في ذلك ، وقال : وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان"(ابن كثير ، 592م، 1987)؛ أما الصواب عند الطبرى ، "أن هذه اللام بمعنى التعجب . وأن معنى الكلام : أعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف ، وتركهم عبادة رب هذا البيت ، الذي أطعمهم من جوع ، وآمنهم من خوف ... ، والعرب إذا جاءت بهذه اللام ، فأدخلوها في الكلام للتعجب اكتفوا بها دليلاً على التعجب من إظهار الفعل الذي يجلبها(الطبرى ، 373).

المسألة الثانية / ذكر في الإيلاف ثلاثة أوجه .

الوجه الأول : أن الإيلاف هو الإلف . قال علماء اللغة ألفت الشيء وألفته إلفاً وإلفاً وإيلافاً بمعنى واحد ، أي لزمهte فيكون المعنى لإلف قريش هاتين الرحلتين فتتصالان ولا تنقطعان ، وقرأ أبو جعفر : لإلف قريش ، وقرأ الآخرون لإلف قريش ، وقرأ عكرمة ليلاف قريش(الرازي ، 105).

الوجه الثاني : أن يكون هذا من قولك لزمت موضع كذا وألزميه الله ، ويكون المعنى إثبات الألفة بالتدبر الذي فيه لطف ألفه بنفسه إلفاً وألفه غيره إيلافاً ، والمعنى أن هذه الألفة إنما حصلت في قريش بتدبر الله ... فيكون المصدر هنا مضافاً إلى المفعول ، ويكون المعنى لأجل أن يجعل الله قريشاً ملازمين لرحلتيهم.

الوجه الثالث : أن يكون الإيلاف هو التهيئة والتجهيز ، وهو قول الفراء وابن الأعرابي ، فيكون هنا المصدر مضافاً إلى الفاعل . والمعنى لتجهيز قريش رحلتها حتى تتصلوا ولا تنقطعوا(الرازي ، 105)، ويقال : يتألفون أي يستجرون ، حيث أنسد أبو عبيد لأبي ذؤيب :

تُوصِّلُ بِالرَّكْبَانِ حِينَا وَتُؤْلِفُ الْجَوَارَ وَيَعْشِيهَا الْأَمَانَ ذِمَّاهَا(الازهري ، 380)

المسألة الثالثة / يتناول فيها التكرير في قوله تعالى لإيلاف قريش إيلافهم يقول:

التكرير في قوله: ﴿لِإِيَّالَافِ قُرِيشٍ إِيَّالَفُهُم﴾ هو أنه أطلق الإيلاف أولاً ثم جعل المقيد بدلاً لذلك المطلق تفخيمًا لأمر الإيلاف وتذكير لعظم المنة فيه ، والأقرب أن يكون قوله: ﴿لِإِيَّالَافِ قُرِيشٍ﴾ عاماً يجمع كل مؤانسة وموافقة كانت بينهم ، فيدخل فيه مقامهم وسيرهم وجميع أحوالهم ... تم خص إيلاف الرحلتين بالذكر لسبب أنها قوت معاشهم(الرازي ، 106).

ومهما كان الرأي البات في أمر إثبات وحدة السورتين أو نفيها ، فإن فهم سوري الفيل وقريش فهماً تاريخياً موحداً ضمن إطار علمي مجرد من كل الشوائب والمعتقدات القديمة التي لصقت بالتفاسير في زمن متأخر ، يعزز بما لا شك فيه ، احتمالات استفادة المؤرخ من هاتين السورتين . إذ ليس من اليسير الخوض في هذا الجدل أو ترجيح قراءة على أخرى والحكم إن كان من الأسلم أن نقرأ سورة قريش في تواصل مع سورة الفيل أو في انقطاع معها ، أو الاختيار بين آراء المفسرين ، لذلك يكتفي الباحث بإثارة المستوى الأعم من الدلالة في السياق البياني الحالي وهو البحث عن تاريخ الإيلاف(سعيد ، 147).

ثالثاً : هاشم بن عبد مناف.

إذا كان قصي هو الذي أرسى حجر الأساس لقبيلة قريش ، فإن هاشم بن عبد مناف(البسوي ، 1981م ، 214) ، وكنيته "أبونضلة"(ابن الأثير ، 1981م ، 9)، هو الذي أوضح معالمها وأبرز قسماتها ، ففي زمنه أصبحت مكة مركزاً قيادياً سياسياً وتجارياً ، بالإضافة إلى ما تحفظ به من قداسة دينية ، بمبادرته إلى توثيق عقد الإيلاف كخطوة تكميلية لدار الندوة ، التي أصبحت مركزاً للحركة التجارية فيما بعد ، إضافة لكونها مجلساً للتشاور لسادة قريش وللحفاظ على مواقعهم الاجتماعية وثرواتهم المتزايدة ، فهاشم كان صاحب نظرية شمولية امتدت لأكثر من ناحية في تدعيم الدولة التي كانت في طور البروز(عبد الكريم ، 1997م ، 52).

ويذكر الإخباريون إن هاشم أكبر ولد عبد مناف سنًا وقديراً ، والمطلب أصغرهم ، أمه عاتكة بنت مرة السلمية ، وقيل أن عبد شمس وهاشماً توءمان ، ولداً وإصبع أحدهما متتصقة بجبهة صاحبه فتحيت ، فسال الدم ، فقيل : يكون بينهما دم ، ووللي هاشم بعد أبيه عبد مناف ما كان إليه من السقاية والرفادة فحسده أمية بن عبد شمس على رئاسته وإطعامه فتكلف أن يصنع صنيع هاشم ، فعجز عنه ، فشمت به ناس من قريش فغضب ونال من هاشم ، ودعاه إلى المنافرة ، والتي انتهت إلىأخذ هاشم خمسين ناقة قام بتحرها وإطعامها وغيايب أمية عن مكة بالشام عشر سنين ، ويذكر أنها أول عداوة وقعت بينبني هاشم وبني أمية(البغدادي ، 103).

ترسم رواية الإيلاف التاريخية لهاشم صورة مركبة من عنصرين أساسين : يمثل الأول دوره الريادي في توسيع أفق التجارة المكية بتأسيسه لنظام الإيلاف القرشي ، أما العنصر الثاني فهو دوره في خدمة الحرم المكي بعد وفاة أبيه عبد مناف (الشعافي ، ص98)، وتؤكد هذه الصورة أنه من خدام الحرم من خلال إطعامه للحجاج ، وأنه من أحوال قريش ومن أشرافها ، وفي اختصاص قريش بالإيلاف دون غيرهم من العرب(سعيد ، 116)، وأنشد ابن الأنباري وهو يرد على بنى أسد بقوله :

زَعْمُمْ أَنِّي إِخْوَتُكُمْ قُرِيشٌ لَهُمُ الْفُّ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَافٌ
أُولَئِكَ أُوْمِنُوا خَوْفًا وَجُوعًا وَقَدْ جَاءَتْ بَنُو أَسَدٍ وَخَافُوا

بينما يذكر الشاعري أن هاشم كان يأخذ الإيلاف من رؤساء القبائل وسادات العشائر لحصتين : أن ذوبان العرب وصعاليك الأعراب وأصحاب الطوائل كانوا لا يأمنون على أهل الحرم ولا غيرهم ، والثانية أن أناساً من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة ، ولا للشهر الحرام قدرًا ، كبني طيء وخشم وقضاعة ، وسائر العرب يحجون البيت ويدينون بالحرمة له(الشعالي ، 117).

أبطل هاشم رحل التجارة والمال حالة كانت تعاني منها قريش وهي مشكلة "الاعتفاد"^(*) ، التي كانت قائمة قبل عهده ، فيذكر القرطبي ، "إإن تلك العادة كانت تسمى "الاعتفار"... وحدث أن أسرة من بنى مخزوم شرعت في الاعتفار اتقاء لمعرفة التسول ومد اليد إلى الغير وأنفة من طلب الإحسان من القريب أو الغريب...، فبلغ هاشماً فزع أشد ما يكون الفزع... فقام قائلاً : إنكم أخذتم حدثاً تقلون فيه وتكثر

(*) ورد في رواية عن ابن العباس : الاعتفاد هو إذا أصيب واحد من قريش مخمصه "أي مجاعة" خرج هو وعياله إلى موضع وضروا على أنفسهم خباء حتى يموتون جوعاً ، الالوسي ، بلوغ الآرب في معرفة أحوال العرب ، ج 3 ، ص386.

العرب ، وأنتم أهل حرم الله جل وعلا وأشرف ولد آدم والناس بكم تبع ويکاد هذا الاعتفار يأتي عليکم ، فقالوا : نحن لك تبع فقال : ابتدئوا بهذا الرجل . يعني الذي اعتذر . فأغنوه عن الاعتفار ، ففعلوا..."(القرطبي ، 205) ، وأنشد ابن الأعرابي بقوله:

وَقَائِلُهُ ذَا زَمَانٍ اعْتِقَادٍ وَمَنْ ذَاكَ يَبْقَى عَلَى الاعْتِقَادِ

وهاشم معدود في خطباء العرب وبلغائهم ، فأوامره تصدر بخطب يجمع لها قريشاً في كل موسم فيذكرها بأحسابها وأنسابها وبما لهذا البيت الذي تخدمه من فضل ومكانة ، وبما لزواره من حق وكراهة ، ثم يمضي على بسط الأكف بالبدل لضمان راحة هؤلاء الوفود المتعبيين ، فعلى سبيل المثال يذكر الباحث إحدى خطبه ، بقوله : " يا عشر قريش ، إنكم جيران الله وأهل بيته ، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته ، فهم لذلك ضيف الله ، وأحق ضيف بالكرامة ضيف الله ، وقد خصكم الله بذلك وأكرمكم به... فأكرموا ضيفه وزواره فإنهم يأتون من كل بلد ضوامر كالقداح وقد زحفوا وتغلوا وحملوا وأرملوا فأفروهم وأغنوهم " (اللوسي ، 286).

فجمع هاشم كل بنى أب على الرحلتين في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام للتجارة ، فما ربح الغني قسمه بينه وبين الفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم ، ولعله أراد تذليل أواصر المجتمع المكي بتأليف قلوبهم وجعلهم جميعاً شركاء في صنع المستقبل ، وقد أشار الشاعر مطرود بن كعب الخزاعي لهذه الصفة التي عند أبناء عبد مناف فذكرها بقوله (الزبوري ، 1981 ، 53):

وَالْخَالِطُونَ فَقِيرُهُمْ بِغَيِّرِهِمْ حَتَّى يَكُونَ فَقِيرُهُمْ كَأَكْفَافِي

وقال آخر :

إِلَى الْقَمَرِ السَّارِيِّ الْمُبَيِّنِ دَعْوَةٌ وَمُطْعِمٌ فِي الْأَزْلِ مِنْ قَمْعِ الْجَزَرِ^(*)

رابعاً: هاشم والإيلاف من خلال الروايات التاريخية :

^(*) الأزل : الشدة والضيق ؛ والقمع : بفتح القاف والميم من كل شيء خياره وهو جمع ومفرد قمعة ؛ والجزر : النحر والذبح ، مصطفى صدر الدين ، مرجع سابق ، ص 57.

لا شك أن ظاهرة الإيلاف كانت وليدة عوامل طبيعية وتاريخية واقتصادية ، فمكة كانت ولا تزال منطقة صحراوية لا يمكن لأهلها الاعتماد على الزراعة في عيشهم ، أما العامل الثاني والمتعلق بالجانب التاريخي فيقصد به نشوء مكة حول ماء زمزم وتطورها وعلاقة البيت الحرام بذلك(الكتاني ، د.ت ، 44).

يستشف الباحث نشأة هذا النظام من رواية ابن الكلبي سواء في صيغتها الواردة في تاريخ الطبرى (الطبرى ، 504)، أو في صياغتها الأكثر وضوحاً والواردة في كتاب المنقى لابن حبيب وكلاهما يسند لابن الكلبى(البغدادى ، 36)، كما توفر رواية النسب لتاريخ الإيلاف أرضية ومستندًا في علاقة الدم ، باعتبار أن أطراف الإيلاف الأربع هم إخوة في الأصل ، ينحدرون من أب واحد هو عبد مناف(الكلبى ، د.ت ، 26) ، إلا أن المصادر المتداولة تشير إشارات لا تتناغم مع دور هاشم في الإيلاف ، على سبيل المثال ما يرد عند البلاذري وابن الأثير ، أن هاشماً توفى وعمره خمس وعشرون سنة ، وما يرد في شأن وفاته بغزة ، وأحياناً في شأن ولادته بغزة من أرض فلسطين(الأندلسي ، 330).

وإذا ما انطلق الباحث من مبدأ أن الإسناد يحيل إلى مصدر الخبر ، يمكن جمع الأخبار المنبثة في المصادر على النحو الآتي :-

يدرك الطبرى أن أبناء مناف هم أول من أخذ الإيلاف لقريش بقوله: "فكانوا أول من أخذ لقريش العصم ، فانتشروا في الحرم ، وأخذ لهم هاشم حبلاً من ملوك الشام والروم وغسان ، وأخذ لهم عبد شمس حبلاً من النجاشي الأكبر ، فاختلقو بذلك السبب إلى أرض الحبشة ، وأخذ لهم نوفل حبلاً من الأكاسرة ، فاختلقو بذلك السبب إلى العراق وأرض فارس ، وأخذ لهم المطلب حبلاً من ملوك حمير ، فاختلقو بذلك السبب إلى اليمن...."(الطبرى ، 504) ، ولذلك أسمها الفيروزآبادى "بحبال" ، إذ يقول : "وكان تجأر قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بمحال هؤلاء الإخوة فلا يتعرض لهم ، وكان كل أخ منهم أخذ حبلاً من ملك ناحية سفره أماناً له"(الفيروزآبادى ، 1986 ، 118) ؛ وأنشد الشاعر مطرود بن كعب الخزاعي قائلاً :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلُهُ أَلَا نَرْلُتَ بِآلَّ عَبْدِ مَنَافِ

ويذكر ابن سعد في طبقاته أيضاً أن هاشماً كان صاحب إيلاف قريش ، وأنه أول من سن الرحلتين ، بقوله : "أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبى ، عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال : كان اسم هاشم "عمراً" ، وكان صاحب إيلاف قريش ، وإيلاف قريش دأب قريش ، وكان أول من سن

الرحلتين لقريش ، ترحل إحداهما في الشتاء إلى اليمن وإلى الحبشة... ورحلة في الصيف إلى الشام إلى غزة وربما إلى أنقرة فيدخل إلى قيصر فيكرمه ، فأصابت قريش سنوات ذهبن بالأموال ، فخرج هاشم إلى الشام فأمر بخبز كثير فخرب له ، فحمله في الغرائر على الإبل حتى واف مكة فهشم الخبز... ونحر تلك الإبل ، ثم أمر الطهاة فطبخوا ، ثم كفا القدور على الجفان^(*)، فأشيع أهل مكة . فكان ذلك أول الحياة بعد السنة التي أصابتهم فسمى هاشماً(ابن سعد ، 57) . كما وردت رواية الإيلاف في سيرة ابن هشام ، بقوله : " قال ابن إسحاق : فولى الرفادة والسقاية هاشم بن عبد مناف ... وكان فيما يزعمون أول من سن الرحلتين لقريش : رحلتي الشتاء والصيف . وأول من أطعم الثريد بمكة..."(ابن هشام ، 55).

فقال الشاعر عبد الله بن الزعيري :

عَمْرُو الَّذِي هَشَمَ الْثَرِيدَ لِقَوْمِهِ
قَوْمٌ بِمَكَّةَ مُسَيَّتِينَ عِجَافُ
سَنَتٌ إِلَيْهِ الرَّخْلَاتَانِ كِلَاهُمَا
سَفَرُ الشَّتَاءِ وَرِحْلَةُ الْأَصْيَافِ

بينما ترد الرواية في كتاب المحقق لابن حبيب ، والتي يغيب فيها ذكر اليمن ، واقتصرت مهمة هاشم فيها على فتح أفق التجارة القرشية إلى بلاد الشام شمالاً ، بقوله : "أنحرنا أبو جعفر محمد بن حبيب عن ابن الكلبي قال : كان حديث الإيلاف أن قريشاً كانت تجارةً وكانت تجارةكم لا تعود مكة ، إنما يتقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترون منهم ثم يتبايعونه بينهم ويبيعون من حولهم من العرب ، حتى ركب هاشم بن عبد مناف إلى الشام فنزل بقيصر... ، فكان يذبح كل يوم شاة فيصنع حفنة ثريد ويدعو من حوله فيأكلون... وبلغ ذلك قيسراً فدعا به... ، فلما رأى مكانه منه ، قال له هاشم : أيها الملك ! إن لي قوماً وهم تجارة العرب فإن رأيت أن تكتب لهم كتاباً تومنهم وتومن تجارةكم فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه فيكونوا يبيعونه عندكم فهو أرخص عليكم ، فكتب له كتاباً بأمان من أتى منهم ... ، فقال الحارث بن خنش (البغدادي ، 34):

إِنَّ أَنْجِي هَاشِمًا لَيْسَ أَخَا وَاحِدًا
وَاللَّهِ مَا هَاشِمٌ بِنَاقِصٍ كَائِدٍ
وَالْخَيْرُ فِي ثَوْبِهِ وَحْفَرَةُ الْلَّاهِدِ
الْأَخِدُ الْأَلْفُ وَالْوَافِدُ لِلْقَاعِدِ

وقال في ذلك أيضاً وهب بن عبد قصي بن كلاب :

(*) جفان سليمان عليه السلام أولي بأن يتمثل بها ، لقول الله عز وجل في وصفها ، ﴿ وَجَفَانٌ كَاجْوَابٍ وَفُدُورٌ رَّاسِيَتٍ ﴾ ، سورة سباء ، الآية : 13.

تَحْمِلُ هَاشِمٌ مَا ضَاقَ عَنْهُ
 أَتَاهُمْ بِالْغَرَائِيرِ مَنَّاقَاتٍ
 فَأَوْسَعَ أَهْلَ مَكَّةَ مِنْ هَشِيمٍ
 وَشَابَ الْجُبْنَرِ بِاللَّهِمَ الْغَرِيْبِ
 وَاعِيًّا أَنْ يَقُومُ بِهِ أَنْ يَبْيَضُ
 مِنْ أَرْضِ الشَّامِ بِالْبَرِ التَّفَيْصِ
 مِنَ الشَّيْزَى وَحَائِرُهَا يَفْيَضُ^(*)

ويذكر ابن حبيب أيضاً في هذا السياق بأن أخوة هاشم (المطلب، عبد شمس، نوفل) ، قاموا بفتح الوجهات الأخرى كآفاق للتجارة القرشية بعد وفاة أخيهم هاشم ، مما يعني أن مبادرة هاشم لم تتواءم مع عمل إخوته ، بقوله : " فلما مات هاشم خرج المطلب بن عبد مناف إلى اليمن فأخذ من ملوكهم عهداً لمن تجر قبلهم من قريش ، ثم أقبل يأخذ الإيالاف من مر به من العرب حتى أتى مكة على مثل ما كان هاشم أخذ... ، وخرج عبد شمس بن عبد مناف إلى ملك الحبشة فأخذ منه كتاباً وعهداً لمن تجر قبله من قريش ، ثم أخذ الإيالاف من بينه وبين العرب حتى بلغ مكة ، وخرج نوفل بن عبد مناف ... إلى العراق فأخذ عهداً من كسرى لتجار قريش ، ثم أقبل يأخذ الإيالاف من مر به من العرب حتى قدم مكة" (البغدادي ، 36).

تکاد تجمع كتب التاريخ والتفسير على أنبني عبد مناف الأربعه هم الذين أخرجوا تجارة قريش من نطاقها المحلي إلى نطاقها العالمي ، وإن كانت نصوص الروايات تحوي خلافاً لا يغير من المضمون شيئاً ، إلا أن جواد علي قلل من أهميته وأثره في ازدهار التجارة القرشية ، فذكر موضوع ذهب الإيلافيين على أنه موضوع طبيعي لا داعي إلى إثارة الشك حوله ، أما أنهم التقوا بقيصر وبكسرى وبالنحاشى وبتباطعة اليمين وتعاقدوا وتعاهدوا معهم ، يذكر بأنها قضية أخرى فيها نظر ، ويستطرد قائلاً : أنه تعود سعى مثل هذا القصاص من الإخباريين ، وجل ما يتصوره فيما لو صدق الخبر ، هو أن أولئك الأخوة قد قابلوا بعض موظفي الحدود وتصادقوا معهم وقدموا لهم بعض المدايا ، فصاروا يتสาهلون معهم في حبابة الأعشار وفيأخذ حقوق المرور فتشاع بين قومهم أنهم تعاهدوا مع أولئك الملوك(جواد علي ، 1967م ، 303) ، وعلى هذا الأساس ينفي جواد علي ما ذكره ابن حبيب في روايته السابقة ، بقوله : " لم يكن الإيلاف إيلافاً مع الروم أو مع الفرس أو مع الحبشة ، وإنما كان مع سادات القبائل ، ففضل العقود والمعاهد التي عقدتها هاشم وإنحواته مع سادات العرب أمكن مرور قوافل مكة بأمن وسلام ، ولولا هذه العقود التي جبرت

^(*) الشيري : خشب اسود تجحد منه القصاع ، الشعالي ، مصدر سابق ، ص 609 ؛ البغدادي ، المتنق في أخبار قريش ، ص 104.

قلوب سادات القبائل بتقدسم حقوق مرور لهم ، أو بإشراكهم في مال القافلة ، لما كان في إمكان قريش ضبط أولئك الأعراب ومنعهم من التحرش بقوافلهم ومرورها إلى الأسواق بأمن وسلام".

يعزز عرفة حمور ما وصل إليه جواد علي ، بقوله : فاتفاقاتهم مع رؤساء القبائل كانت تأليفًا لهم على خفاره قوافل قريش وبخارتها ، أو بإعطائهم نصيباً من الأرباح ، أو استعمالهم بإبلهم لنقل المتأجر ورجالهم في خفارتها بأجور معينة(حمور ، 1999 م ، 202).

إلا إن الباحث لا يرجع ما وصلا إليه ، فمن المرجح أن العقود والمعاهد التي تم ذكرها ما هي إلا تعزيزاً للعصم والحبيل الذي أخذ هاشم من قيسرو ففتحه أفق التجارة القرشية لبلاد الشام واليمن والحبشة وببلاد فارس ، مستنداً إلى رواية الإيلاف لابن حبيب ، بقوله : "فأقبل هاشم بذلك الكتاب فجعل كلما مر بجي من العرب بطريق الشام أخذ من أشرافهم إيلافاً ، والإيلاف أن يؤمنوا عندهم في أرضهم بغير حلف ، وإنما هوأمان الناس ... ، فأخذ هاشم الإيلاف مما بينه وبين الشام حتى قدم مكة ..."(الشعاعي ، 2008 ، 105.104)، بالإضافة إلى ما ذكره الأندلسى في شأن مقابلة هاشم لقيصر وإعجابه به ، بقوله : "لما رحل في شأن الإيلاف على قيسرو ، قال له قيسرو : وما قدر الحاجة إليكم حتى شتكلف لكم هذه الذمة؟ ؟ قال : ليس كل من يحسن إليه الملك يكون الملك محتاجاً لما عنده ، ولو كان ذلك لقل إحسان الملوك ؛ ولأن نأتيك بوجه الضراعة والحاجة إليك خير من أن نأتيك بوجه الاستغناء عنك والدالله عليك ! ففسر له كلامه فأعجب به ، وأمضى له ما أحب" (الأندلسي ، 330).

فالإيلاف في أساسه يمكن تقسيمه إلى قسمين : أولهما عقود أبرمت مع ملوك الأطراف الأربع مفادها السماح للتجار المكيين تسخير رحالهم التجارية في أسواق الشرق ، أما الآخر فهو اتفاق مع زعماء القبائل الواقعة على طرق التجارة لحماية قوافلهم من جهة ، وإشراكهم في التجارة من جهة أخرى ، وكلها مرتبطة بالآخر ومكمل له في نفس الوقت(الشعاعي ، 105). وفي هذا الموضوع يذكر العمادي ، بقوله : لما تم لهاشم الاتفاق مع قيسرو ، اجتهد مع القبائل النازلة على الطرق التجارية المؤدية إلى بلاد الشام والغرس واليمن وكذلك الحبشة ، على عقد عهود تبيع له ولقومه المرور بأرض تلك القبائل دون دفع أتاوة كبيرة ، مقابل قيام قريش بكل الأعمال التجارية الالزمة لهذه القبائل فتائيمهم بما يلزمهم من البضائع ، وكذلك تقوم قوافل قريش بحمل ما تزيد القبائل بيعه من متطلباتها المحلية ، مثل التمر والصوف وبعض المعادن والأعشاب الطبية ، وكذلك كان من ضمن الاتفاق التصاهر معهم ودعوتهم إلى مكة ،

وكذلك إرضاء بعض رؤساء هذه القبائل بتعيينهم أمراء على القوافل التجارية ، فهو بهذا الإيلاف وضع قواعد وأصول مرور قوافل مكة وتجارتها في كل الأيام والمواسم بأمن وسلام (العمادي ، 1997 م ، 50).

ويبدو أن يقظة هاشم تأبى له أن يجتزئ بهذا المقدار من العمل فإنه يعلم أن الحلف وحده لا يأتي بكل الغرض المنشود ، ذلك أن قيصر إذا أجاز لقريش أن تختلف إلى الشام وتتوسط لها أن تختلف إلى الحبشة مثل ما تختلف إلى بلده ، فمن يمنع هذه القبائل المتداة في الصحراء أن تملك السبيل على هذه التجارة ، فتسلب أعيانها وأموالها أو تلتاح مع حراسها وجنودها بمعارك تجعل التجارة جحيناً، والأسفار إليها عذاباً ، فكان عليه أن يكتسب قيصر هذا الحلف . وقد فعل . ثم كان عليه أيضاً ضمان سلامة القوافل والعير حين تقبل من الحجاز إلى الشام وحين تعود ، وإذا لم يضمن الثانية فإنه لا يصنع شيئاً من الأولى ، فماذا هو صانع (الشعافى ، 106).

يدرك بيضون أن الإيلافيين لم ينجحوا في تشكيل مؤسسة تعاونية غير متناقضة الأهداف والمصالح ، على نحو يتطابق مع مضمون الإيلاف الرامي إلى توفير الرزق والاستقرار للمكيين ، وفي رأيه أن نظام الإيلاف الذي فرضته طبيعة المجتمع الاقتصادية ، كانت الثغرة الأساسية فيه افتقاده للإطار السياسي العام ، الذي افترض أن يكتسب طابعاً عملياً من التمثيل(بيضون ، 1983 م ، 214)، كما شكل فيكتور سحاب في الشكل الذي تعطيه الروايات لأدوار الإخوة الأربع وتوزعهم ، ويذكر أن من شروط هذا التوزيع وجود جهاز مركزي أسد إلى كل منهما دوراً ، ملماحاً إلى استحالة وجود هذا الجهاز لأن النطэр السياسي القرشي مازال في مراحله الأولى ، إلا أنه في نفس الوقت لم يبتعد عن الرأي السابق كثيراً حين قال : "إن الإيلاف كان حلفاً وعقداً ثنائياً من صنفِ حديثٍ تضمُّن بموجبه القبائل القاطنة على طول الطريق التجارية حق المرور لقوافل قريش مروراً حراً عبر ديارها ، لقاء حمل قريش منتجات هذه القبائل على أن تعيد لهم رأس مالهم المستثمر في هذه البضائع والربح الجانبي ، ف بالإيلاف حسب قوله كان غرضه إشراك القبائل وزعمائها في مكاسب تجارة قريش ، وكانت تلك خير وسيلة لضمان مسالمة القبائل ، لكنه رغم شكه لهذا واصل استثمار الرواية باعتبارها شاهدة على التحول المتمثل في الإيلاف الذي يمثل في جانبه الاقتصادي والاجتماعي ، أحد أشكال التطور في السلطة من الفردية في عهد قصي إلى الأقلية في عهد هاشم وحلفائه(سحاب ، 214).

خامساً : تحديد زمن نشأة الإيلاف :

يدرك فيكتور سحاب أن تعين زمن إنشاء الإيلاف أهم بكثير من منشئه ، إلا أن الباحث يواجه مشكلة عدم وجود مستندات مكتوبة في هذا الشأن ، كما أن المصادر العربية لا تذكر نصوص الكتب التي قيل إن الملوك كتبوها لقرיש لتسهيل رحلاتها التجارية(سحاب ، 210).

يدرك احمد ابراهيم الشريف من خلال دراسته أن العهود "الإيلاف" حدثت في زمن واحد بقوله : "فإنه في الوقت الذي اتصل فيه المطلب بن عبد مناف بأقال اليمن ، اتصل أخوه عبد شمس بالنجاشي ، وأبرم معه اتفاقاً مائلاً ، ومنذ ذلك الحين أصبحت الحبشة لقرיש وجهًاً متجرًا"(الشريف ، 1965 م ، 157)، ويذكر أيضاً : "في الوقت الذي حصلت فيه مكة على عهود من الحميريين والأحباش على غشيان بلادهم للمتاجرة ، حصل أحد زعماء مكة هاشم بن عبد مناف على عهد من العساسنة والروم على المتاجرة في أرض الدولة البيزنطية" ، ويستطرد قائلاً : "في نفس الوقت الذي حصلت فيه مكة على عهود من الروم والحبشة واليمن للمتاجرة في بلادها ، حصل... نوفل ، على عهد مماثل من كسرى للمتاجرة في بلاد الدولة الفارسية"(الشريف ، 163) ، إلا أن صالح دراكه كان له رأي مختلف تماماً لما ذكره الشريف ، بقوله : "إن سفارات أبناء عبد مناف إلى البلدان ، إنما كانت بعد عودة هاشم من الشام ، ويذكر أيضاً أن إخوة هاشم قاموا بعملهم هذا بعد وفاة هاشم"(دراكه ، 57).

يعزز فيكتور سحاب في دراسته للإيلاف ما ذكره دراكه ، بقوله : " من المنطقي أن الاتفاق التجاري مع الإدارة البيزنطية جرى في زمن غير زمن الاتفاق مع اليمن أو مع الحبشة أو الحيرة ، ويستطرد قائلاً : إن المصادر العربية نفسها توحى أن هاشماً لم يخرج إلى الشام وفي نيته عقد الإيلاف ؛ فليس من المرجح أن تكون قريش قد خططت للمشروع في كل تفاصيله ، ثم أوفدت موظفيها الأربع كلاً إلى جهة في المهمة ذاتها " (سحاب ، 211)، كما يعتقد أن هاشماً أراد تحسين وضع التجار القرشيين لدى الإدارة البيزنطية في الشام ، ولما رأت قريش نجاح الفكرة سعت إلى توسيع تجارتها وتحسين شروطها مع ملوك الأطراف الآخرين ، فوفد إخوة هاشم كل إلى مكان تجارتة لترتيب الأمر . وهذا يعني أن الإيلاف لم ينشأ كله في سنة واحدة ، بل تكون نظامه واتسع نطاقه تدريجياً ، يتفق الباحث مع ما وصل إليه دراكه وفيكتور مستنداً إلى رواية اليعقوبي ، بقوله : "ولما هلك هاشم بن عبد مناف جرعت قريش ، وخافت أن تغلبها العرب ، فخرج عبد شمس إلى النجاشي ملك الحبشة ، فجدد بينه وبينه العهد ، ثم انصرف ، فلم يلبث أن مات بمكة ودفن بالحجون ، وخرج نوفل إلى العراق ، وأخذ عهداً من كسرى ، ثم أقبل ، فمات بموضع

يقال له سلمان ، وقام بأمر مكة المطلب بن عبد مناف" (اليعقوبي ، 1960 م ، 244)، وأنشد مطرود
الخزاعي قائلاً:

إِنَّ الْمُغِيرَاتِ وَأَبْنَاءَهُمْ لَخَيْرٌ آبَاءٍ وَأَمَهَاتِ
لِلْبِيْضِ فَيْضٌ كُلُّهُمْ سَيِّدٌ أَبْنَاءُ سَادَاتٍ لِسَادَاتِ
قَبْرُ بَرْدَمَانٍ وَقَبْرُ بَسْلَمَانَ وَقَبْرُ عِنْدَ غَرَّاتِ
وَمَيْتُ مَاتَ قَرِيبًا لَدَى الْحُجُونِ مِنْ شَرْقِ الشَّنَّيَاتِ

إلا أن الباحث لا يتفق مع ما اعتقده فكتور من أن هاشماً أراد تحسين حال التجار القرشيين لدى
بيزنطة ، وفي هذا الموضوع يرجح الباحث أن السبب الرئيسي للإيلاف هي السنة التي أصابت سكان
مكة في عهد هاشم وخروج أهلها إلى الاعتفار (الشعاعي ، 108)، كما أن قريش قد انقطعت عند
البيت ، وكانت العرب التي حولها تمنعهم من الخروج في طلب المعاش ، ولم يكن لهم عيش إلا ما يأتي به
الموسم أيام الحج ، فلما نشأ بنو عبد مناف المذكورون أخذوا العرب بالسياسية والمهاداة إلى أن انقادوا
إليهم (الأندلسي ، 329).

أما بخصوص تحديد الفترة الزمنية التي حدث فيها الإيلاف يوجه فكتور سحاب اهتماماً كبيراً إلى
مسألة التاريخ الدقيق الذي يمكن أن يكون حدث فيه الإيلاف ، ويحمن أن تكون العهود قد تمت حوالي
سنة 467 م ، لكنه لا يطرح مسألة العناصر البشرية التي شاركت فيه (سحاب ، 211)، إلا أن دراكه
يرجح حدوث هذا التحول الكبير في مطلع القرن السادس الميلادي ، لأن هاشماً على الأغلب توفي في
هذه الفترة ، مستنداً إلى ما ورد عند الأندلسبي والتي تشير إلى أنه كان معاصرًا للملك الفارسي قباد بن
فيروز 488 م- 531 م ، الذي تزندق وأتبع مذهب مزدك ، ويستطرد قائلاً : ومن الحوادث الثابتة في
التاريخ لقاء عبد المطلب لأبرهة الحبشي عام الفيل ، وهو العام الذي ولد فيه الرسول الكريم (محمد صلى
الله عليه وسلم) ، عام 570 م ، ويدرك دراكه أن عبد المطلب كان حينذاك شيخاً وقوراً ، أي عمره ما
بين 60-70 سنة . وهذا يرجح صحة تحديد تاريخ الإيلاف في مطلع القرن السادس الميلادي (الشعاعي
، 109) ، يتفق فيكتور مرة أخرى مع الشريف في مسألة تحديد الفترة التي نشأ فيها الإيلاف ، فقد
توصل كل منهما إلى أن هاشماً أخذ الإيلاف في أوائل القرن السادس الميلادي ؛ فيرجعها فيكتور إلى
حاجة بيزنطة إلى تنظيم هذا الشأن الخطير لضمان تدفق السلع التجارية الشرقية (سحاب ، 212)، أما
الشريف فيرجح أن مكة قد استفادت من الاضطراب الذي حدث في شبه الجزيرة العربية والمتمثل في

الصراع القائم بين الفرس وبيزنطة ، لتحتل مركز الوسيط المحايد لنقل التجارة من الشمال إلى الجنوب ، بالإضافة لبعدها عن نفوذ الدولتين (الشريف ، 204).

وثق هاشم أيضاً صلاته الداخلية ، بأن أصهر إلى العديد من القبائل الكبيرة المشهورة ، فتزوج سلمي بنت عمر بن زيد سيد بنى عدى بن النجار ، من الخزرج بشرب ، وكذلك تزوج هند بنت عمر من بنى الخزرج ، وتزوج أيضاً : أم قيلة التي كانت تلقب "الجزور" بنت عامر بن مالك بن جديمة ، وتزوج أميمة بنت عدى من قضاعة ، وواددة أم "عبد الله" بنت أبي عدي ، وعدى بنت حبيب بن الحارث وهو من ثقيف ، حتى صار الإصهار إلى كبريات القبائل من بعد هاشم سنة اتبعها خلفائه من بناة الدولة المكية مثل ابنه عبد المطلب ، وحفيده محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، الذي تحقق على يده الحلم وتحول إلى واقع وبرزت إلى الوجود دولة الإسلام (ابن سعد ، 88).

وبفضل اتباع سياسة تأليف قلوب القبائل ، بإشراك سادتها في تجارة قريش ، أو إعطاء سادتها جعلاة مرور ، أو إياكلاء إبليها لنقل تجارة قريش ، تمكنت قريش من تأليف قلوب سادات القبائل ، فأمنت على نفسها وصارت قواقلها تخرج في أي وقت شاءت من أوقات السنة في الشهور الحل أو في الشهور الحرم ، لا تخشى بأساً ، حتى أنها صارت تعطي أماناً لغيرها وبذلك ألغت القبائل الأخرى التي لم تكن لها عقد وإيلاف وحال مع القبائل المحالفه لقريش ، فصارت تحمل كتاب أمان قريش وشعارها ، وهو ما عضد من شجر الحرم يوضع حول العنق ، على ما يزعم أهل الأخبار ، فيكون جواز سفر وكتاب مرور(جواب على ، 304) ، وبهذا النظام حول هاشم مسبعة الطريق الضاربة إلى أمن ، وببدل تماويل الصحراء الفاتكة إلى طمأنينة واستقرار ، يمر فيها من كان بالشام وأنقرة ، ثم من مكة أيضاً إلى اليمن والحبشة ، وبالتجارة القرشية ظهرت مكة إلى حيز الوجود وأصبحت الوسيط الوحيد في نقل التجارة منها وإليها. (Walter.

(W. Muller , P. 131.

سادساً : علاقات مكة الخارجية:

1: علاقة مكة بالجنوب (اليمن والحبشة):

ترجع علاقة مكة بالجنوب إلى أيام دولة قتبان (القرن 11 ق.م. 25 ق.م.) ، ومعين (1300 ق.م. 650 ق.م.) ، وسبأ (800 ق.م. 115 ق.م.) ، ومحير (115 ق.م. 525 م.) ، وذلك لغنى أراضيها بالمعادن الثمينة ، كما تذكر الروايات أن التبع أسعد أبو كرب الحميري كان أول من كسا البيت الحرام

(31)

وأوصى بتعظيمه وكسوته (الازرقى ، 1983م ، 249)، وقد كانت القبائل اليمنية هي أول من سكن مكة ، كقبيلة جرهم ثم تلتها قبيلة خزانة والتي هي فرع من الأزد كان لها الدور الأكبر في عمارة مكة وتنشيط الحج إلى بيتها الحرام (الشريف ، 38).

أما بخصوص العلاقات التجارية في عهد قريش مع اليمن ، فإن الاتصالات كانت قائمة بين أحد رؤساء مكة وبين أقىال اليمن الحميريين إلى أن عقدت قريش معهم إيلافاً بقيادة المطلب بن عبد مناف ، والذي ينص على أن تقوم قريش بالتجارة في أرضهم ، وتحدث الروايات عن ذهاب عبد المطلب بن هاشم على رأس وفد من رجال مكة لتهنئة سيف بن ذي يزن بعد انتصاره على الأحباش ، وربما كان قدوم هذا الوفد تعبيراً عن الاتهام بخيانة الحبشة التي كانت قد غزت مكة من قبل (الشريف ، 39) يؤكّد ذلك حديث عبد المطلب في قصر غمدان بمدينة صنعاء لسيف بن ذي يزن ، بقوله : "أيها الملك . نحن أهل حرم الله ، وسدنة بيته ، أشخاصنا إليك الذي أبحجنا من كشف الكرب الذي فدحنا . ونحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة"^(*)، ويشير أيضاً الحافظ في إحدى رسائله والتي خصصها في مدح التجار وذم عمل السلطان ، بقوله على لسان كاهنة اليمن : "الله دُرُّ الديار لقريش التجار ، وليس فوقهم قرشي كقولهم هاشمي وزهري وقيمي ، لأنَّه لم يكن لهم أب يسمى قريشاً فينسبون إليه ، ولكنَّه اسم اشتقت لهم من التجارة والتقويس" (عكاوي ، 1992م ، 177)، ويدرك أيضاً أنه وجد نقش مكتوب على بعض الآثار في بلاد اليمن مفاده أن قريشاً أصبحت تضارع بشهرئما في المجال الدولي شهرة حمير وفارس والحبشة : "لمن ملك ذمار . لحمير الأخيار . لمن ملك ذمار . للحبشة الأشرار . لمن ملك ذمار . لفارس الأحرار . لمن ملك ذمار . إلى قريش التجار" (ابن هشام ، 66).

أما فيما يخص علاقة مكة بالحبشة فقد أكدت الكشوفات الأثرية على عمق الصلات العربية الأكسومية^(**) ، وخاصة بعد أن عثرت بعثة ألمانية عام 1905م أثناء تنقيبها في منطقة أكسوم في الحبشة على بعض المسلاط التي تحمل رسوماً ترمز إلى عبادة الشمس التي كانت سائدة في جنوب الجزيرة في تلك الفترة ، كما تم العثور على تمثال حجري ذي ملامح شرقية وجد عند قدميه كتابات بلغة عرب الجنوب (

^(*) المرز: العيب والشين ، الأزهري ، مصدر سابق ، ج 13 ، ص 209 ؛ ممتاز العارف ، الأحباش بين مأرب وأكسوم ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، 1975 ، ص 69-70.

^(**) أكسوم : مدينة تقع في الجزء الشمالي من هضبة الحبشة ، فتحي غيث ، الإسلام والحبشة عبر التاريخ ، شركة الطباعة المتحدة ، صنعاء ، د.ت ، ص 5.

مطر ، 1991 م ، 39)، ويكتفي في إثبات هذا ما ذكره الأصفهاني بقوله : " وكانت أرض الحبشة لقريش متجرأً ووجهاً" (الاسفهانى ، 1997 م ، 55).

وأزداد الترابط التجاري بعد أن تدفقت تجارة قريش إلى المجال الخارجي ، عقد عبد شمس بن عبد مناف حلفاً مماثلاً مع النجاشي ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت الحبشة متجرأً لقريش، فهي مصدر من مصادر التجارة الشرقية لما تنتجه من البخور واللادن والطيب وريش النعام والماع Diodorus Of Sicily (p5) والجلود والتوايل ، فضلاً عن كونها المصدر الرئيسي لتجارة الرقيق .

لم تقتصر صلة العرب ببلاد الحبشة على المدن الساحلية فقط وإنما توغل التجار داخل البلاد الحبشية ، فكثما صادفوا مزيداً من الخصب واعتدالاً في الجو شجعهم على التوغل والاستقرار ، كما احتوت أشعار العرب على بعض الأدلة التي تؤكد اتصال العرب ببلاد الحبشة واحتغالمهم بالتجارة ، كقصيدة الأعشى ميمون^(*)، التي قال فيها :

وَقَدْ طَفْتُ أَفَاقَةً عُمَانَ فَحُمُصُّ فَأَورُشَلِيمٍ
أَتَيْتُ النَّجَاشِيَ فِي أَرْضِهِ وَأَرْضُ النَّبِيِّ وَأَرْضُ الْعَجَمِ

ومنذ ذلك الوقت حظيت مكة وبيتها الحرام بنفوذ كبير بين عرب الجنوب ، الذين فقدوا استقلالهم وتطلعوا بداع القومية إلى البلد العربي المستقل ، فعندما جهز أبعة حاكم اليمن لغزو مكة غضباً شديداً ، وتصدت له بعض القبائل اليمنية وقاتله ، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على عمق الترابط والتواصل بين مكة وأهل اليمن (خبيري ، 2004 م ، 15)، وعلى الرغم من قيام الأحباش بهذا العمل العدواني على مكة ، إلا أن العلاقات الطيبة ظلت قائمة بين البلدين ، لحاجة كل منهما إلى الآخر ، ثم ازدادت العلاقات الخارجية المكية الحبشية عندما لم يجد الأحباش البديل في نقل تجارتهم إلى الجزيرة العربية ، حيث أنه لم يكن من المستطاع أن تخلق تجارة مع الفرس أعدائهم وأعداء حلفائهم الروم (العمادي ، 70)، والتي استمرت حتى أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم المهاجرين الأولين من الصحابة إليها، وما كان إرسال النبي صلى الله عليه وسلم إلا لمعروفة سابقة بما (الرشيد ، 1979 م ، 226).

2: علاقة مكة بالشمال :

(*) ميمون بن قيس : كان أعمى ويكتفي بأبي بصير ، شاعر جاهلي ، أدرك الإسلام في آخر عمره ، رحل إلى النبي (ص) ، فقيل له إنه يحرم الخمر والزنا والقمار ، فقال : أتعني بما هذا العام ثم أسلم ، فمات قبل ذلك ، للمزيد ينظر : ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ج 1 ، دار الثقافة ، ط 4 ، بيروت ، 1980 م ، ص 178.

أما علاقة مكة بالشمال فهي قديمة ترجع إلى أيام النبط ، الذين كانوا يقومون على التجارة في شمال بلاد العرب ، إذ كانت البتراء عاصمتهم المركز التجاري الرئيسي لطرق القوافل بين غزة وبصرى وما بين دمشق وأيلة ، فقد عمل أهل الحجاز على تعظيم شأنهم منهم من خلال وضع العديد من التمايل لأرباب كانوا يعبدونها داخل الكعبة ، كما استقدموا إلى الحجاز آلة أخرى منها اللات ، العزي (***) ومنة (***)، ويبدو أن نقل هذه الأصنام من بلاد النبط إلى مكة كان وسيلة من الوسائل لتعظيم شأن الكعبة عند أهل الشمال من جهة ، وإناسهم بما كلما رحلوا إلى الحجاز من جهة أخرى ، بالإضافة إلى تقريب ما بينهم من شعائر البيت الحرام ، ولما قدم قصي إلى مكة جمع قريش ونازع بما خزاعه للاستيلاء على مكة ، استعان بقضاعة وهي إحدى القبائل التي كانت تقيم في بادية الشام وتخضع للغساسنة الذين كانوا تحت النفوذ البيزنطي (الشريف ، 106).

وكان للنبيط أسواق في جزيرة العرب وكانوا يجلبون من الشام أمتعتها ، ويحملون إليها من الجزيرة نتاجها خاصة الزيت ودقيق الحواري (**)، ويرتدون العراق أحياناً ويرجعون منه بالتمر والأدم ونحوها من حاصلات تلك البلاد ، وكان أشهر أسواقهم في يرب ، بل إن لهم سوقاً فيها عرف باسمهم ذكره ابن سعد في معرض حديثه عن هاشم بن عبد مناف في بعض أسفاره إلى يرب قوله : "نزل هاشم بسوق النبيط فصادف سوقاً تقوم بها في السنة يحشدون لها " (ابن سعد ، 58).

كانت قريش على علاقة وثيقة مع الشام لدرجة أن الروم كانت هي الأخرى حرصة على أن تظل علاقتها التجارية مع قريش وطيدة حتى لا تفقد ما تجلبه إليها وما تأخذه منها ، ولكن بيزنطة حتى مع ارتباطها مع العرب من الناحية التجارية ، لم تكن تقبل التفاوض مع العرب على مبدأ الباب المفتوح ، فقد كانت ترى كل غريب عنها عيناً يجب مراقبته عن كثب لذلك كانت المعاملات التجارية مع العرب تتم على حدود بلاد الشام ، مع عدم السماح لهم بالإقامة والتجارة إلا في عدد ثابت من مدن الشام مثل

(**) ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة النجم ، الآية:19 ، وأما الذي اتخذ العزي على رواية ابن الكلبي فهو ظالم بن أسعد ، وقد ذُكر أن العزي شجيرات ، وقيل أنها حجر أبيض ، فلقد كانت قريش تخصها دون غيرها بزيارة والمدايا ، للمزيد ينظر : محمد إبراهيم الفيومي ، تاريخ الفكر الديني الجاهلي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1994م ، ص 417.

(***) وهو من الأصنام المذكورة في القرآن الكريم في سورة النجم الآية: 20 ، وموضع مناة بالمشلل على سبعة أميال من المدينة ، للمزيد ينظر : جواد علي ، المفصل ، ج 6 ، ص 247.

(*) الحواري : ثواب الدقيق ، وكل ما مخور أي بُيض من الطعام ، للمزيد ينظر : سعيد الأفغاني ، أسواق العرب في الجاهلية والاسلام ، مكتبة العربية ، للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط 4 ، 1996م ، ص 22.

بصري وغزة والقدس (سالم ، 13)، وماقول هاشم الأنف الذكر لقيصر وهو : "أيها الملك إن قومي تجارت العرب فإن رأيت أن تكتب لي كتاباً تؤمن..." (البغدادي ، 171) ، إلا دلالة واضحة على مدى استفادة الروم من السلع الحجازية المتمثلة في الأدم والحرير أخ... ، لأنها تباع أرخص من غيرها ، بل أن من ذهب إلى أن اعتماد الروم على تجارة العرب كان عظيماً في كثير من شؤونهم (امين ، 1967 م ، 13). وقد حاولت الإمبراطورية البيزنطية بعد أن ورثت المشرق الاستيلاء على طريق التجارة عبر الحجاز ، الذي كان في يد خصومهم الفرس ، وعندما حصل هاشم بن عبد مناف على العصم من الروم والغساسنة بالتجارة في أرض الدولة البيزنطية وازدياد مكانة مكة التجارية في الجزيرة ، الأمر الذي جعل الروم يفكرون في بسط نفوذهم على مكة والسيطرة على طريق الحجاز والاتصال المباشر بتابع التجارة الشرقية ، ولعدم مقدرة جيوشهم والمحاجفة ودخول الصحراء والوصول إليه اتخذوا من الحبشة حليفة لهم ل تقوم بهذا الدور ، ولا شك أن فشل حملة أبرهة الحبشي على مكة ، جعل الروم يفكرون في عمل محاولة سياسية أخرى عسى أن تلقى نجاحاً بين عرب الحجاز بتمليلك سيد من العرب على مكة ، فارتضى قيسار رجلاً من ساداتها هو عثمان بن الحويirth ، وهو من تردوا على الوثنية وبخثوا عن ديانة أخرى أفضل منها ، الذي ملكه على مكة ومنحه براءة بذلك ، وكتب له كتاباً يبلغها قومه (Henri p. 87)، لكن القرشيين كانوا قد ارتضوا لحكم مكة نوعاً من الحكومة ألغوا فيها الرياسة الفردية ، فقد التزموا موقف الحياد كعادتهم ، فلم يقبلوا زعامة الحويirth عليهم إذ ليس من مصلحة مكة أن ترتبط ارتباطاً خاصاً بأي من المعسكرين المتعارضين.

أما علاقة قريش بمصر فالمصادر تشير إليها إشارات طفيفة ، إلا أنها ثبتت تلك العلاقة ولكنها لا تحدد مداها ، فهناك نصان ذكر أحدهما ابن سعد بقوله : "إن نفراً من بني مالك أجمعوا على الوفود إلى المقوس وأهدوا له المدابيا(ابن سعد ، 285)، وثانيهما "إن ابن جدعان أتى مصر ببضاعة ورجع إلى عكاظ" (الاغناني ، 25).

3: علاقة مكة بالفرس والحبيرة :

لقد رسمت كتب الأدب والتاريخ صورة عن التبادل التجاري بين العرب والفرس وغيرهم من الأمم الأخرى ، فقد كانوا يتاجرون معهم ويشترون منهم وبيعوهم ، ويرسلون القوافل بأسمائهم إلى العربية الجنوبيّة لبيع ما تحمله في أسواقهم ولشراء سلع العربية الجنوبيّة ، وبحملونها إلى أسواق العراق (لويس ،

1950 ، 19)، وقد كان ملك الفرس وملوك الحيرة يوكلون حراسة قوافهم إلى جماعة يختارونهم من سادات القبائل العربية المهايين المعروفين ، مقابل جعل يدفعونه لهم (ابوشارب ، د.ت ، 129).

كما ذكر المؤرخون أن الأوائل من ملك فارس كانت تحج الكعبة وتمدي إليها ، فقد ذكر السهيلي في كتابه بقوله : "أن الأسياف والغزلان كان ساسان ملك الفرس أهداماً للكعبة وقيل سابور" (السهيلي ، 177)، والظاهر أن قريشاً كانت تعرف الشام معرفة جيدة ، وكانت تؤمن فيها ولذلك فإن حرب بن أمية خرج إليه ومكث فيه عشر سنين حينما نافره هاشم بن مناف فنفر عليه (البغدادي ، 105).

تعززت هذه العلاقة أكثر مما هي عليه في السابق بعد حصول أحد أطراف الإيلاف الأربع والمتمثلة في شخص نوفل بن عبد مناف على العصم من كسرى للمتاجرة في بلاد الفرس ، إلا أن هذه العلاقة لم تكن بنفس القوة التي كانت بين مكة والبلاد الأخرى ، لأن الفرس كان اتصالهم بالتجارة الشرقية اتصالاً مباشراً ، كما أن تجارة الفرس مع الجزيرة العربية كانت ييد الحيرة التي كانت تتسللها ثم تحيزها إلى أسواق العرب مقابل جعل تدفعه لرؤساء القبائل لحماية هذه التجارة ، ويدرك أن ملوك الحيرة أنفسهم كانوا يرسلون متاجرهم إلى أسواق مكة كل عام في حماية بعض القبائل العربية ، وفي الوقت نفسه كانت قوافل قريش تحط بتجارتها في الحيرة ، ويقال أيضاً أن قريشاً تعلمت الكتابة العربية من أهلها (George P.43) ، فهذا النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان يبعث إلى سوق عكاظ في كل عام لطيمه^(*) في جوار شريف من أشراف العرب يحيزها له حتى تباع هناك ، ويشترى له من أدم الطائف ما يحتاج إليه ، وكثيراً ما كان يتعدى على هذه اللطيمة وتنهب (ابن الأثير ، 359).

بهذه العلاقات التجارية الواسعة التي عقدتها مكة داخل الجزيرة وخارجها ، والتي ربطت مصالح هذه القبائل الاقتصادية بمصلحتها ، خرجت مكة من عزلتها إلى المجال الخارجي ، واستطاعت أن تختلي دور الوسيط التجاري بين الدول المجاورة للجزيرة العربية ، ومع مرور الزمن أخذت تسيطر شيئاً فشيئاً على التبادل التجاري بين الشمال والجنوب ، حتى عظمت قوافلها لتبلغ القافلة الواحدة خمسمائة وألفي بعير تحمل عروض التجارة المختلفة ، ويدرك أن قيمة ما تحمله قافلة قوامها ألف وخمسمائة بعير خمسمائة ألف دينار ، وهو مبلغ كبير إذا قيس بقيمة العملة الآن (الشريف ، 44).

(*) اللطيمة: هي العبر التي تحمل الطيب ويز التجارة ، الزيدبي ، مصدر سابق ، ج 9 ، ص 60 ؛ ابن منظور ، مصدر سابق ، ج 12 ص 543.

قائمة المصادر و المراجع :

أولاً/ المصادر :

1- المصادر العربية :

- 1- القرآن الكريم رواية قالون عن نافع المدني .
- 2- ابن الأثير ، عز الدين ابن الحسن علي بن محمد الحزري ، الكامل في التاريخ ، دار الفكر ، بيروت ، 1978 م.
- 3- ابن سعد ، محمد ابن منيع الهاشمي ، الطبقات الكبرى ، تج . محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1990 م.
- 4- ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، دار الثقافة ، ط 4 ، بيروت ، 1980 م.
- 5- ابن كثير ، ابو الفداء الحافظ الدمشقي ، البداية والنهاية ، ط 5 ، مكتبة المعارف ، القاهرة ، 1983 م.
- 6- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم ، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، 1968 م.
- 7- ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، السيرة النبوية ، تج . محمد نبيل طيفي ، دار صادر ، ط 2 ، بيروت ، 2005 م.
- 8- الأزرقي ، أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، ت. رشدي الصالح ملحس ، مطابع دار الثقافة ، مكة المكرمة ، 1983 م. 20- الأزهري ، أبي منصور محمد أحمد ، تحذيب اللغة ، تج. محمد علي التحجار ، الدار المصرية للتأليف ، القاهرة ، د.ت.
- 9- الأزهري ، أبي منصور محمد احمد ، تحذيب اللغة ، تج : محمد علي التحجار ، الدار المصرية للتأليف ، القاهرة ، د.ت .
- 10- الاصفهاني ، أبي فرج علي بن الحسين ، كتاب الأغاني ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، 1997 م.

- 11- الالوسي ، محمود شكري ، بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب ، دار المعرفة ، القاهرة ، د.ت . الاندلسي ، أبي عمر احمد بن محمد بن عبد ربه ، العقد الفريد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1983 م .
- 12- البسوبي ، أبو يوسف يعقوب بن سفيان ، كتاب المعرفة والتاريخ ، ط2 ، تج. أكرم ضياء العمري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1981 م .
- 13- البغدادي ، محمد بن حبيب ، كتاب المنمق في أخبار قريش ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، 1964 م .
- 14- الخبر ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت .
- 15- الشعالي ، أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تج. محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، 1965 م.
- 16- الرازي ، محمد الرازي فخر الدين ، التفسير الكبير، المطبعة البهية المصرية ، ط1 ، القاهرة ، 1938 م.
- 17- الزعربي ، ديوان عبد الله ، تج. يحيى وهيب الجبوري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1981 م .
- 18- الزبيدي ، محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1306 هجري.
- 19- السهيلي ، عبد الرحمن بن عبد الله ، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لأبن هشام ، شرح وتعليق ، عبد الرحمن الوكيل ، مكتبة دار النصر ، القاهرة ، 1967 م .
- 20- الشامي ، محمد بن يوسف الصالحي ، سُبل المدى والرشاد في سيرة خير العباد ، ج1 ، تج. مصطفى عبد الواحد ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، 1990 م.
- 21- الطبرى ، أبي جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1991 م .
- 22- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج30 ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، 2001 م . الفيروزابادى ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1986 م .

- 23- القالي ، أبي علي إسماعيل القاسم البغدادي ، ذيل الأمالي والنواذر ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت.
- 24- القرطبي ، عبد الله محمد بن احمد الانصاري ، الجامع لأحكام القرآن ، ط2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1952.
- 25- الكلبي ، أبي المنذر بن هشام بن محمد السائب ، جمهرة النسب ، تتح. ناجي حسن ، عالم الكتب ، بيروت د.ت.
- 26- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تتح. محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1987 م .
- 27- اليعقوبي ، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، 1960 م .

2- المصادر الأجنبية:

- Diodorus of Sicily, Harvard University Press, London.

ثانياً: المراجع:

1المراجع العربية:

- . أبوشارب ، مصطفى فتحي ، العلاقة بين العرب والفرس وآثارها في الشعر الجاهلي ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر ، الرياض ، 1317هجري.
- . الأفغاني ، سعيد ، اسوق العرب في الجahلية والاسلام ، مكتبة العروبة ، للنشر والتوزيع ، الكويت ، ط 4 ، 1996 م.
- . أمين ، احمد ، فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، ط 11 ، بيروت ، 1975 م.
- . بيضون ، إبراهيم ، الحجاز والدولة الإسلامية ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، 1983 م .
- . حمور ، عرفان محمد ، مواسم العرب الكبرى "تاريخ المواسم الكبرى في بلاد العرب وللقواعد التي قامت عليها وأشهر أخبارها وآثارها" ، مؤسسة الرحاب الحديثة ، بيروت ، 1999 م.
- . سالم ، السيد عبد العزيز، تاريخ الدولة العربية ، تاريخ العرب منذ عصر الجahلية حتى سقوط الدولة الأموية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1971 م .
- . سحاب ، فكتور ، إيلاف قريش ، رحلة الشتاء والصيف ، كومبيو نشر والمركز الثقافي العربي ، بيروت ، 1992 م .

- سعيد ، محمد ، النسب والقرابة في المجتمع العربي قبل الإسلام ، دراسة في الجذور التاريخية للإيلاف ، دار الساقى ، بيروت ، 2006 م.
- صدر الدين ، مصطفى شرف الدين ، هاشم وأمية في الجاهلية ، دار القلم ، بيروت ، 1981 م.
- الشريف ، احمد إبراهيم ، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1968 م.
- — ، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1965 م.
- العارف ، ممتاز ، الأحباش بين مأرب وأكسوم ، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت ، 1975 م.
- الفيومي ، محمد ابراهيم ، تاريخ الفكر العربي الجاهلي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1994.
- عبد الكريم ، خليل ، قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية ، سينا للنشر ، القاهرة ، 1997 .
- العزيز ، حسين قاسم ، موجز تاريخ العرب والإسلام ، مكتبة النهضة ، بيروت ، 1871.
- عكاوي ، رحاب حضر ، المنتخب من رسائل الجاحظ ، دار الفكر العربي ، بيروت ، 1992 م.
- علي ، جواد ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار العلم للملائين ، بيروت ، 1967 م.
- العمادي ، محمد حسن عبد الكريم ، التجارة وطرقها في الجزيرة العربية بعد الإسلام حتى القرن الرابع المجري، مؤسسة حمادة ، اربد ، 1997 م.
- غيث ، فتحي ، الإسلام والحبشة عبر التاريخ ، شركة الطباعة المتحدة ، صنعاء ، د.ت.
- الكتاني ، عبد الحي ، نظام الحكومة النبوية ، المسمى التراخيص الإدارية ، ج 2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ت.
- لويس ، أرشيبالد ب.ر. ، القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط "500-1100 م" ، ت.
- أحمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1950 م.
- مبيض ، عامر رشيد ، موسوعة الثقافة السياسية الاجتماعية الاقتصادية العسكرية "مصطلحات ومفاهيم" ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، حصص ، 2000 م .

المراجع الأجنبية:

- Fadlo , Hourani , George ,Arab Seafaring in the Indian Ocean In Ancient and early Medieval Times, Khayats, Press, 1963.
- Henri Lammens , S . I. le Berceau de l'Islam , L'Arabie Occidentale a la veille de l'Hegire , I , Romae :

ثالثاً: الندوات :

. الرشيد ، ناصر بن سعد ، (تعامل العرب التجاري وكيفيته في العصر الجاهلي) ، الندوة العالمية الثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، جامعة الملك سعود ، الرياض ، 1979 م .

Walter W. Muller , Survey of the History of the Arabian Peninsula from the First A.D. to the Rise of Islam , Second International Symposium on the History of Arabia , King Saud University (Formerly Riyadh University) ,Riyadh ,Saudi Arabia ,1984.

رابعاً: الرسائل الجامعية.

. خبيري ، زينب محمد حسن ، (آثر الإسلام في العلاقات العربية الحبشية ، من السنة الخامسة للبعثة حتى 132هجري ، 615-750ف) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف : سالم محمد المعلول ، جامعة سوها ، 2004 ف.

. عبد الحكيم عاشور ميلاد الشعاعي ، (السلطة والإيلاف في مكة قبل الإسلام من القرن الرابع حتى بداية القرن السابع الميلادي) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف : الدكتور احمد محمد انديشة ، جامعة طرابلس ، 2008 .
خامساً: الدوريات.

- دراكمة ، صالح ، (إيلاف قريش ، ملاحظات حول عوامل السيادة الملكية قبل الإسلام) ، مجلة الدراسات التاريخية ، العددان السابع عشر والثامن عشر ، لجنة كتابة تاريخ العرب ، دمشق ، 1984 م .
. مطر ، صالح ، (تطور العلاقات الإفريقية العربية)، مجلة الدراسات الإفريقية ، العدد:4 ، السنة:4 ، مركز الدراسات الإفريقية ، سوها ، 1991 م.

نهر الكفرة الجوفي

حقيقة و أهميته العلمية والاقتصادية

أ. محمد احمد علي الكف

كلية الآداب والعلوم قصر الاخيار / جامعة المرقب

mohamedalkef@gmail.com

المقدمة :

تعد دراسة الأنهر المطحورة بالرمال في المناطق الصحراوية بفعل الارسال المواتي من الدراسات الحديثة، التي تساهم في الكشف عنها من أجل دراستها والاستفادة منها اقتصادياً. وتنشر هذه الأنهر بشكل كبير في المناطق الصحراوية، وخاصة في الصحراء التي شهدت تغيرات مناخية عبر العصور، حيث كانت مناطق غزيرة الأمطار، تحولت إلى مناطق صحراوية نتيجة التغير المناخي. والجدير بالذكر بأن الأنهر أو الوديان الجوفية عبارة عن وديان حفت عبر سنين طويلة، نتيجة للتغيرات المناخية، وقامت الرياح بغير هذه الوديان بالواسط الرملية. وتعد الصحراء الكبرى وصحراء شبه الجزيرة العربية من الصحراء التي تزرع بهذا النوع من الأنهر، وهذا ما كشفت عنه الدراسات الحديثة، والتي منها نهر الكفرة الذي يقع في الجنوب الشرقي للصحراء الليبية، وبالتحديد في منطقة بحر الرمال العظيم ونهر الجلف الكبير في الصحراء الغربية لجمهورية مصر العربية. وكانت هذه الأنهر عبر العصور المطيرة أنهر دائمة الجريان، تغذيها بحيرات عملاقة في منطقة الصحراء الكبرى، ويعتقد بان هناك حضارات قديمة قامت على ضفاف تلك الانهر في انتظار الكشف عنها. و يعد نهر الكفرة الجوفي من اكبر الأنهر المكتشفة في الصحراء الكبرى، وهذا ما كشفت عنه صور الأقمار الاصطناعية، التي تعد ذات أهمية خاصة في الدراسات المغربية، لأنها تمثل سجلاً مرمياً للخصائص الحالية للمنطقة التي تغطيها الصورة، خلال الفترة الزمنية التي التقاطت فيها. وهذه الخصوصية جعلت استخدام صور الأقمار الاصطناعية واسع الانتشار في الكشف عن هذه الأنهر و كنوز وثروات الصحراء ، لأنها تمكن من دراسة الظواهر المغربية من حيث مراقبتها وتتبع تطورها، والتغيرات التي تطرأ عليها، واعداد خرائط دقيقة خاصة في المناطق النائية والصحراوية التي لا يمكن الوصول لها بسهولة.

وهذا ما كشفت عنه دراسة قامت بها د. إيمان غنيم¹، عن وجود نهر مائي عملاق قسم مدفون أسفل رمال الصحراء الكبيرة يعرف بنهر الكفرة. ونخاول في هذه الدراسة التعرف على هذا النهر، من حيث موقعه وحدوده، وخصائصه الجغرافية، مع التركيز على النظريات الخاصة بتكونيه، والأهمية العلمية والاقتصادية والتاريخية لهذا النهر، لكونه يقع في معظمها في الأراضي الليبية.

2. حقيقة وجود نهر الكفرة

كشفت د. إيمان غنيم عن وجود نهر جوفي مطمور تحت الرمال في الجنوب الشرقي للبيضاء، بالقرب من الحدود المصرية السودانية، يبلغ طوله حوالي 1900² كيلومتر، (Ghoneim 2008) وتبلغ مساحة حوضه (236) الف كيلومتر مربع، ولنهر الكفرة دلتا عملاقة تقدر مساحتها بحوالي 34 ألف كيلومتر مربع، (شكل 1). وينبع هذا النهر من وسط أفريقيا، و بالتحديد من بحيرة تشاد القديمة، ويمر بشرق الأراضي الليبية حتى خليج سرت مكونا العديد من البحيرات في منخفضات جالو وأوجلة. واجدر بالذكر أن صخور الحجر الرملي النوي، المعروفة بمساميتها الشديدة ساعدت على تكوين خزانات جوفية عملاقة بالمنطقة. والمعروف أن هذه المنطقة كانت في الماضي مناطق غزيرة الأمطار، ذات غطاء نباتي كثيف خلال الزمن الطيير، وأن التغيرات المناخية وعوامل الطبيعة التي طفت على المنطقة بمور الزمن تسببت في دفن الحجرى المائي. وفي مؤتمر صحفي، قال د. إيمان غنيم بأنها استخدمت الصور الرادارية في هذه الدراسة، والتي شملت 180 صورة رادارية لكامل المنطقة، بقيمة 3 الاف دولار للصورة الواحدة، وأن رصد هذا الممر استغرق أكثر من 10 سنوات من العمل بالأقمار الاصطناعية الرادارية، والتي تمكنا من مشاهدة ما تحت الرمال. وتم ذلك بالتعاون مع جامعة نورث كارولينا ومركز ابحاث الاستشعار عن بعد برئاسة د. فاروق الباز³.

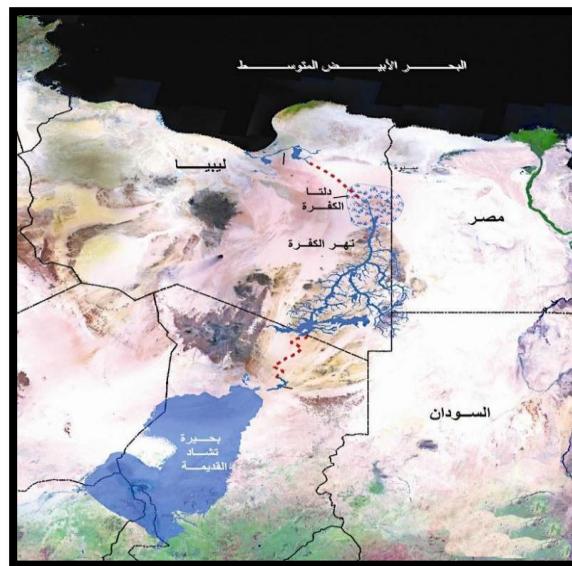
3. نظريات تكون هذا النهر.

¹ هي مديرية معمل أبحاث الفضاء والاستشعار عن بعد بقسم الجغرافيا والجيولوجيا بجامعة نورث كارولينا بولمنجتون، بالولايات المتحدة الأمريكية . وهي أحد أعضاء المجموعة البحثية للدكتور فاروق الباز.

² International Journal of Remote sensing, 28(22), 5001-5018 (2007)

³ مدير مركز الاستشعار عن بعد في جامعة بوسطون، واحد أهم الخبراء في مجال المياه الجوفية في الصحاري العربية.
(43)

1.3 – الرأي الأول⁴: (أندروس 1996) يرى معظم الباحثين بأن هذا النهر تكون نتيجة الأمطار الغزيرة، التي كانت تهطل على منطقة شمال أفريقيا، حيث تشكلت بحيرات عظيمة، منها بحيرة تشاد التي كانت أكبر من حجمها الحالي بعشرات المرات، وكانت هذه البحيرة تغدي نهر الكفرة الذي كان يتجه إلى الشمال نحو ما يعرف بالصحراء الليبية، وان المناطق المنخفضة مثل منخفض القطاارة وجalo وأوجلة وشخرة، ماهي إلا بحيرات كان يصب بها هذا النهر. وكذلك الحال بالنسبة لنهر النيل الأصفر، وهو نهر قد يعتقد أنه ينبع من بحيرة العظيمة في ذلك الوقت، ويتجه صوب الشرق ليغدو بحري نهر النيل الحالي، ويتفرع من هذا النهر فرع يتجه نحو الشمال، ويعرف هذا الفرع بنهر الجلف الكبير، الذي يخترق الأرضي المصري ليتهي ببحر الرمال العظيم.



شكل (1)⁵ خريطة نهر الكفرة الجوفي من المنبع إلى المصب

⁴ أندروس. جودى، التغيرات البيئية "جغرافية الزمن الرابع"، (ترجمة محمد محمد عاشر) المجلس الأعلى للثقافة 1996 .

⁵ A River in the Desert - Remote-sensing Photos locate ancient river in Arabian Peninsula, FindArticles.com, July 1993.

2.3 الرأي الثاني⁶: (Alimen 1957) ويرى بعض الباحثين بأن نهر الأمازون كان يصب في الجزء الشمالي من القارة الأفريقية، عندما كانت قارة إفريقيا وقارنة أمريكا الجنوبية قارة واحدة، تعرف بقارة (جنادوانا)، حيث تشكلت العديد من الأنهر والبحيرات. ويعتقد الجيولوجيون بأن الحزانات الجوفية الموجودة في الصحراء الكبرى، ما هي إلا بقايا هذا المصب. وكانت بحيرة تشاد تتغذى من هذا النهر(تأمازون)، والذي جعلها من أكبر البحيرات الموجودة في ذلك الوقت. إلا أن هذا الرأي ينقصه البراهين والأدلة ويعتمد على بعض التخمينات فقط.

4. أدلة وبراهين وجود هذا النهر

1.4 الأدلة التاريخية: ذكرت بعض الكتب التاريخية المهمة بدراسة تاريخ شمال إفريقيا، بعض النصوص على وجود نهر قديم، يمر بالأراضي الليبية. فقد ذكر الاستاذ ابراهيم منصور، مؤرخ البلاط الملكي المغربي في كتابه (قبائل المغرب)، "أن المصريين القدماء غيروا مجرى نهر النيل، الذي كان يصب في خليج سرت من ليبيا إلى مصر، ونتيجة لذلك هاجم الليبيون مصر، ونشبت حروب شديدة بينهم ولسنوات طويلة، الامر الذي جعل المصريين يشيدون مدنهم جميعها شرق النيل، مخافة هجوم الليبيين". وبدل ذلك على وجود نهر قسم في ليبيا يصب في خليج سرت، وفسر قدماء المؤرخين ذلك على كونه نهر النيل في حين أنه نهر مستقل حف عبر السنين. وورد نص للمؤرخ هيرودوت في كتاب الدكتور فهمي خشيم (نصوص ليبية) قال فيه " وعليه فإني أفترض أن مجرى النيل في سيره عبر ليبيا يماثل مجرى الإيستر عبر أوروبا ". ونعتقد بأن هيرودوت يقصد نهر الكفرة.

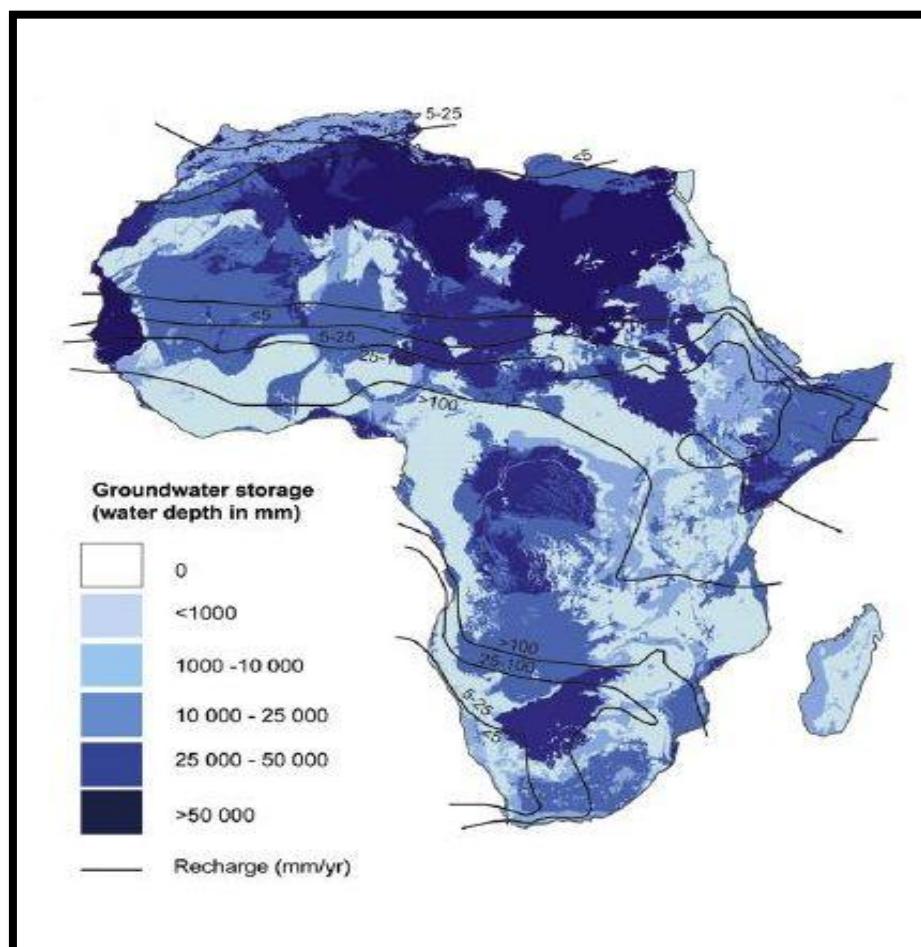
2.4 المخزون الجوفي الهائل من المياه في الصحراء الكبرى.

لعل أقوى البراهين على وجود هذا النهر، هي الدراسة التي قام بها مركز المسح الجيولوجي البريطاني وقسم الجغرافيا بكلية لندن كولوج، تحت عنوان (Quantitative maps of groundwater in the Sahara desert)

⁶ Alimen, H, The prehistory of Africa, London, 1957.

(Africa) حيث أكدت هذه الدراسة في تقريرها النهائي،⁷ أن المناطق الصحراوية الأكثر جفافا في أفريقيا تضم مخزونات هائلة من المياه الجوفية. وأن أكبر كميات المياه الجوفية، توجد في شمال أفريقيا ولا سيما في ليبيا والجزائر ومصر والسودان، وأن مخزونات المياه الجوفية في أنحاء أفريقيا، تعادل مائة مرة ما على سطحه. واعتمدت الدراسة على عملية قياس كمية الضخ من الآبار الجوفية (Borehole Yields) في القارة الأفريقية، مع التركيز على العوامل الجيولوجية والجورنوفلوجية وكمية الامطار الساقطة على المنطقة و المتمثلة في مسامية الصخور وكمية تشبع الصخور بالمياه. وذكرت الدراسة أن اغلب الأحواض الجوفية مغلقة وغير متعددة، وأن كميات المياه الموجودة تعود إلى العصور القديمة، حيث كانت المنطقة غزيرة الأمطار. وأن كمية المخزون الجوفي في هذه المنطقة تقدر بحوالي $75 \times 10^6 m^3 km^{-2}$ بعمق 75 متر. وبين الجدول رقم (1) أكبر عشر دول من الدول الأفريقية ذات المخزون الاعلى في القارة. ويلاحظ من خلال خريطة توزيع المياه الجوفية بالقارة الأفريقية، ان ليبيا أكثر الدول التي تحوي على مخزون جوفي هائل، وأن موقع المخزان الجوفي الكبير، يقع تماماً في نفس موقع نهر الكفرة الجوفي، وهذا أكبر مؤشر وبرهان على وجود هذا النهر، وعلى ان هذا المخزون تغذى في الماضي من نهر الكفرة القديم.

⁷ A M MacDonald, H C Bonsor, B E O Dochartaigh and R G Taylor 2012 Quantitative maps of groundwater resources in Africa, British Geological Survey Online at stacks.iop.org/ERL/7/024009

شكل (2)⁸ خريطة توزيع المياه الجوفية في قارة إفريقيا

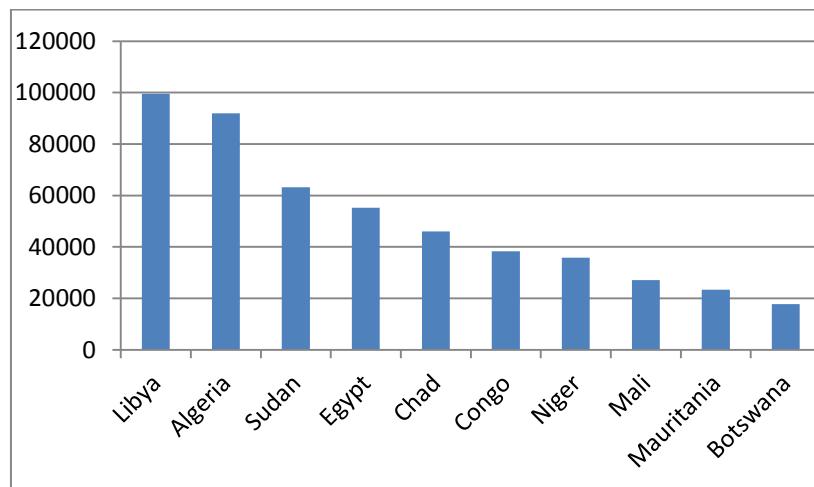
⁸ A M MacDonald, H C Bonsor, B E 'O Dochartaigh and R G Taylor 2012 Quantitative maps of groundwater resources in Africa, British Geological Survey Online at stacks.iop.org/ERL/7/024009

جدول (1) تقدیرات المخزون الجوفي للمیاه الجوفیة فی قارہ افريقيا مرتبۃ من الأعلى مخزون الى الاقل
مخزون (km³)

	Country	Best estimate (km ³)	Country	Best estimate (km ³)	
1	Libya	99500	6	Congo	38300
2	Algeria	91900	7	Niger	35800
3	Sudan	63200	8	Mali	27100
4	Egypt	55200	9	Mauritania	23400
5	Chad	46000	10	Botswana	17700

المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على جدول تقدیرات المیاه الجوفیة بأفريقيا الصادر عن مركز المسح الجيولوجي البريطاني

شكل (3) تقدیرات المخزون الجوفي للمیاه الجوفیة فی قارہ افريقيا (km³)



المصدر: من إعداد الباحث اعتمادا على الجدول رقم (1)

5. الاختلافات العلمية حول هذا النهر.

أثني معظم الباحثين المهتمين بهذا المجال، والمراكز البحثية المتخصصة في أوروبا وأمريكا على هذا الاكتشاف، كما أنكر البعض وجود هذا النهر، ومنهم د. مغauri شحاته⁹، وقال في أحد الصحف¹⁰:

"أن الممر الذي رصده الباحثة إيمان غنيم، هو جزء من خزان الحجر الرملي النوي، وليس نهرًا قدیماً، والمشاكل التي صادفتها خلال عملنا في منطقة الوادي الجديد وتحديداً في واحة الداخلة، علمتنا أن الافتراض الأمثل للتعامل مع هذا الخزان الجوفي، هو أنه مغلق وبلا منبع ، وأن مصدر آبار المياه المتفجرة في مناطق متفرقة من الصحراء الغربية، هو خزان جوفي قابل للنضوب وأن الإعلان عن أي اكتشافات مائية لآبار أو أنهار مدفونة، يعد كلاماً مرسلاً تقصيه الدقة، حتى وإن حاول البعض الاستشهاد بآلية الاستشعار عن بعد، أو الصور الفضائية، لأنه من المعلوم أنها وسائل فنية لاكتشاف مظاهر سطح الأرض، أو الأعماق القريبة التي تتراوح بين 10 و 15 متراً، في حين أن الوصول لمياه الصحراء الغربية يحتاج إلى أعماق تتعدي آلاف الأمتار. وأن مصدر آبار المياه المتفجرة في مناطق متفرقة من الصحراء، هو مستودع أو خزان جوفي قابل للنضوب. وأن أراضي الصحراء الغربية ذات طبيعة معقدة، خاصة في باطنها، لأنها تحتوى على طبقات حاملة للمياه تتدخل مع أخرى مانعة لها، وهو تكوين تتدخل فيه طبقات الأحجار الرملية والطينية، مما يحدث انفجاراً مائياً هائلاً. وحينما يرى البعض المياه تتدفق من الآبار الصحراوية، يعتقد أنها أنهار جوفية، لكن واقع الأمر أن هذه المياه مصدرها خزانات جوفية من الرمال تتدخل معها روابط طينية مما يوقع المياه تحت ضغط الطبقات الطينية، وهي ظاهرة سرعان ما تتلاشى مع مرور الزمن، وذلك حينما يقل الضغط الذي يدفع المياه للخروج من الأسفل».

ونرى أن المشككون في وجود هذا النهر، ينقصهم الأدلة العلمية الراسخة. فبينما قدمت مجموعة د. إيمان، أدلة ملموسة حول وجود النهر والمتمثلة في الصور الفضائية، لم يقدم المشككون أي دليل ملموس، أنها اعتمدوا على دراسات حقلية لا تقدم الكثير، وبنوا نظرياتهم على استنتاجات لا أكثر. ونسب البعض هذا الاكتشاف إلى أنفسهم، حيث سارع د. خالد عودة، استاذ الجيولوجيا بكلية العلوم بجامعة أسيوط، إلى عقد مؤتمر صحفي يعلن فيه اكتشافه لنهر جوفي في الصحراء بين ليبيا ومصر، مستندًا إلى بعض الزيارات الحقلية التي قام بها في الصحراء الغربية، وبعض الصور الفضائية.

⁹ أستاذ المياه ورئيس جامعة المنوفية السابق. وهو أحد أكبر المتخصصين في مجال الموارد المائية والهيدروجيولوجيا.

¹⁰ المصري اليوم، 19-06-2011 <http://www.almasryalyoum.com/news/details/139097>

6. الصور الرادارية

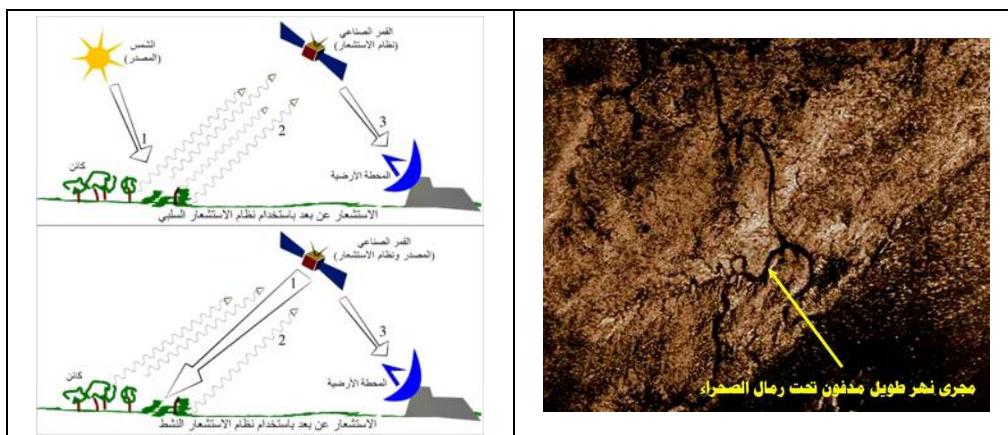
وهي صور لها القدرة على اختراق طبقات السطح لمسافات صغيرة، قد تصل إلى 15 متراً في أحسن الأحوال. وتعتمد أقمار الاستطلاع الراديوي على انعكاسات طيفية، حيث تقوم الأقمار الصناعية أو الطائرة بإرسال الموجات الكهرومغناطيسية إلى سطح الأرض الشكل (5)، فترتقط به وتتعكس ليستقبلها الرadar، الذي يقوم بإرسالها إلى محطات الاستقبال الأرضية. ويتوقف عمق الاختراق على ثلاثة عوامل هي :

- طول الموجة: فكلما كانت الموجة أطول كان الاختراق أكبر.
- نسبة الرطوبة : فكلما كانت الرطوبة أقل كان الاختراق أكبر
- قوام التربة: فكلما كان القوام أخشن كان الاختراق أكبر.

وتشتخدم الصور الرادارية في تطبيقات عديدة، فهي الجيولوجيا تستخدمنا لعمق وسمك الطبقات الصخرية، وأنواع التربة والرواسب، ووضع خرائط للتراكمات الجيولوجية، وتحديد الكهوف والشقوق الطبيعية والصدوع وكشف المياه الجوفية وآبار البترول والغاز. وتشتخدم في التطبيقات البيئية لكشف التسربات في خزانات المياه، ووضع خرائط لمراقبة المواد الملوثة في المياه السطحية وكشف موقع دفن النفايات، وتحديد مواقع خزانات الوقود المدفونة، وتحديد مواقع التسربات النفطية. ويستخدم كذلك في مجال الهندسة المدنية لتحديد موقع المرافق العامة المدفونة مثل أنابيب المياه والمجاري.

شكل (4) الأنماط المطمورة كما تظهر في صور الأقمار الصناعية

شكل (5) نظام الاستشعار السالب والموجب



وستستخدم في مجال الآثار، لتحديد موقع الأشياء المعدنية المدفونة، كالكنوز وموقع الكهوف السطحية والآبار والأجسام الأثرية.

1.6 فواد الصور الرادارية في دراسة المياه الجوفية:

- ولقد تمت الاستفادة من هذه التقنية الجديدة والمتقدمة، في استكشاف المياه الجوفية في الصحاري العربية، فقد اتضح وجود أودية قديمة جافة مدفونة تحت الرمال في الصحراء الكبرى، بشمال إفريقيا وأرض الجزيرة العربية.
- امكن من خلال استخدام هذه التقنية الفضائية المتقدمة، تحديد الدلتا القديمة لواדי النيل، التي كانت قاعدها تمتد من الفيوم حتى الاسماعيلية حاليا، حيث ان الدلتا الحديثة كانت جزءا من قاع البحر الايام المتوسط منذ ملايين السنين.
- اكتشاف قلعة قديمة في منطقة صحار بسلطنة عمان مغمورة تحت الرمال، قرية من منطقة الربع الخالي في السنوات الأخيرة.
-

7. أهمية هذا الاكتشاف :

1.7 الأهمية العلمية: هذا الاكتشاف فتح باباً كبيراً لإعادة النظر في كيفية تكوين العديد من المظاهر الجومورفولوجية في الصحراء الكبرى، ويفسر هذا الاكتشاف تكون العديد من المظاهر الجومورفولوجية بالصحراء الكبرى، ولعل أهما:

1.1.7 تفسير تكون بحر الرمال العظيم¹¹، الواقع في المنطقة الحدودية بين ليبيا ومصر، ويعد بحر الرمال العظيم ثالث أكبر حقل من الكثبان الرملية في العالم، وهو عبارة عن كثبان رملية تتعدد العديد من الأشكال تبعاً لأنظمة الرياح السائدة، ففي الشمال، تكون الغلبة للكثبان الطولية، التي تُعرف محلياً باسم (السيف)، أو (العرق)؛ أما في الجنوب، فالأكثر شيوعاً هي كثبان (البرحان)، أو الكثبان الملالية. وقد تتشذب الكثبان أشكالاً أخرى، فتكون على هيئة شبكة من الخطوط المتوازية المتوجة. وانختلف الجيولوجيون حول كيفية تكون هذه الكثبان، فالبعض يرى ان تكون هذه الكثبان، يرجع الى تفتت المضبة التي كانت تغطي معظم منطقة شمال افريقيا، نتيجة الجفاف والحرارة الشديدة. وان عوامل التعرية المواتية

¹¹ عبدالعزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرى، 2008.

هي التي لعبت الدور الأكبر في تشكيلها بمظهرها الحالي. بينما يرى البعض بان التعرية المائية لها دور كبير في تشكيل بحر الرمال العظيم، و التي اختلف حولها كل من الدكتور رشدي سعيد أستاذ الجيولوجيا والدكتور الباز، حيث أشار الأول على أنها تعرية مائية حادثة من الشمال إلى الجنوب، عن طريق توغل البحر المتوسط إلى الجنوب، مستشهدا بالبقايا البحرية الموجودة إلى الشمال من بحر الرمال العظيم، في حين افترض الثاني وجود مصادر مائية في الجنوب رببت الرمال في الشمال في منطقة بحر الرمال الأعظم. ووفقا لتفسيرات د. إيمان غنيم، فقد أوضحت أن نظرية الباز أصبحت هي النظرية الأقوى لتفسير وجود منطقة بحر الرمال الأعظم في شرق ليبيا وغرب مصر، لأن الاكتشاف الأخير للنهر الليبي يؤكد هذا نسبياً. ومؤكدة أن هذا الاكتشاف أيضا ر بما يفسر طريق الإنسان القديم الذي ارتحل من وسط أفريقيا إلى الشمال لأن الإنسان لا يستطيع أن يبتعد عن المياه أثناء ارتحاله.

2.1.7 تفسير بعض الشواهد الفيزيولوجية في الصحراء الكبرى، فقد ذكر د. يسري الجوهرى في كتابه (شمال أفريقيا دراسة في الجغرافية التاريخية والإقليمية)¹² بعض الشواهد الفيزيولوجية عن كون المناطق الصحراوية بشمال أفريقيا، كانت تزخر بحياة نباتية وحيوانية نتيجة غزارة الامطار في المنطقة، من أمثلتها، وجود بقايا بعض التماسيح في هضبة تيسى والحجار والتي لا تعيش إلا في وسط أفريقيا، و عشر كذلك في مناطق الواحات والآبار المنتشرة في الصحراء الكبرى، على أنواع من الحيوانات لا تعيش في الوقت الحاضر إلا في إقليم السافانا والسودان. وعن تعليله في وصول تلك الحيوانات إلى شمال أفريقيا، فيفترض تفسيرين: أوهما إما أنها جاءت عن طريق ممر مائي يصلها بشمال أفريقيا، أو هاجرت تحت ظروف مناخية ملائمة لهجرتها. أما الفرض الثاني، ففقام على أن الأودية الجافة التي تنتشر في الجزء الغربي من الصحراء، ساعدت في هجرة هذه الحيوانات، عندما كانت تجري بها مياه في العصور القديمة. ويقول " أما عن الفرض الأول فاحتسب صحته ضئيل إذ لا توجد انهر أفريقيا تربط الإقليمين سوى نهر النيل الحالى، وحتى نهر النيل في جزء كبير منه في إقليم النوبة ومصر العليا إقليم صحراوي. على أي حال فمن الجائز تعليل وجود الحيوانات السودانية في مصر حتى عهد قريب عن طريق افتراض أن هذه الحيوانات هبطت إلى ساحل البحر المتوسط بواسطة النيل، غير أنه ليس ممكنا تعليل وجودها في شمال أفريقيا حتى لو افترضنا أنها وصلت إلى مصر ، فما هو السبيل الذي سلكته في هجرتها إلى شمال أفريقيا؟".

¹² يسري الجوهرى، شمال أفريقيا دراسة في الجغرافية التاريخية والإقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، 1968 ، الصفحة 29-30

وهنا نقول بأن المنطقة الشرقية من الصحراe الكبرى، بها العديد من الأودية التي غمرتها الرمال، التي منها نهر الكفرة والجلف الكبير، قد ساعدت الحيوانات التي تعيش الآن في وسط أفريقيا، على الهجرة إلى مناطق شمال أفريقيا، وان الممر المائي الذي ذكره د. يسرى الجوهري في افتراضه الأول، والذي يعتقد بعدم وجوده، نعتقد نحن بوجوده الآن وهو نهر الكفرة والجلف الكبير.

3.1.7 وقد يفسر هذا الاكتشاف كيفية تكون ما يعرف بالمنخفضات الشمالية، مثل منخفض القطارة والفيوم وحالو وأوجلة وشخرة، وكذلك وجود الحافات الصخرية التي تمتد لمسافات طويلة، ويرجح الكثيرون تفسير هذه الظواهر إلى التعرية المائية فقط، إلا أن هذا التفسير غير مقنع إلى حد بعيد، فحجم هذه الظواهر وامتدادها يجعل من الصعب على الرياح تشكيلها خلال الفترة الزمنية الماضية، ونرجح بأن التعرية المائية هي التي لعبت الدور الكبير في تشكيل هذه الظواهر، ويدعم ذلك اتجاه هذه الحافات نحو الجنوب والجنوب الغربي، وأن الأرضي التي تقع أسفلها غالباً ما تكون عبارة عن مناطق شديدة الانخفاض وهو ما تفعله التعرية المائية في العادة.

2.7 الأهمية التاريخية: يرجح البعض أن يكون الإنسان القديم قد استخدم هذا النهر منذ أكثر من 150 ألف سنة، في العبور من وسط أفريقيا إلى ساحل البحر المتوسط شمالاً، وانتشاره خارج القارة. ويرى علماء (الأثروبولوجيا) أن هناك احتمالات كبيرة حول قيام حضارة قديمة حول هذا النهر، وقد تكون هناك آثار مغمورة تحت الرمال في انتظار الاكتشاف.

3.7 الأهمية الاقتصادية: يعتقد بأن كميات كبيرة من المياه الجوفية موجودة تحت هذا النهر، حيث تجمعت هذه المياه في خزانات جوفية، وقد ساعدت صخور الحجر الرملي النوي المنتشرة في المنطقة، والتي تتميز بمساميتها الشديدة على تكوين هذه الخزانات. وكانت هذه المنطقة قبل¹³ 150 الف سنة اشبه بالمناطق الاستوائية شديدة الأمطار. ويعتقد الخبراء بأن هذه المياه يمكن أن تترتب عليها طفرة زراعية كبيرة، وذلك بزراعة مساحات شاسعة في هذه المنطقة، لتحول هذه المنطقة إلى مناطق إنتاج للمحاصيل ، أو تنقل هذه المياه إلى المناطق الزراعية ذات التربة الخصبة كما حدث في مشروع النهر الصناعي في ليبيا الذي غذى المناطق الشمالية بالمياه. ويرى بعض العلماء بأن المنطقة قد تزخر ببعض الموارد الطبيعية مثل النفط والغاز، لكن المنطقة كانت تزخر بحياة برية غنية بالحيوانات وبغطاء نباتي كثيف. أضاف إلى ذلك أن لهذا

¹³ محمد الفتاحي بكير محمد، الجغرافيا التاريخية دراسة أصولية تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، 1999. (53)

الاكتشاف أهمية سياحية، اذ ما تم اكتشاف بقايا حضارات قديمة كانت قائمة عن ضفاف هذا النهر، التي من الممكن ان تكون معلم سياحية ذات قيمة تاريخية كبيرة، تساهم في زيادة الدخل القومي للدول الواقعه عليه ، و أكد الدكتور خالد¹⁴ عودة في مؤتمر صحفي ، على وجود نحو 3 مليون و 750 الف فدان صالحة للزراعة في الجانب المصري من بحر الرمال. و انه تم اكتشاف 7 واحات جديدة وهي واحات الفرافرة الجديدة بمساحة 932 كم مربع ، والتحرير بمساحة 647 كم مربع ، والثورة على مساحة 795 كم مربع ، وعبد القادر عودة بمساحة 1666 كم مربع ، والشهداء على مساحة 1611 كم مربع ، و 25 يناير وسهل الثورة بمساحة 3030 كم مربع ، بالإضافة لوجود هضبة مستوية على مساحة 1020 كم مربع ، و أكد بأن الواحات الجديدة يقع تحتها الحجر الرملي النوي ، والذي يعتبر الخزان الجوفي لمصر، لمسافة تزيد عن 1200 متر تحت سطح الأرض كلها طبقات حامله للماء، وتعتبر من أجود الطبقات الحاملة للمياه.

8. التاريخ الجيولوجي لمنطقة الصحراء الكبرى¹⁵ : أثبتت الدراسات تعرض منطقة الصحراء الكبرى، لعصر مطير خلال الزمن الرابع في عصر البلاستوسين، وهذه الفترات المطيرة فصلت بينها فترات جافة، حيث أمكن تمييز ست فترات مطيرة على هذه المنطقة هي: فترة الجير البحيري والفترة الساليتية والعاميرية ثم التنسيقية وأخيراً الفترة السلطانية، حيث تقف عدة أدلة شاهدة على ذلك، أهمها الأودية الجافة التي تزخر بها المنطقة، من أهمها وادي الشاطئ ووادي الحياة في الجنوب الليبي، ووادي ساورة في شرقى المغرب، ووادي أغغر الذى يبدأ من جبال الأحجار فى الجنوب الجزائري، لينتهي في حوض مقل في جنوب تونس، ثم وادي تفاساسيت الذى ينحدر من جبال الأحجار نحو الجنوب حتى نهر النيجر، ونجد نطاق برقة، يقف شاهدا على وجود صحراء السرير والخصي، والذي يعطي مساحات شاسعة من الصحراء الكبرى ، وفي الإقليم السوداني زاد المطر وساد مناخ حار، وامتدت البحيرات في نطاق يمتد من النيل الأبيض في الشرق إلى ساحل الأطلسي في الغرب، أما في عصر المولوسين التي استغرقت مدته ألف سنة بين 9000-10000 سنة مضت، فقد تميز بظروف مناخية تتصف بالدفء، في نطاق العروض العليا والجفاف في نطاق العروض الوسطى، إلا أن هذا العصر تخلله مجموعة من الذبذبات المناخية، ثم فترة

¹⁴ استاذ الطبقات والحفريات قسم الجيولوجيا كلية العلوم جامعة أسيوط ، نائب رئيس الفريق الدولي ورئيس الفريق البحثي المصري لمشروع القطاع الدولي العياري للباليوسين - الأيوسين .

¹⁵ محمد الفتحي بكر محمد، الجغرافيا التاريخية دراسة أصولية تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، 1999.

جفاف ثم فترة المناخ الأمثل لمناطق العروض العليا، والجفاف بالنسبة لمناطق العروض الوسطى، التي تشمل الصحراء الكبرى. وتمثل هذه الظواهر في هطول الأمطار في نطاق الصحراء الكبرى، خلال فترات محددة قد تصل الدورة إلى الف سنة. إلا أن بوادر الجفاف، ظهرت في هذا العصر والذي استمر فيه الجفاف يسيطر على منطقة شمال أفريقيا إلى وقتنا الحاضر. أما في العصر التاريخي فكانت شمال أفريقيا خلال الفترة من 5000-2400ق.م، أكثر مطراً من الوقت الحاضر. وفي أوائل عصر الحديد والتي استغرقت حوالي 450 سنة (450-900ق.م)، فقد تميزت بالبرودة وكان المناخ خلال هذه الفترة في البحر المتوسط وشمال أفريقيا جافاً، وإن لم يصل إلى درجة الجاف الحالية، فقد استمرت الحياة في صحاري شمال أفريقيا حتى القرن السابع الميلادي على وجه التقرير. في العصر المطير ارتفع منسوب المياه الجوفية في المنطقة الصحراوية، وهناك كميات كبيرة من المياه ساعد في وجودها قلة استغلال السكان للمياه في المنطقة الصحراوية، ووجود نهر النيل الذي ساعد في وجود تمركز سكاني كبير، على طول مجراه مما خفف من العبء على الخزانات الجوفية بالمنطقة الصحراوية، بل كان مصدراً من مصادر المياه الجوفية بالمنطقة.

9. اكتشافات مماثلة في منطقة الصحراء الكبرى وشبه الجزيرة العربية

بالإضافة إلى نهر الكفرة، هناك أنهار أخرى تم الكشف عنها حديثاً، منها¹⁶ نهر الجلف الكبير، ويقع هذا النهر إلى الشرق من نهر الكفرة، وتقدر مساحة حوضه بحوالي 23 الف كيلو متر مربع، ويصب في بحيرة كبيرة تحت بحر الرمال العظيم. وأمكن من خلال استخدام تقنية التمذجة الميدلوجية رسم خريطة مفصلة لهذا الممر المائي القديم. وكذلك تم الكشف عن بحيرة عملاقة للمياه الجوفية، بمنطقة شمال دارفور بالسودان، ويعتقد بأن هذه البحيرة كانت تغذى نهر النيل قدماً عبر ما يعرف قدماً بالليل الأصفر. ولقد وجد الدكتور فاروق الباز نهرًا جوفيًا يمتد لمسافة طويلة دفته رمال الصحراء في الربع الخالي، وهذا النهر كان موجودًا قبل ستة آلاف سنة ويبلغ عرضه 8 كيلو متر وطوله 800 كيلو متر، وكان يعبر قلب الجزيرة العربية. وينبع هذا النهر من جبال الحجاز ويمتد ويترفع إلى دلتا تغطي أجزاء كبيرة من الكويت حتى يصب في الخليج العربي.

10. اهتمام الحكومة الليبية بهذا الاكتشاف: يكن هناك اهتمام بهذا الاكتشاف من قبل الحكومة الليبية، بالقدر الذي اهتمت به الحكومة المصرية حيث شكلت لجنة لدراسة هذا الاكتشاف، للتعرف على مدى الاستفادة منه. ونشط الخبراء المصريين ووسائل الإعلام المصرية في الحديث عن هذا النهر. ورغم أن هذا النهر يقع في معظمها في الأراضي الليبية فقد اطلق عليه العديد من الأسماء من قبل الصحف المصرية مثل نهر (الصحراء الغربية) ونهر (الليل الجديد). في حين اقتصر الاهتمام الليبي على ذكره في بعض وسائل الإعلام الليبية، والاهتمام الوحيد كان من قبل بعض الشركات النفطية الأجنبية وذلك لاحتمالية وجود مصادر نفطية في هذه المنطقة.

11. النتائج:

1. فسر هذا الاكتشاف العديد من المظاهر الجيومورفولوجية بالصحراء الكبرى، التي حار العلماء في إيجاد تفسير علمي راسخ لها، فقد فسر طريقة تكون بحر الرمال العظيم، حيث لعبت عوامل التعرية المائية دوراً مهماً في تشكيله، وعوامل التعرية الهواية على إظهاره بالشكل الحالي. وكذلك الحال

¹⁶ Ghoneim, E., 2008. Optimum groundwater locations in the northern Unites Arab Emirates. International Journal of Remote Sensing, 29 (20): 5879-5906.

بالنسبة إلى المنخفضات الصحراوية والحافات الصخرية التي تنتشر في الأجزاء الشرقية للصحراء الليبية، والتي اعتقاد الكثيرون بأنها ناجمة عن التعرية المائية فقط، إلا أن الابحاث الحديثة ثبتت أن تكونها يرجع إلى التعرية المائية، من خلال مرور نهر الكفرة القديم بها.

2. ذكر في العديد من الابحاث والكتب، بأن الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى، كان مناخه في الزمن الرابع أكثر جفافاً من الجزء الغربي، وذلك لقلة الوديان الجافة به، و الحقيقة أن المناخ في الجزء الشرقي من الصحراء الكبرى يشبه المناخ في جزءه الغربي، وأن الجزء الشرقي من الصحراء يحتوي العديد من الوديان الجافة، إلا أن التعرية المائية والارسال، لعب دوراً كبيراً في غمر هذه الوديان.
3. فسر طريقة هجرة الحيوانات التي تعيش في وسط أفريقيا إلى الصحراء الكبرى. فقد حار العلماء في كيفية وجود حفريات حيوانية في الصحراء الكبرى، ترجع إلى الزمن الرابع، بدون وجود ممر مائي يربط وسط أفريقيا بشمالها.
4. هذا الاكتشاف فتح مجالاً كبيراً للبحث العلمي في دراسة الصحراء الكبرى من حيث التاريخ الجيولوجي، ومورفولوجيتها والشروط التي تزخر بها.
5. ان ليبيا على بحر من المياه الجوفية العذبة الصالحة للزراعة، في انتظار استغلالها الاستغلال الامثل.

12. التوصيات :

1. العمل على الاستفادة من هذا الاكتشاف، في تنمية الاقتصاد الليبي، في المجال الزراعي والعمري والسياحي، بالقدر المستطاع.
2. التعاون مع الدول المجاورة لليبيا، والتي تشتراك معها في هذا المخزون المائي الهائل في النهوض باقتصاديات هذه الدول.
3. ضرورة تعميق الدراسات والبحوث، حول هذا المخزون المائي الجوفي، وذلك بدعم المراكز البحثية، لغرض الخروج بنتائج دقيقة يمكن الاستفادة منها علمياً واقتصادياً.
4. العمل على تنمية الجنوب الليبي، من خلال إنشاء المشاريع الزراعية والسياحية والعمارية.

الخاتمة :

هذا النهر، وما تحمله من مياه جوفية ضخمة، هو نهرنا نحن العرب والدول المجاورة لنا، فيجب العمل على الاستفادة منه قدر الامكاني وذلك بالعمل المشترك بين هذه الدول، والعمل على اجراء العديد من الدراسات العلمية للدراسة المستفيضة من أجل الاستفادة منه في تحول مناطق صحراوية قاحلة الى

مناطق زراعية حضراء. فليبيا على بحر من المياه العذبة التي تنتظر الاستغلال الأمثل. والعمل على وضع خريطة متكاملة لأماكن المياه الجوفية بمختلف مناطق الدولة الليبية، ووضع آليات وضوابط توزيع واستخدام هذه المياه في المشروعات القومية، من أجل خلق طفرة اقتصادية كبيرة، والتقليل من الاعتماد على النفط والابتعاد إلى مصادر اقتصادية أخرى، وتحقيق تنمية متكاملة ومستدامة، وإقامة مناطق عمرانية مستقرة.

المراجع :

أولاً: المراجع العربية:

- 1- عبدالعزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، مركز الاسكندرية للكتاب، الاسكندرى، 2008.
- 2- جودة حسين جودت، أبحاث في جيومورفولوجيا الأراضي الليبية. منشورات الجامعة الليبية كلية الآداب، 1973.
- 3- يسرى الجوهري، شمال أفريقيا دراسة في الجغرافيا التاريخية والإقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، 1968
- 4- محمد الفتاحي بكير محمد، الجغرافيا التاريخية دراسة أصولية تطبيقية، دار المعرفة الجامعية، 1999.
- 5- أندرو س. جودى، التغيرات البيئية "جغرافية الزمن الرابع" ، (ترجمة محمد محمد عاشور) المجلس الأعلى للثقافة 1996 .

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- 1- Ghoneim, E. and El-Baz, F., 2008. *The Kufra Mega-Paleoriver System: Possible main source of the Great Sand Sea, eastern Sahara.*
- 2- A M MacDonald, H C Bonsor, B E O Dochartaigh and R G Taylor 2012 Quantitative maps of groundwater resources in Africa, British Geological Survey Online at stacks.iop.org/ERL/7/024009
- 3- Ghoneim, E., 2008. Optimum groundwater locations in the northern United Arab Emirates. *International Journal of Remote Sensing*, 29 (20): 5879-5906.
- 4- Bonsor H C and MacDonald A M 2011 An initial estimate of depth to groundwater across Africa British Geological Survey Open
- 5- A River in the Desert - Remote-sensing Photos locate ancient river in Arabian Peninsula, FindArticles.com, July 1993.
- 6- International Journal of Remote sensing, 28(22), 5001-5018 (2007)

دور الجانب التعليمي في اثراء الحياة الاجتماعية بولاية طرابلس الغرب اثناء الحكم العثماني الثاني

د. احمد عطية محمد يحيى

كلية الآداب والعلوم / قصر الاخيار
جامعة المرقب / ليبيا

May70n@yahoo.com

مقدمة :

مثل الدين الإسلامي في هذه البلاد والذي حملته الفتوحات الإسلامية منذ عام 11 هجري (623 م) القاعدة الأساسية التي ترتكز عليها حياة المواطنين وعلاقتهم فيما بينهم أو مع الدولة ، بإدارة حياتهم اليومية وحل منازعاتهم وخصوصياتهم تسير وفق المذهب المالكي الذي انتشر على هذه الأرض على يد العالم والفقير الحليل الطرابلسي المولد والنشأة (علي بن زياد) (الشريف ، 1999 ، 40) الذي ارتحل إلى المدينة المنورة وأخذ المذهب المالكي من مؤسسه الفقيه أنس بن مالك (93/197هـ) ومن ثم عاد إلى طرابلس وبداء في نشر هذا المذهب وانتقل للتدريس في جامع القبروان الكبير حيث تلمذ على يده العالم والقاضي (سحنون) الذي يشار إلى دوره في نشر المالكية في شمال إفريقيا كلها فيما بعد إضافة إلى ذلك فقد انتشر المذهب البابوي في بعض ربوء هذه البلاد في بعض أجزاء مناطق الجبل الغربي وزيارة ، ومع وصول العثمانيين إلى هذه البلاد استجد أمرن أو لهم دخول المذهب الحنفي مذهب الدولة العثمانية الرسمي إلى هذه البلاد ، والأمر الآخر هو تعدد الطرق الصوفية وتغلغلها في أواسط العامة (بن موسى ، 1988 ، 66) ، هذا الأمر حصل بدعم من العثمانيين بحيث أصبح لكل قرية شيخها ووليها الصوفي الذي تبرك به وتقدم له النذور وتخصه بالزيارات وإقامة الحفلات الدينية عند ضريحه ، وإن كان لابد أن نشير إلى أنه على الرغم من ذلك فقد كان المجتمع متدينًا في أغلبه على الرغم من تلك المكانة التي كانت لها الصوفيين ومنفتحًا على باقي شرائح المجتمع الأخرى ، ففي حين كان هؤلاء الصوفيون يحيون المناسبات الدينية بكل حرية ، كان النصارى يحيون عيد الفصح كذلك بكل حرية واحترام حيث يقوم الوالي باستقبال القنصلين الأوروبيين لتقديم التهنئة لهم في ظل التسامح الذي اشتهرت به المدينة .(cowper . 32)

أما الأمور المتعلقة بزيارة القبور والتبرك بالأضرحة كانت تجرى في مجتمع كان يسوده الفقر والجهل وعدم المعرفة ، هذا الوسط وجد فيه العثمانيون الفرصة لتسويق تلك الأفكار وتدعيمها من خلال الصوفيين الذين أخذوا يكترون الحديث في أذكارهم وأورادهم عن الفقر والجهل والظلم على أنها نعمة وسيتم مكافأة العبد المظلوم والمقهور في دنياه بالجنة ودليله في ذلك هو الشيخ والولي فهو المرشد إلى أبواب النعيم حتى أصبح من ليس له شيخ يتبعه ويسترشد به محروم من البركة في نظر هؤلاء (قدراء ، 2007م ، ص 291) ، وقد وجد الحكم العثمانيون في الصوفية الوسيلة لبسط السيطرة وإحباط المقاومة خصوصاً في ظل ابتعادها عن الأسس والعقائد والأفكار التي انطلقت منها بناء هذه الحركة في القرنين الثاني والثالث الهجري ، وقد ساهم في انتشارها على نحو واسع في هذه البلاد هو أن معظم من تولى حكم هذه الولاية كانوا من العسكريين وهؤلاء كان مستواهم متدنياً وأميّن في أغلب الأوقات لذلك وفي الكثير من الأحيان كانوا يرهبون المشايخ على اعتبار أنهم يمثلون في نظرهم أولياء الله وهذا الخوف جعلهم يلحوظون إليهم في ساعات ضعفهم للحصول على البركة ورضي الخالق وكذلك لقراءة ما يخبئ لهم القدر في المستقبل ، كذلك عملوا على تكريهم وتعظيمهم وباتوا في مكانة عالية وكثيرة ساهمت في كثير من الأوقات بسبب خوف هؤلاء الحكام منهم من أن يكونوا ملاداً وملجاً للعديد من أبناء الشعب المغاربة من ظلم الحكم وملاحقة جنودهم لهم وهذا أكسبهم شعبية وحب الأهالي (بن موسى ، 1988م ، ص 68) .

• التعليم الديني :

جانب من الجوانب المهمة في تركيبة المجتمع وهو من القواعد الأساسية للتحديث المجتمع ، وعلى مستوى التقاليد التراثية فقد ظلت الجماعات والروايات المنتشرة في أنحاء الولاية وحواضنها وبواديها هي التي تؤدي كل الدور في نشر العلم وتحفيظ القرآن الكريم ومبادئ العلوم والرقي بمستوى الطلاب وعقولهم في ظل غياب المؤسسات التعليمية الرسمية ، المعروفة والمعهود في التدرج في ترتيب درجات التعلم في هذه البلاد كانت تبدأ بعد حفظ القرآن الكريم في الكتاتيب على قراءة نافع المدين (169هـ) برواية قالون (220هـ) في الروايا والجماعات المختلفة (جيران ، 2008م ، 181) .

يتم التدريس على نظام الحلق الاجتماعية لتدريس علوم التفسير والحديث والفرائض والنحو والفقه وغيرها من العلوم القديمة وهذا النمط من التعلم يلتزم به جميع أبناء الولاية بما فيهم أبناء الطبقات

المتفقة (القماطي 1978م ، ص 68) ، حيث يجرب تعليمهم وتحفيظهم القرآن الكريم حرصا على الانتماء بل إنهم يختلفون من ختم القرآن الكريم وحفظه ويتم تقديم المدايا له و يجعلون من ذلك مداعاة لفرح والسرور بالنسبة لأهله وعائلته ونشير إلى ما أورده المؤرخ حسن الفقيه حسن في يومياته حيث يشير إلى مدى فرحة وسروره بعد أن ختم ابنه (أحمد) حفظه للقرآن الكريم وعده حدث يقرره من المغفرة والذي أصبح فيما بعد أحد أبرز الشعراء والكتاب في الولاية (الفقيه حسن ، 2002م) ، وشكل هذا الانتماء الذي يعد مظهاً عاماً وخصوصية وفاسماً مشتركاً بين المتفقين التقليديين والجدد فقد كان المجتمع في ولاية طرابلس آنذاك يعلى من قيمة من يواصل تعليمه وتحصيله بعد حفظه لكتاب الله في مجالس الشيوخ في المساجد حيث يأخذ أصول العلم من المربزين منهم (الشريف ، 1999م ، ص 347) ، هذا الأمر كان على حد سواء عند الأغياء والفقراء وهذا النوع من العلوم التقليدية التراثية بلغ بفضل هؤلاء العلماء مبلغاً مرموماً من العطاء والنشاط ، الأمر الذي جعل الكثير من طلاب العلم يكتفون به ويقتصرن عليه بل ويعملون مبلغاً عالياً من التقدير والاحترام ، وحسبنا أن نشير إلى بعض من تلك النماذج التي كانت تمثل تلك الشريحة المتعلمة مثل العلامة عبد الرحمن البوصيري (1842م / 1935م) والشاعر أحمد الشارف (1872م / 1959م)¹⁷ وإبراهيم مصطفى باكير (1862م / 1943م)¹⁸ وأحمد البكباك (1878م / 1940م)¹⁹ ، هؤلاء عينة بسيطة من العلماء والأدباء الذين تكونت معارفهم عن طريق المناقلة في حضن الجماعات والزوايا داخل مدينة طرابلس ولم يكتب لهم النصيب من تحصيل العلم والاستمرار فيه خارجها ، وإن سعى البعض الآخر من العلماء من ساحت لهم الفرصة والإمكانية في استكماله خارج طرابلس حيث اتجهوا إلى الجامع الأزهر في مصر وجامع الزيتونة في تونس أمثال لشيخ عبد الله بخي الباروني (1831م / 1913م) والشيخ أحمد بن محمود (؟ / 1933م)²⁰ ، والشيخ سالم المبروك

¹⁷ أحمد الشارف : من الفقهاء والقضاة البارزين ولد في مدينة زلiten أخذ العلم في منطقته ثم رحل إلى طرابلس فأخذ العلم من أبرز علمائها ولهذا الشاعر ديون متتوعد قام بشعره الأستاذ على مصطفى المصري .

¹⁸ إبراهيم مصطفى باكير : من علماء الأحناف وأدباء طرابلس ولد فيها وتعلم فيها وتولى عديد المناصب خلف إنتاجاً "غيراً" من الشعر ، وكان أحد محري جريدة الترقى ، راجع ، على مصطفى المصري ، صحافة ليبيا في نصف قرن ، ط الثانية ، طرابلس : الدار الجماهيرية للنشر ، 2000م ، ص 72 .

¹⁹ أحمد البكباك : من علماء طرابلس ولد فيها وأخذ العلم من مشايخها وتولى التدريس طيلة حياته .

²⁰ أحمد بن محمود : رحل إلى مصر للتحصيل العلمي وطلب العلم بل أنه ذهب إلى الهند وعاد إلى مستقط رأسه طرابلس حيث توفي عام 1953 م .

الورشافاني²¹ ، والشيخ محمد كامل بن مصطفى (1828 م / 1897 م)²² ، والشيخ سليمان الباروبي (1873 م / 1940 م)²³ .

وهؤلاء حصلوا على إجازات علمية تشهد ببنوهم وأهليتهم للتدريس²⁴ والتعليم ، بل إن الكثير منهم عاد إلى وطنه وساهم مساهمة فاعلة في الحياة الثقافية والعلمية (جبران ، 2008 ، 184) ، هذا النوع من التعليم الذي تدرج من حفظ كتابه العزيز وصولاً إلى تحصيل الكتب في علوم المقادش والذي كان سائداً في ولاية طرابلس بمناهجه ومقرراته وإجازاته يشابه نظام التعليم الموجود فيسائر دول الجوار أمثال تونس ومصر وبلاط الشام والدولة العثمانية وغيرها من الدول الإسلامية وهو سعى إلى تنقية ما رميته به هذه البلاد من جهل حيث برزت العديد من منارات العلم والتي انتشرت في ربوع الولاية تؤدي وتنشر التعليم مثل جوامع مدينة طرابلس في مقدمتها جامع درغوث باشا وجامع شائب العين وجامع أحمد باشا القرمانلي وجامع قرجي و زاوية عثمان باشا وزاوية عمورة في جنзор و زاوية أولاد سهيل وأولاد سنان في الزاوية الغربية (قدارة ، 2007 ، 298) ، وغيرها كثيرة ، كما انتشرت في منطقة الجبل الغربي زاوية مثل زاوية طبقة²⁵ ، و زاوية أبو زيان²⁶ ، و زاوية العالم²⁷ والباروبي وأبي زيان ونسمة والفقهاء في حين شكل الجامع العتيق في أغدامس ملتقى لأهل العلم وفي فزان كان هناك زاوية الحضيري

²¹ سالم المبروك الورشافاني : رحل إلى مصر وأصله من قبيلة ورشفانة .

²² محمد كامل بن مصطفى : توأ دور مهم في الإصلاح والتعليم .

²³ سليمان الباروبي : سليمان الباروبي : الرعيم والأديب والصحفى أصدر جريدة الأسد الإسلامي في القاهرة عام 1908 وهي تهتم بالقضية الإسلامية وفكر الجامعة الإسلامية وهي أسبوعية كما أنشأ مطبعة كذلك ، راجع ، علي المصراوي ، 2002 ، ص 259 ، 275 .

²⁴ ملحق و ، وثائق منشورة ، من كتاب محمد الكوني بلحاج ، التعليم في مدينة طرابلس الغرب وثيقة رقم 1 ، لإجازة علمية دينية ، ص 499 .

²⁵ زاوية طبقة : سميت باسم المنطقة التي فيها على مشارف الحمادة الحمراء على بعد 40 كم من مزدة للمزيد راجع ، عبدالله محمد الشريف ، أحمد محمد الطوير ، دراسات في تاريخ المكتبات والوثائق والمخطوطات الليبية ، مصراوه : الدار الجماهيرية للنشر ، 1978 م ، ص 31 .

²⁶ زاوية أبو زيان : تقع قرب غريان وتنتسب إلى أسرة ألطواهرية أحد فروع قبيلة الكنميشات ، راجع عبد الحميد الهرامة 1984 م ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الثاني ، ص 131 .

²⁷ زاوية العالم : تقع بين الريابينة والخلاففة قرب وادي يدعى الباقول ، راجع عبد الحميد الهرامة ، المرجع السابق ، ص 109 .

أما في برقة والكفرة فقد انتشرت زوابا السنوسية التي لم يقتصر دورها على النطاق المحلي بل تعداد إلى الخارج حيث ساهمت في نشر الإسلام والعلم في أجزاء كثيرة من المناطق الواقعة جنوب الصحراء (جبران ، 2008 ، 185) .

كما تصدى العديد من العلماء لممارسة مهنة العلم والتدريس في ربوع طرابلس الغرب أمثال الشيخ محمد بن على بن موسى والشيخ شهاب الدين احمد العباس التاجوري والشيخ حسن محمد العسوسى والفقىئ محمد بن لاغه والشيخ محمد كامل بن مصطفى والشيخ محمد المحجوب إضافة إلى العديد من العلماء الأحلاة من الإخوة العرب الذين ساهموا في حركة العلم والتدريس أمثال المفتى الحنفي الشيخ الحافظ أحمد شكري الجزائري والقاضي محمد أمين والفقىئ المغربي محمد الريفى وغيرهم كثير (جبران ، 2008 ، 181-195) .

كذلك لابد من الإشارة والإشادة برقى المظهر الایجابي والذي عبر عنه اشتراك مختلف علماء المذاهب الفقهية الثلاثة الموجودة داخل إطار المدينة (المالكية و الاباضية والحنفية) وأصحاب الطرق الصوفية على اختلاف مشارحهم في التواصل والانسجام وإيثار الحق ومراعاة المصلحة الجماعية على الرغم من وجود بوادر لإثارة الفتنة والصراع بين تلك المذاهب بسبب محاولة بعض الحكماء العثمانيين اعتماد المذهب الحنفي دون سواه على اعتبار أنه مذهب الدولة العثمانية ومحاولة العمل على نشره وحمل الناس على العمل به على حساب المذاهب الأخرى ، هذا الأمر تم تلافيه لحكمة علماء المذاهب الأخرى بشكل هادى مما أدى إلى خمود تلك الفتنة واستمر التعايش والتجانس لأن الدين في النهاية واحد (رولفس ، 2000م ، ص 72) ، وفي صورة شاملة لذلك الاتفاق والوئام بين تلك المذاهب نرى علماء المذهب الحنفي يدرسون إلى جانب تدرسيهم المذهب المالكي ، كما أن علماء المذهب المالكي كانوا يفتون بإحکام المذهب الحنفي وكانت الإشادة والاحترام متبدلة بين علماء هذه المذاهب ، لكن تبقى الإشارة إلى إن المذهب الحنفي لم يكن له ذلك التأثير سوى عند بعض العائلات أمثال (أسرة التو غار و قرجي و ابن محمود أحمد التائب الانصارى) بينما انتشر المذهب المالكي في جل الولاية (جبران ، 2008م ، ص 195) .

• الوقف ودوره الاجتماعي :

بعد الوقف أحد أوجه النظم الإسلامية ذات الأبعاد الاجتماعية والإنسانية والاقتصادية والثقافية التعليمية إلى جانب أنه يمثل مؤسسة إسلامية قائمة بذاتها تقوم على أسس دينية (السيد 2001م ، ص

(90-77) ، فيعرف الوقف أو (الحبس) أي حبس العين عن التملك والتتصدق بمنفعتها في جوانب الخير والإحسان وهو ينقسم إلى وقف الأهلي وقف خيري ، وقف مشترك يشمل القسمين السابقين (غانم ، 1998 م ، 47) .

والوقف الأهلي هو الذي يعود ريعه إلى صاحبه نفسه ومن ثم عائلته وأقاربه من بعده إلى أن ينتهي حيث يؤول في النهاية إلى جهة خيرية وهذا الجانب حافظ على ضمان التكامل والتسلسل الاجتماعي لتركيبة ذرية الواقف وذويه وأقاربه على نحو توثيقي (صحي ، 1980 م ، 369) ، وقد انتشر هذا النوع من الأوقاف في الكثير من المناطق في ولاية طرابلس ويجري عقده على يد نائب الشرع بالمحكمة الشرعية في القضاء وتتولى المحكمة عملية الحصر والتدقيق والتحري عن ملكية الواقف والتأكد من عدم وجود عوائق أو مشاكل تحول دون تنفيذها ، كما أن المحكمة تقوم بالتأكد من صحة الواقف الصحيحة والعقلية والأهلية ، ومعظم هذه الوقفيات اقتصرت على الذكور دون الإناث بسبب رغبة الواقفين على استمرار تملك نسلهم من بعدهم وخوفاً من أن تؤول تلك الأموال إلى أزواج بناتهم وهم في أحيان كثيرة غرباء عن العائلة (بن عبد الله ، 1996 م ، 247) .

وفي بعض الحالات البسيطة جرى وقف تلك الممتلكات بغية التهرب من الضرائب أو المصادرة حيث إنها لا تسري عليها أحكام المحاكم النظامية وكذلك ضرائب الممتلكات أو العقارات (الويركوا) إنما يؤخذ منها ضريبة العشر فقط ، لكن في بعض الأحيان تعرّض عملية الوقف بعض المشاكل من ناحية عدم رضي الأقارب أو الأصحاب من أنه قد يتم حرمانهم من الحصول على جزء من تلك الممتلكات التي قد يحصلون عليها لو سارت العملية بشكلها الطبيعي دون دخولها تحت طائلة الوقف ، لذلك فقد أصبحت تلك العملية مثار للخصومة والمنازعات والتي قد تصل إلى المحاكم في بعض الأحيان (قدارة ، 2007 م ، 287) ، وقد انتشر هذا النوع من الوقف بسبب البعد القبلي والاجتماعي في المحافظة على ممتلكات العائلة بشكل مستمر وممتد ، كما أن البعد الاجتماعي الذي يرى أن انقطاع نسل الواقف في تلك الفترة يعني رجوع تلك الأموال إلى الدولة بموجب قانون الأراضي العثماني ، لذلك فقد يجري لتأليفي حدوث ذلك الأمر توثيقها وتسجيلها إلى أحد المساجد أو لمصلحة أوقاف بيت الله الحرام بغية عدم حدوث ذلك ، أما الوقف الخيري فيقصد به الصرف على جهات خيرية مثل المساجد والزوايا والأراضي وهي تسمى بالأوقاف التي لا تقطع وقوتها أي (دائمة المنفعة) حيث يشمل أوجه صرفها ما ينفق على بناء الجماعات والزوايا والمقابر (صالح ، 1980 م ، 369) ، لكونها دائمة بحيث توفر من خلال صرفها على

تلك الجوانب أكبر منفعة على عامة المسلمين وخاصة المحتاجين منهم ، ولأهمية دورها بشكل خاص رأت الحكومة ضرورة إنشاء وزارة (نظارة) خاصة بها تختتم وترعى شئون الأوقاف فيسائر الولايات العثمانية (قدارة ، 2007 م ، ص 288) ، وجرى وفق التنظيمات العثمانية تقسيمها إلى أوقاف مضبوطة وغير مضبوطة ، أي إن المضبوطة يقصد بها تلك الأوقاف التي أوقافها رجال الدولة أمثال السلاطين والولاة وكبار رجالات الدولة للإنفاق منها على أوجه الخير وتشمل الأوقاف العامة وهي أملاك الدولة التي يجري استثمارها ورصد ريعها للخزينة أو الجيش العثماني (قدارة ، 2007 م ، ص 288) ، وهي تشمل الدور وال محلات إلى جانب الأوقاف الراجعة إلى المساجد ونشير إلى بعضها في ولاية طرابلس مثل وقف الشيخ عبد السلام الأسمري بزليتن ووقف جامع مولى محمد في مدينة طرابلس .

أما الأوقاف غير المضبوطة فهي التي يعود ريعها للأئمة والمشايخ القائمين عليها للإنفاق على تلك المساجد أو الزوايا وقد اقتصر دور مديرية الأوقاف في الولاية على عملية الإشراف والمتابعة من حيث أوجه الصرف والإنفاق ، أما إدارة تلك الأوقاف كثيراً ما تعرضت إلى متابعة مجلس إدارة الولاية خصوصاً التي يتبعها مدارس من حيث مراقبة طريقة الصرف عليها من تلك الواردات التي تحصل عليها الأوقاف إلى جانب ما تصرفه على المعلمين والمتابعة غير مقصورة على الولاية فقط بل يشارك فيها الأهالي حيث تشير وثائق في عام 1881 م إلى عريضة قدمها الأهالي إلى الوالي محمد نظيف باشا تضم أكثر من مائة حتم يطلبون فيها بعزل محاسب الأوقاف لإهماله شئون المساجد وتركها عرضة للخراب وقد ساهمت تلك العوائد في الحقيقة في تنشيط الجوانب الثقافية والعلمية إلى جانب الجوانب الاقتصادية حيث جرى توظيفها في الإنفاق على إصلاح الجامع (أبو شوشة ، 2009 م ، ص 126) ، كما أشرنا بحث استفاد منها العلماء والمعلمون فأسهمت في إثراء الحياة العلمية والدينية إضافة إلى ذلك حصلت الدولة العثمانية على نصيبها من هذه الأوقاف العائدة إلى المساجد أو الأئمة في كثير من الأحيان (قدارة ، 2007 م ، ص 290) .

• التعليم الحديث :

ظلت الولاية خالية من المدارس أو المعاهد للتعليم النظامي الحديث حتى أواخر القرن التاسع عشر على الرغم من بعض المحاولات التي تبناها بعض الولاية لافتتاح مدارس في بعض الأحيان (النائب ، ص 386) ، واقتصر التعليم على ما تقدمه المساجد والكتاتيب والزوايا بحيث مثلت المحور الرئيسي للحياة

الثقافية في ولاية طرابلس وللفرزة طويلة (البيجاني ، 1981م ، 212) ، والتعليم الديني نشأ في تلك الأماكن تحت إشراف أئمة وفقهاء كانوا على مسافة من الإدارة العثمانية التي لم تتدخل سوى في عملية الإشراف على أوجه صرف ريع الأوقاف التي كانت المورد الرئيسي لهذه المنارات العلمية والرافد لاستمرارها في أداء دورها العلمي والثقافي والديني والكتابي مثلت القاعدة الأساسية لهذا النظام التعليمي وهي في العادة كانت ملحقة بالمساجد خوفاً من عبث الصبية بحرمة المساجد ويجري فيها تعليمهم مبادئ القراءة والكتابة بأسلوب التلقين والتحفيظ كوسيلة لإعداد لحفظ القرآن الكريم فيما بعد (مروان ، 1997م) ، وقد اقتصرت على هذا الأمر في البداية من حيث تعليم الصبية كيفية القراءة وإخراج الحروف وإن كان لا ينفي من حصولهم على بعض المعرفة الدينية الأخرى كون الفقيه الذي يهتم بتدريسهم وتعليمهم هو في العادة إمام المسجد نفسه الذي يدرسون فيه مما يتبع لهم المشاركة في أداء الصلاة ومعرفة مبادئ العبادات وأركان الدين الإسلامي (حامد ، 1984م ، 51) .

والمسجد يمثل المرحلة التالية التي ينتقل إليها الطالب بعد أن يلم بمبادئ القراءة والكتابة وحفظ جزء من القرآن الكريم يلتحق بالمسجد لحفظ القرآن الكريم على أصوله بإشراف أحد المشايخ المشهود لهم والذين كانوا على درجة عالية من الإمام الديني من استكملوا تعليمهم في أكبر المعاهد الدينية مثل الأزهر أو الزيتونة أو في إحدى زوايا الولاية (الزاوي ، 1971م ، 82) ، ولا تختلف طريقة التعليم عنه في الكتاب حيث يستمر الطالب في عملية تلقين وتحفيظ وتسميع ذلك أمام الشيخ لمعرفة مدى حفظه والتزامه بأحكام القراءة القرآنية الصحيحة والسليمة ، أما الروايا فهي تعد من المعاهد المتقدمة لتدريس العلوم الدينية وهي بعكس الكتاتيب والمساجد المنتشرة فيسائر أنحاء الولاية فالزاوية واحدة وفي مناطق معينة من الولاية (القابسي ، 1981م ، 185) .

هذا التعليم ظل أهلياً من دون تدخلها فيه فيما عدا متابعة نظارة الأوقاف العثمانية لعملية انتخاب المتقدمين لشغل وظائف للتدريس أو للخطبة في المساجد أو الزوايا بحيث يتم منحهم بعض المزايا في بعض الأحيان (قدارة ، 2007 ، 350) ، وقد جرى تأسيس العديد من المدارس الرشيدية والإعدادية (بلجاج ، 500) ، في الولاية وترافق ذلك مع صدور أول قانون لتنظيم التعليم الرسمي في الدولة العثمانية عام 1846م وتضمن حق الدولة في الإشراف على التعليم وحق تكليف المعلمين من غير رجال الدين (سراج الدين ، 1951م ، 335) .

الحق بهذا قانون التعليم العثماني الصادر عام 1860 م ، وجرى تقسيم المدارس بموجب تلك القوانين إلى مدارس رسمية ومدارس عمومية ، وعلى الرغم من كل تلك التطورات التي شهدتها التعليم النظامي في الدولة العثمانية فقد ظل التعليم في ولاية طرابلس الغرب بعيداً عنها حتى عهد الوالي أحمد راسم باشا (1881 م / 1898 م) ، الذي استأنفت في عهده تأسيس المدارس النظامية وإن ظل هذا التعليم مقصوراً على مركز الولاية فقط ، ومع جيء الوالي محمد حافظ باشا (1900 م / 1902 م) شهد عهده تأسيس مديرية المعارف العمومية بالولاية والتي قامت بفتح عدد من المدارس في أولوية واقضيه الولاية (بن موسى ، 1988 م ، 323).

جدول رقم 1

نوعية المدارس وعدد التلاميذ والمدرسين

نوع المدرسة	عدد المدرسين	عدد التلاميذ
ابتدائية ذكور	3	132
ابتدائية إناث	3	160
مدرسة إعدادية	6	70
دار المعلمين	2	20
مدرسة عسكرية	10	150
مدرسة الفنون والصناعات	4	65
مكتب العرفان	7	100
مدارس أخرى	14	490

المصدر : نوري منصور الشتيوي ، 2005 م ، ص 234.

و عمل بتلك القوانين فقد جرى تقسيم التعليم في المرحلة الابتدائية على النحو التالي : يدرس الطالب أربع سنوات دراسية تسمى الأولى منها بالشعبة الاحتياطية ثم يليها السنة الثانية والثالثة والرابعة التي تعد السنة الأخيرة في تلك المرحلة (الشيخ ، 1972 م ، 132) ، و يشار إلى أن العديد من أبناء المشايخ والأعيان التحقوا بمدرسة العشائر التي أقيمت في عاصمة الخلافة استانبول وكذلك المدارس الرشيدية العسكرية في باب البحر بطرابلس والكلية الحربية العثمانية في استانبول بغية أن يرى هؤلاء وعن كثب مدى قدرة الدولة العثمانية وقوها فينبهروا بها وتكون مشاعر الولاء للسلطان العثماني هي الطاغية

فيصبحوا بعد عودتهم عوناً له وخبير دعاة للدولة العثمانية فتؤمن منهم ومن عشائرهم (حسين ، 1990 م ، 12-14) ، لكن تلك الأوضاع بدأت في التغير عقب وصول جماعة الاتحاد والترقي إلى الحكم بعد انقلابها على السلطان عبد الحميد الثاني عام 1908 م حيث يلاحظ أن وزارة المعارف في تلك الحكومة اتخذت موقفاً تجاه التعليم الديني الذي كان سائداً من حيث عدم جدواه تخرج المعلمين من الزوايا والعمل على استبداله بالاعتماد على دار المعلمين التي جرى افتتاحها عام 1901 م في مدينة طرابلس والتي اتخذت مبنياً مؤقتاً في مركز المدينة بمحلية ميزران (اللحاج ، 2009 م ، 92) ، وكانت الدراسة فيه لمدة سنتين بالرغم من ذلك استمرت المساجد والزوايا في ممارسة دورها العلمي والثقافي والتعليمي على الرغم من اتجاه حكومة الاتحاد والترقي في فتح المزيد من المدارس النظامية في ولاية طرابلس (البستاني ، 1997 م ، 405) .

وابتداء من عهد الوالي أحمد عزت (1858 م / 1860 م) (جهان ، 2007 م ، ص 140) كذلك شهدت الولاية افتتاح العديد من المدارس الأجنبية خاصة الإيطالية منها (البورى ، 266) خصوصاً إذا عرفنا أن من بين عمليات التمهيد لغزو هذه البلاد شكل الجانب التعليمي المحور الأساسي بغية مسخ هوية هذا الشعب قبل السيطرة عليه (كورو ، 1984 م ، 101) ، كما عرف التعليم المتخصص والمدف منه اكتساب المتعلم خبرات عملية وعلمية في مجالات محددة مثل التعليم الحرفي وقد اشرنا إلى الدور الذي اضطاعت به مدرسة الفنون والصنائع في هذا المجال التي جرى افتتاحها عام 1898 م ، والتعليم الزراعي الذي أنشأ له هيكل تعليمي خاص به عام 1892 م لكن لم يبدأ تنفيذه إلا مع عام 1911 م حيث جرى افتتاح مدرسة زراعية متخصصة بمركز الولاية لكنها تعطلت بعد فترة قصيرة بسبب الاحتلال البالاد من قبل الإيطاليين شأنها شأن باقي المؤسسات الرسمية ، إضافة إلى ذلك جرى افتتاح دار للمعلمين كما اشرنا عام 1901 م ولم يحرض القائمون عليها الاستمرار على من يتحقق بها سوى إгадة المتقدم القراءة والكتابة وحفظ بعض من ما تيسر من الكتاب العزيز لأن التعليم الديني كان سائداً ومن جانب آخر بغية توفير أكبر عدد من المتقدمين إذا أخذنا في الاعتبار سهولة التقديم (اللحاج ، 2000 م ، 89-92) .

إضافة إلى الاهتمام الموجه إلى التعليم العسكري والكل يعلم طبيعة الدولة العثمانية التي وجهت عناية خاصة إلى هذا الجانب ومن بدايتها إدراكاً منها مدى الخطورة التي تتعرض لها ومن ثم تشكل تأميناً لوجودها في هذه الولايات التابعة لها لذلك هي بحاجة إلى تدعيم تواجدها العسكري ناهيك عن المساحة

الشاسعة التي تتمتع بها ولاية طرابلس بشكل خاص وهذا شكل جانباً آخر دعا إلى ضرورة أن يكون فيها عدد كبير من المتدربين ، إضافة إلى أن جلب عسكريين من مركز الدولة قد يكلف الخزينة مبالغ كبيرة لذلك جرى الاستعانة بفكرة بناء هيكلية عسكرية محلية لا يتحملون نفقاتها في المقابل تكون هذه القوات منتقاة من قوة خاصة معدة بشكل فكري ومن ذوي المنزلة الاجتماعية المرموقة بغية استعمالهم ليكونوا أداة الدولة في الولاية زد عليها فقد طبق العثمانيون قانون التجنيد الإجباري الذي يشمل جميع الفئات ، ولتنفيذ كل تلك الأفكار جرى افتتاح مدرستين للتعليم العسكري عام 1857م وجرى في عام 1887م افتتاح المدرسة العسكرية الإعدادية لاستقبال الطلبة المتخرجين من المدارس الرشيدية على أن يتم إرسالهم فيما بعد إلى استانبول لاستكمال دراستهم العسكرية (جهان ، 2007م ، 148) .

1 : التكايا :

عرفت مدينة طرابلس التكايا وهي الأماكن التي يتم فيها تقلس الرعاية للأطفال اليتامى أو المشردين إضافة إلى كبار السن الذين لم يكن لهم من معين وكذلك الإماء والعبيد الذين صدر بحقهم قرار بالعتق إضافة إلى الفقراء ومن ليس لهم أماكن تؤويهم (الزاوي ، 1970م ، 274) ، جل الاهتمام بهذه الأماكن عرف بشكل خاص في عهد الوالي أحمد راسم باشا خصوصاً في عام 1881م ، وهذا التكايا التي عرفت كذلك باسم (الخانقاه) كانت من مسؤولية الدولة حيث تتولى الصرف عليها من إيرادات الأحباس والأوقاف الخيرية المرصودة لهذه الإعمال (بن موسى ، 1988م ، 75) ، لكن بسبب اتساع نطاق مجتمع مدينة طرابلس وكثرة الإعداد التي تفدي هذه الأماكن لم تعد تكفي تلك المبالغ المرصودة لرعايتها والصرف عليها مما استوجب إنشاء صندوقاً للمنافع الخيرية للمساهمة في عملية الإنفاق عليها وتقديم الخدمات وكان ذلك عام 1869م وكان مقره بالقرب من الساعة الكبيرة بحومة باب البحر .

ويبيّن توضيح الدور المهم الذي لعبته هذه التكايا في عملية الإصلاح الاجتماعية بما شكلته من رعاية خصوصاً لدى شريحة الأطفال الصغار في السن والذين لم يكن لهم ذنب في وجودهم في تلك الأوضاع من خلال تعليمهم صناعات ومهن تكون لهم العون والسداد فيما بعد في مواجهة الحياة العامة كذلك ساهمت هذه العملية في إقحامهم في الحياة العامة بغية عدم وضع حاجز اجتماعي أمامهم خلال ممارستهم الحياة الطبيعية ، وكانت مشاركتهم واضحة ومتعددة في الأعياد والمناسبات الرسمية ، إضافة إلى دورها المتميز في تعليم هؤلاء النزلاء أمور الدين والشريعة بما كان له من انعكاس على الحياة الاجتماعية حيث ساهمت في معالجة ظاهرة التسول في الأسواق والشوارع وحافظت على مجتمع المدينة من السرقة التي

قد يرتكبها هؤلاء المترددون بحجة العوز وال الحاجة (أبو شويشة ، 2009 م ، 114) ، لكن في المراحل الأخيرة من الدولة وبسبب تردي الأوضاع الاقتصادية وما تعانيه الدولة من أحداث ساهمت في تزايد أعداد هؤلاء المسؤولين مما خلق حالة من انتشار السرقة والتسلو بشكل ملحوظ (جون فرانسيس ، 1976 م ، 20) ، ويجب أن نلاحظ أن جملة تلك المرافق بشكل عام كان انتشارها مرتبطةً مع توزيع القوات العثمانية وتواجدها بشكل خاص خاصة في المراحل الأولى .

2 - المساجد :

كان لها الدور المهم وقد تحدثنا عليه فيما سبق سواء في مجال التعليم أو تحفيظ القرآن الكريم ، إنما ينافي دورها الواسع في الانتشار مرده هو الأصالة الإسلامية والارتباط بالدين الإسلامي الذي كان من سمات أهالي هذه الولاية لذلك فقد انتشرت المساجد وتعددت وتوسعت دورها الاجتماعي المؤثر في جوانب الحياة العامة (الشيخ ، 1972 م ، 88) ، فهي بالإضافة إلى دورها العلمي كانت المكان الذي يتم فيه فض النزاعات والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية بين الأهالي وقد عرفت الولاية الكثير من المساجد التي كان لها الدور المهم سوف نشير إلى البعض منها ، أمثال مسجد أحمد باشا القرمانلي الذي يقع في سوق المشير مقابل السرايا الحمراء وقد ضم مدرسة علمية كان لها الدور الهام (تود ، 1968 م ، 179) ، كذلك جامع شائب العين الذي أسسه محمد الإمام باشا الكرادغلي الملقب بشائب العين عام 1737 ويقع في شارع سوق الترك وسط الحي الصناعي والتجاري وبداخله مدفن هذه الأسرة (الكيب ، 1978 م ، 60)

كما عرف كذلك جامع الناقة وهو من أقدم الجامعات حيث أسس في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، وجامع الدروج وجامع درغوث باشا وجامع عثمان باشا وغيرها كثيرة انتشرت على طول ريوس الولاية تقوم بأداء مهامها الدينية والثقافية والعلمية في تلك المرحلة على أكمل وجه ، وتتبع هذه الجامع إدارة الأوقاف التي تعود إليها كل العوائد الحصولة من الأبنية أو المخانق أو المساقن التي تتبع هذه الجميع وهذه الأوقاف لم تكن مخصوصة في إيجارها على المسلمين أو الرجال فقط بل كانت حقاً يتمتع بها جميع عوائدها التي تعرف باسم الوقف هي التي يدفع منها رواتب القائمين على الأذان بالمساجد أو الخطباء والأئمة في المساجد (أبوشويشة ، 2009 م ، 125) .

3 - الكنائس والمعابد :

في ظل التسامح الذي عرفته مدينة طرابلس والذي ميز تاريخها الإسلامي فقد وجدت إلى جانب الدين الإسلامي الذي يدين به أهل البلاد، ديانات أخرىان هما المسيحية على المذهبين الكاثوليكي والأرثوذكسي كذلك اليهودية ، وبعود الوجود الكاثوليكي إلى عام 1640م ويرأس المذهب في هذه المدينة قسيس بدرجة مندوب رسولي (كورو ، 1971م ، 35) .

يشاركه في أداء عمله الديني بالكنيسة عدد أربعة قساوسة تمحور مهمتهم في نشر النصرانية بين سكان البلاد وجمع شمل الموجودين من النصارى الكاثوليك سواء الذين يقطنون في المدينة أو الذين يفدون عليها سواءً أكانوا زواراً أو تجارةً ومحاولة إقامة الشعائر بهم إضافة إلى الاهتمام بهم وتقديم المعونة للقراء منهم وحل المنازعات التي تنشأ بينهم ، وأتباع المذهب الكاثوليكي أغلبهم من أفراد الجالية الإيطالية والمالطية التي اتخذ أفرادها من طرابلس رهباً في دير خاص ويلبس القساوسة أرديمة بنية محزمة (تود ، 1968 ، 222) ، وتقع الكنيسة الكاثوليكية بجومة بباب البحر مقابل الكنيسة الأرثوذك司ية ، والكنيسة الكاثوليكية هي المكان الذي يمارس فيها أتباعها الشعائر والطقوس الدينية وإحياء الأعياد والمناسبات المختلفة ، والكنيسة تنفق على تلك الأعمال من الأموال التي يتم جمعها من أتباعها وكذلك من الهبات التي يقدمها بابا روما لها (بعيو ، 1975م ، 35) .

ومفهوم التسامح كان شائعاً في مدينة طرابلس حيث كانت أجراس الكنيسة تقرع إلى جانب الأذان إضافة إلى هذه الشريحة تواجدت كذلك طائفة النصارى الأرثوذكسيين الذين كان لهم دير خاص بربانكم يتم فيه التعبد ويتبع هؤلاء حسب طريقة المتبعة في الأستانة (أبو شويشة ، 2009م ، 137) ، كما وجدت العديد من المعابد اليهودية في مدينة طرابلس والتي تركت في الجانب الشمالي الغربي منها في منطقة الحارة الكبيرة وكذلك في الحارة الصغيرة بالقرب من باب الجديد ويرأس المعبد اليهودي عدد من الربين (، ورجال الرأي اليهود الذين يتبعون الحاخام الأعظم ، الذي يتم تعينه من قبل السلطات العثمانية ، ويترأس هذا الحاخام المجلس الروحاني (، الذي يضم عدداً من الحاخamas ويختص هذا المجلس بكل ما يتعلق بالطائفة اليهودية من أمور اجتماعية أو اقتصادية واليهود كانوا مرتبطين مع بعض بحيث يتم الاهتمام بالقراء منهم من خلال جمع التبرعات لهم ، كما كانت لهم مدارسهم الخاصة بهم ، إضافة إلى مدارس المعابد ، ويعتبر يوم السبت لديهم يوماً للعبادة والراحة (أبو شويشة ، 2009م ، 138) .

ب : الصحافة :

جانب آخر من الجوانب الثقافية التي حاولت إعطاء صورة عن مجتمع الولاية لكنها لم تكن من حيث القدرة والإمكانية بحيث تحدث تغير في نمط المجتمع على الرغم من المحاولات التي تحسب للكثيرين من عملوا في هذا القطاع لكن عذرهم في عدم تمكنهم من تحقيق ذلك هو قلة الإمكانيات وبدائية هذا القطاع ، ويكتفى أن نشير إلى من بين الأسباب التي ساهمت في ذلك هو تأخر دخول الطباعة إلى هذه الولاية بعكس من جاورها من بلدان لذلك فقد بقىت الصحافة فيها محدودة وهامشية وفي أضيق الحدود حتى انتهاء فترة السلطان عبد الحميد عام 1908م ، وكانت أول مطبعة دخلت إلى البلاد هي على الأرجح مطبعة حجرية وجرى طباعتها جريدة طرابلس الغرب فيها ، من ثم أحضر الوالي محمود نسيم باشا (1860 / 1867م) مطبعة حروف عام 1865م وجعل مقرها في مقر الولاية وعرفت باسم مطبعة الولاية (الدجاني ، 1971م ، 277) ، وجرى تجديد حروفها في عهد الوالي أحمد راسم (1881 / 1882م) واستمر الاعتماد عليها حتى تأسيس مدرسة الفنون والصنائع حيث جلبت مطبعة خاصة بهذا المعهد ، ثم عرفت مطبعة الترقى عام 1908م والتي أنشئت على يد شركة أهلية مساهمة طبعت فيها جريدة الترقى ، كذلك عرفت مطبعة أربيب محلة سيدى محمود عام 1908م وعرفت كذلك باسم المطبعة الدولية ثم تلتها المطبعة الشرقية أو مطبعة تشوبه نسبة إلى مالكها اليهودي عام 1910م .

صحيفة طرابلس الغرب هي أول صحفة مطبوعة وقد نفي الأستاذ علي مصطفى المصراتي ذلك في كتابه (صحافة ليبيا في نصف قرن) حيث يشير إلى أن جريدة سبقتها في الصدور عرفت باسم المنقب وهي مخطوطة باللغة الفرنسية صدرت عام 1827م وتم تداولها بين القنواص الأجانب في الولاية يشير إلى أنه لم يتمكن من العثور على أي من نسخها (المصراتي ، 2000م ، 38) ، وقد صدرت هذه الصحيفة في عام 1866 م بمدينة طرابلس (دي طرازي ، 1913م ، 246) ، وفي عهد الوالي محمود ناسم باشا فهي أول صحفة تصدر باللغة العربية وتحمل اسم البلد وكان أحمد بن شتوان أول رئيس تحرير لها وكانت هذه الصحيفة الرسمية مصدر النشرات والأخبار الرسمية والأحداث والواقع التي تمر بها البلاد وهي مثلت وجهة نظر الحاكم وإن حاولت فتح مجالاً لنشر الشكوى واللاحظات المتعلقة بالشئون العامة (المصراتي ، 1956م) ، وهي تصدر أسبوعياً وتحتوي على قسم من صفحاتها باللغة التركية حيث يتم الاهتمام بنشر الأخبار الرسمية والأوامر والأخبار الداخلية (الكوني بالحاج ، 2007م ، 142) .

وسائل الاعلام الالكترونية والصحف والمجلات والكتب وغيرها من وسائل الاعلام التي تتناول القضايا والمواضيع المعاصرة.

على الكثير من الإحصائيات والمعلومات الرسمية للولاية مما شكلت مصدراً من المصادر المؤثقة والمهمة عند دراسة تاريخ الولاية (الموصلي ، 48 ، 2005) ، وقد صدر منها 12 عدداً طبع الأعداد الأحد عشر الأولى بالمطبعة الحجرية ، ثم توقفت لمدة سبع سنوات (الصويعي ، 145 ، 1989) ، ثم صدر العدد الأخير الثاني عشر .

صحيفة الترقى صدرت في عام 1897م وترأس تحريرها الشيخ محمد البوصيري وهي صحيفة شعبية ذات طابع سياسي ، تصدر باللغة العربية مرة كل يوم سبت ، طبعت في عامها الأول في مطابع الولاية ثم جرى حجبها عن الصدور بعد انتشار كتابات صحفتها الوطنيين ، ثم عادت إلى الصدور بعد عودة الدستور عام 1908م (بروشين ، 370 ، 1991) ، ثم أصبحت شركة مساهمة من قبل الأهالي وقد ضمت جملة من الشباب المتحمسين للنضال من أجل قضية حرية هذا الشعب أمثال الصحفي علي عياد الذي تولى إدارتها وهو كان أحد وجهاء مدينة طرابلس الذي أصبح فيما بعد عضواً في بلدية طرابلس شأنه شأن زميله محمد النائب (جبران ، 193 ، 2008) ، **جريدة الفتوح** فصدرت في عام 1898م وكان يرأس تحريرها داود أفندي أحد الصحفيين الذين تمعنوا بمهارات وقدرات متعددة ساهمت في بirth بذور صحفة متنوعة ، وهي نصف شهرية تطبع في مطبعة الولاية (كورو ، 130 ، 1984) . والحقيقة أن الصحافة في هذه الفترة لم تأخذ مداها في النشر والمتابعة بسبب قلة الإمكانيات أولاً ومن ثم تضيق السلطات عليها ، وإن حصلت على بعض الانتعاش بعد انتهاء مرحلة حكم السلطان عبد الحميد الثاني عام 1908م لكنها لم تستمر طويلاً بعد ذلك لكن لا بد من الإشارة إلى تلك المرحلة لطبيعة هذه الإصدارات وأهميتها والتي كانت تصدر في أسوأ الظروف وأقل الإمكانيات ولم يكن في أيدي هؤلاء الصحفيين إلا الإيمان بصدق قضيتهم وعدالة مشروعية مطالبهم بالعدل والحرية والديمقراطية ، فظهرت جملة من الإصدارات والتي شكلت القاعدة لجييل من المثقفين والصحفيين حملوا لواء المطالبة بحرية هذا الشعب .

صحيفة العصر الجديد التي ترأس تحريرها محمد علي البارودي (دي طرازي ، 246 ، 1913م) صدرت عام 1908م واستمرت في أداء واجبها الصحفى حتى عام 1911م حيث توقفت عن الصدور شأنها شأن باقى الصحف الوطنية الحرة التي رفضت الاحتلال الإيطالي لهذه البلاد ومثلت هذه الجريدة ذات التوجه السياسي والتي كان في هيئة تحريرها عدد كبير من الطلبة الليبيين من خرجي الأزهر الشريف فشكلت توجهاً وطنياً حارب الفساد ودعا إلى الحرية والإصلاح (المصراطي ، 88 ، 2000).

أما صحيفة الكشاف التي صدرت هي الأخرى عام 1908م في مدينة طرابلس وترأس تحريرها محمد بك النائب الأننصاري (الهرامة ، 2008م ، 93) ، وهي سياسية التوجه وإن احتوت على الجوانب العلمية وهي تصدر أسبوعيا وإن حاول رئيس تحريرها إصدارها بشكل يومي لكنه لم يوفق في تحقيق تلك الرغبة بسبب الظروف الراهنة وكذلك لقلة التمويل وصعوبة تحقيق ذلك إضافة إلى قلة الموارد والموضوعات (ذباب ، 1982م ، 622) ، وكانت تطبع في مطبعة الولاية وقد سعى صاحبها إلى إصدار طبعة خاصة باللغة الفرنسية التي كان يجدها إضافة إلى نخبة من المثقفين الذين كانوا معه على اعتبار أنها لغة لها انتشارها في تلك المرحلة (بالحاج ، 2007م ، 156) .

صحيفة أبو قشة تعد أول صحيفة هزلية بالعامية مؤسسها ومديرها التونسي محمد الماشمي المكي (بروشين ، 1991م ، 371) ، وأبو قشة تسمية على غرار بوعسنية قصد منها المزلا لكن بطريقة غير مباشرة ، صدرت في تونس أول أمراها لكنها توقفت بسبب التضييق عليه من قبل السلطات الفرنسية المحتلة بسبب نقدتها للاذاعي لها ثم رحل إلى طرابلس حيث عمل مهندسا في بلديتها لكنه لم يستمر طويلا ، ولاستمراها في الصدور اضطر مالكها إلى بيع منزله ، لكنها لم تستمر وجرى إيقافها خاصة بعد تناولها لفساد رجال الإدارة والعادات السيئة في التعليم إضافة إلى خطر الشركات والبنوك الأجنبية (التليسي ، 1988م ، 226) .

صحيفة تعميم حريات وهي صدرت في عام 1908م في طرابلس وترأس تحريرها المحامي محمد فوزي (المصراطي ، 2000م ، 119) ، وهي صحيفة أسبوعية تصدر باللغة التركية وكانت ذات توجه سياسي وقد دعت إلى الإصلاح ومواجة المحممة الاستعمارية ضد الشعوب العربية ، وهي في الأساس موجهة لإرضاء العنصر العثماني الموجود في طرابلس ، ويشهد لها وقوفها ضد الوالي حسني باشا (1909م / 1910م) حتى تم عزله ، وهي الأخرى حررت إيقافها مع وصول الاحتلال إلى طرابلس (الدجاني ، 1971م ، 283) .

صحيفة المرصاد التي صدر عددها الأول عام 1910م (دي طرازي ، 1913م ، 246) ، وهي صحيفة أسبوعية سياسية أدبية هزلية ترأس تحريرها الصحفي أحمد الفساطوي ، كانت تطبع في مدرسة الفنون والصناعات في أربع صفحات، وقد اهتمت بالشأن العام والقضايا السياسية العالمية ، وفضحت الممارسات الاستعمارية في تلك الفترة سواء على المستوى العربي أو المحلي ، وهذه عينة من بعض الصحف التي مارست العمل الصحفي في تلك الظروف العصبية على الوطن والمواطن من داخل ترابه وتحت تحديد سلطات الاحتلال بما تيسر لها من إمكانيات ، كما عرفت الصحافة في ولاية طرابلس

عدهاً من الصحف التي أصدرها في المهجر صحفيون هاجروا خارج الوطن بسبب الظلم والجور الذي تعرضوا له من قوات الاحتلال التي سعت إلى إسكات كل الأصوات التي تنادي بالحرية والكرامة (المصراطي ، 2000 م ، 123) ،

صحيفة الأسد الإسلامي التي أصدرها الشيخ الجليل سليمان الباروني عام 1908 م في أرض الكنانة (مصر) ومن اسمها نستشف التوجه الذي رسمته لها أي(الاهتمام بالقضية الإسلامية ككل) وفكرة الجامعة الإسلامية التي كانت مسيطرة على عقول وقلوب الكثيرين بسبب الأوضاع التي كانت عليها الأمة الإسلامية ككل ، ونشير هنا أن فكرة الجامعة الإسلامية في تلك الفترة طغت حتى على التوجه القومي العربي لدى الكثيرين ، وهذه الجريدة كانت ذات توجه ديني سياسي أدبي وهي كانت تصدر أسبوعيا وتطبع في مطبعة أنشأها الشيخ لذات الغرض وقد تصدت هذه الجريدة للنشر الأفكار الإسلامية كما أنها أيدت الحزب الوطني ومبادئ الزعيم المصري مصطفى كامل (الزركلي ، 2002 م ، 238) لكنها لم تستمر طويلا حيث توقفت عن الصدور بعد صدور عددها الثالث فقط (المصراطي ، 2000 م ، 135) .

صحيفة دار الخلافة صدرت عام 1908 م باللغة العربية وهي ذات توجه سياسي علمي شأنها شأن باقي الصحف بسبب طبيعة المرحلة والأوضاع الدائرة في البلاد الإسلامية وترأس تحريرها الصحفي عبد الوهاب عبد الصمد وهذا الصحيفة (ومن عنوانها) تبنت الدفاع عن قضية الخلافة الإسلامية خصوصا أنها تصدر في عاصمة الخلافة ، كما أنها لم تحمل الشأن العربي وكان لها عديد من المراسلين في البلدان العربية وشكلت هذه الجريدة منتدى يتابع هموم الأمة وقد أعطت لقضية طرابلس الأهمية القصوى حيث تابعت كل ما يدور فيها من أحداث ونقلت الأخبار المتعلقة بها إضافة إلى أن الصحفي عبد الوهاب عبد الصمد لم يكن يكتفى بهذه الصحيفة بل أصدر صحيفة أخرى باللغة التركية وهي تصدر بشكل يومي اعتمت بشكل خاص بقضية ولاية طرابلس الغرب (أبو شوريب ، أبو شوريب ، 2008 م ، النائب ، 214) .

صحيفة الرقيب التي عادت إلى الصدور عام 1914 م في استانبول بعد أن انتقلت إليها من مدينة طرابلس وكانت ذات توجه سياسي وترأس تحريرها الصحفي محمود نسيم بن موسى (المصراطي ، 2000 م ، 187-188) ، وقد طبعت في مطبعة الترقي ثم في مطبعة الشرقية وكانت تصدر باللغة العربية مع صفحة باللغة التركية اهتمت بالشأن العربي والمحلي خصوصا في تلك المرحلة حيث كانت الأحداث تتواتي على هذه المنطقة وتميزت هذه الصحيفة باستخدام الأسلوب المزلي والفكاهي والساخر كأسلوب توجيه النقد ، لكن هذه الصحيفة بعد عودتها من استانبول بعد الاحتلال الإيطالي للبلاد جرى تعديل

اسهها إلى الرقيب العتيق لكنها وبسبب الاحتلال وشأنها شأن الصحف التي تصدر تحت الاحتلال فقد سارت في طريق محفوف بالمخاطر فالرقابة والاستبداد والطغيان الذي كانت تعشه البلاد كلها لم يكن يسمح بأي صوت ينادي بالحرية أو الوعي فقد سعى إلى خنق الآراء الحرة والقضاء عليها .

صحيفة اللواء طرابلسي التي أصدرها الصحفي عثمان القيزاني (المصراطي 2000م ، 157)

(158) ، في عام 1919م وهي صحيفة أسبوعية اهتمت بالشأن السياسي والأدبي والاجتماعي والاقتصادي ساهمت في تنامي الروح الوطنية خاصة وأنها صدرت والبلاد ترزح تحت نير الاحتلال الإيطالي كما اهتمت بنقل الأخبار العربية والاهتمام بما يجري في العالم ، كما يضاف إلى هذه الصحف التي صدرت أثناء فترة الاحتلال الإيطالي بعض الصحف مثل صحيفة الوطن التي صدرت عام 1920م والتي ترأس تحريرها الصحفي عوض أبو نجيلة وهي اهتمت بالشأن السياسي والأدبي والاجتماعي وهي كانت تصدر من مدينة بنغازي وكانت تصدر بشكل أسبوعي ولكنها لم تستمر طويلاً بسبب المضايقات مما استدعى من صاحبها الهجرة إلى إسطنبول حيث مارس العمل الصحفي من هناك حتى وافته المنية في مدينة أضنة التركية عام 1960م .

صحيفة البلاغ التي جاءت في فترة اشتداد الظلم والقهر على أهالي البلاد والتنكيل بكل الأصوات المنادية بالحرية والاستقلال من قبل المستعمر الإيطالي فكانت على هيئة خطوط لا يعرف له محرر ولا عنوان تدعو إلى الحرية وبيث روح المقاومة والصمود في وجه المستعمر البغيض (المصراطي ، 2000م ، 203)

، كما عرفت بعض الصحف المؤيدة للمستعمر الإيطالي وهي التي أنشأها لكي تدافع عن أفكاره وخططاها في الاستمرار في الاحتلال هذه البلاد مثل جريدة بريد طرابلس التي صدرت عام 1922م مع بداية الحقبة الفاشية وهي أسبوعية تصدر باللغة العربية والإيطالية وهي كانت معلوماً من معاعول المدم التي سلطتها على الأفكار الوطنية بغية مسخ هوية هذا الشعب البطل كما شكلت أداة لزرع الكراهية خصوصاً إذا عرفنا أن معظم محرريها كانوا من اليهود الذين كانوا أدلة طيعة في يد المستعمر لكنها وعلى الرغم من كل وسائل الدعم والمساندة التي تحصل عليها من قبل الحكومة الإيطالية إلا أنها لم تستمر طويلاً (المصراطي ، 2000م ، 213) .

كذلك عرفت صحف أخرى مثل صحيفة الوقت والتي أنشأها محسن ظافر المدني (المصراطي ، 2000م ، 217) ، الذي عمل أول مرة في صحيفة الكشاف ثم حصل على ترخيص لإصدار صحيفته الوقت لكنها صدرت للعدد واحد فقط وتصادف ذلك مع نزول القوات الإيطالية للاحتلال طرابلس

فقبض عليه أثناء وجوده مع المجاهدين ومنع من ممارسة أي نشاط سياسي وبالتالي لم يجد سوى الرحيل إلى تونس وعمل في صحفتها ثم رجع منها عام 1918م لإصدار صحفته مرة أخرى فقبض عليه مرة أخرى ولم يفر عنه إلا في عام 1922م فهاجر إلى تونس مرة أخرى ولم يعد منها إلا عام 1949م.

أما صحيفة الذكرى فهي صحيفة أسبوعية كان رئيس تحريرها عثمان بن موسى وبرزت في عام 1921م وطبعت في مطبعة الخواجة إبراهيم انشوبة ثم في مطبعة الترقى وهي كانت ذات توجه سياسي علمي أدبي إضافة إلى صحف أخرى عرف منها صحيفة الإصلاح التي أدار تحريرها الصحفى الوطنى جمال الدين الميلادى ، وصدرت عام 1921م وهى ذات توجه سياسى علمى، وصحيفة العدل التي صدرت عام 1921م وترأس تحريرها عبد الله بانون (المصراطي ، تاريخ ليبا ، 242- 243) ، وهى أسبوعية اهتمت بالشأن السياسى وأن كانت مثل باقى الصحف التي صدرت فى فترة الاحتلال لا تستطيع المجاهرة بعذاؤها وقوفها مع الحق ضد المستعمر ، وصحيفة بريد برقة وهى أسبوعية صدرت فى بنغازي عام 1921م وترأس تحريرها محمد الطاهر الحيشى وهى كانت تنشر الأوامر الصادرة من السلطات الاستعمارية الإيطالية وبالغاتها وقد ترأس تحريرها بعد وفاة رئيس تحريرها أخيه عمر الحيشى (المصراطي 2000م ، 247) ، الذى كان يرأس فى ذلك الوقت صحيفة ليبا المصورة وهى اهتمت بالشأن الأدبي والثقافى وشجعت الأدب العربى رغم الظروف وقصوة الاحتلال وتدخله فيها وفي باقى الصحف التي يشتم منها الدعم للروح الوطنية .

• الخاتمة :

على الرغم من عودة ولاية طرابلس الغرب مرة أخرى إلى الحكم العثماني ، وبالرغم من إن الدولة القرمانلية لم يتجاوز حكمها الممتد من عام 1711م إلى عام 1835م تلك الفترة الكبيرة التي يمكنها من خالماها تغيير الأوضاع التي كانت سائدة وعلى كل الأصعدة وعلى الرغم من محاولتها إقامة دولة وطنية ذات هوية محلية ، إلا الدولة العثمانية فشلت ولم تستطع وضع تلك البصمة التي يمكننا أن نشير من خالماها إلى التأثير على جوانب المجتمع الذي كان فاعلاً أو واضحًا ، فهم ظلوا يحكمون هذه البلاد مرحلة طويلة والتي إن كان دخولهم إليها لا يمكن أن يوصف بالاحتلال لأنه جاء وفق رضى وقبول أهلها لردع المحتلين الإسبان على الرغم من ذلك فهم لم يفلحوا بالرغم من المحاولات المتكررة التي سعت وحاولت من خالماها الدولة العثمانية خلق نوع من الولاء والارتباط بالمحوية العثمانية لم يكن ظهر أول أمره إن كان معلنًا وخاصة في

مرحلة حكم جماعة الاتحاد والترقي إلا أنها لم تنجح في ذلك واصطدمت بالكثير من الأمور السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية .

وعلى الصعيد الاجتماعي فقلة السكان وتوزعها وطبيعة الأحوال التي كان يعيشها الكثيرون على نحو خاص سعت في تردي الأوضاع ناهيك عن محاولات الدولة العثمانية أصلاً استغلال ذلك التنوع لخدمة مصالحها وتنفيذ سياسيتها من خلال إحداث شرخ في البناء الاجتماعي عند بعض شرائح المجتمع المولالية لها (القولوغية) وبعض من لهم مصالح اقتصادية وسياسية (الأعيان والمشايخ) من خلال إيجاد منظومة متربطة تجمع هؤلاء ، لكن ذلك لم يتحقق بسبب التقسيمات الاجتماعية التي خلقها التنوع في تركيبة المجتمع والتي ميزت العنصر العثماني دون سواه ، كما لم تنجح التقسيمات الإدارية الإصلاحية في إصلاح الأمور بالرغم من أنها منحت تلك الشرائح التي أشرنا إليها نوعاً من ممارسة السلطة لتنفيذ المصالح العامة وحمايتها مقابل بعض الامتيازات ، لكن طريقة وصول تلك الشرائح والتي كانت تشوّهاً الكثيرون من الأخطاء والتجاوزات ساهم في ذلك التردي ، بحيث لم تعره الدولة العثمانية أي اهتمام ، مما زاد من اتساع الشrix الاجتماعي يوماً بعد يوم وظهر للعيان في تلك التقسيمات الاجتماعية في الأرياف والبادية والمدن ، مما استدعاي المعالجة الصحيحة ، لكن الدولة بدلاً عن ذلك أخذت في تقويب تلك الشرائح المدنية والعسكرية بغية استقطابها والعمل من خلالها مقابل تقديم بعض الإعفاءات والمزايا لها وهذا زاد من الخلل في بناء المجتمع على الصعيد الاجتماعي .

وهذا جانب يجب إن نشير إليه وهو بالرغم من ذلك السعي فالدولة العثمانية لم تستمر في الاهتمام بتلك الشرائح الاجتماعية بسبب ترايد المشاكل السياسية التي أخذت جل اهتمام الدولة إضافة إلى اصطدام ذلك مع الطبيعة العثمانية خصوصاً بعد انقلاب الاتحاديين حيث باتت ترى في العنصر العثماني التمييز بخلاف العنصر العربي وهذا جعلهم غرياء عن هذه البلاد على الرغم من طول وجودهم على أرضها ووجود نواة كانت قد تقرب ذلك الامتزاج ونعني بها طبقة القولوغية ومحاولة امتزاجهم والتي كانت بسيطة وأن تظل محاولة لكنها لم تنجح بسبب الطبيعة العثمانية إضافة إلى شدة التماسک الوطني الذي نراه بوضوح رافضاً لتلك العلاقة ، فشيخ القبائل في الداخل كان من بين شروطهم لتقديم الولاء للدولة هو منع رجالها العثمانيون من دخول مناطقهم ، وهذا ما حدا بالدولة العثمانية مسيرة ذلك بدليل أنها لم تحاول التدخل في النسيج الاجتماعي إلا في جوانبه السياسية والإدارية وعلى نحو يسمح لها بإدارة

الأمور بشكلها الطبيعي الذي رسمته بواسطة الشرائع المعاشرة لها من أعيان أو مشايخ ولاستمرار ذلك سعى الدولة إلى تأهيل أبنائهم من خلال المدارس والمعاهد العثمانية لاستكمال المشوار فيما بعد .

عملية الوعي بكل تلك الحقائق اصطدمت بطبيعة تركيبة المجتمع في ولاية طرابلس المتمثلة في تنوع سكانه من أهل المدن أو الأرياف أو البدائية وهم في أغلبهم حرموا من التعليم أو الثقافة التي تؤهلهم إلى فهم ما يدور حولهم من مشاكل ومساوئ وعادات وتقالييد تنم عن الجهل والتخلف ، وهذا جانب من الجوانب التي تحمله الدولة العثمانية فالتأخير في العملية التعليمية والتي لم تبدأ إلا في أواخر عام 1842م بعد صدور فرمان حول التعليم الحديث ، أما الفترة التي قبلها فلا يمكننا أن نطلق عليها تعليماً بالمعنى الرسمي ولم يكن هناك سوى التعليم الديني الذي تصدى لذلك العمل في الجامع والزوايا بإمكانيات بسيطة ومحدودة لم تعم أو تصل للجميع مما خلق شريحة من تركيبة المجتمع ظلت بعيدة عن الفهم والمشاركة في حركته وتطلعاته ومثلت المرأة الجزء الأكبر فظلت حبيسة العادات والتقاليد التي أعادتها في بعض الأحيان من ممارسة حريتها ومشاركتها مع أخيها الرجل في بناء المجتمع كذلك الحال بالنسبة للجوانب الاقتصادية والتجارية التي ظلت حبيسة أهداف الدولة العثمانية ومصالحها بالرغم من صعوبة الظروف التي تمر بها فهي لم تلقي الاهتمام والتقدير والرعاية إلا في الجانب اليسير منها وظلت في غالبيتها محلية وتعتمد القدرات الوطنية بالرغم من أهميتها التي تشكل منها رافداً من الروافد التي اعتمدت عليها الدولة في تقديمها للضرائب والأموال التي كانت تفرض عليها .

هذا الأمر زاد من تدهورها وعدم تناميها في الوقت الذي كانت أصلاً تعاني من قلة مؤسسات تساهم في ازدهارها وتقدمها من خلال توفير الكوادر الصناعية والفنية الماهرة وهذا بكل تأكيد ساهم في ذلك التدهور الذي لم تنتبه إليه الدولة إلا في وقت متأخر بدليل أن أول معهد متخصص لتخرج الكوادر الفنية لم يفتح إلا عام 1899م (مدرسة الفنون والصناعات) أي في أواخر العهد العثماني الثاني عليه فقد اجتمعت الكثير من العوامل التي وقفت أمام حصول ذلك التأثير أو تغوله في تركيبة المجتمع تمثلت في : أولها : يعود إلى صلبة البناء الاجتماعي والثقافي والتراثي للمجتمع العربي في هذه البلاد ، بل إننا نلاحظ العكس في الكثير من الأحداث حيث انصر الأجانب في إطار هذا المجتمع ، والحق يقال إنه بفضل الشخصية والمورث العربي تم الحافظة على تمسك الهوية وازدادت صلبة كيان المجتمع بالرغم من قوة الإغراء والأساليب وشراستها التي استخدمها ضده الآخرون ، أما التأثيرات التي ظهرت في بعض

الأحيان على شكل المجتمع فما هي إلا قشور خارجية اقتصرت على بعض الجوانب مثل اللبس والطعام وبعض المفردات والمصطلحات وبعض أساليب الحكم وأنظمته .

سكان هذه البلاد أقاموا حاجزاً حضارياً واجتماعياً مع العثمانيين على الرغم من وحدة الدين والتابع يلاحظ أن الشخصيتين العربية والعثمانية توجد بينهما الكثير من الفروق ، فالعربي عاش وتربع على النزوع إلى الحرية والفخر بنفسه وقومه ولم يرض الحنون والمذلة لحاكم ولا لسلطة ، وفي مراحل عجزه على المقاومة يلتجأ إلى العزلة على نفسه متمنياً أكبر قدر من الاتصال بذلك الواقع وهذا في الأمر جعل العرب في الكثير من الأحيان بعيداً عن الصلة بالواقع والأحداث المتطرفة والمحيطة بهم ، لكن هذا لا ينفي أنه وسيلة حفظ بما على نقاط هويته القومية والعرقية ، في حين العثماني يعيش الطابع العسكري المحکوم على الطاعة والولاء للحاكم لدرجة تصل إلى الخضوع وهذا بكل تأكيد لم يقبله العربي ورفضه بحيث إن الأتراك ورغم كل تلك الفترة لم يخلقوا نسيجاً لهم يشبههم ، ولا أدل على ذلك أنه عند رحيلهم لم يتبق لهم من تأثيرات سوى بعض من تلك الأنفاظ والكلمات التي رسخت لطوال تكرارها وبعض أنواع الأزياء والملبوس وتسميتها .

ثانياً : يعود سبب قلة التأثير العثماني إلى طريقة تعامل الولاة العثمانيين مع أهالي البلاد حيث إنهم استهلكوا معظم فترات حكمهم في الدخول في صراعات ونزاعات مع السكان من غير داع إليها في الكثير من الأحيان ، إضافة إلى أنهم لم يسيطرؤ إلا على المناطق الساحلية فقط في حين كانت مدن الدواخل تدار من قبل شيوخها وزعمائها وهذا الأمر بكل تأكيد حافظ على الهوية العربية ودعمها .

ثالثاً : يلاحظ أن طريقة تعامل الموظفين العثمانيين والتي اتصفـت بالشدة والصرامة والتميـز في بعض الأحيان ساهمـت في تشكـل حاجـز بينـهم وبينـ السـكـان زـاد من ابـتعـادـهم وانـفصـالـهم وأـكـدـ علىـ سيـاسـةـ الانـغـلاقـ علىـ الآـخـرـ ، وـمـاـ يـؤـكـدـ حـقـيقـةـ ذـلـكـ عدمـ سـعـيـ العـشـمـانـيـنـ إـلـىـ مـحاـوـلـةـ فـهـمـ سـبـبـ ذـلـكـ وـمـعـالـجـتـهـ ، فـهـمـ فـضـلـواـ حـصـرـ عـلـاقـهـمـ بـسـكـانـ المـدـنـ فـقـطـ وـتـيـ تـشـكـلتـ بـسـبـبـ الـمـنـفـعـةـ الـمـتـبـادـلـةـ وـالـمـصـلـحةـ حـتـىـ هـذـاـ الـأـمـرـ لـمـ يـفـلـحـ فيـ إـبـجـادـ مـوـطـئـ قـدـمـ لـهـمـ فيـ إـطـارـ الـجـمـعـ وـتـرـكـيـتـهـ فيـ لـوـاـيـةـ طـرـابـلـسـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـهـ حـاـوـلـواـ مـنـ خـلـالـ التـزـاـوجـ مـنـ الـعـدـيدـ مـنـ النـسـاءـ الـعـرـبـيـاتـ فيـ هـذـاـ الـبـلـدـ وـخـلـقـ مـاـ عـرـفـ (ـالـقـوـلـوـغـيـةـ)ـ إـلـاـ أـنـهـ ظـلـ مـحـصـورـ وـغـيرـ ذـيـ أـهـمـيـةـ ، بـلـ إـنـ هـؤـلـاءـ اـمـتـزـجـوـ مـعـ باـقـيـ كـيـانـاتـ الـجـمـعـ لـغـةـ وـطـبـاعـاـ وـعـادـاتـ وـتـقـالـيدـ .

بالتالي ساهمت الخصوصية الاجتماعية والدينية والثقافية التي تتمتع بها هذا المجتمع في زيادة صلبة ومتراكمة ببنائه ، وهذا لا ينفي وجود بعض التجاوزات التي تخللت طبيعة الحياة الاجتماعية والتي مردها الجهل وعدم انتشار التعليم والتي كانت رائجة في تلك المرحلة ، لكن كما اشرنا طبيعة الكيان الاجتماعي وطبيعة المجتمع المتمسك بدينه ومؤسساته المختلفة والمؤمن بمحويته العربية وبنقاليده الأصلية لم تكن لتسنم بأي تجاوز على الهوية أو الموروث الثقافي أو الاجتماعي بل كانت حافظة لهذه الهوية على الرغم من كل المخاطر ، كما لا يمكننا نسيان الدور الذي اضطلع به المثقفون في هذه البلاد على الرغم من كل ما اعترض طريقهم من قلة الإمكانيات أو القدرات إضافة إلى الطبيعة السياسية في تلك المرحلة والتي كانت مقبلة على مرحلة جديدة في مواجهة المجمعة الاستعمارية على تراب هذا الوطن .

• قائمة المصادر :

- 1- علي بن زياد : ولد بطرابلس الغرب ورحل لطلب العلم إلى المدينة المنورة حيث سمع من الإمام مالك بن انس ثم رحل إلى العراق وأخذ من الإمام سفيان الشوري أصول الحديث ثم عرج على مصر وأخذ من الإمام الليث بن سعد والحدث أبن هبيرة الحديث والرواية ثم استقر في تونس للعلم والتعليم وأصبح رئيس الفتوى وإمام المذاهب في إفريقيا ، توفي رحمة الله عليه عام 183هجري ودفن في تونس قرب سوق الترك ، للمزيد راجع ناصر الدين محمد الشريف ، الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية ، عمان : دار البيارق ، 1999م
- 2- تيسير بن موسى ، 1988م ، ص 66 .
- 3- فاتح رجب قدرة ، 2007م ، ص 291 .
- 4- تيسير بن موسى ، 1988م ، ص 68 .
- 5- محمد مسعود جبران ، 2008م ، ندوة أحمد بك النائب ، ص 181 .
- 6- أحمد محمد القماطي ، تطور الإدارة التعليمية في الجماهيرية ، دراسة تحليلية ميدانية ، طرابلس : الدار العربية للكتاب ، 1978م ، ص 68 .
- 7- حسن الفقيه حسن : أحد أعيان مدينة طرابلس وتجارها كان عضواً في مجلس الإدارة والشوري في الولاية اشتهر باقتناء الكتب وحبه للأهل العلم كانت حياته في العهدين القرمانلي والعثماني الثاني ، للمزيد راجع حياته في مقدمة كتابه اليوميات الليبية ، دراسة وتحقيق محمد الاسطي ، وعمر جحيدر ، مركز دراسات جهاد الليبيين . 2002م
- 8- ناصر الدين محمد الشريف ، 1999م ، ص 347 .
- 9- أحمد الشارف : من الفقهاء والقضاة البارزين ولد في مدينة زليتن أخذ العلم في منطقته ثم رحل إلى طرابلس فأخذ العلم من أبرز علمائها لهذا الشاعر ديون متتنوع قام بنشره الأستاذ على مصطفى المصراتي .
- 10- إبراهيم مصطفى باكير : من علماء الأحناف وأدباء طرابلس ولد فيها وتعلم فيها تولى عديد المناصب خلف إنتاجاً "غزيراً" من الشعر ، وكان أحد محري جريدة الترقى ، راجع ، على مصطفى المصراتي ، صحافة ليبيا في نصف قرن ، ط. ثانية ، طرابلس : الدار الجماهيرية للنشر ، 2000م ، ص 72 .
- 11- أحمد البكباك : من علماء طرابلس ولد فيها وأخذ العلم من مشايخها وتولى التدريس طيلة حياته

- 12- احمد بن محمود : رحل إلى مصر للتحصيل العلمي وطلب العلم بل انه ذهب إلى الهند وعاد إلى مسقط رأسه طرابلس حيث توفي عام 1953 م .
- 13- سالم المبروك الورشافاني : رحل إلى مصر وأصله من قبيلة ورشفانة .
- 14- محمد كامل بن مصطفى : تولى دور مهم في الإصلاح والتعليم .
- 15- سليمان الباروني : سليمان الباروني : الزعيم والأديب والصحفى أصدر جريدة الأسد الإسلامى فى القاهرة عام 1908 م وهي تهتم بالقضية الإسلامية وفكرة الجامعة الإسلامية وهى أسبوعية كما أنشأ مطبعة كذلك ، راجع ، علي المصراتى ، 2002 م ، ص 259 ، 275 .
- 16- ملحق و ، وثائق منشورة ، من كتاب محمد الكونى بلحاج ، التعليم فى مدينة طرابلس الغرب وثيقة رقم 1 ، لإجازة علمية دينية ، ص 499 .
- 17- محمد مسعود جبران ، 2008 م ، ندوة أحمد النائب ، ص 184 .
- 18- فاتح قدارة ، 2007 م ، ص 298 .
- 19- زاوية طبقة : سميت باسم المنطقة التي فيها على مشارف الحمادة الحمراء على بعد 40 كم من مزدة للمزيد راجع ، عبدالله محمد الشريف ، محمد محمد الطوير ، دراسات في تاريخ المكتبات والوثائق والمخطوطات الليبية ، مصراته : الدار الجماهيرية للنشر ، 1978 م ، ص 31 .
- 20- زاوية أبو زيان : تقع قرب غريان وتتبع إلى أسرة الطواهرية أحد فروع قبيلة الكميشات ، راجع عبد الحميد المرامنة 1984 م ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الثاني ، ص 131 .
- 21- زاوية العالم : تقع بين الريانة والخلائفة قرب وادي يدعى الباقول ، راجع عبد الحميد المرامنة ، المراجع السابق ، ص
- 22- محمد مسعود جبران ، 2008 م ، ص 185 .
- 23- تجنب الإشارة إلى أن الأخ محمد مسعود جبران قد أشار إلى الكثير من هؤلاء العلماء الذين ساهموا في حركة العلم والتعلم في ربوع هذه البلاد ، للمزيد راجع ص 181 – 195 .
- 24- غيرهارد رولفس ، 2000 م ، ص 72 .
- 25- محمد مسعود جبران ، 2008 م ، ندوة أحمد بك النائب ، ص 195 .
- 26- رضوان السيد ، فلسفة الوقف في الشريعة الإسلامية ، مجلة العربي ، السنة الرابعة والعشرون ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، العدد 247 ، 2001 م ، ص 77-90 .

- 27- إبراهيم بيومي غانم ، الأوقاف السياسية في مصر ، القاهرة : دار الشروق ، 1998 م ، ص . 47
- 28- صبحي صالح ، النظم الإسلامية ونشأتها وتطورها ، ط الخامسة ، بيروت : دار العلم للملائين 1980 م ص 369 .
- 29- محمد بن عبد العزيز بن عبد الله ، الرقف في الفكر الإسلامي ، ج الثاني ، المغرب : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية 1996 م ، ص 247 .
- 30- فاتح رجب قدارة ، 2007 م ، أشار إلى بعض من تلك المنازعات ، ص 287 ، للمزيد راجع وثيقة رقم 88 ، مخطوط بملف الأوضاع الاجتماعية رقم 42 ، مركز دراسات جهاد الليبيين يبين رحوع وقافية إلى أحد المساجد الموجودة في منطقة الزاوية (جامع الرماح) .
- 31- صبحي صالح ، 1980 م ، ص 369 .
- 32- فاتح قدارة ، 2007 م ، ص 288 .
- 33- عبد العزيز محمد عوض ، 1969 م ، ص 245 .
- 34- حسين أبو شويشة ، 2009 م ، ص 126 .
- 35- فاتح قدارة ، 2007 م ، ص 290 .
- 36- أحمد بك النائب ، (د . ت) ، الجزء الأول ، ص 386 .
- 37- أبو محمد عبد الله التيجاني ، رحلة التيجاني ، تقاسم حسن حسني عبد الوهاب ، طرابلس : الدار العربية للكتاب ، 1981 م ، ص 212 .
- 38- محمد عمر مروان . سجلات محكمة طرابلس الشرعية، دراسة في مصدر تاريخي ، أطروحة ماجستير، قسم التاريخ جامعة الفاتح، 1997 م ، ص 44 .
- 39- سعيد علي حامد ، مدارس مدينة طرابلس منذ الفتح العربي وحتى عام 1911 م ، مجلة تراث الشعب ، العدد 14 ، طرابلس : اللجنة الشعبية العامة للأعلام والثقافة ، 1984 م ، ص 51 .
- 40- الطاهر أحمد الزاوي ، 1971 م ، ص 82 .
- 41- نجاح القابسي ، المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد التاسع عشر ، بغداد : اتحاد المؤرخين العرب ، 1981 م ، ص 185 .

- 42- للمزيد راجع الوثائق المنشورة في كتاب فاتح قدارة ، الزاوية الغربية ، ملف التعليم وثيقة رقم 7 تشير إلى معلمي المساجد الذين يتلقاهم روادها من خزينة الولاية ، ص 350 .
- 43- ملحق ي ، وثائق منشورة من كتاب محمد الكوني بلحاج ، وثيقة رقم 2 ، إجازة عثمانية إعدادية ملوكية ، ص 500 .
- 44- أحمد سراج الدين ، لحركة التربوية وتطورها في سوريا ولبنان خلال القرن التاسع عشر ، مجلة الأبحاث ، الجلد الرابع ، الجزء الثالث ، بيروت : الجامعة الأمريكية ، 1951م ، ص 335 .
- 45- تيسير بن موسى ، 1988م ، ص 332 .
- 46- رافت غنيمي الشيخ ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحالية ، بنغازي : دار الحقيقة ، 1972م ، ص 132 .
- 47- علي صادق حسين . 1990م ، من الوثائق التركية . الضباط الليبيين في الجيش العثماني ، مجلة الوثائق والمخطوطات العدد الخامس ، طرابلس : مركز دراسات جهاد الليبيين ، 1990م ، ص 12-14 .
- 48- محمد الكوني بلحاج ، 2009م ، التحديث العثماني في ولاية طرابلس الغرب ، طرابلس : منشورات جامعة السابع من ابريل ، ص 92 .
- 49- مهدي البستاني ، 1997م ، (العدد 87-88) ، ص 405 .
- 50- أحمد عزت : توقيع حكم ولاية طرابلس الغرب ثلاثة مرات الأولى عام 1849م والثانية عام 1858م والثالثة عام 1879م ويدعوا أنه كان يتمتع بمحاذير خاصة جعلت الدولة تستعين به أكثر من مرة للمزيد راجع ، على محمد جهان ، 2007م ، ص 140 .
- 51- للمزيد راجع الوثائق المنشورة ، نقلًا عن كتاب عبد المنصف البوري ، الاحتلال الإيطالي لليبيا ، حيث يشير إلى أنواع المدارس الإيطالية المنتشرة في الولاية ، ص 266 .
- 52- فرانشيسكو كورو ، 1984م ، ص 101 .
- 53- محمد الكوني بلحاج ، 2000م ، ص 89-92 .
- 54- علي محمد جهان ، 2007م ، ص 148 .
- 55- الطاهر أحمد الزاوي ، 1970م ، ص 274 .
- 56- تيسير بن موسى ، 1988م ، ص 75 .
- 57- حسين سالم أبو شويشة ، 2009م ، ص 114 .

- 58-ليون . جون فرانسيس ، 1976م ، من طرابلس إلى فزان ، تعریب مصطفی جودة ، طرابلس : دار الفرجانی ، ص20.
- 59-رأفت غنيمي الشيخ ، 1972م ، ص 88 .
- 60-مابل لومس تود ، 1968م ، ص 179 .
- 61-نجم الدين غالب الكيب ، 1978م ص 60 .
- 62-حسين سالم أبوشوشة ، 2009م ، ص 125 .
- 63-فرانشيسکو كورو ، 1971م ، ص 35 .
- 64-مابل لومس تود ، 1968م ، ص 222 .
- 65-مصطفی عبد الله بعیو ، 1975م ، ص 35 .
- 66-حسین أبو شوشة ، 2009م ، ص 137 .
- 67-الري : هو عندهم الرجل التقى الذي له الحق فقط في الذبح الذي يكون عند اليهود .
- 68-الجليس الروحي : مجلس يهودي غرضه حل كل مشاكل الطائفة .
- 69-حسین سالم أبو شوشة ، 2009م ، ص 138 .
- 70-أحمد صدقي الدجاني ، 1971م ، ص 277 .
- 71-علي مصطفی المصري ، صحافة لیبیا فی نصف قرن 2000م ، ص 38 .
- 72-فیلیب دی طرازی ، تاریخ الصحافة العربية ، بیروت : المطبعة الأدبية ، الجلد الثاني ، 1913م ، ص 246 .
- 73-للمزید راجع ، علي مصطفی المصري ، محات أدبية عن تاريخ لیبیا ، طرابلس : المطبعة الحكومية ، 1956م .
- 74-محمد الكوني بالحاج ، 2007م ، ص 142 .
- 75-یاسین شهاب الموصلي . 2005م ، سالمنات ولاية طرابلس الغرب أهميتها في دراسة التاريخ الليبي الحديث ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الأول ، طرابلس : مركز دراسات جهاد الليبيين ، 2005م ، ص 48 .
- 76-عبد العزيز سعيد الصويعي ، 1989م ، ص 145 .
- 77-نیکولای بروشین ، 1991م ، ص 370 .

- 78- علي عياد : أحد مثقفي مدينة طرابلس ولد في منطقة جنزور عام 1868م ثم هاجر إلى بلاد الشام حيث وافته المنيّة هناك راجع محمد مسعود جبران ، 2008م ، ندوة أحمد بك النائب ، ص 193 .
- 79- فرانشيسكو كورو ، 1984م ، ص 130 .
- 80- فيليب دي طرازي ، 1913م ، ص 246 .
- 81- علي مصطفى المصري ، 2000م ، ص 88 .
- 82- محمد بك الأنباري : ابن المؤرخ أحمد النائب نشا في بيت من أعراق بيوت مدينة طرابلس درس اللغات وأجاد العربية والتركية والفرنسية ، راجع عبد الحميد الهرامة ، 2008م ، ندوة احمد النائب ، ص 93 .
- 83- أحمد إبراهيم ذياب ، 1982م ، 2 : 622 .
- 84- محمد الكوني بالحاج ، 2007م ، ص 156 .
- 85- محمد الهاشمي المكي : ولد في مدينة توزر التونسية عام 1881م درس في جامع الزيتونة وكان والده من شيوخ ومدرسي الجامع اشتهر هذا الصحفى بالسخرية الشديدة على الأوضاع التي تمر بها بلاده ، مما دعاه إلى الهجرة إلى طرابلس ثم إلى إندونيسيا حيث أنشأ مدرسة للتعليم اللغة العربية وأصدر صحيفة باللغة العربية (يورو بدورو) توفي عام 1944م أثناء الحرب العالمية الثانية ، راجع ، علي مصطفى المصري ، 2000م ، ص 112-113 ، إضافة إلى نيكولاي بروشين ، 1991م ، ص 371 .
- 86- خليفة محمد التلبيسي ، 1988م ، ص 226 .
- 87- محمد فوزي : ولد في مدينة طرابلس درس فيها ثم أكمل تعليمه في اسطنبول حيث حصل على شهادة الحقوق واشغل في المحاكم ثم أستاذًا بمدرسة البوليس ونائباً عاماً في محكمة طرابلس ثم مدير مدرسة الفنون والصنائع الإسلامية ، راجع المصري 2000م ص 119 .
- 88- أحمد صافي الدجاني ، 1971م ، ص 283 .
- 89- فيليب دي طرازي ، 1913م ، ص 246 .
- 90- أحمد الفساطوي : أحد أبناء الجبل الغربي درس في الأزهر مارس الكتابة الصحفية في العديد من الصحف في المهجر أمثال الأسد الإسلامي والتوري عمل في حزب الإصلاح والتوري سكرتير للحزب جمع بين التدريس والصحافة ، راجع المصري ، 2000م ، ص 123 .

- 91- مصطفى كامل : 1829م / 1908م أحد مؤسسي نخبة مصر الوطنية أحرز شهادة الحقوق في فرنسا ، قاوم الاستعمار الإنجليزي بخطبه ومقالاته ، أنشأ جريدة اللواء عام 1900م ، دعا إلى إنشاء الحزب الوطني عام 1907م وانتخب رئيسا له ، رجع خير الدين الزركلي ، الإعلام ، بيروت : دار العلم للملاتين ، 2002م ، ص 238 .
- 92- المصري ، 2000م ، ص 135 .
- 93- عبد الكريم أبو شويف ، 2008م ، ندوة أحمد النائب ، ص 214 .
- 94- محمود ناسم بن موسى : ولد في طرابلس عام 1876م درس فيها ثم التحق بالجامع الأزهر في مصر ونال شهادة العالمية عام 1906م ثم عاد إلى طرابلس وبدأ ميله للصحافة يزيد ويكبر ، درس في مسجد أحمد باشا القرمانلي وكان والده خطيبا في مسجد سالم المشاط ثم قاضيا في مدينة زوارة ، لكنه ترك ذلك واتجه إلى ممارسة الصحافة ، توفي عام 1937م ، راجع المصري ، 2000م ، ص 187-188 .
- 95- عثمان القيزاني : ولد في طرابلس ودرس فيها واشتغل أول أمره في صحيفة الترقى وساهم في الاجتماعات الأساسية أيام مرحلة الكفاح الوطني وخاصة مؤتمر غربان عام 1920م وكان من بين أعضاء الوفد الوطني الذي ذهب إلى روما للمفاوضة من أجل حرية الوطن وأن لم يسافر بسبب كتاباته السياسية التي عرضته للسجن عديد المرات ، راجع المصري ، 2000م ، ص 157-158 .
- 96- راجع مصطفى على المصري ، 2000م ، ص 203 .
- 97- على مصطفى المصري ، 2000م ، ص 213 .
- 98- محسن ظافر المدنى : ولد عام 1891م في مصراته تخرج من المكتب الرشيدى العثمانى ثم أرسل إلى اسطنبول لتحصيل العلم ونال شهادتي الإعدادي والسلطانى ثم عاد إلى طرابلس عام 1908م وعمل في إدارة البريد والتلغراف حتى عام 1910م ، راجع المصري ، 2000م ، ص 217 .
- 99- جمال الدين الميلادي : ولد عام 1882م درس في مكتب الرشيدية عمل مأمورا "للجمارك ثم مديرًا للمال في اغدامس برج في الأنماض والتواشح والموسيقا مع موهبته الصحفية هاجر إلى اسطنبول وبقي في مدينة أزمير حتى وفاته عام 1963م ، راجع المصري ، 2000م ، ص 236 ، 237 .

100- عبد الله عرببي بنون : ولد عام 1864م وهو أحد وجهاء مدينة طرابلس درس في مكتب الرشيدية ثم اخترط في دار المعلمين تقلد مناصب قضائية حيث عمل عضواً بمحكمة التجارة ثم رئيساً لها سافر إلى إسطنبول عام 1912م حيث عين موظفاً في ديار بكر ومديراً عاماً ثم عاد إلى طرابلس عام 1914م توفي عام 1938م ، راجع المصратي ، تاريخ ليبيا ، ص 242-

243

101- عمر الخيشي : ينحدر من مصراته عاش في بنغازي ودرس في مدرسة فرنسية في الإسكندرية عام 1913م ثم عاد إلى عام 1914م إلى بلاده ورافق أخاه محمد إلى الدراسة في إيطاليا ثم عاد واشتغل سكرتيراً في غرفة التجارة توفي عام 1942م ، راجع المصратي 2000م ، ص 247 .

اتجاهات النمو الحضري لمدينة ترهونة ، ليبيا ، المشكلة والحل

المختار أحمد أحمد غيث

كلية الاداب والعلوم قصر الاختيار / جامعة المرقب

مقدمة :

يعتمد النمو الحضري للمدن بما فيها من قطاعات سكنية وخدمية وإدارية وصناعية وغيرها سواءً كان هذا النمو رأسياً أم أفقياً إلى حدٍ كبير على الكثافة السكانية والتي ترتفع إما بالزيادة الطبيعية لسكان المدن ذاتها من ناحية ، أو بانتقال السكان المهاجرين إليها من ناحية ثانية ، وبما أن ليبيا إحدى دول العالم النامي فإن مدتها خاضعة للنمو المتزايد ، ومدينة ترهونة واحدة منها ، فهي تشبه في ظروفها بعض مدن العالم النامي .

ارتبطت مدينة ترهونة بمحيطها الريفي المجاور من خلال الاعتماد المتبدال للسلع والخدمات في الأسواق التي تميز المنطقة فارضاً ذلك الموقع والموضع المناسب لمراكز المدينة ، وقد اختار الباحث مدينة ترهونة لدراسة اتجاهات نموها لعدة أسباب أهمها انتماهه لهذه المنطقة ، فضلاً عن أهمية الحزام الأخضر من الزيتون الذي يحيط بالمدينة والذي أصبح عرضة لتوسيع المدينة ، ومعاناة مخطط المدينة من تحاولات شوهدت شكل المدينة ، وقلة الدراسات الأكاديمية عن مدينة ترهونة .

وقد تناولت هذه الدراسة النمو الحضري لمدينة ترهونة خلال فترات ماضية وما آلت إليه المدينة وكذلك العوامل التي أثرت في نموها واتجاهاته والأماكن المناسبة لتوسيع المدينة .

الإشكالية : تكمن المشكلة الرئيسية التي أُعدَّ هذا البحث لمحاولة ايجاد حلول لها في اتخاذ نمو منطقة الدراسة في اتجاهات تُعرِّض الغطاء النباتي الطبيعي والمستزرع المحيط بالمدينة لخطر زحف العمران الحضري بشكل عشوائي .

الاهداف : يهدف هذا البحث إلى تحقيق النقاط التالية :

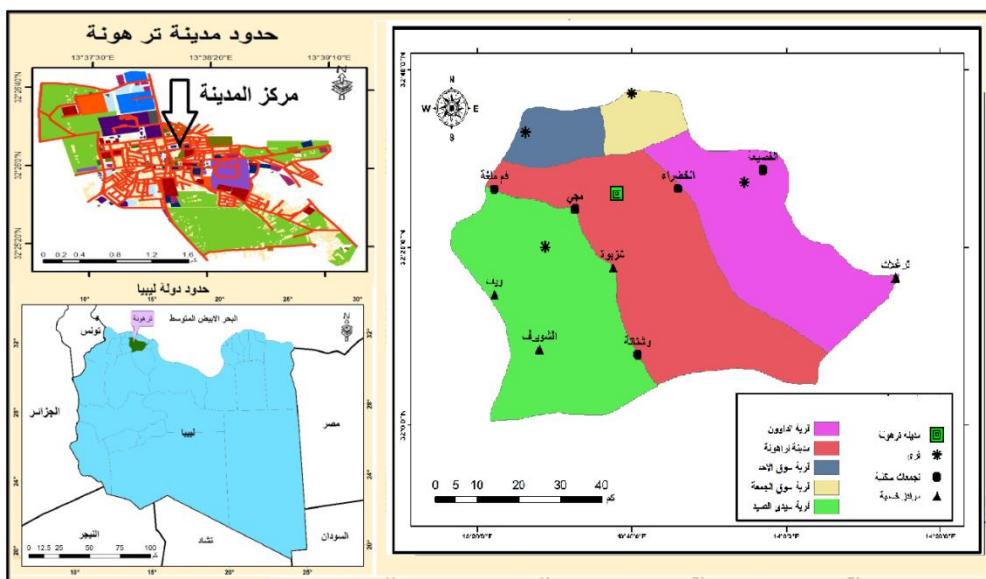
1. اعطاء نبذة عن نشأة وتطور مدينة ترهونة لاستيفاء جزء من المعلومات الحضرية عنها .
2. تتبع الاتجاهات النمو الحضري للمدينة في السنوات الماضية وأثر ذلك على الوضع المستقبلي لمخطط المدينة الذي يعكس بدوره على الغطاء النباتي المحيط بها .
3. رصد الاتجاهات المناسبة التي تنمو المدينة نحوها والتشجيع على التوسع في تلك الاتجاهات.
4. حماولة ربط الانشطة العمرانية بمخطط تنمية حتى يمكن تلافي أخطاء البناء العشوائي .

نشأة المنطقة وموقع مدينة ترهونة :

أ. موقع المدينة وتاريخها:

تقع ترهونة في شمال غرب ليبيا ، وكانت تتبع إدارياً محافظة الخمس أحد أقاليم طرابلس الفرعية الخمسة ، وتبعد عنها حوالي 70 كم ، ثم أصبحت بلدية منفصلة ، وصارت بعد ذلك تابعة لمنطقة النقازة ، وانفصلت ثانية لتصبح مقرًا لشعبية ترهونة مسلاطة سنة 1999 عندما تم تغيير نظام مناطق ليبيا إلى شعبيات وأصبحت تتبعها كل من مسلاته والقره بوللي وقصر الأخيار والعلوص ، ثم تغيرت هيكلية الشعبيات فصارت تتبع شعبية المرقب ومقرها مدينة الخمس في سنة 2005 وفي سنة 2013 وبعد التغير السياسي الذي طرأ على البلاد أصبحت بلدية مستقلة إدارياً ، وتوضح الخريطة (1) موقع منطقة الدراسة أما عن الموقع الفلكي لمدينة ترهونة فيمكن اعتبار التقاء خط طول $13^{\circ}38'$ شرقاً ودائرة عرض $32^{\circ}26'$ شمالاً نقطة مركز المدينة .

خريطة (1) موقع منطقة الدراسة .

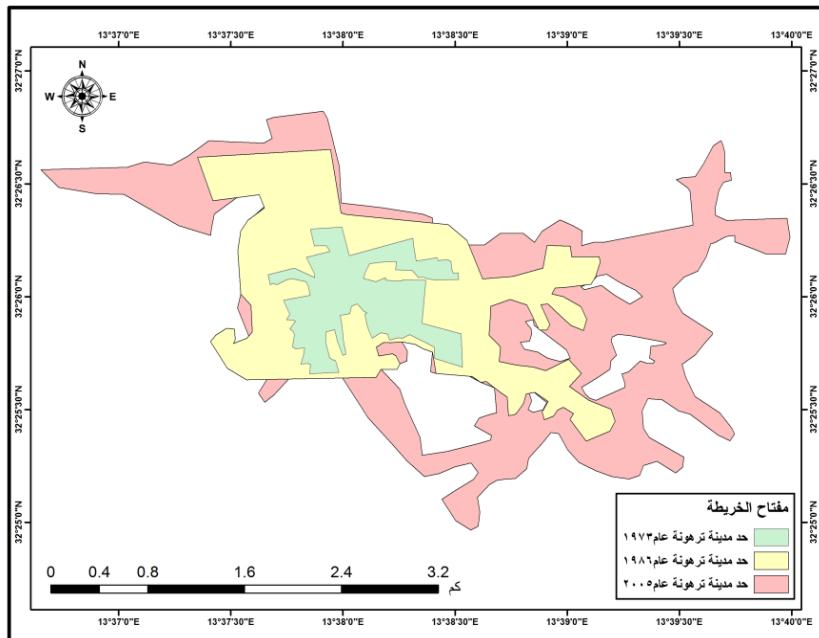


المصدر : إعداد الباحث من خريطة بلديات ليبيا بمقاييس رسم 1:1000000 ومحفظة المدينة ، بتصرف .

وبالنسبة لتسمية المدينة بترهونة يرجح أن يكون راجعً إلى اسم أحد القبائل التي كانت تقطن ولا تزال في جزء صغير من وسط المدينة ، واسم هذه القبيلة هو (أولاد ترهون) ويتركزون في منطقة الشرشار على هيئة تجمعات ريفية متباينة الكثافة (الزاوي ، الطاهر ، 1968 ، ص 69) وهناك من يرجعها إلى أصول بربرية من قبائل حمير القادمة من شبه الجزيرة العربية (Oates . 1951 . p 81) . وكانت المدينة قديماً تعرف بالبويرات (تصغير الآبار) نسبة إلى مجموعة من آبار المياه التي كانت تشكل مركزاً مهماً تلتقي فيه عدد من طرق القوافل التجارية (شرف ، 1962 ، ص ، 46) ، وتشكل مصدراً لشرب مواشي التجمعات الريفية والبدو الرحل في فصول الحفاف ، وقد عملت هذه الآبار كذلك على تكوين تجمع تجاري (سوق) ذكره الرحالة (جون ديمون) في كتابه (من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا) قائلاً: " ووحدت السوق غاية بالليبيين الذين كانوا مشغولين ببيع وشراء الملح والتمر والخروف والبطاطس والشعير الذي كان ثمنه غالياً ، وكانت تُعرض في السوق خرفان كثيرة شديدة السمنة كثة الصوف (كتيفة الصوف)" (جون ديمون ، 1911 ، ص 158) .

وتأسست مدينة ترهونة في منتصف القرن التاسع عشر في منطقة قرية من مساقط مياه الشرشاره (الشلال) إلى الشمال من المدينة الحالية وعلى بعد 3 كم ، حيث أقامت بها قبيلتان متباينتان اقتصادياً والدليل على عدم تجانسهما اقتصادياً إقامة سوقين ومركزين للاجتماعات أحدهما بالقرب من مساقط المياه والآخر في المدينة الحالية (بولسيروفس ، 1980 ، ص23) ، ويرجح أن تكون هاتان القبيلتان هما الدواعيم والداعمة ، لأن هاتين القبيلتين تتمركزان في أكبر مساحة من مخطط المدينة حالياً ، والخرطة (2) توضح تطور نمو مدينة ترهونة ما بين سنتي 1973 و حتى سنة 2005 .

خريطة (2) نمو مدينة ترهونة ما بين سنتي 1973 و حتى سنة 2005 .



المصدر : اعداد الباحث اعتماداً على الصور الجوية لسنوي 1973 و 1986 ،

والمرئية الفضائية "landsat 7" لسنة 2005 .

ب. بلدة ترهونة قديماً :

كانت بلدة ترهونة (البويرات) زراعية الطابع ، ويدل على ذلك كثرة السدود والآبار ومعاصر الزيتون ومقاطعات الحلفاء ، وذلك يؤكد أن سكانها ريفيون بالضرورة لأن اهتمامهم بالمياه ما هو إلا دليل على كونهم مزارعين وأرضهم خصبة (ناجي ، وفزي ، 1973 ، ص94).

وتفيد المصادر التاريخية انتشار أشجار الزيتون بالمنطقة ، إلا أنها اندثرت في فترة معينة ، وقد حلّلت قبائل (المغال) خراباً كبيراً في البلدة بفعل هجماتها وغارتها المستمرة في تلك الفترة (ناجي ، وفوزي ، 1973 ، ص36) .

وكانت البلدة عامرة بالسكان ، وتدل الآثار على أن مدينة ترهونة من المدن القديمة ، وهذه الآثار واقعة بالقرب من مركز المدينة الحالي تتمثل في المعابد ، وتوجد أطلال قلعة على الطراز العربي ترجع إلى القرن الثالث الميلادي (ناجي ، وفوزي ، 1973 ، ص96) ، وبني في شرق المدينة قصر روماني نقشت حوله بعض الرسومات منها أشكال لوحوش وحيوانات أخرى غريبة ، وتوجد أماكن لدور عبادة قديمة تقع قرية من مركز المدينة الحالي ، وتنظر من منطقة الشرشارة عند الشلال أكواخ من الحجارة يدل وضعها على أنها حطام مبني ، و كذلك مقبرتان رومانيتان واضحتا المعالم ، كما أن مبنى الحكومة الرومانية يقع في نفس المنطقة وبجواره منازل كثيرة ، ويؤكد القصر الموجود في منطقة (دوغه) شمال شرق المدينة على بعد 10كم تقريباً من مركز المدينة ، والمبني الآخر فوق قمة أحد الجبال الشاهقة المعروف بـ (أبوطويل) في منطقة التله الشرقية شمال المدينة على بعد حوالي 8كم على أن الحضارة الرومانية بترهونة لم تكن متراكمة في مكانٍ واحد .

ج. منطقة ترهونة أثناء حكم الأتراك (1551 – 1910) :

بعد احتلال مدينة طرابلس من قبل رجال الأسطول العثماني وطردُهم لفرسان القدس يوحنا فرض العثمانيون هيمنتهم على ضواحي مدينة طرابلس ، وتوسّع نفوذهم ليشمل بعض المدن المجاورة والتي منها بلدة (البويرات) ترهونة ، وفي سنة 1711 تولى أحمد باشا القره مانلي حكم ولاية طرابلس الغرب وأنصف الحكم القره مانلي بالعنجهية والغطرسة والطمع مما دفعهم إلى فرض الضرائب لخزينة السلطان عن الماشي والمحبوب كل عام ، وكانت تأتي إليها قافلة كاملة خاصة بجمع الضرائب من مجموعة أتراك يمتلكون حيواناتهم ويستعينون بدليل من سكان البلدة ، ويتصف الأتراك كما ذكر بالقوة والشدة والظلم .

وكان بيبلة ترهونة تجتمع سكانها صغير به بعض المراكز الإدارية والخدامية للحكومة التركية كمقر المتصرفية ومقر الشرطة والمحكمة ، ولم تكن علاقة السكان وثيقة بالأتراك ، ولكن منهم من تعاون معهم في بعض الوظائف الإنتاجية والخدامية ، وقد أدخل الأتراك نظام الشيوخ والباشوات إلى البلاد ، ويقوم الشيخ بمساعدتهم في إمدادهم بالمعلومات والإحصائيات السكانية والإنتاجية والإشراف على السوق

والنظافة بالبلدة ، وجمع الضرائب من السكان الذين أمحقتهم هذه المبالغ مما أدى إلى تدني مستوى الإنتاج وتعددت أوجه الضرائب المدفوعة حتى أئمن كانوا يدفعون عن كل فرد قادر على الصيام ، واستحدثت في عام 1897 ضريبة الجهاد لسد نفقات الحرب التركية اليونانية (تيرسين ، 1988 ، ص 222) ، وتوجد بالمدينة في ذاك الوقت محكمة تعمل على فض النزاعات بين الناس تولاًها أشخاص ذوي علم في الشريعة الإسلامية ، وكان القاضي يمتاز بمكانة رفيعة نابعة من الواقع الديني بالمنطقة آنذاك ، وكانت ببلدة ترهونة العديد من الزوايا لتعليم القرآن الكريم وأصول الدين ، ومنها الزاوية القديمة بمراكز المدينة (زاوية البويرات) إضافة إلى العديد من الزوايا المنتشرة في ضواحي البلدة بالمناطق المجاورة مثل الحضراء والداوون ، وهناك مسجد قلسم تتبعه زاوية في أحد المضابط الخديطة بالمدينة تعرف باسم (شيخ المدنى) كما أن هناك مباني غرف حجرية قديمة متوجهة إلى القبلة تؤكد أنها كانت مخصصة للصلوة (كاوير) ، تعريب أنيس زكي حسن ، ص 57) ، ومتاز خيام سكان ترهونة بالنظام والنظافة فقد كانت الخيمة مقسمة إلى جزء للرجال وآخر للنساء والمعيشة ، كما توجد بالمدينة العديد من (المغارات) وهي بيوت محفورة تحت الأرض يسكنها الناس موسمياً وغالباً في فصل الحر الشديد ، وبصفة عامة اتسمت الحياة الاقتصادية والاجتماعية أثناء الاحتلال التركي بالركود .

د. ترهونة أثناء الاحتلال الإيطالي :

يصف الباحث (جون ديمون) مدينة ترهونة في كتابه (من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا) قائلاً : " تبدو ترهونة وكأنها راقدة في طية وادٍ واسع ، وهي بلدة مربعة الشكل بنية بيوكا البيضاء حول سوق كبيرة ، وهي شبيهة ببلدة تونسية صغيرة ، وتحتلت عن بقية مدن طرابلس الغرب من حيث السكان والبناء ، وبالمدينة قصر حكومي يطل على مساكنها وهو قصر تركي شامخ " (جون ديمون ، 1911 ، ص 158) ، وكان بالمدينة تجمعاً سكرياً صغيراً به بعض المرافق منها مكتب البريد ومراكز الشرطة ومتصرفية ومراكز صحية ، وكان بالمدينة بعض المقاهي الصغيرة التي تُعدُّ الشاي واللوز والفول السوداني (الكاكاوية) وبعض المطاعم الشعبية وبعض الفنادق الصغيرة المبنية من الأحجار الخديطة بالمدينة ولمرتبة بالطين والتنب وبها ساحات لربط الخيول والحمير والإبل المستعملة في النقل وتزدهر هذه الساحات والتي تحمل مسميات منها (فندق الحمير) ، (فندق هرودة) بالحيوانات يوم السوق (الباحث مقابلة مع السيد علي عمران أحد كبار السن بالمنطقة ، 2004م).

وكان بالمدينة مهبط للطيران يقع بالقرب من الحامية ، يطلق على ذلك المهبط اسم (ساقية الطيار) وقد احتل الإيطاليون ترهونة يوم السادس من فبراير سنة 1923 ، وفي سنة 1936 بدأت مؤسسة (إنتي) الإيطالية بتنفيذ وبناء مراكز الاستيطان في المنطقة ، وتم استصلاح حوالي 5000 هكتار ، وبناء 620 مسكنًا إيطاليًا ، وحفر آبار ارتوازية بعمق حوالي 90 متر تقريبًا (أبو شهاب ، 1981 ، ص 68) ، إضافة إلى ما تم بناؤه من إدارات عسكرية وخدمات حضرية أخرى منها ما هو موجود إلى هذه اللحظة .

2. العمران الحضري بالمدينة :

اهتم المختصون من مهندسين وجغرافيين وعلماء اجتماع بالتنمية الحضرية مع بداية الثورة الصناعية التي أدت إلى تطور المدن ، وهجرة أهل الريف إليها ، وامتداد هذه المدن رأسياً وأفقياً ، وما رافق ذلك من مشاكل اقتصادية واجتماعية وبيئية ناتجة عن التوسع العثماني وانعكاساته في كثير من الحالات الدراسية، الاقتصادية والاجتماعية التي ترتكز على التجمعات الحضرية (H. Bartholoeo. 1975, p2) ، وقد بدأت ظاهرة التحضر في الانتشار الواسع في العقد الأخير من القرن الثامن عشر ، حيث زاد حجم السكان الحضري خلال القرنين التاسع عشر والعشرين على عدة مراحل مرت بها العديد من المدن الغربية .

والملاحظ أن النمو السكاني والنمو الحضري تزامنا في العالم المتقدم مع التطور الصناعي والعلمي والتكنولوجي ، وهذا ما افتقرت إليه مدن الدول النامية في نموها السكاني ، حيث كانت الزيادة السكانية كبيرة ولم يصاحبها تطوير صناعي وتكنولوجي . ورغم أن ثلثي سكان العالم يعيشون في هذه الدول إلا أن نموها السكاني لم يلق ما لقيه نمو سكان الدول المتقدمة من اهتمام ، وقد واجهت البلدان النامية تغيرات كبيرة في نموها الحضري ، ويرجع السبب الرئيسي في نموها إلى ارتفاع معدل النمو للسكان الحضري ، حيث يتضاعف عدد سكان المدن الكبيرة فيها كل حوالي 14 سنة ، وقد شهدت مدن Libya عاماً نمواً حضريًا سريعاً في النصف الأول من القرن الماضي ، ففيما كانت نسبة السكان الحضري في سنة 1911 تمثل حوالي 7% يتمركزون في أربعة مدن وهي طرابلس التي كان يسكنها ما بين 20 – 50 ألف نسمة ، ثم بنغازي ومصراتة والزاوية والتي كان يسكن كل منها ما بين 5 – 20 ألف نسمة .

وقد أكد بعض الباحثين منهم، المصراتي والقزيري، على أن معدل النمو الحضري بالبلاد في تلك الفترة كان أسرع من نمو سكان البلاد بكمالها ، حيث وصل معدل نمو سكان الحضر 5.3% بينما زاد مجموع سكان البلاد بمعدل 2.1% في الفترة ما بين 1911-1954 (المصراتي ، 1986 ، ص68).

وفي تعداد سنة 1954 تبين أن خمسة مدن أخرى فاق تعداد سكان كل منها 5000 نسمة ، وقد ارتفعت نسبة السكان الحضر إلى حوالي 25% من مجموع سكان البلاد ، وقد شغل سكان الريف ما نسبته 49% ، والنسبة المتبقية 26% تمثلت في السكان الرُّحل وشبيه الرُّحل (المصراتي ، 1986 ، ص68) ، ولللاحظ على الفترة اللاحقة بعد 1954 انخفاض معدل النمو السكاني مقارنة بمعدل النمو الحضري ، والسبب راجع إلى الهجرة من الأرياف إلى المدن من ناحية والأسباب السياسية المتمثلة في مخلفات الاحتلال الإيطالي وال الحرب العالمية الثانية من ناحية ثانية .

وشهد النصف الثاني من القرن العشرين ارتفاعاً ملحوظاً في نسبة السكان الحضر وبعد أن كانت حوالي 25% سنة 1954 إرتفعت إلى 45.7% سنة 1964 ، ووصلت نسبة السكان الحضر إلى 68.7% في سنة 1984 وبتجاوزت 88% بعد سنة 1995 (القزيري ، تحرير أبو لقمة ، و القزيري ، ص420) ، غير ان تقديرات الأمم المتحدة أكدت بأن نسبة التحضر في سنة 2006 بلغت حوالي 86% ، وإرتفاع مستوى التحضر بشكل سريع ، ويرجع السبب في ذلك إلى استقلال البلاد سياسياً واكتشاف النفط واستثمار عوائده، وبالتالي التحسن الكبير في المجالات الاقتصادية والاجتماعية ، وتم التركيز في عملية التنمية على المراكز الحضرية ، وتحسين مستوى الخدمات ، والتي من بينها الخدمات الصحية مما قلل من معدلات الوفيات خاصة بين المواليد بسبب الأمراض ، ودفع توفر الخدمات وقيام المنشآت الاقتصادية في المدن سكان الريف والمهاجرين خارج البلاد أيام الاحتلال إلى العودة والتوجه إلى المدن بحثاً عن معيشة أفضل وفرص عمل جيدة ، وقد كانت مدينة ترهونة من بين المدن حديثة النشأة والتي كان اغلب سكانها يتصرفون بالترحال وعدم الاستقرار ، ونشأت مدينة ترهونة كالكثير من مدن العالم حول موارد المياه ، حيث استقر سكانها بالقرب من مجموعة الآبار التي كان يطلق عليها اسم (البويرات) ، وكذلك بالقرب من مساقط مياه الشرشاراة (الشلال) .

وبدأت المدينة بالتطور والنمو بشكل مكثف بعد ظهور النفط في فترة الستينيات من القرن العشرين، وأصبح لها دور إداري وخدمي نظراً لموقعها الماهم ، ومناخها وتربيتها الملائمين وهذا ما دفع بها إلى النمو ، حيث كان يقطنها حوالي 2400 نسمة سنة 1966 ، وارتفع العدد ليصل إلى حوالي 10000 نسمة سنة 1973 ، و حوالي 12000 نسمة في سنة 1980 (بولسيرفس ، 1980 ، ص23).

وقد وصل عدد سكان مدينة ترهونة بمحالاتها الحضرية الأربع الأكواو وسيدي احمد والشرشاره والبلدية إلى حوالي 26269 نسمة سنة 1995 ، وقدر عددهم سنة 2000 بنحو 30025 نسمة (تقديرات مكتب الإحصاء والتعداد فرع النقاذه ، اعتماداً على معدل النمو السنوي بين تعدادي 1984-1995) ، ووصل عددهم في تعداد سنة 2006 إلى حوالي 34205 نسمة.

ويرجع السبب في النمو المتسارع لمدينة ترهونة إلى عوامل عدة ، أهمها الهجرة والزيادة الطبيعية ، فعمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها البلاد خلال فترة الستينيات والسبعينيات وحتى الثمانينيات ساعدت على نشأة ونمو المراكز الحضرية حيث أنشئت الكثير من المرافق السكنية والخدمة ، واتسعت الرقعة الحضرية ، فقد كانت مساحة مدينة ترهونة تقدر بنحو 151.4 هكتار سنة 1980 وزادت لتصل إلى حوالي 687.5 هكتار سنة 2000 (بولسيرفس ، 1980 ، ص24 ، ص61).

جدول (1) المساحات الحضرية لبعض المدن الليبية لستي 1980-2000 ف

المساحة بالهكتار		المدينة
2000	1980	
19236.5	10271.3	طرابلس
12200	4500	بنغازي
1750	292.8	درنة
8381	2611	مصراته
2660	982	البيضاء
1110	461	غريان
2270	678.8	الزاوية
*687.5	*151.4	ترهونة
1197	707.5	سرت
1012	250.8	بني وليد

المصدر: سعد خليل القريري ، (التحضر في ليبيا) في كتاب الجماهيرية دراسة في الجغرافيا ، الدار العربية للنشر والتوزيع والإعلان سرت 1993 ص 440 . * تقديرات المكتب الاستشاري لشركة بولسيروفس فاديكيو .

أ. أنماط العمران الحضري:

وفي المجال العمراني تم إنفاق مبالغ طائلة في سبيل تنمية مختلف القطاعات وأهمها البنية التحتية ، حيث تم إنشاء أحياء سكنية متكاملة في غرب المدينة وشرقها ، منها المتعدد الطوابق (العمارات) والمساكن الشعبية ، وتمثل هذه المباني أكثر من ربع المباني السكنية بالمدينة ، كما تم منح القروض السكنية للمواطنين مما زاد في التوسع في بناء مساكن متباعدة في طرازها المعماري فمنها المساكن الأرضية الصغيرة ومنها المباني متعددة الطوابق والكبيرة المساحة .

صورة (1) أنماط المنازل الخاصة بمدينة ترهونة .



. المصدر: تصوير الباحث ، 2004 .

وتنتشر هذه المباني في وسط المدينة وأطرافها خاصة الجهة الجنوبية والغربية ، وتم تنمية وتطوير الوحدات الخضراء الخدمية المتمثلة في الخدمات الإدارية والتعليمية والصحية وغيرها من المرافق الخدمية ، وتمثل أهم الوحدات الخدمية بالمدينة في الوحدات التالية :

مركز المدينة القديم :

ويشمل المرافق التسويقية والخدمات العامة ، إلا أن جزءاً كبيراً منها تم هدمه ، وحل محله حدائق ومباني أخرى بجوار الطريق الرئيسي الذي يمر بمنتصف المدينة .

الوحدات الإدارية :

وتشمل في المجمع الإداري والمباني العامة مثل مبنى البلدية الذي يشمل أمانة المرافق الآن والسجل العقاري والمصرف العقاري والمركز الثقافي والحكمة ، وتقع هذه الوحدات متباينة في الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة . صورة (2)

صورة (2) مركز الشرطة وسط المدينة .



. المصدر: تصوير الباحث ، 2004 .

- وحدات الخدمات التعليمية والصحية :

تتركز هذه الوحدات قرية من بعضها وأهمها العيادة الصحية الجماعة والمستشفى المركزي وبعض المؤسسات التعليمية لمختلف مراحل التعليم .

وبعد هذا التطور في العمران والاتساع في مساحة المدينة انعكاساً لطابع حضري قوي من حيث النمو والاتساع والانتشار بأطراف المدينة مما أوجد علاقة وظيفية للمدينة تجاه إقليمها ومجاولاتها .

وبمقارنة الصور الجوية للمدينة في فترات السبعينيات والثمانينيات والصورتين الفضائيتين في سنتي 1990 و 2005 في الخريطة (2) يتضح الفارق الكبير في وضع المدينة من حيث العمران ونمطه والأراضي الفضاء التي تم استغلالها عمرانياً ، كما تظهر كذلك المباني التي كانت قائمة بالمدينة ، والتي تم هدمها واستغلال أراضيها في الأغراض الحضرية من مبانٍ وطرق عند تنفيذ المخطط الحديث ، كما يمكن ملاحظة التطور الواضح في مساحة المدينة ، في بينما كانت مساحتها سنة 1980 حوالي 151.4 هكتار تطورت هذه المساحة لتصل إلى حوالي 1020 هكتار حسب مساحة المدينة المقدرة من الصورة

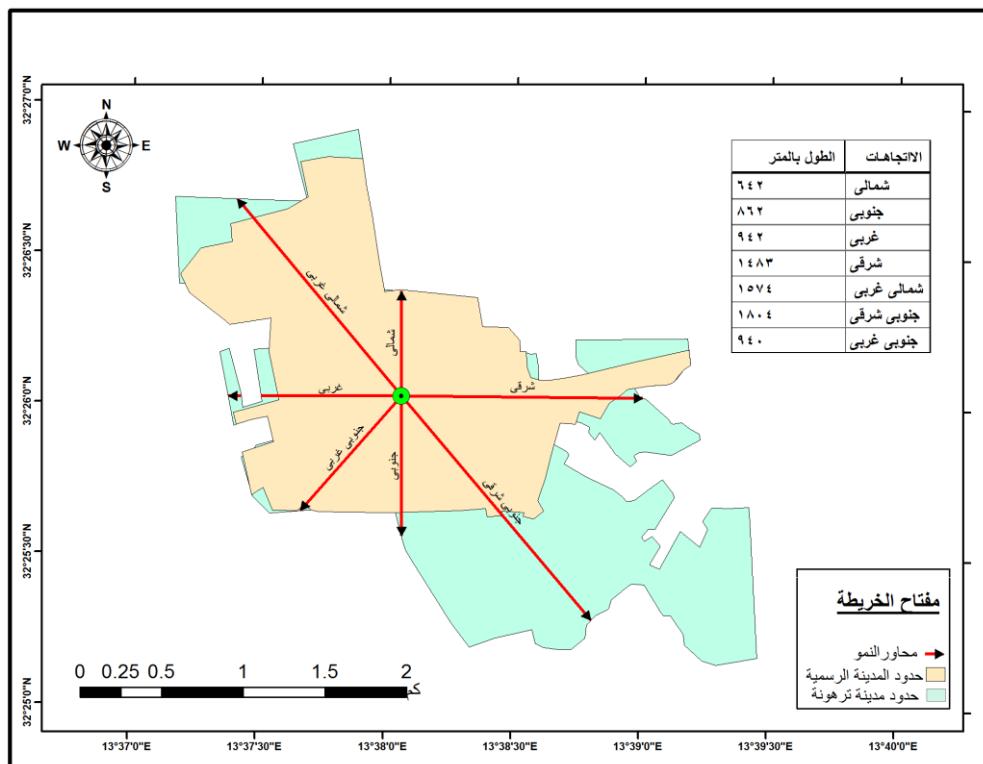
الفضائية لسنة 1992 ، وُقدرت مساحتها من الصورة الفضائية لسنة 2001 بحوالي 1355 هكتار .
ويتضح من خلال ذلك أن مدينة ترهونة آخذة في النمو الحضري السريع .
ب. أشكال النمو والتطور الحضري واتجاهاته بمدينة ترهونة :

إن أشكال النمو والاتساع المكاني للمدن تعد ظاهرة يمكن قياسها في الغالب بما كانت عليه قديماً وما هي عليه في الوضع الراهن ، ويتحدد الاتساع المكاني الناتج عن التزايد العمراني عدّة أشكال أولها النمو المشتت "scattered form" وثانيها النمو الشريطي بأطراف المدينة "strung out pattern" ، الذي يمتد بمحاذاة الشوارع الرئيسية المتفرعة من وسط المدينة إلى أطرافها ، غالباً ما يحتاج الأحزمة الخضراء والأراضي الزراعية بأطراف المدينة ، والشكل الثالث النمو النووي "nucleis form" الذي يظهر على شكل حلقات في المباني التراثية .

وتظهر هذه الأشكال الثلاثة من النمو في مدينة ترهونة ، خاصة في الضواحي والتجمعات السكنية والخدمية المنشأة حديثاً ، فيظهر الشكل المشتت في الأطراف الجنوبية من المدينة ، والشكل الشريطي في الأطراف الشرقية بمحاذاة طريق الحضراء ، والشكل النووي يتّضح جلياً في الأطراف الشمالية والغربية من المدينة .
وتوضح الخريطة (2) وضع المدينة والميكل العام لمبانيها ومورفولوجيتها ، وقد طغت الأشكال السابقة من النمو على حدود مخطط المدينة بحيث احتلّت استعمالات الأرض الحضرية بمحاورات المدينة من التجمعات الريفية والأراضي الزراعية ، وتؤثر الزيادة السكانية وما يصاحبها من تباينات اجتماعية وتتطور في التقنية وخاصة في مجال النقل والمواصلات والاتصالات في تداخل استخدامات الأرض الحضرية بالأراضي الريفية والزراعية ، ويؤدي كذلك إلى انتشار بعض الخدمات التي تظهر بوضوح في تلك المناطق ، وأكثر آثار الزيادة السكانية وضوحاً هي تلك التباينات المورفولوجية بين المبني القديمة الطراز والحديث منها (بولسيرس ، 1980 ، ص141) ، ويسهم توزيع وكثافة استعمالات الأرضي بوسط المدينة وأطرافها في اتخاذ النمو العشوائي لشكل معين دون آخر . (Boyce . and Other , 1972 , p 353) ، فيبينما تؤدي الكثافة المرتفعة في استعمالات الأرض بالمدينة إلى الانتشار بشكل مشتت كما هو الحال في الأطراف الجنوبية والشرقية من المدينة ، وبشكل منظم كما في الأطراف الشمالية ، ويؤدي التوزيع المنظم في استعمالات الأرضي الحضرية بالمدينة إلى النمو الموجه المخطط ، أما فيما يتعلق بالاتجاهات العامة لنمو المدينة فإن الاتجاهين الأساسيين لنمو مدينة ترهونة هما الشمال والجنوب ، والسبب في ذلك يرجع إلى ظروف البيئة الطبيعية حيث تحول الحواف الجبلية الشرقية دون نمو المدينة في ذلك الاتجاه ، كما منعت

الأراضي الزراعية المتمثلة في بساتين الزيتون واللوز بالمنحدرات الغربية للمدينة من النمو في ذلك الاتجاه ، وتحد الأراضي الزراعية لمدينة من ناحية الجنوب العربي ، وتوضح الخريطة التالية محاور واتجاهات نمو المدينة .

خريطة (3) محاور نمو مدينة ترهونة.



المصدر اعداد الباحث بناءً على حدود المدينة التي حددتها البلدية والحدود الفعلية لمدينة ترهونة

ويظهر من خلال الملاحظة العينية النمو السككي العشوائي في ذلك الاتجاه ، كما أن مخطط المدينة لعام 2000 المعد من قبل مؤسسة بولسيروفس يهدف إلى تحويل اتجاه النمو الحضري للمدينة ناحية الجنوب بينما لا يلق هذا الاتجاه قبولاً كبيراً من قبل المواطنين ، حيث أقيم حي جديد فيما لا يتجاوز الأربع سنوات في الجهة الشمالية خلف المستشفى ، وقد يكون السبب في ذلك راجع إلى الرغبة في القرب من الخدمات ومركز المدينة ، فالم منطقة الجنوبيّة تكاد تكون معزولة عن وسط المدينة ، حيث تحيط المنطقه الخاصة (العسكر) والخدمات الإدارية بوسط المدينة تلك الجهات عن مركز المدينة المتمثل في شارع

الانطلاق وشارع الشرشارية ، كما أن مركز قبيلي الدوائم والناعجة في تلك المنطقة بطابعهما الريفي ، وإقامة مشروع تأصيل الدواجن في منطقة الحزام الأخضر التي من المفترض أن تشكل حدود المخطط الجنوبي لا يحفزان على نمو المدينة في ذلك الاتجاه ، وبصفة عامة نجدها تنمو بشكل عشوائي في أغلب الاتجاهات صورة (3) .

صورة (3) مبني سكني في أحد الأحياء الحديثة جنوب المدينة .



المصدر: تصوير الباحث ، 2004 .

3. مقرح لحل مشكلة نمو المدينة على حساب الاراضي الزراعية المحاطة بها :
كحل لمشكلة نمو مدينة ترهونة على حساب الاراضي الزراعية المجاورة لها فإن الخريطة (4) والتي تم اعدادها بالأخذ في الاعتبار اربعة شروط لنمو العمران هي :
أ. ارتفاعات السطح بالمنطقة ومايتعلق بذلك من وعورة واتجاه للانحدار بما يتواافق مع امكانية البناء والتوسع العمراني .

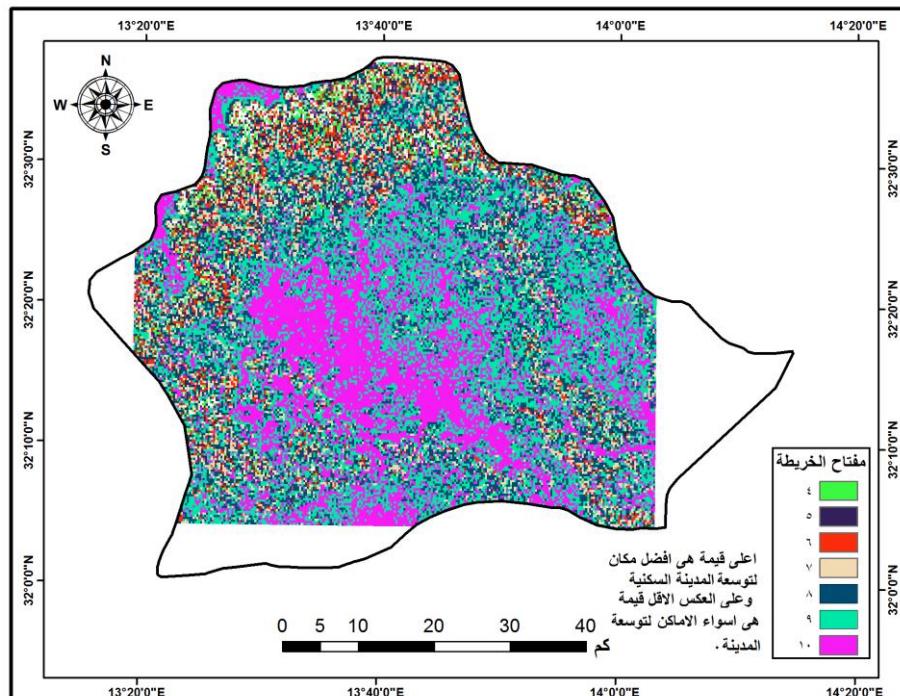
ب. توزيع الانشطة الزراعية وهذا ذو اهمية كبيرة لأنه من اجل ذلك قام مقترن البحث عن اماكن ملائمة للعمان لا تؤدي الغطاء النباتي الطبيعي والمزروع بالمنطقة .

ج. توزيع شبكة تصريف المياه بالمنطقة من اجل تفادي التوسع العماني بالمنطقة في مناطق اخطار السيول والفيضانات وما يتبع عنها من مشاكل بيئية .

د. شبكة الطرق ولا يمكن اغفال دور الطرق واهيتها الكبيرة في توزيع العمان وكثافته بسبب ما تؤديه من مهمة ربط المراكز العمرانية سواء داخل منطقة الدراسة او خارجها .

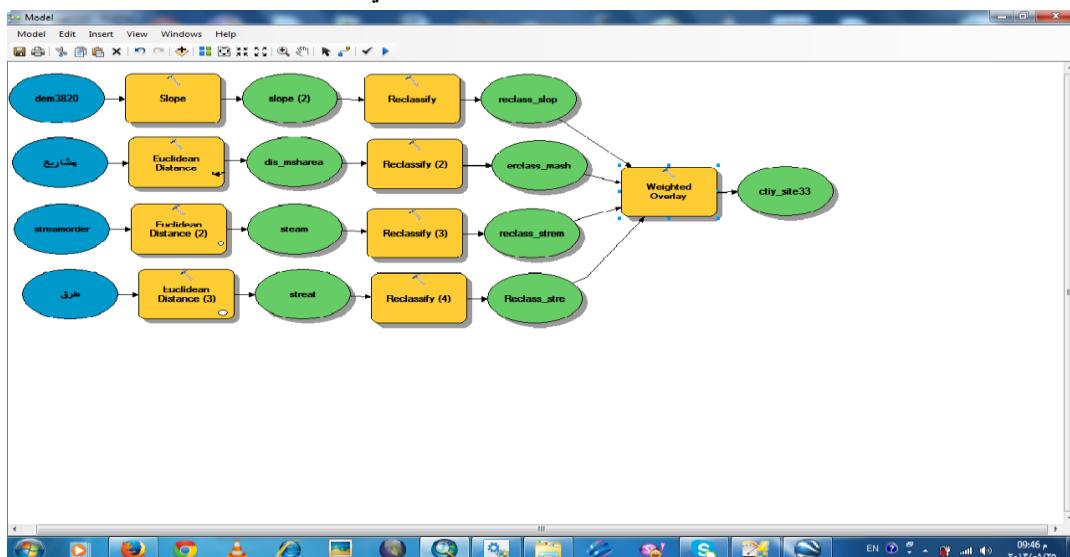
والى جانب هذه الشروط الاربعة التي يقوم عليها اقتراح الموقع المناسب للعمان بمدينة ترهونة فإن هناك بعض العوامل الاخرى التي لا يمكن اغفال دورها في توزيع العمان بالمنطقة كالملاحة والجيولوجيا والتربة وغيرها ، غير ان دور هذه العوامل الاربعة بعد اكثراً تأثيراً واشد ارتباطاً بالعمان .

خريطة(4) الاماكن الملائمة لنمو وتطور مدينة ترهونة ومراكز العمان الاخرى بمنطقة الدراسة.



المصدر : اعداد الباحث من خلال المرئية الفضائية لسنة 2005 ، عن طريق برنامج Arc " GIS.10.1 " .

شكل (1) نموذج او تصميم "modeling" للخطوات المتعددة لتحليل المرئية الفضائية لسنة 2005 ، من اجل اختيار الاماكن المناسبة لنمو وتطور مدينة ترهونة في منطقة الدراسة .



المصدر : اعداد الباحث من خلال برنامج " Arc GIS.10.1 " .

نتائج تحليل خريطة الاماكن الملائمة لنمو وتطور العمران في مدينة ترهونة :

وبتحليل خريطة الاماكن الملائمة لنمو وتطور العمران في مدينة ترهونة تبين ان افضل اماكن نمو العمران تتذكر في اغلبها في الجزء الجنوبي الغربي من وسط منطقة الدراسة اي جنوب المدينة بمسافة تتراوح بين 6 الى 10 كم تقريباً ، وهذا ايجاز لمجموعة من المميزات التي تقترب الدراسة ان تنشأ بموجبها مدينة يمكن ان يطلق عليها "مدينة ترهونة الجديدة" وفق شروط تتوافق مع ما يعرف بالمدن الصحية أو البيئية ، ومن أهم هذه المميزات التي تجذب السكان وال عمران لهذا المكان :

1. ايجاد نشاط صناعي او تجاري او خدمي ، وبالنسبة لمنطقة الدراسة فإن البدء في انشاء مركب حامعي في ذلك المكان ووجود مصنع الاخذية المتوقف هناك قد يشكل سبب جذب للعمران .
2. وجود اراضي فضاء ملك للدولة في ذلك المكان بامكانها استغلالها في انشاء مخطط عمراني عليها كما أن اسعار الاراضي هناك لم تصل الى ما هي عليه بالقرب من المدينة ما يشجع على امكانية شراء الدولة للأراضي واستعمالها في توسيعة ذلك المخطط.
3. قرب مصادر المياه المتمثلة في محطة توزيع المياه ومنضومة النهر الصناعي .

4. قرب محطة معالجة مياه الصرف الصحي من الموقع المقترن مما يوفر الكثير من الجهد والمال مقارنة بموقع المدينة الحالي الذي يتم تجميع مياه الصرف الصحي في صهاريج ارضية شمال المدينة ثم ضخها لمسافة 8 كم جنوب المدينة الى محطة المعالجة المذكورة بواسطة مضخات .
5. وجود شبكة طرق جيدة تربط المكان المقترن للمدينة بمعظم اطراف منطقة الدراسة الامر في اتجاهات عدّة وكذلك تسمح بنية المكان من تضاريس وترى بإنشاء شبكة طرق نموذجية .

خلاصة :

بناء على ما تم التوصل إليه لوضع المدينة من مؤشرات اقتصادية وبيئية كانت وراء نشأة وتوسيع الحيط الحضري أهمها حركة التجارة وموارد المياه والنشاط الزراعي والرعوي للريف الحيط بالمدينة قدماً إلى الاسباب الديموغرافية المتمثلة في الزيادة الطبيعية والمحجرة من الريف المجاور كعامل رئيسي للنمو الحضري ، وقد عملت بعض الظروف الطبيعية والبشرية لإتخاذ ذلك النمو اتجاهات دون غيرها، وخلص هذا البحث إلى أن منطقة الدراسة تعاني من غياب الخريطة الموجهة للنمو الحضري والتي اثرت في شكل العمران الحضري ونسقه واتجاهاته نتيجة لطبيعة السطح والغطاء النباتي الطبيعي والمستزرع خاصة حقول الزيتون الحبيطة بالمدينة .

المراجع :

1. أبوشهاب ، محمد علي ، مراحل الاستعمار الإيطالي في ليبيا 1911-1943. مجله الشهيد، العدد 2 أكتوبر 1981م.
2. أبولقمة، الهادي مصطفى، القريري، سعد خليل، الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ، 1995 م.
3. بولسيرفس - ترهونة المخطط الشامل 2000 التقرير النهائي تقرير ط ن 40 وارسو بولندا 1980 م.
4. ديمون ، جون ، من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا 1911م، تحقيق وترجمه وتقديم محمد عبدا لكريم الوافي دار الفرجاني طرابلس ، بدون سنة نشر .
5. الزاوي ، الطاهر احمد ، معجم البلدان الليبية ، مكتبة النور ، طرابلس ، 1968
6. شرف ، عبد العزيز طريح ، جغرافية ليبيا ، مؤسسة الثقافة الجامعية الاسكندرية ، 1962م.
7. كاوبر ، هـ . س ، تعريب أنيس زكي حسن ، مرتلع آلات مكتبة الفرجاني، بدون سنة نشر.

8. المصراتي ، احمد. تحويل الأراضي للاستعمال الحضري أثره وطبيعته في ليبيا ، مجله الفكر العربي معهد الإنماء العربي، العدد 43 بيروت ، 1986 م.
9. مكتب الإحصاء التعداد منطقة النقازة تعدادي 84 – 1995 .
10. موسى ، تيرسين ، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني ، الدار العربية للكتاب ، 1988 .
11. ناجي ، محمد ، محمد فوزي ، طرابلس الغرب ترجمه أكمـل الدين محمد إحسان دار مكتبه الفكر طرابلس ليبيا 1973 م .
12. مقابلة مع السيد علي عمران أحد كبار السن بالمنطقة ، بتاريخ 26/2/2004 م .

المراجع الاجنبية :

1. Bartholoeo. H. “The land use survey” – inmaye, n.m, Kohn EF, reading in urban graphy. (eds) , 1975 .
2. Boyce , R. and Other , Socio – economic mode is in Geographic London , 1972 .
3. Oates . The Tripolitania Gebel settlement of the roman Period Around Gaser Eldauun , Tripoli . 1951 .

النبات الطبيعي (سيدي عمير-قصر اخيار-غنيةمة) نموذجاً

أ. علي محمد نجاح

كلية الآداب والعلوم-قصر الاختار / جامعة المرقب

الملخص:

ت تكون الحياة النباتية في منطقة الدراسة من نباتات بعضها دائم الخضرة كالأحراج والشجيرات، وبعضها فصلي ينمو في موسم الأمطار، وبعضها الآخر حولي ينمو في فصل المطر ثم يجف في فصل الجفاف، ولكن جذوره تبقى في الأرض حتى تعاود نموها من جديد عند حلول فصل المطر اللاحق. وبشكل عام فإنّ منطقة الدراسة توجد بها الكثير من المراعي الطبيعية والغابات وبالخصوص على الشريط الساحلي في غرب المنطقة. وتأثر عوامل مختلفة في توزيع النباتات الطبيعية مثل المناخ والتربة والتضاريس، وهناك عوامل تؤثر في حياة النبات من حيث نموه وتكتئره وفترة إزهاره وجفافه. وهي تضم التوزيع الفصلي للحرارة والتوزيع الفصلي للمطر ونوع التربة والتضاريس، فيما يتعلق بالمناخ فإنّ العناصر المناخية السائدة في منطقة الدراسة لها دور في توزيع النبات الطبيعي واختلاف تواجده بين فترة وأخرى، أما التربة فهي العامل الثاني في التأثير لأنّها تستمد خواصها من المناخ، فقد تتدخل في نمو النبات لمحتوها من الرطوبة وبالتالي تباين كثافة النباتات وانتشارها في ترب مختلفة، لذلك ينمو نبات الرتم والحميضة والشيح في الترب الرملية والطينية، بينما توجد نباتات المثان والبلوز في الترب الملحيّة والحجيرية، والعامل الأخير المؤثر في توزيع النبات هو القرب والبعد عن ساحل البحر. وعموماً فإنّ نباتات منطقة الدراسة متباينة في الشكل والتركيب فهي في العادة عبارة عن حشائش قصيرة متفرقة سريعة النمو وقصيرة العمر ولكنها تميز بعدها مميزات تمكنها من التكيف مع ظروف بيئتها الطبيعية المحلية مثل الديس والسبط اللذان يتمتعان بأوراق إبرية، ونبات الرتم يتمتع بجذور تعمق في التربة بمحلاً عن المياه، ونبات الصبار يحمل أوراق تخزن العصارة للتحايل على الجفاف، ونبات الفرعون جذوره درنية والمثان يتمتع بأوراق صغيرة وخيطية.

التمهيد

في منطقة الدراسة تنقسم النباتات إلى نباتات إقليم ساحلي استبس بحري مثل الصبار والبلوز والقزاح، أما نباتات الإقليم الداخلي استبس صحراوي وتمثل في نبات شوك الإبل والخرشوف البري والشديدة (عمر، 2003، 15). كما تلعب التضاريس دوراً هاماً، ولكن على المستوى المحلي في توزيع صور الأحياء النباتية وطبيعتها، كما تؤدي المناطق العالية إلى انخفاض في درجات الحرارة مما يعطي للبيئة المرتفعة ظروفًا رطبة مغايرة إلى حد ما عن المناطق المنخفضة المجاورة، وما يصاحب هذا من اختلاف في صورة الأحياء النباتية. هذا وتلعب الأحواض والأودية دوراً مهماً في تنوع الأحياء النباتية، ففي المناطق الجافة وشبه الجافة تصبح المنخفضات (الأحواض والأودية) مناطق تجمع لأكبر قدر ممكن من الرطوبة بالقياس مع المناطق المجاورة. كما يعتبر الانحدار عاملاً طبغرافياً هاماً ومؤثراً في نمو النباتات وتنوعها، إذ تميل السفوح شديدة الانحدار إلى أن تكون أكثر جفافاً من السفوح الأقل انحداراً، ويرجع السبب في ذلك إلى أن السفوح شديدة الانحدار تعمل على انسياط وجريان المياه فوق السطح بسرعة، ومن ثم لا تتيح الفرصة لمياه التساقط لكي تتوجل أو تتسرب بكثرة داخل مسامات التربة.

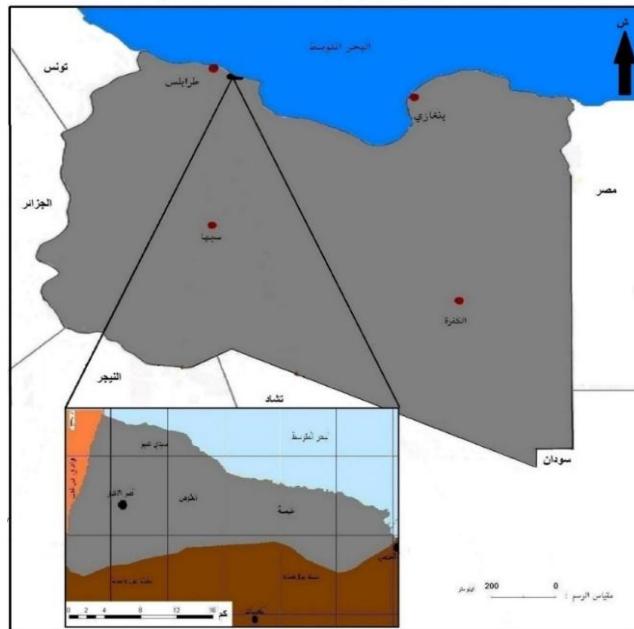
• الموقع الجغرافي:

تقع منطقة الدراسة في الجزء الشرقي من إقليم سهل الجفارة. ويحدها من الشمال البحر المتوسط، ومن الجنوب سلسلة جبال ترهونة ومسلاته، ويحدها من الشرق رأس المسن، ومن الغرب وادي ترغت.

• الموقع الفلكي:

تقع منطقة الدراسة بين دائري عرض (30°S) و (32°S) شمالاً، وبين خططي طول (14°E) و (15°E) شرقاً.

الخريطة رقم (1) موقع منطقة الدراسة بالنسبة لليبيا



المصدر : عمل الباحث بالاعتماد على الأطلاس الوطني ، أمثلة التخطيط ، مصلحة المساحة ، ص 101 .

• الدراسات السابقة

تناول غبور (1992) (غبور، 1992م، ص 46) في دراسته بعنوان ((صيانة البيئة والموارد الطبيعية))، وقد تعرضت هذه الدراسة إلى الحلقات الغذائية في النظام البيئي، وأشارت إلى عملية انتقال الطاقة بين الحلقات.

وقد أجرى الدقاد (1994) (الدقاد، 1994م، ص 71) دراسة بعنوان ((اقتصاديات حماية البيئة في الإسلام))، حيث اتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وذلك لتحقيق أهداف الدراسة، وإظهار المنهج الإسلامي المتكامل في حماية البيئة، والحفاظ عليها وتنميته مواردها، وتعزيز المتضرر منها نتيجة إساءة الاستخدام والاعتماد على الضوابط والقواعد الفقهية.

وفي دراسة أخرى قام بها غرادي في سنة (2009 م) (غرادي، 2009م، ص 23) تناول فيها ((وضع المراعي الطبيعية في شمال غرب سهل الجفارة ومدى تأثيرها على الحياة الحيوانية)) حيث أشار بأن المنطقة تشهد ظروفاً طبيعية قاسية كان لها التأثير على المراعي الطبيعية من حيث الزيادة والنقصان وكما أوضح بأن الأمطار من أهم العوامل التي تحكم في التوزيع المكاني للمراعي خاصية أن أمطار المنطقة في تناقض مستمر مما أثر بدوره على الحياة الحيوانية وكما أشار أيضاً بأن المراعي الطبيعية في تدهور مستمر نتيجة للظروف الطبيعية القاسية من قلة أمطار وإرتفاع معدلات درجة الحرارة مما أدى إلى احتفاء العديد

من النباتات المأمة بالنسبة للإحياء الحيوانية وكما أكد بأن الغطاء النباتي أصبح لا يلبي الاحتياجات الغذائية للحيوانات وأن أغلب المزارعين يعتمدون في تغذية قطعائهم على الأعلاف نتيجة لعدم جودة المراعي بالمنطقة.

• الدراسة التصنيفية للغطاء النباتي في منطقة الدراسة

تصنّف النباتات إلى نباتات زهرية ونباتات غير زهرية، وتنقسم النباتات الزهرية إلى نباتات ذات الفلقة الواحدة ونباتات ذات الفلقتين، وبدورها تنقسم إلى رتب وتنقسم الرتب إلى فصائل على أساس التشابه في التركيب الزهري، والعلاقات التطورية الأخرى، وكل فصيلة من الفصائل تضم عدداً من الأجناس النباتية وكل جنس يضم عدداً من الأنواع (العطيات، 1995م، ص 21).

• الفصائل النباتية في منطقة الدراسة

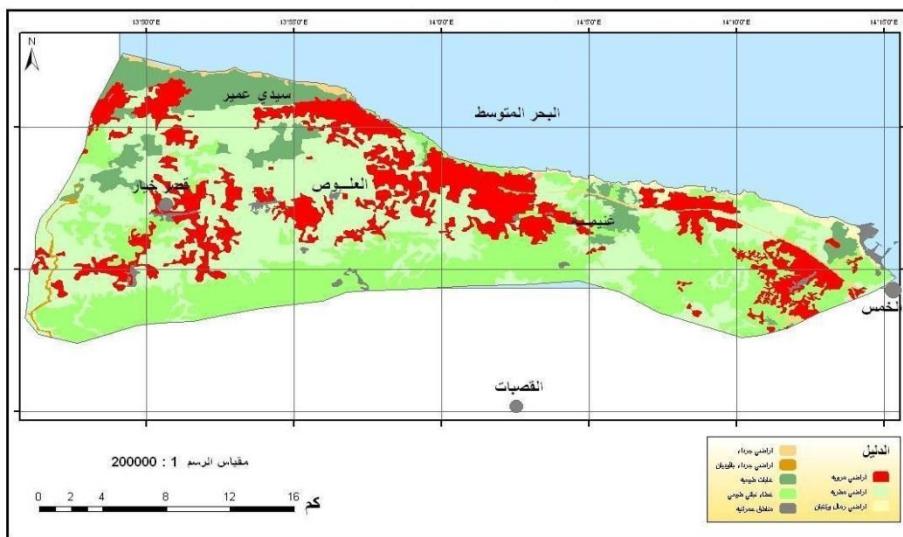
تتعدد الفصائل النباتية في منطقة الدراسة وتتنوع فيما يلي وصف إجمالي لأغلب الفصائل النباتية الشائعة في منطقة الدراسة:

1-الفصيلة الزنبقية: معظم نباتات هذه الفصيلة حولية، أوراقها لحمية سميكه شريطية ذات لون أحضر قاتم، توجد عليها طبقة شمعية لتقليل من عملية النتح، وتشمل الفصيلة على 200 جنساً، و000 نوعاً (سعد، 1994م، ص 263)، وتتكاثر بالريزومات والدرنات والكورمات والأبصال، وأهم النباتات الشهيرة التي تضم الفصيلة الفرعون والبلوز وأغلبها تنمو في التربة الرملية، وتنتشر في كافة أجزاء منطقة الدراسة.

2-الفصيلة الحريقية: نبات هذه الفصيلة عبارة عن أعشاب حولية، أوراقها متقابلة تتغطى بأوبار لاسعة توجد مادة لبنية في نسيجها، وتشمل على 42 جنساً، 600 نوع (سعد، 1994م، ص 302)، وفي ليبيا يوجد منها 4 أنواع و 11 نوعاً (الشف، 2005م، ص 71) معظمها ينمو في المناطق الحارة والمعتدلة مثل نبات الحريق، وتنتشر أنواع هذه الفصيلة في الشمال من منطقة الدراسة.

3-الفصيلة اللبنية: تسمى هذه الفصيلة بالبنية لأن نباتاتها تحتوي على مادة لبنية مثل نبات الخروع، وهي مختلفة، منها أعشاب البنية (العصبية) ومنها شجيرات كالخروع وتكون أوراقها مفلطحة مفصصة، تشمل 283 جنساً و 7300 نوعاً (سعد، 436) وفي ليبيا ينتشر حوالي 15 جنساً و 52 نوعاً (الشف، 2005م، ص 90) وبكثر توزيعها في المناطق الساحلية والرملية، وتنتشر على وجه الخصوص في منطقة الدراسة في الوديان وفي المناطق التي تمارس فيها الزراعة البعلية.

الخريطة رقم (2) الغطاء النباتي لمنطقة الدراسة



ال مصدر : أعداد الباحث استناداً على مشروع التغطية الزراعي ، وزارة الزراعة ، طرابلس

4-الفصيلة الخازية: معظم نباتاتها أعشاب وأوراقها راحية مفصصة، تتغطى السوق والأوراق بأوابار، والزهرة عنقودية، تتكاثر عن طريق البذور ذات الشكل القرصي، جذورها قريبة من السطح، وتشمل الفصيلة 82 جنساً و 1500 نوعاً (سعد، 1994م، ص 470) وأشهر نباتاتها نبات الخبزة الذي يكشر نموه في التربة الرملية، تنتشر أنواع هذه الفصيلة في جميع أنحاء منطقة الدراسة ويفتقر وجودها على موسم الأمطار.

5-الفصيلة المركبة: تعتبر هذه الفصيلة من أكثر العواليل النباتية رقّاً، لذلك فإنّها أكثر العائلات النباتية أجناساً وأنواعاً، إذ تضم حوالي 950 جنساً و 20000 نوع موزعة في جميع أنحاء العالم (العروسي، 1987م، ص 305) وتنتشر في منطقة الدراسة في أجزاءها الجنوبية، وتضم الشيح، عشبة الأرب، شجرة مريم

6-الفصيلة الباذنجانية: نباتات هذه الفصيلة أعشاب حولية مثل الداتوره والقنقطيط، وشجيرات معمرة مثل عكّوز موسى، أوراقها متبادلة وحافة الورقة ذات تفاصص كبير وواسع، وتشمل الفصيلة 85 جنساً و 2200 نوعاً، وفي ليبيا 10 أجناس و 24 نوعاً (الشف، 2005م، ص 96) تنتشر في التربة الرملية، وتنتشر في منطقة الدراسة في مجاري الوديان.

- 7-الفصيلة القرعية:** تكون من أعشاب حولية زاحفة، ذات سيقان طويلة، وأوراقها راحية مفصصة متبادلة مغطاة بشعرات أو زغب على الساق، والأوراق والشمار نحيط بها أجزاء متشحمة، وأغصانها زاحفة على الأرض، وتنمو معظم نباتات هذه الفصيلة في الترب الرملية تحمل الجفاف والحرارة العالية وأهم نباتاتها الحنظل والبريط، وتنشر نباتات هذه الفصيلة في منطقة الدراسة على حواف مجاري الوديان التي تخترق منطقة الدراسة مثل وادي ترغت ووادي مقدال.
- 8- الفصيلة الجيلية:** أغلب نباتات هذه الفصيلة أعشاب حولية ، سيقانها جوفاء ، أوراقها متبادلة وقواعدها مغلقة ، الزهرة سنبلة ، تضم حوالي 450 جنساً و 4500 نوعاً(سعد1994م، ص 232) منتشرة في جميع أنحاء العالم ، يوجد بها 94 جنساً ينمو برياً مثل النجم والنجليل و الزيوان والسبط والديس وتنشر في جميع أنحاء منطقة الدراسة.
- 9-الفصيلة الصليبية:** أن أزهار هذه الفصيلة تشبه الصليب وهذا سبب تسميتها بالصلبية، ثمارها خردلية، وجميع نباتاتها أكثرها حولي مثل العسلوز والجرجير البري، وتتغطى أوراقها بوبر أو زغب وشكل زهرتها عنقودية أو مشطية تبدأ موسم نموها عند سقوط الأمطار.
- 10- الفصيلة البصلية:** تحتوي نباتات هذه الفصيلة على أبصال ، تنمو تحت التربة ، الأمر الذي يساعد على بقائها مدة طويلة لا تجف ، وتشمل الفصيلة نباتات حقلية مثل البصل والثوم ، والنوع البري منها مثل القازول ، وتميز أوراقها بشكل شريطي ولوحها أخضر ، وتتكاثر عن طريق الأبصال والبذور.
- 11- الفصيلة البقولية:** تُعد هذه الفصيلة من أكبر الفصائل ، لأنها تحتوي على مجموعة هائلة من النباتات التابعة لها أشهرها الرتم ، والقندول ، والشديدة ، وأزهارها على شكل فراشي ، يختلف الطول في نباتاتها وفي شكل أوراقها فمنها الأوراق الكبيرة والرقيقة ومنها ما يكون صغيراً وجافاً ، وجذورها في بعض النباتات وتدية وهي تنتشر في منطقة سيدى عمير وغنية.
- 12- الفصيلة الحماضية:** نباتات هذه الفصيلة عبارة عن أعشاب ، والسيقان لها عقد متفرجة وقد تكون مفصلية ، ولها جذور شبيهة بالأبصال مثل نبات ضرس العجوز وأوراقها قلبية ذات لون أحضر قاتم، الشمار أحياناً تحتوي على أشواك لكي تساعدها على الانتقال ، وتشمل 32 جنساً و 800 نوع(سعد، سعد1994م، ص 316) وفي ليبيا يوجد جنس واحد فقط و 3 أنواع(الشف،2005م، ص 93) تنتشر أغلبها في المناطق المعتدلة ، وأشهر نبات الفصيلة نبات الحميض وهي تنتشر بشكل كبير في جميع أجزاء منطقة الدراسة .

13- الفصيلة الصبارية: نباتات متحشبة أو عشبية عصرية والساقي عادة لحمية عمودية أو مخروطية أو مضلعة وتقريباً شبه كروية أو أسطوانية كثيرة ما تكون ذات ضلوع منضغطة ومسطحة والوريقات مشوكة ومحترلة إلى حراشف والإزهار مفردة وجالسة وخنثي والثمرة لحمية لبية عديدة البذور عادة والفصيلة تضم 84 جنساً و 2000 نوعاً(الشف، 2005م، ص 73) وفي ليبيا يوجد جنساً واحداً وثلاثة أنواع مزروعة وتوجد على الطرق في جميع أنحاء منطقة الدراسة .

وتتعدد النباتات الطبيعية في منطقة الدراسة من حيث توزيعها المكاني ، ففي الشريط الساحل ينمو استبس بحري مثل القازول والقندول والبلوز ، وفي الغالب تكون حولية والبعض منها فصيلية ، وفي المنطقة الوسطى يكثر نمو نباتات السبط والديس لوجود الكثبان الرملية ، أما في المسافات البعيدة عن الساحل تنمو نباتات الإستبس القاري (الصحراوي) التي تميز بقدرتها على تحمل الجفاف ، وأهم هذه النباتات الرتم والشعال وشوك الإبل.

ويوجد في المنطقة عدد هائل من الحشائش الموسمية التي سرعان ما تجف بانتهاء موسم سقوط المطر ، وأهم خصائصها قدرتها على تحمل ظروف المناخ ، ومن هذا المنطلق تم تقسيم نباتات المنطقة إلى:

1 - نباتات دائمة الخضرة. 2 - نباتات موسمية. 3 - نباتات ملحية.

أولاً. النباتات دائمة الخضرة:

تنقسم النباتات إلى نوعين منها المقاوم للجفاف والآخر المتحمل له ، وإن اختلفت الطرائق التي تتبعها النباتات لكلا النوعين ، لكي تحافظ على بقائها حية طول العام خاصة خلال فترات الجفاف الشديد ، نجد أن النوع الأول يقوم بالتلليل من معدلات التبخر بنفاذ أوراقه وإحلال أشواك بدلاً منها ، أو تكون أوراقه سميكة مغطاة بشعرات ، أو بتعقيم جذورها في التربة رأسياً أو طرحها أفقياً لاستفادة بكميات أكبر من الرطوبة ، أما النوع الثاني : المتحمل للجفاف فهو الذي يستطيع البقاء جافاً ويبدو كأنه فقد الحياة لفترة طويلة ، ويكون شكل سيقانه كأنها خشبية قاسية ومجعدة تنمو وتزهر عند موسم الأمطار ، وتأخذ اللون القاتم أثناء الجفاف أو تأخذ الشكل التقرمي لتشابه على الجفاف(جودة، 1996م، ص 260). ومن أمثلة هذه النباتات في منطقة الدراسة ما يلي:

1- نبات التقفت (الشعال): *Artemisia campestris* وهو نبات شجري معمر ينتمي إلى العائلة المركبة ، ساقه قائم يتفرع بالقرب من سطح التربة ، طوله مابين 20-60 سنتيمتراً أو أكثر والأوراق صغيرة ومتقابلة على الساق مع وجود اذينات تابعة للورقة ، وأزهاره صفراء دقيقة تخرج من إبط الورقة، ويتكاثر

بالذور ، ويزهر في شهري يونيو ويوليو وأكثر الترب الملائمة له الترب الرملية، ينتشر في جميع الأجزاء الساحلية في منطقة الدراسة

2- نبات الرتم: *Retea taum* نبات صحراوي يتبع لعائلة القولية وينمو بكثافة في المناطق الصحراوية شبه الجافة ، وهو دائم الخضرة ، شجيري وم عمر ، يصل ارتفاعه إلى أكثر من مترين ، ذو أوراق صغيرة سريعة التساقط ، وشكل أزهاره فراشية ولوحها بيضاء، الكأس الزهري ارجواني اللون ، تحتوي الشمار على بذرة واحدة فقط، يزهر من شهر ديسمبر إلى شهر يناير ، وأناء فترات الجفاف تتحول أوراقه إلى سيقان ليقلل من عملية النتح، وينتشر في الأجزاء الساحلية من منطقة الراسة وانتشاره بكثافة عالية

3- نبات عكوز موسى: *Nicotiana glauca graham*: نبات شجري معمر يتبع لعائلة البازنجانية ، ويكثر في الأماكن المهجورة، وعلى حواف الطرق ، يصل طوله حوالي 5 أمتار ، وأوراقه بيضاوية إلى بيضاوية مستطيلة ، لونها أخضر ، وأزهاره صفراء إلى حضراء أنيبوبية الشكل ، وتوجد أزهاره في مجاميع ، ثماره علب بيضاوية مقلوبة مستطيلة ، وساقه خشبي قائم متفرع يحمل أوراق بسيطة يزهر طول العام يتواجد في مجاري الوديان.

4- نبات الديس: *Imperata cylindrical*: نبات معمر يتبع لعائلة النجيلية ، يبلغ طوله حوالي 20 سنتيمتراً ، وساقه عديدة التفرع ، والریزومات قوية النمو زاحفة ، والأوراق مفتوحة ، وشكل الزهرة دالية شبه سنبلة ، ينمو في الترب الرملية ، ويزهر من فبراير إلى مايو، يتكرّر بالریزومات. ينتشر بشكل كبير في جميع أنحاء منطقة الدراسة.

5- نبات الخروع: *Ricinus communis linn*: يعتبر الخروع من النباتات نادرة النمو، حيث تنمو في مناطق متفرقة من منطقة الدراسة، وهو من الأشجار دائمة الخضرة، يوجد نوع منها في منطقة الدراسة صغير الحجم ، وتعطي بذرة قليلة الزيت، يتراوح طوله من 1 إلى 5 أمتار(ابوزيد، 2000م، ص 72) ، أما من حيث البذرة فإنها تختلف في ألوانها فمنها الأبيض والرمادي والبني، وعادة ما توجد البذرة في مجموعات تصل في عددها إلى ثلاثة أو أربع حبات في الثمرة(ضو-محمد، 2006م، ص 93) ، ساقه خشبية قائمة جوفاء، وأوراقه مفلطحة مخصوصة، أزهاره مجتمعة في نورات، ساقه أملس ملون بألوان حضراء وارجوانية باهته وأزهاره حضراء مصفرة في شكل عناقيد.

6- نبات القندول: *Calycotome Villosa (poir)* link: وهو نبات شوكى يتبع لعائلة القولية، يتحمل الحرارة العالية والجفاف، يزهر في فصل الربيع أزهاراً صفراء ذات رائحة ركبة يصل ارتفاعه إلى حوالي 150 سنتيمتراً(الزواي، 1984م، ص 119) وينمو في ترب رملية طينية، دائم الخضرة، السيقان

تحتوي على أشواك حادة، وفترة تساقط أوراقه في شهر أغسطس إلى ديسمبر، يتكاثر عن طريق البذور التي تبقى في التراب ثم بمجرد توفر الرطوبة تنمو وتظهر على السطح، يزهر في أواخر شهر ديسمبر إلى فبراير.

7- الحنطل: *Citrullus colocynthis* ينتمي إلى العائلة القرعية، وهو نبات زاحف على الأرض، يوجد في الأراضي الجرداء، ينمو في الترب الرملية والكلسية، وهو نبات كثير التفرع، فروعه مضلعة عليها زغب، أوراقه بها تفصص مغطاة بزغب خشن الملمس، أزهاره صفراء اللون، ثماره كروية مخططة بألوان خضراء أو مصفرة، طعمها مر المذاق، يتكاثر خلال الربع وأوائل الصيف (ابو زيد، 2000م، ص 273)، وفترة تزهيره من شهر مايو إلى يونيو، وينتشر في منطقة الدراسة في مجاري الوديان وفي الشريط الساحلي . والنبات الواحد يعطي عدداً كبيراً من الشمار، وتجتمع ثماره في أواخر الصيف، وبعد من النباتات التي تحمل الجفاف إلى حد كبير بدليل إزهارها في فصل الصيف في أحاف المواقع الصحراوية (البتاني، 1992م، ص 87).

8- نبات الخروب: *Ceratonia siliqua*: شجرة كبيرة دائمة الخضرة، جذعها كبير قائم كثير التفرع، الأزهار ختنى أو مذكرة، الثمرة الغضة خضراء، ثم تصبح بنية وحلوة المذاق عند النضج، تنمو في المناطق الساحلية لمنطقة الدراسة، وهو ذو أهمية اقتصادية متميزة منذ الحضارات القديمة لشرق حوض البحر المتوسط، ويستعمل كعلف للماشية(ابو خشيم، 1995م، ص 312) ، وقد يصل ارتفاع شجرة الخروب إلى ما يقارب من 6 أمتار، وهي من الأنواع التي تحمل الجفاف (ضو-محمد ،2000م ص 91).

9- نبات السدر: *Zizyphus lotus*: شجرة صغيرة متساقطة الأوراق وعديدة الأغصان والأوراق جلدية بيضاوية متباينة وتوجد شوكتان عند كل قاعدة ورقة، أزهارها ثنائية الجنس صغيرة وصفراء اللون، أما ثمارها رطبة صفراء إلى بنية محمرة وهي صالحة للأكل وتعرف محلياً بـ (النبيق) وهي شجيرات تحمل الجفاف والتربة الجيرية والرملية الفقيرة إضافة إلى تحملها ارتفاع نسبة الأملاح في التربة (الشف، 2005م، ص 224) يمكن الاستفادة من السدر في رعي الحيوانات كالماعز والإبل التي تتغذى على أوراقه وأغصانه الغضة وثاره، كما يستخدم السدر كسياج نباتي حول المزارع، إضافة إلى استعمال أوراقه في إعداد مستحضرات التنظيف(الشف 2005م، ص 224) ، وبمثل السدر مزاعج حيدة للنحل في فترة الأزهار.

10- نبات القصبة: *Phragmites commun*: نبات حشن معمر يبلغ طوله نحو 5 أمتار، وتنمي الساق بالعقد وبائها غير متفرعة ناعمة الملمس، وأوراقها خضراء رمادية بطول 60 سم وعرض 3 سم

ومذنبة القمة غير مغطاة بالشعر ولها عروق واضحة وأعصابها تلف الساق، أما السبلة رمحية عديدة الأزهار وفترة أزهارها من شهر يناير إلى غاية شهر مايو (صالح، 1988م، ص 78)، وينمو نبات الفصبة في منطقة بطن الوادي بالقرب من الشاطئ وبالمرتفعات حيث توفر الرطوبة بالتربيه والمياه في مجاري الوادي وهو من النباتات الخبة للماء حيث يتکاثف قرب تجمع المياه في المخضضات، ويمكن الاستفاده من أوراقها في غذاء الماشية والأغنام واستعمال سيقانه في أغراض صناعية عده مثل السلال والمحصر وغير ذلك.

11- نبات السرو: *Eucalyptus* وهو عبارة عن أشجار ضخمة دائمة الخضراء، ذات أوراق تتغایر في شكلها من المستديرة إلى المستطيلة وأزهارها بيضاء وتزهر خلال فصل الربيع والصيف، وثمارها عبارة عن كبسولة (الشف، 89) متخشبة لها عنق قائم وهي نصف كروية و ذات بذور بنيّة اللون، ينمو في جميع الترب وبدرجة أفضل في التربة الطينية الطميّة العميقه، وهو يقاوم الإنخفاض في درجات الحرارة حتى 5 م و لكن لا يتحمل نسبة تركيز الحبر في التربة (الزني-عباس، 2006م، ص 178).

12- نبات الصنوبر: *Pinus* وهو عبارة عن شجرة مخروطية الشكل يصل ارتفاعها إلى 30 متراً، ذات أوراق أ'Brien، وهي تنمو في الترب الحمضية ومعدل أمطار يتراوح بين 300 إلى 350 ملم، وهو من الأنواع بطيئة النمو، كما يعتبر مقاوماً للجفاف والتربة الجيرية (الزني-عباس 2006م، ص 213)، تستخدم في تثبيت التربة الفقيرة المنحرفة وعلى امتداد الطرق والمزارع والمتربهات، بالإضافة إلى مساهمتها في التوزان البيئي من خلال امتصاصها غاز ثاني أكسيد الكربون وإنتاجها الأكسجين.

13- نبات الأثل: *Tamarix Articulata vahl*: أشجار دائمة الخضراء ذات سيقان معوجة وبعض الأصناف مستقيمة قد يصل ارتفاعها إلى 15 متراً، الأوراق صغيرة وحرشفية، أزهارها في عناقيد ذات لون أبيض، الشمرة عبارة عن كبسولة لها خصلة من الشعر عند طرفيها. وهو عادة ينمو بتربة رسليّة طينية ويعكّه النمو في جميع الترب بما في ذلك الترب المالحة ويتحمل الجفاف نسبياً تحت معدل أمطار من 220 إلى 300 ملم كما يمكن جذوره الوصول إلى المياه الجوفية (الزني-عباس 2006م، ص 248).

14- نبات البطوم: *palastina*: شجرة محلية دائمة الخضراء ويصل ارتفاعها إلى 6 أمتار (الزني- عباس 2006م، ص 12)، وتتميز بأوراق مركبة من وريقات جلدية سميكه وداكنة اللون، والأزهار مجتمعة في عناقيد وعديمة البوللات وثمارها كروية حافة ذات بذرة واحدة، وتحتمل شجرة البطوم ظروف الجفاف والتربة الجيرية تعتبر ثمار البطوم صالحة للأكل، كما يستفاد من أخشابها في صناعة الفحم وكحطب للوقود، بالإضافة إلى أنها نبات رعوي جيد وتسهم في تثبيت التربة.

15- نبات الجداري: *Rhus Oxyacantha* شجرة محلية شوكية كثيرة التفرع، أوراقها جالسة ومركبة من ثلاث وريقات، وتزهر خلال فصل الربيع بلون أصفر خضر وثماره بنية غامقة تتضمن في فصل الخريف، وينمو الجداري فوق الترب الرملية الطينية المخصوصية، وفي منطقة الدراسة يلاحظ وجوده بالقرب من مجاري الوديان حيث توفر الرطوبة بالترابة يعتبر من النباتات التي ترعاها الماشية والأغنام حيث تتغذى على أوراقه وأطرافه الطيرية الغضة والتي لها القدرة السريعة على النمو ثانية بعد أكلها، كما يستخدم في تثبيت الكثبان الرملية وتستخدم أخشابها في إنتاج الفحم كما تستعمل جذورها وحاؤها في دباغة الجلود(الزني - عباس 2006م، ص 16).

16- نبات السبط: *Stpagrostis ungens*: نبات معمر ريزومي خشبي طويل، أوراقه أسطوانية وملتفة، النوارة عنقودية مركبة ومفتوحة (الشريف، 1995م، ص 52) وهو من النباتات الرعوية التي ترعاها الماشية والأغنام وخاصة أطرافه الطيرية أثناء فصل الربيع .

17- نبات التين الشوكي: *Opuntia ficus indica var inermis* شجيرة مستوردة قد يبلغ ارتفاعها 3 أمتار وتتركب الأجزاء من عصارات مستديرة بيضوية ذات سمك يتراوح 2- 4 سم الأجزاء السفلية ملتحمة وتكون جدعاً اسطوانياً والأوراق الحقيقية والتي هي صغيرة جداً ولحمية تسقط بسرعة بعد تكونها بفترة قصيرة والإزهار صفراء جالسة كبيرة الحجم والشمار كبيرة بشكل بيضاوي وقد لوحظ من خلال الزيارة الميدانية لمجموعة الدراسة زراعته في المنطقة كمصدات للرياح. ينتشر نبات التين الأملس (المهندسي) في المناطق شبه الجافة ذات الحد الأدنى للإمطار السنوية المطلوب هو 200 مليمتر/سنة ويوجد في الأراضي ذات الترب العميقة وفي متوسط حرارة تقل عن 3 درجات مئوية(الزني - بيبوي، 40) ترعاها الحيوانات العاشبة حيث تقبل عليها الماعز والإبل والأبقار نظراً لصفة انعدام الأشواك لدى هذا النوع من التين .

18- نبات الزعتر: *Thymus* وهو من النباتات المعمرة، ويتراوح ارتفاع النبتة ما بين 15 سم – 25 سم، أغصانه كثيفة، وأوراقه صغيرة، والأزهار زرقاء أو بيضاء توجد في قمة الفروع على هيئة كتل قرنفلية الشكل، ويتركز وجوده بشكل كبير في المنطقة، حيث توفر الرطوبة، ويتركز وجوده على وجه المخصوص في منطقة الدراسة على الشريط الساحلي وفي مجاري الوديان الجافة مثل وادي مقدال ووادي غنيمة ووادي قريم ووادي بسيس حيث تتوفر الرطوبة .
ثانياً – النباتات الموسمية:

هي نباتات سريعة النمو وسريعة الزوال، معظمها أعشاب تبقى جذورها في التربة خامدة طول فترة الجفاف، وتعود إلى الحياة عند سقوط المطر في المواسم اللاحقة، وقد يكمل دورة حياته خلال شهر ونصف أو شهرين، وأهم مميزاتها أنها لا تحتاج إلى مياه كثيرة لنموها، ويتوقف طول موسمها على مدى توفر الرطوبة(جودة، 264).

ومن النباتات الموسمية في منطقة الدراسة ما يلي:

- 1- نبات عنب الدبب: نبات عشبي، يتبع للعائلة البذنجانية ، ينمو في التربة الرملية ، وينتشر في الأراضي الزراعية وعلى جوانب الطرق، ويتواءح ارتفاعه من 10 سم إلى 50 سم، جذر وتدى، ساقه قائم متفرع ، أوراقه بيضاوية رقيقة وملساء، أزهاره بيضاء في نورات عنقودية، وثماره عناقيد كروية سوداء عند النضج وخضراء قبل النضج ، تظهر أزهاره في شهر مارس ويونيو، ويتكرّر بالبذرة .
- 2- نبات العسلوز (السلطان): Mustard wild radish: نبات عشبي يتبع للفصيلة الصليبية، ينمو في فترة الربيع من كل عام، أي فصل توفر الرطوبة، يوجد في الترب الرملية، يبلغ طوله 70 سم، ساقه متفرع مغطى بشعرات وشكل الوردة أعناق قصيرة، والورقة مستطيلة لها حواف مسننة، الأوراق العليا شريطية، أزهاره صفراء تزهر عند حلول شهر يناير ومارس، ثم تتحول إلى اللون الأبيض بقدوم فصل الجفاف، بعد تساقط بذوره في التربة تبقي فيها لتنمو في الفصل المطر التالي من جديد.
- 3- نبات الفجل البري: Raphanus raphinastrum: نبات عشبي يتبع إلى العائلة الصليبية، ينمو في الترب الرملية الرطبة، يبلغ طوله حوالي 60 سنتيمتر، ساقه متفرع خالي من الشعر، أوراقه السفلية معنقة، والعليا صغيرة، أزهاره تظهر من فبراير إلى مايو، شكل زهرته عنقودية، ويتكرّر بالبذور.
- 4- نبات الخبيز: Malva parviflora: وهو نبات عشبي يتبع إلى العائلة الحباذية، ينمو في الترب الرملية، الشكل العام للنبات ساقه أفقي إلى قائم ، أوراقه كلوية مفصصة، أزهاره في جماعي عنقودية صغيرة الحجم، لوحاً أبيض إلى بنفسجي تظهر خلال فبراير إلى مايو(القاضي-عنيات، 1986، 97) بذرخها على شكل قرصي يتكرّر عن طريقها النبات.
- 5- نبات الحريرة: Urticaurens: نبات عشبي يتبع للعائلة الحريرية، ينمو في الترب الرملية والرملية الطينية، ويكون على صفين من حيث البنور منها ما يشبه ثمار التوت ومنها صغير، طوله يبلغ حوالي 20 إلى 25 سنتيمتراً، أوراقه خضراء مسننة من الحواف، لاسعة تؤلم اليد بمجرد ملامستها، أزهاره صغيرة خضراء تكون في شكل عناقيد، والثمار بيضاوية، يبدأ النبات في الظهور من شهر فبراير ويزهر في نفس

الفترة ويموت بانتهاء فصل المطر في مايو حيث تساقط البذور الناضجة وتبقي في التربة لتعود إلى الحياة في الموسم التالي.

6- نبات ضرس العجوز: *Emex spinosus*: نبات عشبي ينتمي للعائلة الحماضية، ينمو في ترب رملية، يبلغ طوله حوالي 60 سنتيمتر، الجذر وتدلي متفرع ، والساق قائم أجوف أحضر اللون، يندو قصيراً في المرحلة الأولى من النمو وبعدها يصبح مفترشاً في الأطوار المتقدمة من النمو، أوراقه السفلية قلبية وحافتها موجة أعناقها طويلة والأوراق العليا صغيرة ، قصيرة الأعناق، أزهارها خضراء، الشمرة لونها حمراء عند النضج ولها ثلاثة أشواك، يزهر من مارس إلى أبريل، ويتكرر بالبذور.

7- نبات البابونج (الفليبة): نبات عشبي يتراوح ارتفاعه ما بين 10 إلى 20 سنتيمتراً(أبو رجيع- حجاوي، 2000م، 166) ، له ساق متفرعة مائلة تنتصب فيما بعد، وله أوراق ريشية طويلة، ورؤوس زهرية تشبه زهرة الربيع، أزهاره صفراء تجتمع على رأس شبه كروي اصفر اللون داخله أجوف، وأوراقه ناعمة، تبدأ في التزهير من أبريل إلى يونيو، لها رائحة مميزة وتناثر بالبذور.

8- الجرجير البري: نبات يتبع الفصيلة الصليبية، يتميز بأوراق شريطية خيطية، ثمارها خردلية على هيئة قرون، كل ثمرة في حجرة مفصولة بعشاء حاجب رقيق، أزهاره ذات لون أصفر، تخرج في شهر يناير إلى فبراير، وتناثر عن طريق البذور، وينمو في الترب الرملية.

9- نبات القازول: *Allium roseum*: نبات عشبي ينتمي إلى العائلة البصلية، ينمو متداخلاً مع الأعشاب الأخرى، يبلغ طوله حوالي 65 سنتيمتراً، ساقه قرصي، أوراقه شريطية، زهرته قمعية منشقة، بها أزهار على شكل خيمة، تزهر في الفترة من مارس إلى أبريل، وتناثر عن طريق الأبصال الموجودة في التربة.

10- نبات السكران (القنقط): *Hyoscyamus Albus*: نبات عشبي ينتمي إلى الفصيلة الباذنجانية، طوله حوالي 60 سنتيمتر، أوراقه بيضوية مفصصة، والساق قائم أجوف مغطى بطبقة ناعمة من الشعيرات وشكل الأوراق متبادل على الساق، حافتها مسننة مغطاة بشعيرات والأزهار قوسية لونها أصفر فاتح، والشمرة كبسولية، تحيط بها كأس يحتوي على بنور صغيرة بنية، يزهر في فبراير حتى أبريل، يتكرر بالبنور(القاضي-الرماح، 1997م، 109).

11- نبات الحميضة: *Rumex bucephalophorus*: نبات عشبي ينتمي إلى العائلة الحماضية، طوله 20 سنتيمتر ساقه أحضر به أحمراء، أوراقه مفلطحة، مذاقه شديد الحموضة، وأزهاره صغيرة حمراء مصفحة إلى صفراء يكثر وجوده في التربة الرملية(القاضي-الرماح، 93).

- 12- نبات الروبيا: *Marrubium* نبات معمر أبيض اللون صوفي الملمس أوراقه صغيرة بيضاء اللون، يكثُر في المناطق الساحلية المزروعة وفي الجبل الغري (ابو خشيم، 304)، يصل ارتفاعها إلى حوالي 60 سنتيمتر (القاضي-الرماح، 46) ساقه متفرع مغطى بطقة وبرية كثيفة، الأوراق مستديرة سطحها كثير التداعيد، الأزهار على شكل عناقيد كروية تفصلها مسافات لونها أبيض.
- 13- نبات النجم: *Cynodon dactylon* نبات زاحف معمر يتبع إلى العائلة النجيلية، ساقه يمتد تحت سطح التربة، جذوره عرضية لها عدة أفرع، تصعد عمودياً وأوراقه طويلة تزهر في شهر مايو بأزهار دقيقة تجتمع في سنابل ذات فروع نجمية يميل لونها إلى الأحمر، يتکاثر عن طريق البذور، لذلك يكون انتشاره في مساحات واسعة، ويستطيع توسيع دائرة وجوده.
- 14- نبات الشديدة: *Genista Microcephala* نبات عشبي يتبع إلى العائلة القبولية، يتراوح طوله 5 إلى 30 سنتيمتر، ساقه قائم كثير التفرع، يتغطى بورقات مستينة في الأعلى لون الساق يبدو باللون الأخضر إلى الأخضر المصفر، الأزهار صفراء والشمرة قرنية، لونها أحضر فاتح تنمو في الترب الرملية الرطبة، وتزهر خلال مارس وتستمر في التزهير حتى أبريل وتتكاثر بالبذور.
- 15- نبات الفرعون: *Urginea maritime* نبات عشبي معمر أبصاله كبيرة تكسوه الأوراق الشريطية من الأبصال في الشتاء والربيع وتحف في الصيف ينمو في الأقاليم الساحلية من منطقة الدراسة، يتبع إلى العائلة الزنبقية، تظهر أزهاره في فبراير تبدو باللون الأبيض وتستمر في التزهير حتى مارس (القاضي-الرماح، 97)، الشمرة عبارة عن علبة بيضاوية لونها أصفر فاتح إلى رمادي، ينمو في الترب الرملية واللحجية، وعادة ما يستخدم في منطقة الدراسة لتقسيم ملكية الأرضي.
- 16- نبات البلوز: *Asphodelus* نبات عشبي يتبع إلى العائلة الزنبقية، ينمو في الترب الرملية الرطبة عندما توفر الرطوبة، يبلغ طوله حوالي 15 – 20 سنتيمتراً، أوراقه متعددة تخرج من القاعدة خضراء زغبية، وبيدو قويّاً ناعماً وخشبياً عند النضج، أزهاره وردية ثرثرة علبة بيضاوية ذات بذور بنية إلى سوداء تخرج الأزهار بخلول ديسمبر وتستمر حتى ابريل.
- 17- نبات المرير: *Centaurea* نبات عشبي حولي أو شائي الحول يبلغ طوله من 20 سم إلى 70 سم الجدر وتدني الساق عشبي صوفي ذو أحاديد غير منتظمة كثيرة التفرع والأوراق ريشية والإزهار لونها أزرق غامق إلى قرمزي حمر وينمو في مجموعات قريبة من سطح الأرض محدود الانتشار في منطقة الدراسة يوجد في التربة الرملية والرملية السليتية أو الطميّة الغنية بالعناصر الغذائية وهذا ما يفسر وجوده في المنطقة الشمالية حيث التربة المتميزة بارتفاع محتواها من الرطوبة نتيجة لغزارة الأمطار، في حين يقل انتشاره كلما

اتجها جنوباً ويرجع ذلك إلى قلة الأمطار والتطرف الحراري خاصة في أقصى جنوب المنطقة يزهر خلال شهر يونيو حتى أكتوبر(أحمد، 204) تفضل بعض الحيوانات كغذاء ويوجد في مجموعات كبيرة وقريبة من بعضها وهذا ما تم ملاحظته من خلال الدراسة الميدانية.

18- نبات العفينة: يتبعها هذا النبات إلى الفصيلة المرامية، أوراقه خضراء ذات لون قاتم، تكون بوضع متقابل، الأزهار صغيرة الشمار متراكمة على الساق، يصل ارتفاع النبات إلى 25 سنتيمتر، يزهر في أواخر ديسمبر إلى فبراير يتسم بطبيعة عشبية يكثُر في الترب الرملية .

19- نبات القرطم: *Carthamus* نبات عشبي حولي أو ثنائي الحول ذو جذر وتدني متعمق، ارتفاعه من 50 إلى 100 سم الساق طويلة متفرع معظمها بأشواك حادة، أوراقه مستطيلة مجراً ريشياً وأجزاؤها ذات حواف دقيقة وشائكة والنواراة هامية صفراء اللون ومحمية بأوراق شائكة، ويزهر ويتكاثر بالبذور المنتشرة بواسطه الرياح(أحمد، 202)، وينتشر في منطقة الدراسة في بطون الأودية.

20- نبات البلعلع: *Centaurea* نبات عشبي معمر، يبلغ طوله من 15 سم إلى 20 سم ويتميز بجذر وتدني غليظ، والساقي بسيطة وقائمة لها فروع قليلة، أوراقه عريضة مقسمة ريشياً، والزهرة متفرعة إلى أعلى منفردة وصفراء اللون، وتزهُر خلال شهر مارس إلى غاية شهر مايو، وينمو في منطقة السهل والجبل ذات التربة الرملية والسلالية الطمية، ويعتبر من النباتات الشائعة الانتشار والتي قد تشكل غذاء مناسباً للحيوانات مثل الإبل.

21- نبات اللبد: *Carduus argentatus* نبات عشبي حولي يبلغ طوله من 30 سم إلى 50 سم الجذر وتدني غليظ، الساق قائمة، ومعظمها بأشواك، أوراقه شائكة والنواراة متفرعة إلى أعلى، منفردة على الساق وتزهُر في الفترة من شهر مارس إلى شهر مايو وينمو نبات اللبد في منطقة السهل والمرتفعات ذات التربة الرملية السلالية والطمية، ويمكن أن تعتمد عليه الحيوانات في غذائها.

22- نبات الخرشوف: *Cynara cardunculus* نبات معمر جذوره وتدية، وأوراقه بسيطة مفصصة ريشي بجذور شوكية وأزهاره عبارة عن نوارات هامية بيضاء أو بنفسجية، وقد لوحظ تركيز هذا النبات في منطقة الدراسة في الأودية ومنحدراتها حيث تكون هناك رطوبة متوفرة بالتربة، وهو مرعى جيد للماعز والإبل .

23- نبات البهema: نبات حولي متفرع من أسفل، أوراقه خيطية ملتوية، والنوارة عنقودية مركبة وملفوقة بغمد الورقة، وفترة نموها خلال فصل الربيع، وهو من النباتات التي ترعاها الحيوانات.

- 24- نبات سبول الفار: *monspeliensis* نبات حولي، ساقه منفردة أو عنقودية لا تغطيها الشعيرات، أوراقه أبيرة، والنوارة عنقودية مركبة ومضغوطة في شكل سنبلة، وينمو عقب سقوط الأمطار، وهو من النباتات التي ترعاها الماشية والأغنام.
- 25- نبات البوشرنلة: *Bromus rigidus* نبات حولي يبلغ طوله حوالي 80 سم، ويتميز الساق بشكله الابرى وبدون شعيرات، أوراقه شريطية يصل طولها 20 سم، وغمدتها يلف الساق، والنوارة عنقودية مركبة والسنبلة تضم من 6 إلى 8 زهارات(الشريف، 143)، ، تنمو عقب سقوط الأمطار وتمثل غذاء للماشية والأغنام فترة الربيع.
- 26- نبات الزيوان: *Cutandia memphitica*: نبات حولي الساق قائمة ومتفرعة لاتحتوى على شعيرات، الأوراق خيطية ملفوفة، والنوارة عنقودية مركبة ذات فروع ثنائية التشعب، والسنبلة تضم من 2 إلى 3 زهارات لاتحتوى على شعيرات، وفترة نموه عقب سقوط الأمطار خلال فصل الربيع وانتشاره كبيرا في المنطقة، ويمثل غذاء هاماً كمادة خضراء وجافة للحيوانات.
- 27- نبات الرقما: *Erodium laciniatum*: نبات عشبي حولي طوله 50 سم، أوراقه بسيطة ذات عنق طويل وهي قاعدية ذات تقسيم ريشي مسننة الحواف أحياناً مغطاة بزغب، أما النوارة بما من 4 إلى 9 زهارات صغيرة وبلون قرمزي، وينمو في تربة رملية أو سلدية أو طمية(أحمد، 268).
- 28- نبات العليق: *Convolvulus arvensis*: نبات عشبي يبلغ طوله 180 سم، والجذر وتدى متعمق جداً في التربة ويخرج من السوق جذور عريضة، والساقي ملساء مضلعة زاحفة أو ملتفة أو متسلقة، وهي جرداء وأحياناً مغطاة بزغب، أوراقه بسيطة معنقة مستطيلة أو رخامية، والأزهار على شكل مثلث وذات لون أبيض أو قرمزي تزهر خلال شهر مارس وإلى شهر أغسطس، والشمار عبارة عن كبسولة بيضاوية عارية من الشعر تحتوى على أربعة بذور بلون بني إلى مسود، وينمو العليق في التربة الرملية والرملية السلالية الرطبة، وهو نبات شائع ومنافس قوي للمحاصيل الزراعية(الشف، 97).
- 29- نبات فولية الكلب: *Wlthania Sommifera*: نبات شجري مغطى بشعيرات كثيفة، أوراقها عريضة، وأزهاره حضراء اللون، الثمرة عنبية حمراء زاهية توجد داخل كأس جاف متتفتح في مجموعات على الساق، وينمو في الأقاليم الرطبة قرب الساحل يصل(أبو خشيم، 307)، يتراوح ارتفاعه ما بين 20-30 سنتمراً.
- 30- نبات العضيضة: *Launea resedifolia*: نبات عشبي وهو من الفصيلة المركبة، وتدى الساق قائمة متفرعة، الأوراق متغيرة فهي عريضة أو ضيقة الإزهار صفراء اللون الثمرة فقيرة ذات زوائد زغبية

أطول من الشمرة لها عصارة لبنة وهي واسعة الانتشار في منطقة الدراسة ويرجع إلى ملائمة الظروف الطبيعية بمنطقة الدراسة لنموه يوجد في التربة الرملية أو الرملية السليتية ويزهر خلال شهر مارس حتى شهر مايو يتکاثر بالبدور ويتحلل الحقول الزراعية(مرفوعة، 90م، 2007) ومن خلال الدراسة الميدانية تم ملاحظة نموه بكثرة في المناطق الرطبة والمنخفضة خاصة في شمال المنطقة، وتفضله بعض الحيوانات كغذاء مثل الأغنام والماعز.

31- الأقحوان: *Chrysanthemum* نبات عشبي حولي يبلغ طوله من 30 سم إلى 80 سم يتميز بساقه القائمة قليلة التفرع وأوراقه مقسمة رشايا عريضة الشكل والزهرة هامية منفردة قطرها 4 سم ذات إزهار شعاعية صفراء اللون يزهر على مدار الفصل الشتاء خاصة في ظروف رطوبة جيدة(أحمد، 212)، وأسع الانتشار في منطقة الدراسة خاصة في المنطقة الشمالية، يزهر خلال الفترة الممتدة من شهر مارس إلى شهر يوليو ينمو فوق التربة الرملية والرملية السليتية والطميسية في منطقة الدراسة وترجع أهميته الاقتصادية في أنه مரاعي جيدة للأغنام والماعز ويستخدم أيضاً في الطب الشعبي وكمادة للصباغة في الصناعة(فهمي وآخرون، 1977، 99م).

32- نبات الريانة: *Chamomilla* نبات عشبي حولي يبلغ طوله 16 سم إلى 55 سم الجذر وتدني الساق صلب ذو أفعى كثيرة والأوراق مقسمة رشايا متين والنواة ذات عنق طويلة تحيط بها الزهارات البيضاء وأما الشمرة أزهارها صفراء، ينمو النبات في السهل والمرتفعات ذات التربة الرملية الرطبة أو الرملية السليتية ويزهر خلال شهر أبريل ويتكاثر بالبدور ويعتبر من النباتات الشائعة وبعد منافس للمحاصيل الزراعية(الشف، 93) وبعد النبات من النباتات الطبية والعطرية يتمتع برائحة مميزة مما زاد من أهميته الاقتصادية حيث يدخل في العديد من الصناعات.

33- نبات اللسلس: نبات عشبي حولي ينتمي إلى الفصيلة الصليبية، يبلغ طوله 80 سم والساقي قائم إلى مائل متوجه إلى الأعلى وأحياناً عديدة يكون متفرع ومغطى بزغب خفيف وشعيرات متفرعة والأوراق مقسمة ريشيا وكل جزء شريطي إلى مستطيل ضيق والنواة عنقودية والأزهار ذات لون أبيض أو قرنفلية إلى بنسجية والشمرة خردلية(المغربي، 2008م، 87) تحتوي على بدرة واحدة ينمو في السهل والمرتفعات ذات التربة الرملية السليتية أو الطميّة ويببدأ في النمو في فصل الرطوبة ويزهر أثناء شهر فبراير إلى أبريل ويعتبر من النباتات الشائعة الانتشار وبالتالي فهو منافس قوي للمحاصيل الزراعية(أحمد، 134) وهو وأسع الانتشار في منطقة الدراسة ويرجع ذلك إلى ملائمة الظروف الطبيعية السائدة في المنطقة لنموه .

34- نبات خلال الغولة: نبات عشبي معمر، بلغ طوله حوالي 40 سم ، الجدر وتدى عليه درنات اسطوانية، الأوراق ذات أعنق منضغطة مكسوّة بشعرات دقيقة، الحافة متعرجة لها اذينات مستطيلة بيضاوية، الزهرة خيمية عليها من 4-6 أزهار قرنفلية الى قرمذية اللون. ينمو النبات في السهول والمرتفعات المتوسطة ذات التربة الرملية السليمة أو الحجرية، يزهر خلال يناير إلى أبريل، ويتکاثر بالبذور وينتشر عن طريقها بواسطة الإنسان والحيوان والرياح والماء(أحمد،264)، ينتشر من منطقة الدراسة وخاصة في الجزء الشمالي من المنطقة. يعتبر النبات من الأعشاب الشائعة ومتوسطة المنافسة للمحاصيل الزراعية، ويعتبر علف جيد للأغنام والأبل.

35- نبات الجلبان: *Vicia tetrasperma* نبات عشبي حولي، يبلغ طوله من 10 سم إلى 50 سم، الجدر وتدى رقيق متفرع، الساق رفيع جداً، عاري ومتفرع، والأوراق مركبة وريشية ، تتكون من 3-4 أزواج من الوريقات وأحياناً 8 أزواج، الوريقة مستطيلة الشكل الأزهار فراشية ذات لون أزرق، والكأس له أسنان مثلثة الشكل مغطى بالشعر، قرن شريطي الشكل منضغطة لونه بيّ فاتح به من 2 - 6 بذور رمادية إلى بنية اللون(أحمد،304). ينمو هذا النبات في السهول والمرتفعات المتوسطة ذات التربة الرملية السليمة أو الطميّة أو الطينية، يزهر خلال فبراير إلى مايو، ويتکاثر بالبذور، وينتشر في الجزء الشمالي من منطقة الدراسة، ويعتبر غذاء لحوانات المنطقة.

ثالثاً- النباتات الملحية:

هي نباتات لها القدرة على تحمل معدلات عالية من الملوحة، لأنها مزودة بخصائص تمكّنها من النمو، إما بتنظيم حياتها خلال مواسم الأمطار التي تخفيف من تركيزات الأملاح وأما أن تمتلك غددًا تعمل على طرد الأملاح السامة إما أن تكون مكتسبة خاصية التملح(جودة،265). ومن هذه النباتات التي تنتشر في منطقة الدراسة ما يلي :

1- نبات المثان: *Thymelaea Hirsuta*: شجيرة صغيرة ذات أغصان بيضاء قطبية، وأوراق صغيرة، وأزهار صفراء، يكثر في الأقاليم الحافة الساحلية، وينتشر على الشريط الساحلي في منطقة الدراسة، يزهر في مارس حتى مايو، شكل أوراقه بيضوي متسمحة، والشمار تبرز عند النضج خارج الكأس .

2- نبات الفَرَاج: *Pituranthos*: شجيرة محلية معمرة صحراوية، قائمة جرداً يصل ارتفاعها إلى 60 سم، ذات أغصان متفرعة بما عقد ولون ساقها أزرق محضر أو مبيض، ولها رائحة مميزة عند كسرها أو حرقها، وتتفرع ثناياها، أوراقها تتساقط بسرعة بذلك يقوم الساق مقامها في عملية التمثيل .

الضوئي (مرفوعة، 115) والإزهار صغيرة لونها أصفر مخضر أو أبيض كريمي، والشمار شبه كروية، يبدأ في النمو في فصل الخريف ويستمر نمواً شتاءً ويزهر في فصل الربيع وتتضخم بذوره في أواخر نفس الفصل، وينمو عادةً في المناطق الجافة وبشدة الجافة وتفضل المناطق ذات الشتاء الدافئ، ويوجد في الترب الرملية كما أنه يتواجد في الترب الكلسية والجبسية المغطاة بطبقة رملية وكذلك بالتراب السليطية الطميية والرملية المغطاة بطبقة جبسية ولها القدرة على تكوين نتوءات من الجذور القوية والتي تصل إلى أعماق كبيرة نسبياً الأمر الذي يجعلها مقاومة للجفاف (الذى - يومي 2006 م ص 24) وتعتبر الأعشاب الخضراء مستساغة من قبل الأغنام والماعز والإبل وترعاه الحيوانات في فصل الخريف والشتاء وكما يستعمل النبات في أغراض الطبية.

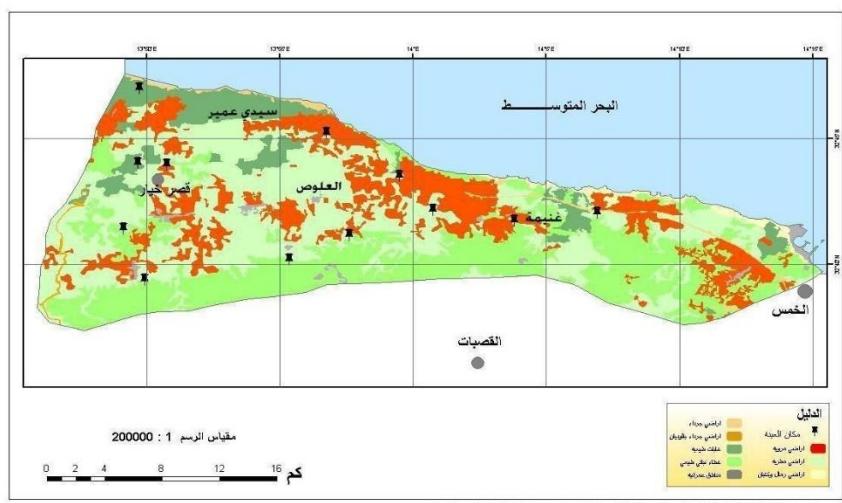
3. نبات عشبة الأرنب: نبات عشبي، ينتمي إلى الفصيلة المركبة يتراوح ارتفاعه من 10 سم إلى 20 سم، أوراقه صغيرة متراكبة على الساق، ذات لون أخضر هافت، أزهارها صفراء تزهر عند مايو ويونيو، ويتکاثر النبات بالبذور.

1 - الموقع الأول - المنطقة الشمالية الغربية (منطقة سيدي عمير): يمتد هذا الموقع بالتحديد من ساحل البحر في الشمال إلى مسافة 6 كم نحو الداخل ونتيجة إلى ذلك يتميز بغزارة أمطاره واعتدال مناخه، وكثافة غطائه النباتي ويعطي سطح هذا الموقع الترب الرملية الطينية المتميزة بالمحتوى الرطوي المرتفع نتيجة لغزارة الأمطار، بسبب وقوعها بالقرب من ساحل البحر، ويتميز هذا الموقع أيضاً بتربة رملية جافة، ويتراوح ارتفاع هذا الموقع ما بين 28 - 97 م فوق مستوى سطح البحر . ويقع هذا الموقع بين خط طول 45° 49' 43'' شرقاً وخط طول 47° 56' 13'' شرقاً ويقع بين خط عرض 32° 32' شمالاً ، وخط 47° 01' شمالاً .

2 - الموقع الثاني - المنطقة الجنوبية الغربية (منطقة قصر اخيار): يمتد هذا الموقع جنوب الموقع السابق، الذي يتمثل في منطقة قصر الأخيار، ويبعد عن البحر بمسافة 6 - 12 كم ويتراوح ارتفاعه من 131 - 136 م فوق مستوى سطح البحر، وتعطي سطحه التربة الرملية الجافة وتحللها التكوينات الصخرية في بعض الجهات ذات السطح المنحدر من الجنوب إلى الشمال، ويقع فلكياً بين خط طول 08° 49' 13'' شرقاً وخط طول 37° 57' 13'' شرقاً ، ويقع بين خط عرض 32° 32' شمالاً وخط عرض 32° 41' 11'' شمالاً .

3 - الموقع الثالث - المنطقة الشرقية (منطقة غنيمة) : يقع هذا الموقع في الجزء الشرقي من منطقة الدراسة وبالتحديد في منطقة غنيمة، ويبعد عن البحر بمسافة تتراوح بين 3 – 6 كم، ويتراوح ارتفاعه ما بين 58 – 90 م فوق مستوى سطح البحر، ويغطي معظم سطح هذا الموقع بالترية الرملية الحصوية، مع طبيعة سطح وعرة على هيئة ارتفاعات وأنفاسات، ويقع هذا الموقع فلكياً بين خطى طول 31.32 و 31.33 و 31.34 و 31.35 و 31.36 و 31.37 و 31.38 و 31.39.

الخريطة رقم (3) موقع العينات النباتية في منطقة الدراسة



المصدر : إعداد الباحث استناداً على مشروع التخطيط الزراعي ، وزارة الزراعة ، طرابلس

الجدول رقم (1) نباتات المنطقة الشمالية الغربية (سيدي عمر) الموقع رقم (1)

الإسم المحلي	الاسم العلمي	الكتافة النباتية /10 مربع	الكتافة النسبية %	النكرار التكرار	النكرار عدد/مربع	الوفرة النباتية %	الوفرة %
الشعال	Artemisia Campestris	37.3	5.27	83	4.20	44.8	3.10
الرتم	Retea raetaum	40.25	5.69	91	0.96	43.90	3.04
عكوز موسى	Nicotiana glauca graham	6.91	0.97	25	1.26	27.66	1.91
الديس	Imperata cylindrical	53.58	7.57	75	3.79	71.44	4.94
الخروع	Ricinus communis	1.33	0.18	16	0.80	8	0.55

						linn	
1.10	16	2.93	58	1.31	9.33	Calycotome Villosa (poir) link	القندول
0.20	3	0.80	16	0.07	0.5	Citrullus colocynthis	الحنظل
0.06	1	0.40	8	0.01	0.08	Ceratonia silique	الخروب
0	0	0	0	0	0	Zizyphus lotus	السدر
0	0	0	0	0	0	Phragmites commun	القصبة
0.17	2.5	1.62	33	0.11	0.83	Eucalyptus	الرسول
0.27	4	0.40	8	0.04	0.33	Pinus	الصنوبر
0	0	0	0	0	0	Tamarix Articulata vahl	الأثل
0	0	0	0	0	0	palastina	البطوم
0	0	0	0	0	0	Rhus Oxyacantha	الجداري
1.66	24.1	4.20	83	2.83	20.08	Stpagrostis ungens	السبط
3.11	45	0.80	16	1.06	7.5	Opuntia ficus indica var inermis	التين الشوكي
1.06	11	1.26	25	0.38	2.75		عنب الدبي
1.33	19.25	1.67	33	0.90	6.4	Mustard wild radish	العسلوز
0.34	5	1.26	25	0.17	1.25	Raphanus raphinastrum	الفجل البرى
3.28	47.5	1.67	33	2.23	15.83	Malva parviflora	الخيزير
1.54	22.25	1.67	33	1.04	7.41	Urticaurens	الحرقة
3.05	39.83	2.53	50	2.78	19.71	Emex spinosus	ضرس المجوز
4.39	63.5	4.20	83	7.48	52.91		البابونج
0.51	7.5	0.80	16	0.17	1.25		الجرجير

							البَرِّي
2.77	40	0.40	8	0.47	3.33	Allium roseum	الثازول
0	0	0	0	0	0	Hyoscyamus Albus	التنقيط
1.10	16	2.07	41	0.94	6.66	Rumex bucephalophorus	الحمضة
0.87	12.66	1.26	25	0.44	3.16	Marrubium	الروبيا
2.32	33.57	2.93	58	2.79	19.58	Cynodon dactylon	السجق
1.67	24.25	1.67	33	1.14	8.08	Genista Microcephala	الشديدة
0.36	5.2	2.07	41	0.30	2.16	Urginea maritime	الفرعون
2.53	36.66	1.26	25	1.29	9.16	Asphodelus	البلوز
2.94	42.5	0.80	16	1.00	7.08	Centaurea	المرير
1.10	16	0.40	8	0.18	1.33		العفينة
1.16	16.75	3.34	66	1.57	11.16	Carthamus	القرطم
1.06	15.33	1.26	25	0.54	3.83	Centaurea	البلعلع
0.78	11.33	2.53	50	0.80	5.66	Carduus argentatus	اللبد
0.66	9.66	1.26	25	0.34	2.41	Cynara cardunculus	الخرشوف
0.78	11.33	1.26	25	0.40	2.83		البهما
2.17	31.4	2.07	41	1.84	13.08	monspeliensis	سوول الغار
3.18	46	4.20	83	5.42	38.33	Bromus rigidus	الموشنة
4.40	63.57	2.93	58	5.24	37.08	Cutandia memphitica	الزيوان
4.50	65	1.26	25	2.29	16.25	Erodium laciniatum	الرقما
1.10	16	1.26	25	0.56	4	Convolvulus arvensis	العليق
8.77	126.66	1.26	25	4.47	31.66	Wlthania	فولية

						Sommifera	الكلب
2.07	27	3.79	75	2.86	20.25	<i>Launea resedifolia</i>	العصيضة
3.52	50.90	4.60	91	6.59	46.66	<i>Chrysanthemum</i>	الأقحوان
1.52	22	1.26	25	0.77	5.5	<i>Chamomilla</i>	الرييانة
1.09	11.5	0.80	16	0.27	1.91		المسلس
5.51	79.58	5.06	100	11.25	79.58		خلال الغولة
2.44	35.37	3.34	66	3.33	23.58	<i>Vicia tetrasperma</i>	الجبان
0.65	9.5	1.67	33	0.44	3.16		عشبة الأرنب
0.31	4.5	0.80	16	0.10	0.75	<i>Pituranthos</i>	القراح
0.55	8	0.80	16	0.18	1.33	<i>Thymelaea Hirsuta</i>	المثثان
3.34	48.33	1.26	25	1.70	12.08	<i>Thymus</i>	الزعتر
100	1443.78	100	1976	99.77	707.16	56	المجموع

المصدر : عمل الباحث استناداً على الزيارات الميدانية 2015

• نباتات المنطقة الشمالية الغربية (سيدي عمير) الموقع رقم (1)

ومن خلال القراءات والقياسات لهذا الموقع تبين أن التنوع النباتي فيه قليل حيث بلغ 0.005 مممثلة في حوالي 50 نوع (الدراسة الميدانية، 2015)، أما من حيث الكثافة النباتية فقد بلغ متوسطها 12.62 نبات/مربع، وقد اختلفت كل كثافة نباتية من نوع إلى آخر، وقد كان نبات خلال الغولة أكثر كثافة في هذا الموقع فقد بلغت نسبة كثافته حوالي 11.25%， ثم بعد ذلك نبات الديس الذي بلغت نسبة كثافته حوالي 7.57%， وبيلي نبات خلال الغولة ونبات الديس في نسبة الكثافة هو نبات البابونج (الفليفة) الذي قد بلغت نسبة كثافته 7.48% حيث يكاد يتساوي مع نبات الديس في نسبة الكثافة، ثم يأتي نبات الأقحوان الذي بلغت نسبة كثافته حوالي 6.59%， وبيلي نبات الرتم بنسبة كثافة حوالي 5.69%， وبعده نبات البوشرنة الذي بلغت نسبة كثافته حوالي 5.42%.

ولقد بلغت أدنى نسبة كثافة نباتية في هذا الموقع 0.01% التي تحصل عليها نبات الخروب، وبيلي نبات الخروب في أدنى نسبة كثافة هو نبات الصنوبر الذي بلغت نسبة كثافته 0.04% وبيلي نبات

الحنظل الذي بلغت نسبة كثافته حوالي 0.07، ثم نبات القزاح بنسبة بكثافة قدرها 0.10%， كما يشترك نبات السرول في أقل نسبة للكثافة بنسبة قدرها 0.11%， ويليه نبات الجرجير البري ونبات الفجل البري بنسبة كثافة 0.17%， ثم يأتي نبات المثان ونبات العفينة بنسبة كثافة تكاد أن تكون متساوية مع الجرجير البري و الفجل البري حيث بلغت 0.18%.

أما من حيث التكرار فكان نبات خلال الغولة من أكثر النباتات تكراراً في هذا الموقع بنسبة 5.06%， ثم يليه نبات الأقحوان بنسبة تكرار 4.60%， ثم يليه نبات البوشرنطة ونبات البابونج ونبات السبط ونبات الشعال بنسبة تكرار متساوية بلغت 4.20%， ثم يأتي بعد ذلك نبات الديس ونبات العصيضة بنسبة تكرار بلغت حوالي 3.79%， ويليه نبات الجلبان ونبات القرطم بنسبة تكرار 3.34%， كما تحصل نبات القندول ونبات النجم ونبات الزيوان على نسب تكرار متساوية بلغت حوالي 2.93%.

كما سجل أقل تكرار في هذا الموقع نبات العفينة ونبات القازول والصنوبر والخروب بنسبة تكرار بلغت حوالي 0.40%， ويليه نبات المثان والقزاح واللسس والمريء والجرجير البري والتين الشوكى والخروع بنسبة تكرار مقدارها 0.80%.

أما فيما يخص الوفرة النباتية لهذا الموقع كان نبات فولية الكلب الذي قد سجل أكبر نسبة للوفرة النباتية حيث كانت بقدر 8.77%， ويليه نبات خلال الغولة بنسبة 5.51%， ثم نبات الديس بنسبة 4.94%. وقد بلغت أدنى نسبة للوفرة النباتية في هذا الموقع إذ سجلت 0.06% لنبات الخروب ، ويليه نبات السرول حيث سجلت نسبة وفرته النباتية 0.17%.

المحلول رقم (2) نباتات المنطقة الجنوبية الغربية (قصر اخيار) الموقع رقم (2)

الاسم المحلي	الاسم العلمي	الكافحة النباتية /10 مربع	الكافحة النسبية %	التكرار	النسبة %	الوفرة النباتية عدد / مربع	الوفرة النسبية %	النسبة %
الشعال	Artemisia Campestris	32.5	9.95	91	5.51	45..35	5.68	
الرتم	Reteam raetaum	4.41	1.35	50	3.03	8.83	1.10	
عكوز موسى	Nicotiana glauca graham	4.33	1.32	41	2.48	10.4	1.30	

7.33	58.6	2.48	41	7.47	24.41	<i>Imperata cylindrical</i>	الديس
1.84	14.75	2	33	1.50	4.91	<i>Ricinus communis linn</i>	الخروع
3.52	28.16	3.03	50	4.31	14.08	<i>Calycotome Villosa (poir) link</i>	القدول
1.25	10	0.48	8	0.25	0.83	<i>Citrullus colocynthis</i>	الحنظل
0.50	4	0.48	8	0.10	0.33	<i>Ceratonia siliqua</i>	الخروب
4.88	9.75	2	33	0.99	3.25	<i>Zizyphus lotus</i>	السدر
0.37	3	0.48	8	0.07	0.25	<i>Phragmites commun</i>	القصبة
0.12	1	0.48	8	0.02	0.08	<i>Eucalyptus</i>	السرول
0.43	3.5	0.97	16	0.17	0.58	<i>Pinus</i>	الصنوبر
0.12	1	0.48	8	0.02	0.08	<i>Tamarix Articulata vahl</i>	الأثل
0.37	3	0.48	8	0.07	0.25	<i>palastina</i>	البطوم
0.81	6.5	0.97	16	0.33	1.08	<i>Rhus Oxyacantha</i>	الجداري
1.96	15.66	3.03	50	2.39	7.83	<i>Stpagrostis ungens</i>	السبط
1.83	14.66	1.51	25	1.12	3.66	<i>Opuntia ficus indica var inermis</i>	التين الشوكى
0.40	3.25	2	33	0.33	1.08		عنبر الدبب
0.50	4	0.97	16	0.20	0.66	<i>Mustard wild radish</i>	العسلوز
0.37	3	0.48	8	0.07	0.25	<i>Raphanus raphinastrum</i>	الفجل البري
2.50	20	0.48	8	0.50	1.66	<i>Malva parviflora</i>	الخبيز
1.50	12	0.48	8	0.30	1	<i>Urticaurens</i>	الحريقه
1.65	13.25	2	33	1.35	4.41	<i>Emex spinosus</i>	ضرس الجوز
1.83	14.66	6.06	100	4.48	14.66		البابونج
0	0	0	0	0	0		الجرجير البري
1.50	12	0.48	8	0.30	1	<i>Allium roseum</i>	الفازول

0.50	4	1.51	25	0.30	1	<i>Hyoscyamus Albus</i>	الفقير
1.25	10	0.48	8	0.25	0.83	<i>Rumex bucephalophorus</i>	الحميضة
0.43	3.5	2	33	0.35	1.16	<i>Marrubium</i>	الروبيا
1.98	15.87	4	66	3.24	10.58	<i>Cynodon dactylon</i>	النجم
1.80	14.4	2.48	41	1.83	6	<i>Genista Microcephala</i>	الشديدة
0.71	5.71	3.51	58	1.01	3.33	<i>Urginea maritime</i>	الفرعون
1.02	8.2	2.48	41	1.04	3.41	<i>Asphodelus</i>	البلوز
7.51	60	1.51	25	4.59	15	<i>Centaurea</i>	المرير
2.63	21	0.97	16	1.07	3.5		الغفينة
5.90	47.14	3.51	58	8.42	27.5	<i>Carthamus</i>	القرطم
0.62	5	0.48	8	0.12	0.41	<i>Centaurea</i>	البلطع
1.18	9.5	3.03	50	1.45	4.75	<i>Carduus argentatus</i>	اللد
0.37	3	0.48	8	0.07	0.25	<i>Cynara cardunculus</i>	الخرشو ف
3.55	28.42	3.51	58	5.07	16.58		البهما
4.59	36.66	3.03	50	5.61	18.33	<i>monspeliensis</i>	سبول الفار
3.33	26.66	3.03	50	4.08	13.33	<i>Bromus rigidus</i>	البوشرنة
1.50	12	0.48	8	0.30	1	<i>Cutandia memphitica</i>	الزيوان
3.56	28.5	0.97	16	1.45	4.75	<i>Erodium laciniatum</i>	الرقما
1.12	9	3.03	50	1.37	4.5	<i>Convolvulus arvensis</i>	العليق
0	0	0	0	0	0	<i>Wlthania Sommifera</i>	فولية الكلب
1.75	14	3.03	50	2.14	7	<i>Launea resedifolia</i>	العصبية
1.54	12.33	1.51	25	0.94	3.08	<i>Chrysanthemum</i>	الأقحوان
0.37	3	0.48	8	0.07	0.25	<i>Chamomilla</i>	الربيانة
1.25	10	0.48	8	0.25	0.83		اللسس

خلال الغولة							
الجلبان	Vicia tetrasperma	1	0.30	8	0.48	0.48	12
عشبة الأرنب		8.83	2.70	25	1.51	35.33	4.42
القراح	Pituranthos	0.83	0.25	8	0.48	10	1.25
المثنان	Thymelaea Hirsuta	2.41	0.73	16	0.97	15.5	1.94
الزرعتر	Thymus	10.83	3.31	33	2	32.5	4.07
المجموع		56	326.51	100	1649	798.3 7	100

المصدر: عمل الباحث استناداً على الزيارات الميدانية 2015 م.

• نباتات المنطقة الجنوبيّة الغربيّة (قصر اختيار) الموقع رقم (2)

ومن خلال الدراسة الميدانية لهذا الموقع وتطبيق القياسات الإحصائية على البيانات التي تم تجميعها من هذا الموقع تبين أن التنوع النباتي فيه قد وصل 0.014 متمثلاً في حوالي 55 نوعاً، ويلاحظ أن هذا الموقع بلغ فيه التنوع النباتي أكبر من الموقع السابق ويرجع السبب إلى أن هذا الموقع يتميز بطبيعة سهلية وجبلية في نفس الوقت مما أدى إلى تنوع النباتات فيه، ومن حيث الكثافة النباتية لهذا الموقع فقد بلغ متوسطها 5.83 نبات/مربع ، أما من حيث أكبر نسبة كثافة النوع الواحد ووصلت في هذا الموقع بمقدار 69.95% وهو نبات الشعال ، ثم يليه نبات خلال الغولة الذي وصلت نسبة الكثافة فيه إلى 47% ثم يحتل نبات القرطم المرتبة الثالثة من حيث نسبة الكثافة التي بلغت 42.8% ، ثم نبات الدبس ووصلت نسبة كثافته نحو 7.47% ، ووصلت نسبة الكثافة في نبات سبول الغار 56.1% ، وكانت نسبة الكثافة في كل من نبات البهما ونبات المير والبابونج والقندول والبوشرنة والزعتر قد سجلت عي التوالي 5.07%، 4.59%، 4.48%، 4.34%، 4.08%، 3.31% . وبلغت أدنى قيمة لنسبة الكثافة النباتية 0.08% التي كانت لنبات السرول ونبات الأثل ، ويليه نبات القصبة ونبات البطوم ونبات الفحل البري والخرشوف والريانة بكثافة نسبية مقدارها 0.07% ، ثم نبات الخروب بنسبة كثافة وصلت إلى 0.10% ، ويليه نبات البلعل بكمية نسبية مقدارها 0.12% ، وتحصل نبات الصنوبر على نسبة كثافة 0.17% ، ثم نبات العسلوز بكثافة نسبية وصلت إلى 0.20% .

أما من حيث التكرار فكان نبات البابونج قد سجل أعلى نسبة تكرار في هذا الموقع لقد وصلت إلى 6.06 %، وبعدها كانت نسبة التكرار متساوية بين نبات الشعال ونبات خلال الغولة ونبات عشبة الأرب حيت وصلت إلى 5.51 %، ثم بعد ذلك سجل نبات النجم نسبة تكرار 4 %، ثم نبات الفرعون ونبات القرطم ونبات البهـما حيت وصلت نسبة التكرار فيهـن إلى 3.51 %، ثم بعد ذلك وصلت نسبة التكرار إلى 3.03 % في كل من نبات العضيـضة ونبات البوشرـنة والعـلـيق وسـبـولـ الفـارـ والـلـيدـ والـسـبـطـ والـقـندـولـ والـرـتـ.

أما أقل نسبة تكرار في هذا الموقع فقد كانت 0.48 % لكل من نبات القزاح ونبات الجبان ونبات اللسلس والريانة والنـيـوـانـ والـفـجـلـ الـبـرـيـ والـخـرـشـوفـ والـبـلـاعـلـ وـالـحـمـيـضـةـ وـالـقـازـوـلـ وـالـحـرـيقـةـ وـالـخـبـيزـ وـالـبـطـوـمـ وـالـأـثـلـ وـالـسـرـوـلـ وـالـقـصـبـةـ وـالـخـرـوبـ وـالـخـنـظـلـ.

أما فيما يخص نسبة الوفـرةـ النـبـاتـيـةـ لـهـذـاـ المـوـقـعـ فـلـقـدـ وـصـلـتـ أـكـبـرـ نـسـبـةـ لـلـوـفـرـةـ النـبـاتـيـةـ خـلـالـ نـبـاتـ المـرـيرـ هـيـ 7.51 %، وـيلـيهـ نـبـاتـ الـدـيـسـ بـوـفـرـةـ نـبـاتـيـةـ نـسـبـتـهاـ 7.33 %، ثـمـ يـلـيهـ نـبـاتـ القرـطمـ بـنـسـبـةـ وـفـرـةـ نـبـاتـيـةـ مـقـدـارـهـاـ 5.90 %، ثـمـ بـعـدـ ذـلـكـ نـبـاتـ الشـعالـ بـنـسـبـةـ 5.68 %. وقد سـجـلـتـ أـدـنـىـ نـسـبـةـ لـلـوـفـرـةـ النـبـاتـيـةـ لـهـذـاـ المـوـقـعـ هـيـ 0.12 % لـنـبـاتـ الـأـثـلـ وـنـبـاتـ السـرـوـلـ، ثـمـ نـبـاتـ الـرـيـانـةـ وـنـبـاتـ الخـرـشـوفـ وـنـبـاتـ الـفـجـلـ الـبـرـيـ بـنـسـبـةـ وـفـرـةـ نـبـاتـيـةـ مـقـدـارـهـاـ 0.37 %.

الجدول رقم (3) نباتات المنطقة الشرقية (عنيمة) الموقع رقم (3)

النسبة النسبية %	النسبة النباتية عدد/مربع	النسبة النسبية %	التكرار	النسبة النسبية %	النسبة النباتية 10/مربع	الاسم العلمي	الاسم المحلي
1.92	15.18	4.49	91	3.03	13.91	Artemisia Campestris	الشعـال
2	18	3.94	75	3.00	13.5	Reteam raetaum	الـرـتـ
0.83	7.5	2.63	50	0.83	3.75	Nicotiana glauca graham	عـوزـ مـوـسـيـ
3.37	30.33	3.94	75	5.05	22.75	Imperata cylindrical	الـدـيـسـ
0.77	7	1.31	25	0.38	1.75	Ricinus communis linn	الـخـرـوـعـ

1.29	11.6	2.15	41	1.07	4.83	Calycotome Villosa (poir) link	القدول
0.77	7	0.84	16	0.25	1.16	Citrullus colocynthis	الحنظل
0.44	4	1.31	25	0.22	1	Ceratonia silique	الخروب
0.22	2	1.31	25	0.11	0.5	Zizyphus lotus	السرد
1.14	1.33	1.31	25	0.07	0.33	Phragmites commun	القصبة
0.16	1.5	1.84	16	0.05	0.25	Eucalyptus	السرول
0.24	2.2	2.15	41	0.20	0.91	Pinus	الصنوبر
0.37	3.33	1.31	25	0.18	0.83	Tamarix Articulata vahl	الاذنل
0.37	3.33	1.31	25	0.18	0.83	palastina	البطوم
0.33	3	1.31	25	0.16	0.75	Rhus Oxyacantha	الجداري
1.36	12.25	3.47	66	0.51	2.33	Stpagrostis ungens	السبط
0.52	4.75	1.73	33	0.35	1.58	Opuntia ficus indica var inermis	التين الشوكى
0.33	3	0.42	8	0.05	0.25		عنب الدب
2.37	21.33	1.31	25	1.18	5.33	Mustard wild radish	العسلوز
0.51	4.66	1.31	25	0.25	1.16	Raphanus raphinastrum	الفجل البرى
5.90	53	1.73	33	3.92	17.6	Malva parviflora	الخبيز
2.06	18.5	1.84	16	0.68	3.08	Urticaurens	الحريقه
1.64	14.75	1.73	33	1.09	4.91	Emex spinosus	ضرس العجوز
4.11	36.91	0.05	1	8.20	36.9		البابونج
0.50	4.5	1.73	33	0.33	1.5		الجرجير البرى
2.81	25.25	1.73	33	1.86	8.41	Allium roseum	القازول

							<u>النفيط</u>
0.33	3	0.42	8	0.05	0.25	<i>Hyoscyamus Albus</i>	الحميضة
2.94	26.4	2.15	41	2.44	11	<i>Rumex bucephalophorus</i>	الروبيا
0.69	6.2	2.15	41	0.57	2.58	<i>Marrubium</i>	النجم
3.41	30.62	3.47	66	4.53	20.4 1	<i>Cynodon dactylon</i>	الشديدة
0.46	4.2	2.15	41	0.38	1.75	<i>Genista Microcephala</i>	الفرعون
0.24	2.2	2.15	41	0.20	0.91	<i>Urginea maritime</i>	البلوز
0.96	8.7	1.84	16	0.31	1.41	<i>Asphodelus</i>	المرير
0.48	4.33	1.31	25	0.24	1.08	<i>Centaurea</i>	الغفينة
0.27	2.5	1.84	16	0.09	0.41		القرطم
2.48	22.28	3.05	58	2.88	13	<i>Carthamus</i>	البلغ
1.42	12.75	1.73	33	0.94	4.25	<i>Centaurea</i>	البد
2.13	19.16	0.02	0.5	2.12	9.58	<i>Carduus argentatus</i>	الخرشوف
1.78	16	0.42	8	0.29	1.33	<i>Cynara cardunculus</i>	البهما
1.44	13	1.31	25	0.72	3.25		سيول
3.42	30.75	3.47	66	4.55	20.5	<i>monspeliensis</i>	الغار
8.72	78.3	4.36	83	14.50	65.2 5	<i>Bromus rigidus</i>	البوشرنقة
6.47	58	2.15	41	5.36	24.1 6	<i>Cutandia memphitica</i>	الزيوان
1.44	13	1.31	25	0.72	3.25	<i>Erodium laciniatum</i>	الرقما
3.48	31.33	1.31	25	1.74	7.83	<i>Convolvulus arvensis</i>	العليق
2.50	22.5	1.84	16	0.83	3.75	<i>Wlthania Sommifera</i>	فوالية الكلب
1.44	13	1.73	33	0.96	4.33	<i>Launea resedifolia</i>	العصبية
6.88	61.77	3.94	75	10.29	46.3	<i>Chrysanthemum</i>	الأقحوان

					3	mum	
0.83	7.5	1.84	16	0.27	1.25	Chamomilla a	الريانة
1.05	9.5	1.73	33	0.70	3.16		السلس
5.02	45.11	3.94	75	7.51	33.8 3		خلال الغوله
2.89	26	2.15	41	2.40	10.8 3	Vicia tetrasperm a	الجلبان
0	0	0	0	0	0		عشبة الأرنب
0.22	2	1.84	16	0.07	0.33	Pituranthos	القزاح
0.05	0.5	1.84	16	0.01	0.08	Thymelaea Hirsuta	الميثان
1.22	11	1.73	33	0.81	3.66	Thymus	الزعتر
100	897.8	100	1899	100	449. .5 92	56	المجموع

المصدر: اعداد الباحث استناداً على الدراسة الميدانية 2015 م

• نباتات المنطقة الشرقية (غنية) الموقع رقم (3)

ومن خلال الدراسة الميدانية تبين أن التنوع النباتي في الموقع قد وصل إلى 0.010 مماثلة في حوالي 55 نوعاً، ومن حيث الكثافة النباتية لهذا الموقع تبين أن متوسطها وصل إلى 8.03 نبات /مربع، أما من حيث أكبر نسبة للكثافة النباتية قد وصلت في هذا الموقع إلى 14.50% مماثلة في نبات البوشرتة، وبليه نبات الأقحوان بنسبة كثافة نباتية مقدارها 10.29%， ثم بعد ذلك قد وصلت نسبة كثافة نبات البابونج إلى 8.20%， أما النسبة التي تليها هي 7.51% مماثلة في نبات خلال الغولة، ثم بعد ذلك قد سجلت نسبة الكثافة النباتية في كل من الزيوان ونبات الديس ونبات سبول الفار ونبات النجم والخبيز والشعال والرتم والقرطم 5.36%， 5.05%， 4.55%， 4.53%， 3.92%， 2.88%， 3.03% على التوالي .

أما أقل نسبة للكثافة النباتية سجلت في هذا الموقع بلغت حوالي 0.01% لنبات المثان و هذا يدل على أن انتشاره محدود في هذا الموقع، وبليه في أقل نسبة كل من نبات السرول ونبات عنبر الدب ونبات القنقيط الذي بلغت نسبة كثافتهم حوالي 0.05%， ثم بعد ذلك نبات القزاح ونبات القصبة

بنسبة كثافة قدرها 0.07%， ويليه نبات العضيضة الذي قد وصلت نسبة كثافته حوالي 0.09%， ثم بعد ذلك نبات السدر بنسبة كثافة وصلت إلى 0.11%， ويليه نبات الجداري بنسبة كثافة مقدارها 0.16%， ثم بعد ذلك سجلت نسبة كثافة مقدارها 0.18 في كل من الأثل والبطوم. وفيما يخص التكرار النباتي لهذا الموقع فقد سجلت أعلى قيمة لنسبة التكرار في نبات الشعال بنسبة تكرار وصلت إلى 4.49%， ويليه نبات البوشرنطة بنسبة تكرار تساوي 4.36%， وبعد ذلك كل من نبات الرتم ونبات الديس ونبات الأقحوان ونبات خلال الغولة بنسبة تكرار وصلت إلى 63.94%， وسجلت النسبة التي تليها بقيمة مقدارها 3.47% لكل من نبات السبط ونبات النجم ونبات سبول الفار، ثم نبات القرطم بنسبة تكرار 3.05%， ويليه نبات عكوز موسى بنسبة تكرار وصلت إلى 2.23%.

أما أقل نسبة تكرار للأنواع النباتية في هذا الموقع قد سجلت في نبات اللبد بقيمة 0.02%， ويليه نبات البابونج بنسبة تكرار 0.05%， ثم نبات عنب الدibe ونبات القنقط ونبات الخرشوف بنسبة تكرار وصلت إلى 0.42%， ثم نبات الحنظل بنسبة مقدارها 0.84%.

ومن خلال دراسة الورفة النباتية لهذا الموقع أتضح أن أكبر نسبة للورفة النباتية سجلت فيه من خلال نبات البوشرنطة حيث سجلت نسبة وفرته النباتية حوالي 72.87%， ويليه في المرتبة الثانية نبات الأقحوان بنسبة وفرة نباتية مقدارها 6.88%， ثم بعد ذلك نبات الزيوان بنسبة وفرة نباتية وصلت إلى 6.47%， ثم يليه كل من نبات الحبيز ونبات خلال الغولة ونبات البابونج والعليق وسبول الفار والنجم 3.41%， 4.11%， 5.02%， 3.48%， 5.90%， على التوالي.

أما من حيث أقل نسبة للورفة النباتية قد سجلت في موقع المنطقة الشرقية (منطقة غنيمة) تحصل عليها نبات المثان بنسبة وفرة نباتية وصلت إلى حوالي 0.05%， ويليه نبات السرول بنسبة وفرة نباتية مقدارها 0.16%， ثم بعد ذلك نبات السدر ونبات القزاح بنسبة وفرة نباتية قد سجلت 0.22%.

النتائج

1 – تتميز أمطار المنطقة بالتذبذب وعدم الانتظام، ووجود علاقة عكسية بين الزمن بالسنوات وكثافات الأمطار الساقطة على منطقة الدراسة في فصول الصيف والشتاء والربيع وعلاقة طردية في فصل الخريف (تبين من خلال التحليل الإحصائي).

- 2 – وجود علاقة طردية بين الزمن بالسنوات ودرجات الحرارة في جميع الفصول في منطقة الدراسة (تبين من خلال التحليل الإحصائي).
- 3 – لوحظ من خلال الدراسة الميدانية للمنطقة أن النباتات الموسمية أكثر انتشاراً من النباتات المعمرة، وهذا يفسر ارتباط النباتات بعنصر المطر، كما أن النباتات الموسمية ترتبط في وجودها مع مواسم الأمطار ثم تختفي مع انقضاء فصل الشتاء.
- 4 – ومن خلال دراسة الغطاء النباتي والتحليل الكمي في منطقة الدراسة تبين أن التنوع النباتي قليل جداً فقد بلغ حوالي 0.029 ممثلاً في حوالي 56 نوعاً من النباتات، وتبيّن أيضاً من خلال حساب الكثافة النباتية أن الكثافة النباتية على الشريط الساحلي في موقع سيدي عمير وغنية عالية حيث وصلت الكثافة النباتية إلى 707.16 نبات/مربع و 449.92 نبات/مربع على التوالي، بينما تقل الكثافة النباتية كلما اتجهنا إلى الداخل حيث وصلت الكثافة النباتية في موقع قصر اخيار إلى حوالي 326.51 نبات/مربع، وقد كانت النباتات الأكثر انتشاراً والأكثر كثافة تمثل في نبات خلال الغولة ونبات الديس ونبات البابونج (الغلية).
- 5 – كما أوضحت الدراسة الميدانية أن نبات خلال الغولة ونبات الأقحوان ونبات البوشرنة والفلية والسبط هي النباتات الأكثر تكراراً في الموقع الأول (سيدي عمير)، وفي الموقع الثاني (قصر اخيار) كانت النباتات الأكثر تكراراً هي البابونج والشعال والبوشرنة والرتم والدليس وعشبة الأربن والسمسم والفرعون والقرطم والبهما، وفي الموقع الثالث (غنية) كانت أعلى نسبة سجلت للتكرار النباتي في نبات الشعال والبوشرنة ونبات الرتم والدليس ونبات الأقحوان وخلال الغولة.
- 6 – من خلال الدراسة الميدانية للغطاء النباتي في المنطقة تبين أن الموقع الأول (سيدي عمير) الذي يقع على الشريط الساحلي هو الأكثر في الوفرة النباتية حيث سجل مجموع الوفرة النباتية لجميع الأنواع النباتية 1443 نباتاً ، أما الموقع الثاني الذي يقع في الداخل من منطقة الدراسة (قصر اخيار) أي جنوب المنطقة قد سجل فيه مجموع الوفرة النباتية لجميع الأنواع النباتية 798 نباتاً، وفي الموقع الثالث الذي يقع في الشرق من منطقة الدراسة (غنية) قد وصل فيه مجموع الوفرة النباتية لجميع الأنواع النباتية إلى حوالي 897 نباتاً ، وهذا يعني أن الغطاء النباتي يقل كلما اتجهنا نحو الداخل، بسبب الاختلاف في الظروف المناخية والتربة .
- 7 – لقد لوحظ من خلال الدراسة الميدانية والكمية للغطاء النباتي في منطقة الدراسة أن في الأجزاء الشمالية من المنطقة تسيطر عليها النباتات الموسمية مثل نبات خلال الغولة والخبيز وضرس العجوز ونبات

العسلوز والبلعلع والزيوان والبوشرنطة، أما في الأجزاء الداخلية من منطقة الدراسة تسيطر عليها أنواع النباتات المعمرة (دائم الخضرة) مثل الرتم والشعال والبطوم والجداري والديس والبسط .

8 - وجود فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية في الكثافة النباتية بين منطقة سيدي أمير ومنطقة قصر الأخيار .

9 - وجود فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية في التكرار بين منطقة سidi أمير ومنطقة قصر الأخيار .

10 - وجود فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية في التكرار بين منطقة سidi أمير ومنطقة غنيمة .

11 - وجود فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية في مجموع النباتات بين منطقة سidi أمير ومنطقة قصر الأخيار .

12 - عدم وجود فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية في الوفرة النباتية بين مناطق الدراسة .

التوصيات :

إيمانًا بأهمية الغطاء النباتي وأخطار احتلاله، وإدراكا بالتهديدات التي تواجه هذا الغطاء في هذا الوقت الحالي وفي المستقبل، وإسهاما في تعزيز ونشر المعلومات حول هذه القضية، وإيمانًا بحق المواطنين في الاستفادة من كافة التقنيات الحديثة خاصة فيما يتصل بعلوم دراسة البيئة يوصي الباحث بما يلي :

1- دعم البحوث المتعلقة بدراسة البيئة ومشكلاتها من جميع الجوانب الاقتصادية والبيئية وتنظيم الدورات ، المؤتمرات ، والندوات في مجال حماية البيئة والغطاء النباتي وتوعية وترشيد المواطن للمحافظة على الموارد الطبيعية ، وإعداد البرامج المرئية للفت انتباه المواطنين بأهمية البيئة .

2- إصدار تشريعات صارمة وقابلة للتطبيق ، وتلقى قبولاً لدى المواطنين لحماية البيئة، ومنع التوسع الزراعي على حساب الأرضي الطبيعي .

3- التركيز على الانتشار الرئيسي في العمران بدلاً من الانتشار الأفقي، لأن هذا يساهم في توفير مساحات من الأرضي في المنطقة .

4- إعادة تأهيل الغطاء النباتي الطبيعي ؛ وذلك بإنشاء الحميّات الطبيعية التي تحتوي أنواع النباتية ، والحيوانية المهددة بالانقراض ، ودعمها ، وتطويرها .

5- تنظيم حملات لتوعية المواطنين بمقدار التعرف على أهمية الغابات بصفة عامة، وضرورتها لتوازن البيئة واستقرار الإنسان الاهتمام بنشر الوعي البيئي بين السكان وتعريفهم بالمشكلات البيئية الناجمة عن قطع وحرق الأشجار، والرعى الجائر، والقضاء على الغطاء النباتي الطبيعي، وكيفية المحافظة على البيئة النباتية،

عن طريق الملصقات في مناطق الغابات والمراعي الطبيعية وعن طريق وسائل الإعلام ومراحل التعليم المختلفة .

6- تعتبر حرفة الرعي من الحرف الرئيسية في المنطقة لذا يجب مراعاة الحمولة الرعوية للمراعي ، بمعنى إمكانية تحقيق الموازنة بين عدد القطيع وطاقة المراعي لأن زيادة أعداد الحيوانات ستؤدي إلى استنزاف وتدهور المراعي رغم وجود مقاومة من بعض النباتات اتجاه هذا النوع من الرعي ، ألا أن تلك النباتات لن يصل تجدها الطبيعي إلى مرحلة الدرة التي كانت قبل تعرضها للرعي .

7- الخد من التوسيع الزراعي على حساب مساحات الغطاء الطبيعي، لأنه يؤدي في نهاية الأمر إلى التصحر عند نفاذ أو قلة المياه و اختيار تركيبة محصوليه مناسبة لإمكانيات التربة والمياه في المنطقة .

7- إدخال أصناف من النباتات والأشجار إلى المنطقة والتي تسهم في حماية التربة من الانجراف وتكون الأنوع ملائمة لظروف الطبيعة لمنطقة .

• المراجع :

1. احمد الفرج العطيات البيئة و علم النبات ، وزارة الثقافة الاردنية، عمان، 1995
2. احمد صالح احمد، الأعشاب في ليبيا، مركز البحوث الزراعية، طرابلس، 1988م.
3. آمال بشير محمد المرعي ، أثر الحرارة والأمطار على تنوع الغطاء النباتي الطبيعي في شعبية الزاوية ، دراسة في الجغرافية الحيوية ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة السابع من أبريل ، مركز البحوث والدراسات العليا ، قسم الجغرافيا ، 2008 م .
4. بو لقمة، الهادي مصطفى . القزيري، سعد خليل ، الجماهيرية دراسة في الجغرافية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، 1995م
5. جمال الدين فهمي احمد وآخرون، النباتات الطبية والعطرية، جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، مصر ، 1977 .
6. جودة حسين جودة، جغرافية الأرضي الجافة الطبعة الثالثة، دار النهضة للطباعة، بيروت، 1996 .
7. حسين العروسي . عماد الدين وصفي، المملكة النباتية، دار المطبوعات الجديدة، الإسكندرية، مصر ، 1987 م .

8. سالم محمد الزوام، الجبل الأخضر دراسة في الجغرافية الطبيعية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس ، ليبيا ، 1984 م.
9. سمير إبراهيم غبور، صيانة البيئة والموارد الطبيعية، الجمعية الجغرافية المصرية، يحيث مقدم ندوة عن الجغرافيا ومشكلات تلوث البيئة، مصر، 1992 م.
10. السنوسى عبد القادر الزنى، محمد عباس محمد يومى، الأشجار و الشجيرات الهامة المحلية و المستوردة بالجبل الأخضر ليبيا ، الدار الأكاديمية للطباعة و النشر، طرابلس، 2006.
11. الشحات نصر أبو زيد ، النباتات والأعشاب الطبية ، الطبعة الثانية ، الدار العربية للنشر، 2000 م.
12. شكري إبراهيم سعد ، النباتات الزهرية نشأتها وتطورها وتصنيفها ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، 1994 م.
13. ضو، محمد سالم - محمد، سعد جاسم ، دراسة في الجغرافية الطبيعية للأراضي الليبية وظواهرها الكبرى، دار شموع الثقافة ، الزاوية ، 2006 م.
14. طلال أبو رجيع - غسان حجاوي ، علم العاقاقير (النباتات الطبية) ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ،الأردن ، 2000 م.
15. عبد الحميد احمد مرفوعة ، التوزيع المكانى للنبات الطبيعي واستعمالاته الطبية في غربان، رسالة ماجستير غير منشورة ، أكاديمية الدراسات العليا، قسم الجغرافيا، 2007 .
16. عبد الرزاق الصادق الشريف، النتحيليات في ليبيا، منشورات elga، مالطا، 1995 .
17. عبد العزيز طريح شرف ، الجغرافية النباتية ، الطبعة التاسعة ، دار الجامعة المصرية، الإسكندرية ، 1983 .
18. عبد الله عبد الحكيم القاضي . أبو البشر محمد عنيات ، النباتات السامة في ليبيا ، دار الكتب الوطنية طرابلس ، ليبيا ، 1986 .
19. عبد الله عبد الحكيم القاضي- صفية محمد الرماح ، استعمالات بعض النباتات في الطب الشعبي الليبي، الطبعة الخامسة، الجزء الأول، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ، 1997 م.
20. علي بن محمد الدقاد ، اقتصاديات حماية البيئة في الإسلام ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1994 م .

21. كريمة مصطفى عمار ، تحليل الواقع المكاني للغطاء النباتي في شعبية الزاوية ، مجلة كلية الآداب ، جامعة السابع من أبريل ، الزاوية ، العدد الخامس، 2003 م .
22. كمال الدين حسن البشانوي ، بيئة صحراوية ، مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح ، القاهرة ، مصر ، 1992 م.
23. محمود المبروك غردية ، التوزيع المكاني للمراعي الطبيعية في الجزء الشمالي الغربي لسهل الجفارة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، أكاديمية الدراسات العليا ، قسم الجغرافيا ، 2009 م.
24. نجا بلعيد محمد الشف ، دراسة تصنيفية لنباتات منطقة كعام ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب والعلوم ، جامعة المربك ، الخمس ، قسم الأحياء، شعبية النبات، 2005 م .

دراسة ديدان البليهارسيا بأحواض عين تاورغاء

*أ. صالح محمد بيكي **د. الطاهر عبدالواحد الجهيسي

كلية الآداب والعلوم قصر الاختيار/جامعة المرقب

S_beket2003@yahoo.com

alguhime@g-mail.com

الملخص

أجريت هذه الدراسة بأحواض عين تاورغاء على ديدان البليهارسيا التي تصيب الإنسان مختلفة أمراض خطيرة تؤدي إلى الوفاة في بعض الأحيان كم تم التعرف على المسبب للمرض والمتمثل في قواع من نوع بيموفلاريا الكسندرينا و بولينس ترنكاتس والأخير أقل انتشاراً بمنطقة تاورغاء ومن خلال النتائج المتحصل عليها يتضح إن المصاين بمنطقة تاورغاء والذين تم حصرهم من خلال المدارس يصل عددهم إلى (179) مصاب ، بينما المصاين بمنطقة الدراسة والذين تم حصرهم من خلال المستشفيات يصل عددهم إلى (72) مصاب و المصاين بمنطقة الدراسة والذين تم حصرهم من خلال الجولات الميدانية للقاطنين بالقرب من أحواض العين يصل عددهم إلى (120) مصاب وبالنظر إلى حالة المصاين الذين تمثلوا للشفاء بمنطقة الدراسة والذين تم حصرهم من خلال الاستبيان يصل عددهم إلى (324) مصاب وضمت الدراسة جميع الشرائح العمرية من كلا الجنسين ذكور و إناث وتكون شدة الإصابة في الحوض الأول رقم (1) حيث منبع مياه العين . والمهدف من هذه الدراسة حصر وتصنيف الحالات المصابة بمرض البليهارسيا و التعرف على أنواع البليهارسيا بمنطقة الدراسة وطرق المكافحة .

الكلمة الدالة : ديدان البليهارسيا ، مرض ، مكافحة.

المقدمة :

البليهارسيا مرض طفيلي ينبع عن إصابة الإنسان بديدان البليهارسيا و هي ديدان طفيلي تعيش في المياه الراكدة أو المستنقعات و هو مرض لا يعد قاتلا إلا أنه يؤدي إلى سرعة استهلاك جسد المصاب ، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى تيودور بلهارس مكتشف هذا المرض سنة 1851 م يأتي مرض البليهارسيا بعد مرض الملاريا من حيث الطفيليات ذات الأهمية من الناحية الاقتصادية و الصحية و

الاجتماعية التي تؤثر على المجتمع في المناطق الحارة، يوجد 5 أنواع من طفيل البليهارسيا التي تصيب الإنسان من أهمها :

أـ البليهارسيا الأمعائية *mansonii* وهي تصيب الكبد بالتليف
بـ البليهارسيا البولية *haematobium* وهي تصيب المثانة بالتليف و تعرضه لسرطان المثانة و الفشل الكلوي (9,8).

الهدف من الدراسة :

- التعرف على أنواع البليهارسيا والواقع بالأحواض المائية لعين تاورغاء
- حصر وتصنيف الحالات المصابة بمرض البليهارسيا.

مشكلة البحث :

تکمن في وجود كائنات مائية مرتبطة ببعضها البعض (عائل وسيط) تهاجم الإنسان لإكمال دورة حياتها داخل الجسم مسببه له مشاكل صحية لعل أهمها مرض تليف الكبد وتضخم في الأحشاء والمثانة .(4)

أهمية البحث :

هذه الدراسة مهمة للتعرف على الأنواع المسببة للأمراض (العائل وال وسيط) ومدى تطورها ومحاولة إيجاد أبشع الحلول للحد من قدرتها على إكمال دورة حياتها قبل دخولها جسم الإنسان بالإضافة إلى عمل الإجراءات الوقائية بالكافحة المبكرة لإحداثها أو كلامها .

منطقة الدراسة :

تقع منطقة تاورغاء بلبيبا بين خططي عرض (العائل وال وسيط) و $E\ 15.19.021\ _N32.12.794$ و $(E15.32.849\ _N\ 31.34.944)$ و تتميز بيئتها الطبيعية النادرة دائمة الخضراء والغنية بالتنوع الحيوي, وعلى الأخص التنوع النباتي الذي يغطي المنطقة . (3,2)

طبيعة المنطقة :

وهي واحدة من أكبر الأراضي دائمة الخضرة بالساحل الليبي وشمال أفريقيا، وتشغل مساحة كبيرة تقدر بأكثر من 8500 كم مربع تقريباً بالمنطقة الوسطى من ليبيا والمناخ المتوسط يميزها، بالمقابل يتغير المناخ إلى صحراوي كلما اتجهنا في اتجاه الجنوب ،التغير الكبير في درجات الحرارة بين فصل الشتاء والصيف يصل نطاقه بين (3,2,1) درجة مئوية.(40.0)

عين تاورغاء :

توجد بالمنطقة عين مياه عذبة تصرف المياه بمعدل 3م³/ الثانية وعمقها أكثر من 2500 م تقريباً وعمرها أكثر من 3000 سنة وتوجد بها خزانات او أحواض ترابية ضخمة تحجز المياه ويعاد توزيعها بواسطة ترع إلى المنطقة والفائض من المياه يذهب باتجاه الأرضي الرطبة و باتجاه البحر .ويحجز كل خزان أكثر من 30 ألف لتر مكعب .(4,1)

طفيل البليهارسيا :

يتتمي طفيل البليهارسيا الى الديدان المفلطحة والتي تضم حوالي 10.000 نوع تقريباً وهي من اللاسلوميات وتوصف بأنها جانبية التماثل ثلاثة الطبقات (الاكتوديرم والاندوديرم والميزوديرم) وهي من طائفة ثنيات العائل وهي ديدان منفصلة الجنس ولكن في اغلب الأحيان تكون في حالة احتضان داخل جسم العائل . (9,8,5)

معيشة الكائن :

ديدان البليهارسيا تعيش متطفلة وتكون داخل عائلين وهما :-

1- الإنسان والثدييات والطيور

2- القواع ويوجد منها نوعين :-

أ- قواع بيومفلاريا الكسندرينا ذات الشكل الدائري .

ب - قواع بولينس ترنكتاس ذات الشكل المخروطي (4)

مرض البلهارسيا :

بعد هذا المرض من الأمراض المتقطنة يسببه طفيليان من البلهارسيا وهم سيسنوسوما مانسوني و سيسنوسوما هيماتوبيوم .

أ - سيسنوسوما مانسوني *mansoni*

الطفيل يعيش في الأوردة المسارية و يتضاعف البيض في المستقيم ليمر في الخارج مع البراز والعائل هو قوقة بيموفلاريا الكسندرينا ذات الشكل الدائري

ب - سيسنوسوما هيماتوبيوم *haematobium*

الطفيل يعيش في المثانة البولية و يتضاعف البيض الذي يخرج في البول و تصيب الجدار البولي و العائل هو قوقة بولينس ترنكاس ذات الشكل المخروطي ..

ج - سيسنوسوما جابونيكم

وتسبب مرض البلهارسيا اليابانية أو الآسيوية (9,7,6)

التوزيع الجغرافي :

سيسنوسوما هيماتوبيوم : يوجد هذا الطفيلي في معظم الدول الأفريقية و ينتشر بصفة أساسية في شمال و شرق القارة الأفريقية ويوجد في جنوبها و غربها أيضاً ، يلاحظ وجودة بجمهورية مصر العربية خاصة في المناطق الريفية ويوجد أيضاً بعض المناطق بدولاً كثيرة مثل فلسطين و سوريا و العراق و السعودية و اليمن . (8,5)

سيسنوسوما مانسوني : وهو أقل انتشار في القارة الأفريقية ويوجد في مصر و وسط وغرب أفريقيا وكذلك في أمريكا الجنوبية . (5)

دورة حياة البلهارسيا :

تحترق الطفالية جلد الإنسان و من ثم تبدأ طور حياتها الآخر بإفراز بويضاتها بكميات كبيرة تتربّس في الكبد و المثانة مسببة تليفها ، و تخرج هذه البويليات مع فضلات المريض ، فإذا تبرز المريض بحوار مصدر مائي راكد ، فتفقد البويليات عن يرقات نمو و تكثير لتكتمل دورة حياتها لتصيب إنسان آخر لامس جلد هذه المياه (5).

طريقة العدوى :

لا يمكن أن تنتقل عدوى البليهارسيا مباشرة من الشخص المريض إلى السليم و لا تنتج الإصابة عن شرب الماء الملوث بالسركاري، على عكس الاعتقاد السائد عند العامة، ففي هذه الحالة تموت السركاري تماما نتيجة حموضة المعدة، ولكن ربما تحدث العدوى إذا تمكنت السركاري من اختراق الغشاء المخاطي للقلم قبل وصولها للمعدة و طريق الإصابة تأتي أيضا عن طريق الاستحمام أو الوقوف مدة طويلة في البرك والمستنقعات أو المياه الرائدة، أو الأجزاء الساقية من الماء، وهكذا يجد طور "السركاري" طريقه إلى الإنسان عن طريق أي تششقق جلدي خصوصا بين أصابع الأقدام، في خلال ربع ساعة تخترق الجلد و منه للأوعية الدموية حيث تفقد ذنبها (ذيلها) و يحملها تيار الدم عبر الأوعية الدموية للنصف الأيمن من القلب ثم الرئة، وتحول لما يسمى الدودة الصغيرة وتستمر في رحلتها العجيبة داخل جسم العائل مخترقة أنسجته المختلفة و مسببة للعديد من الأضرار في حوالي 5 أيام، ثم تنطلق حسب نوعها إلى الكبد أو المثانة عبر شرايين الدم ، و تبدأ في إفراز البيض بكميات كبيرة مما يسب التليف.(9,8,5)

أعراض المرض :

تشمل الأعراض المصاحبة لهذا المرض ما يلي :-

1- عند اختراق السركاري الجلد : في الغالب يكون ذلك غير محسوس و لكن بعض الأشخاص قد يعانون من حكة و رغبة بالمرش في الجلد حول منطقة الاختراق. (8,9,5)

او قد يحدث فيه التهاب وقد يشعر المريض بحكمة بالجلد مع ظهور بثور بالأطراف تزول بعد فترة وجيزة (8).

2- عند إفراز البيض : في الغالب يكون ذلك غير محسوس ، و لكن بعض الأشخاص يعانون من ارتفاع في درجة الحرارة و حكة (رغبة في المرش) بالجلد قد يصاحبها ارتفاع بنسبة كريات الدم البيضاء في الدم .

3- عند ترسب البيض في الكبد : يسبب تليفاً في أنسجة الكبد و الطحال وتليف الرئتين يتم ذلك بدون إحساس المريض بأية أعراض ، حتى تبدأ مرحلة متقدمة بأعراض ارتفاع ضغط الدم أليبي ، و تبدأ وظائف الكبد بالتدهور ، يتبع ذلك نزيف معوي و تضخم بالبطن بسبب السوائل(8,9)

4- عند ترسب البيض في المثانة : يتسبب في تليف جدارها ، و خلال هذه الفترة يحصل نزيف مع البول مما يجعله يتلون باللون الأحمر ، وقد يحدث انسداد في الحالب من إحدى الكليتين أو من كليهما مما يؤدي إلى فشل كلوي في بعض الحالات ، وقد يتطور الأمر إلى حدوث سرطان في المثانة لذلك فالأعراض تتدرج حسب طور نمو الطفيلي في جسم المريض بداية من الطفح الجلدي و الحكة مروراً بارتفاع درجة حرارة الجسم و الرعشة و تورم الغدد الليمفاوية و تكرار التبول عن المعتاد مع حرقان أثناء التبول و خروج دم مع البول حتى تضخم و فشل الكبد و الطحال و سرطان المثانة و دوالي المرئ و غالباً ما يعاني المريض من مرض الصفراء *Jaundice* نظراً لارتفاع نسبة البيلوروبين في الدم *Bilirubin* مما يسبب إصفرار الجلد و بياض العينين. (5, 8, 9)

طرق الوقاية والمكافحة :

1- الوقاية :

- الابتعاد عن المياه الرائدة والمستنقعات وعدم ملامسة الجلد
- ردم المياه الرائدة، والتعاون مع وزارة الزراعة للتخلص من الواقع إن وجدت.
- التخلص من الفضلات الآدمية بعيداً عن مصادر المياه.
- أخذ العلاج اللازم عند وصف الطبيب له.
- إقامة الحمامات الصحية بالمناطق الريفية بشكل كافي والعمل على حسن استخدامها وصيانتها الدورية
- استخدام المياه النقية الصالحة للشرب والغسيل والاستعمالات اليومية المختلفة . (5, 7).

2- المكافحة :

للقضاء على الأمراض المتوسطة ومسبياتها يتطلب تكاليف الجهد بمكافحة شاملة يشارك فيها المواطن والجهات الحكومية الرسمية وغير الرسمية بأستخدام :

- الطرق الهندسية الميكانيكية .. حيث يتم تنظيف أحواض المياه بشكل دوري وإزالة الأعشاب والحسائش . (5, 8, 9).
- الطرق البيولوجية : والتي تمنع تكاثر الواقع (9).

- الطرق الكيميائية : حيث يتم مكافحة القواعع بالمبيدات الكيميائية مثل المولونكس والفريكون والباليوسيد وكبريتات النحاس برشها داخل المياه و حول المنطقة المحيطة لفترات معينة وبتركيزات معلومة (٥,٥)

3- علاج المرضى :

يعطى العلاج للتحلص من ديدان البليهارسيا ومنع فرص تلوث المياه ببويضاتها بالإضافة إلى تخليص المرضى من أضرار البليهارسيا ومضاعفاتها ومن العقاقير المستعملة لعلاج البليهارسيا عقار يسمى الطرطير المقيني ويعطى حقنا بالوريد والاستیان والمايكانتون وتعطى بالحقن عضليا والنيريذازول والمیراسیل وتعطى عن طريق الفم (٩,٧,٥)

وفي مراحله الأولية يوجد علاج فعال مضاد للطفيليات للقضاء على البليهارسيا ويكون من حبوب أو شراب مثل أقراص ديسنوسيد 600 مجم (يعطى بمعدل 40 مجم من الدواء لكل كجم من وزن الجسم كجرعة واحدة)

وفي المراحل المتأخرة من المرض يجب علاج مضاعفات المرض بالإضافة إلى علاج البليهارسيا السابق كما يلى:

- علاج دوالي المريء بالجراحة التصلبية
- استئصال الطحال جراحيا إذا لزم الأمر
- العلاج الكيماوي والإشعاعي للسرطان إذا وجد
- علاج تليف الكبد أو زراعة كبد بديل إذا لزم الأمر (٩,٨)

4- التشغيف والتربية الصحية .

يتم توعية المواطنين بأضرار البليهارسيا وأثارها الصحية ، ويتم إرشادهم إلى السلوك السليم لتجنب تلوث المجاري المائية وبالتالي تجنب الإصابه بالبليهارسيا ويتم استخدام كافة الوسائل الإعلامية المسموعة والمقروءة والمحاضرات وورش العمل والمؤتمرات وغيرها من وسائل التشغيف المتاحة . (٩)

المواد وطرق العمل :

استخدمنا معدات هامة للقيام بالعمل ومنها :-

مختبر تحاليل طبية - انبوب بلاستيكية لأنخذ العينات - قفازات - ادوية علاجية - مطهرات تعقيم -
شاشة معمق - حافظات - جهاز قياس الضغط والحرارة - ميزان كيلوجرامات - جهاز حاسوب - آلة تصوير .

جمع و تحليل العينات :

بدئنا في الدراسة بمسح مبدئي للمنطقة وللموقع المستهدفة في جمع العينات لتحديد البؤرة الرئيسية للمرض وقد تم جمع العينات الالزمة وحفظها للتحليل وفق الطرق المتبعة ونقلها إلى مختبر التحليل لإجراء الاختبارات ، وتم التركيز على (الواقع و البلهارسيا والمصابين)

1- الواقع

يوجد بالمنطقة نوعان من الواقع السائدة والتي تعيش بالمياه العذبة بكثرة في الأحواض المائية وهي :-

قوقع بيومفلاريا الكسندرينا ذات الشكل الدائري .

قوقع بولينس ترنكاتس ذات الشكل المخروطي (7,6)

2- البلهارسيا

يوجد بمنطقة الدراسة عدد نوع (1) من أنواعها السائدة والتي أهمها سيستسوسوما مانسوني الطفيلي يعيش في الاوردة المساريقية ويضع البيض في المستقيم ليمر في الخارج مع البراز و العائل هو قوقع بيومفلاريا الكسندرينا ذات الشكل الدائري وتسمى البلهارسيا الحشوية حيث تصيب احشاء الجسم . (7,6)

3 - المصابين

تم التعرف على المصابين و المتوقع اصابتهم بمرض البلهارسيا بعدة وسائل منها:-

(153)

- المتابعة للحالات الواردة الى المستشفى والمراكز الصحية
- الجولات الميدانية الى المدارس بمنطقة الدراسة
- الجولات الميدانية للقاطنين بالقرب من منبع العين تاورغاء .
- استبيان وتم توزيعه على كافة الشرائح لمعرفة مراجعة الحالات المصابة السابقة والحدثية .

التشخيص المعملي :

يتم تشخيص المرض بإجراء فحص على عينة بولية أو براز تحت الميكروسكوب للعثور والتعرف على بويضات البليهارسيا الأمامية أو الطرفية الشوكية (سيستوسوما هيماتوبيوم) او على بويضات البليهارسيا الجانبية الشوكية (سيستوسوما مانسوني) ، وفي المراحل المتقدمة بأخذ عينة من المستقيم أو الكبد أو المثانة، يوجد تحليل للدم يبين ما إذا كان الإنسان قد تعرض للبليهارسيا من قبل أو لا، ولكن لا ثبت المرض .
(9,8,7.4)

النتائج :

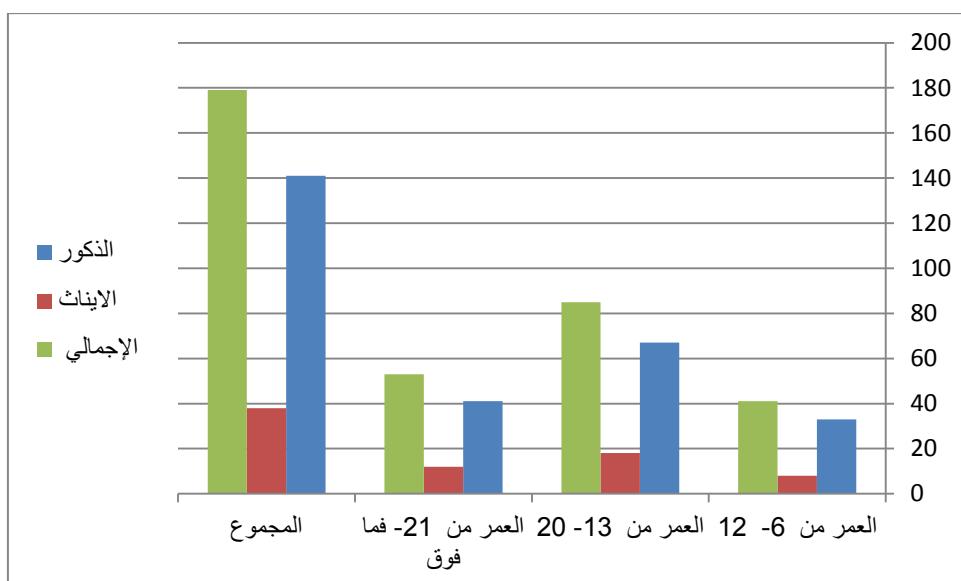
من خلال المسوحات والتحاليل التي أجريت تحصلنا على نتائج هامة نوضحها في الجداول والأشكال التالية :

1 - جدول يوضح اهم انواع القواعق الموجودة بمنطقة الدراسة

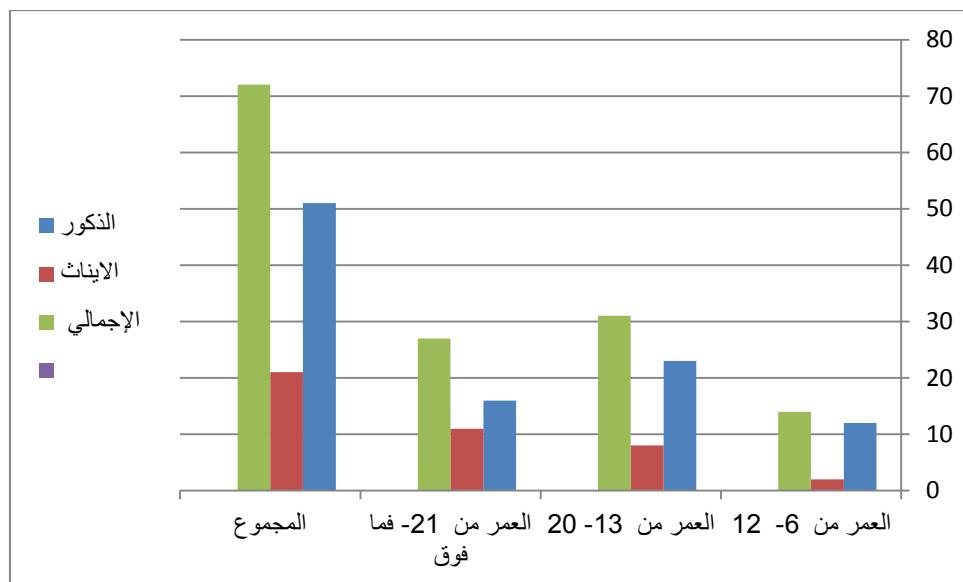
نوع	الحوض	م
بيومفلاريا الكستدرينا	1	أ
بولينس ترنيكاتس	1	ب
بيومفلاريا الكستدرينا	2	ج
بيومفلاريا الكستدرينا	3	د
بيومفلاريا الكستدرينا	4	هـ

2 - جدول يوضح اهم انواع البليهارسيا الموجودة بمنطقة الدراسة

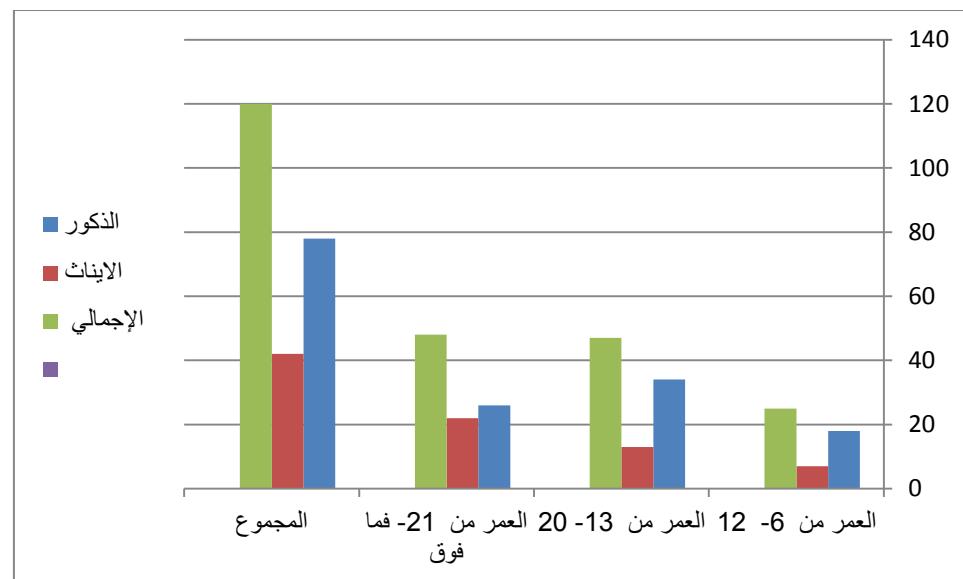
م	نوع	مكان التواجد (المحوض)
أ	سيستوسوما مانسوني	1
ب	سيستوسوما مانسوني	2
ج	سيستوسوما مانسوني	3
د	سيستوسوما مانسوني	4



شكل (1) يوضح المصايب بمنطقة الدراسة والدين تم حصرهم من خلال المدراس

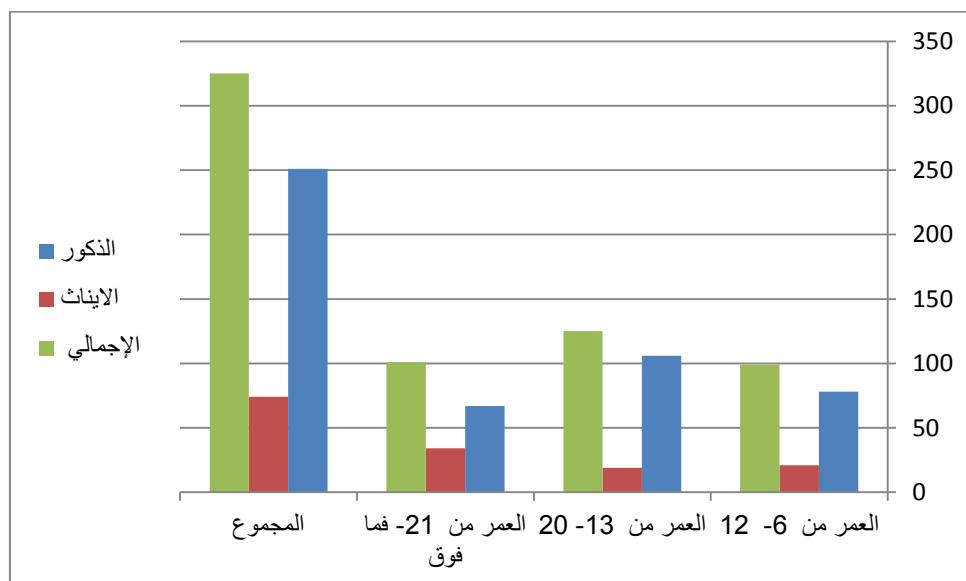


شكل (2) يوضح المصابين بمنطقة الدراسة والذين تم حصرهم من خلال المستشفيات



شكل (3) يوضح المصابين بمنطقة الدراسة والذين تم حصرهم من خلال الجولات الميدانية للقاطنين بالقرب من أحواض العين

(156)



شكل (4) يوضح المصابين وتمثيلوا للشفاء بمنطقة الدراسة والدين تم حصرهم من خلال الاستبيان

المناقشة :

يتضح من خلال النتائج إن المنطقة يوجد بها عدد كبير من المصابين من مختلف الفئات العمرية للجنسين ذكور وإناث ، ونجد إن الذكور هم الأكثر إصابة بالمرض ونلاحظ إن الفئة العمرية من (13 – 20) سنة من الذكور هي الأكثر إصابة تليها الفئة العمرية من (6 – 12) سنة من الذكور أيضاً تم تليها الفئة العمرية من (21 سنة – فما فوق) من الذكور أيضاً ، بينما الإناث أقل بكثير من الذكور من حيث الإصابة بالمرض والفئة العمرية من (21 – فما فوق) هي الأكثر إصابة من الفئات الأنثوية الأخرى

الخلاصة :

تبين من خلال هذه الدراسة أن الإصابة تكمن في المنطقة القريبة من أحواض العين ويرجح أسبابها إلى الاستعمال المباشر للمياه من قبل القاطنين وطلبة المدرس والزائرين وغيرها وتكمّن شدة الإصابة بالمنطقة رقم (1) الحوض الأول حيث منبع مياه العين وتقل كلما ابتعدنا أكثر من 2 كم .

ومن خلال النتائج التي تحصلنا عليها يتضح أن المصاين هم من الفئة التي تستعمل المياه بشكل يومي و مباشر في كافة مجالات الحياة .

التوصيات :-

- نشر الوعي البيئي بين المواطنين والاهتمام بوعية أولياء الأمور تجاه أبنائهم بإقامة الندوات والمحاضرات والكتيبات الإرشادية وكافة الطرق الإعلامية المعروفة .
- تشجيع الباحثين ودعمهم من خلال الجهات ذات العلاقة . وتمكينهم من المشاركة في كافة المحافل العلمية بالداخل والخارج .
- العمل على تفعيل دور برنامج المكافحة الشاملة وتذليل كافة الصعوبات التي تواجهه .
- إنشاء مراكز متخصصة بأماكن انتشار المرض لمكافحة ومعالجة مثل هذه الأمراض ومدتها بكافة الإمكانيات الأزمة .
- التشجيع على القيام بمثل هذه الدراسات مستقبلا .

المراجع :

1. هيركه , ح . بيكي , ص (2006) دراسة الأهمية البيئية (لأسماك البلطي) بعين تاورغاء , المجلة الأكاديمية لتنمية البيئة . مصر
2. بيكي , ص. (2008) دراسة الأهمية البيئية (للأراضي الرطبة) , المجلة الأفريقية للبيئة . مصر
3. بيكي , ص. (2009) دراسة الطيور المهاجرة للساحل الليبي (المنطقة الوسطى) المجلة الأفريقية للبيئة . مصر
4. بيكي , ص . هيركه , ح (2010) أهمية العطاء النباتي بمنطقة تاورغاء , المجلة الأكاديمية لتنمية البيئة . مصر
5. شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)
6. تقارير من مستشفى تاورغاء العام 2010
7. تقارير مركز مكافحة البهارسيا واللشمانيا تاورغاء 2010
8. محمود ، ع . آخرون (1997) اللافقاريات . مكتبة الأنجلو . مصر
9. الشاذلي , أ,ي . آخرون . مبادئ علم الحيوان العام . دار المطبوعات الجديدة . مصر

زراعة الزيتون في شمال إفريقيا خلال العصر الروماني

أ. حميدة عوادات القماطي

كلية الآداب والعلوم قصر الاخيار / جامعة المرقب

الملخص

تناول الدراسة موضوع زراعة الزيتون في شمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية ، فقد كان للزيتون أهمية كبيرة في الحياة الاقتصادية سواء في منطقة شمال إفريقيا أو الامبراطورية الرومانية ، وكان من بين أسباب التوغل الروماني في أراضي شمال إفريقيا غرباً وجنوباً وذلك بتوسيع زراعة الزيتون و سن قوانين تشجع على استصلاح المزيد من الأراضي ، وإن آثار المعاصر التي يعج بها الريف وبعض المدن ما هي إلا دليلاً على النشاط الكثيف الذي عرفته هذه الزراعة .

المقدمة :

كان الشمال الإفريقي في القدم يعتمد اعتماداً كلياً على الزراعة حين كانت حضارته الأولى قائمة عليها ، والتي بدورها تعتمداً أساساً ، على المياه وخصوصية الأرض ، بالإضافة إلى الظروف المناخية الملائمة لذلك ، فكلما كانت هذه الظروف أكثر ملائمة كلما ساهمت بشكل كبير في انتشار حضارة الشعوب وذلك بفضل الزراعة ، إذ تعتبر المنطقة من أخصب الأراضي من حيث التربة ، وهذا ما أشارت إليه المصادر القديمة و من بين المحاصيل الزراعية ذو الأهمية الكبيرة في المنطقة هو الزيتون ، حيث يعتبر ذا أهمية اقتصادية لديهم ، لدى أهتمموا به وبزراعته ، وقد اولوه عنابة خاصة إذ كان يمثل متنوّجاً استهلاكيًّا أساسياً لديهم ، وعندما سيطر الرومان على المنطقة أكثروا من زراعته وتطوره وسن قوانين تشجع على استصلاح المزيد من الأراضي ، وإن آثار المعاصر التي يعج بها الريف وبعض المدن ما هي إلا دليلاً على النشاط الكثيف الذي عرفته هذه الزراعة ، ولذلك سنحاول في هذا البحث أن نسلط الضوء على زراعة أشجار الزيتون في منطقة شمال إفريقيا خلال الفترة الرومانية .

زراعة الزيتون

أشارت المصادر التاريخية إلى وجود زراعة الزيتون في إفريقيا منذ القدم Aristoles,V,XXLV,Z;Theophrasus,IV,3;Diodour Siculus,III,50;Pliny,XVIII,LI,22) غير أن التوسع في زراعتها قد عرف تطور ملحوظا خلال الفترة الرومانية بشكل كبير خاصة أواخر القرن الثاني وبدايات القرن الثالث الميلادي، وينبغي الإشارة من أن إفريقيا قبل هذه الفترة قد سجلت محاولات في التوسع الزراعي لهذه الشجرة ، فقد أخبرنا المؤرخ أوريليوس فكتور Aurelius Victor أن القائد القرطاجي حنبعل* (Hannibal 247-182 ق.م) بعد أمضاء قرطاج لمعاهدة سنة 201 ق.م مع الرومان قد وجه جنوده إلى استصلاح الأرضي وزراعة الزيتون لإلهائهم عن القيام بأي محاولة انقلاب أو أثارة فوضى في البلاد . (Victor,1997,P.126)

يتضح مما سبق ذكره إن حنبعل فعلا قد أولى اهتماماً كبيراً بالزراعة ، لدرجة أنه وجه جنوده لها ، ليست فقط للهائهم وإنما تعد أحد أهم مركبات الاقتصاد القرطاجي وخصوصاً بعد خسارة قرطاج في حروبها مع روما وخسارة مستعمراتها فأصبحت بذلك تتجه زراعياً لأجل توفير التزامتها المالية إتجاه روما** .

* حنبعل ، هو أعظم القادة العسكريين في التاريخ ، ولد حنبعل في قرطاج عام 247 ق.م ، والده " هميكار باركا " كان أيضاً قائداً للجيوش القرطاجية ، للمزيد ينظر : OCD, PP . 665– 666 .

** حول نتائج الحرب البونية الثانية ينظر : Polyblu ,XV ,18;LiVY ,XXX,37 ;Goldsworthy,A,PP.286.

اهتمت روما بزراعة أشجار الزيتون في شمال إفريقيا منذ القرن الثاني الميلادي ، وذلك لعدة أسباب أهمها:

تراجع إنتاج الزيتون في روما وشبه جزيرة إيطاليا ، بحيث تراجعت المساحات المخصصة لها ، وبالتالي تراجع إنتاج الزيت ، حتى أن شبه جزيرة إيطاليا ، أصبحت عاجزة عن تلبية حاجياتها من الزيت بعد أن كانت تكتفي ذاتيا ، وتصدر جزء منه (بشارى ، 2013 ، ص ص 269 – 270) .

شجعت الظروف والعوامل الطبيعية والمناخية الملائمة لشمال إفريقيا على زراعة الزيتون ، وخاصة أنه أقل تكلفة من المزروعات الأخرى (انديشة ، 2004 ، ص 143) لأن شجرة الزيتون تنمو جيدا في مثل هذه الظروف لما لها من مميزات مقاومة الجفاف ، وقد أشار بليني Pliny (79-25 م) في كتابة " التاريخ الطبيعي " إلى المناخ المعتمل لهذه الزراعة (Pliny, xv, 2) وكونها تحتاج ماء أقل من الحبوب وخاصة القمح ، إذ أن ري القمح يتطلب ستة الاف متر مكعب من الماء لري هكتار من أشجار الزيتون (شارن ، 2001 ، ص 111) .

نتيجة لتوسيع العمري والتمدن في شمال إفريقيا خاصة في عهد الانطونيين والسيويين ، مما جعل الطلب على الزيت يزداد ، ولذلك حدث التوسيع الكبير زراعة الزيتون (شيني 1984 ، ص ص 91-92 .)

ارتفاع عدد السكان وتوفّر اليد العاملة (المحجوبى ، 2001، ص 130؛ شنطي ، 2003 ، ص 172) ، وظهور تشریعات مرنّة تشجع على نمو هذا النشاط الفلاحي (العربي ، 2003 ، ص 120).

وتجدر الإشارة هنا إلى أهمية زيت الزيتون بإعتباره عنصر أساسي منذ العصور القديمة في تركيبة الغذاء الإنساني (Foxhall.L,p.129) واستعمل كوقود للمصابيح التي كانت هي المصدر الوحيد للإضاءة في العالم القديم آنذاك (عبد ربه ، 2005، ص 439) ، بالإضافة إلى استخدامه في أغراض علاجية (حارش ، 1985 ، ص 147) ، كما يعد مادة أساسية للعديد من مستحضرات الصابون وزيت البشرة والطيب والعطور ومستحضرات التجميل (Mattingll.D,J,p,225) ، وإستخدامه في إقامة الشعائر الدينية (شكل 1).

كان الرومان قد تخلوا في بداية عهدهم بإفريقيا عن استثمار الزيتون ، وقد انصبّت عنايّتهم على زراعة القمح المريحة ، غير أن هذا التخلّي لم يعق الأهالي عن موافقة زراعة الزيتون التي ورثوها عن أسلافهم منذ زمنٍ غابر (شنطي ، 2012، ص 130) ، وكان قد ساهموا في تطوير تلك الزراعة ، بدليل جهود عالم الزراعة ماجون* .

كما أن مملكتي نوميديا وموريطانيا كانت مواطنين على العناية بفلاحة الزيتون ، لما كان له من أهمية في غذاء السكان اليومي (شنطي ، 2012 ، ص 130) ، وتنأكـد وفرة هذه الزراعة من خلال الضريبة السنوية المقدرة قيمتها بثلاثة ملايين رطل من زيت الزيتون (Plutarch ,55;Caesar,97

* ماجون القرطاجي الذي عاش في النصف الثاني من القرن الثالث إلى النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد ، وكتب كتاب عن الزراعة ، ويتضمن خبرات ميدانية في هذا المجال ، وهي خبرات الفلاح الإفريقي دون ريب ، وقد اعتبره كولوميل أبا الفلاحة، (Columelle XII, 4,2) ، للمزيد ينظر:-

العربي ، 2013 م ، ص ص 253-255 .

التي فرضها يوليوس قصیر^{*} Iulius Caesar في عام 46 ق.م على مدينة لبدة الكبرى^{**} Leptis Magna، ويعتقد أن هذه الغرامة كانت تدفع من قبل المدن الثلاث لبدة وأويا وصبراته حيث أن المدنتين الأخيرتين كانتا تابعتين لمدينة لبدة الكبرى (عيسى ، 1992 ، ص 45) .

وابتداء من أواخر القرن الأول اخذت الإدارة المركزية للإمبراطورية الرومانية على عاتقها مهمة توجيه الفلاحة في جميع الولايات ، وتحويل اقتصادها الزراعي بما يتلاءم واحتياجات الإمبراطورية في الميدان الاقتصادي (شنيتي ، 2012 ، ص 130).

اعتبر بعض المؤرخين القرن الثاني هو فترة توسيع وازدهار المساحات المزروعة بالزيتون (حارش ، 1992 ، ص 204؛ محمد ، 2015 ، ص 32) ، وبدأت بوادر الإنتاج والازدهار الاقتصادي والخوافر المشجعة على زيادة الإنتاج والتوسيع في مساحات زراعته (بورن ، 2001 ، ص 84) ، مما أدى إلى

* يوليوس قيصر، ولد عام 100ق.م من أسرة نبيلة وقتل عام 44 ق. م، وكانت لأسرته علاقة وطيدة بالسياسة والسياسية أن ذلك، فعمته هي جوليا Jalia زوجة ماريوس ، وقد تقلد عدداً من المناصب ، وألف العديد من الكتب ، للمزيد ينظر:-

OCD, PP . 780 – 782.

** لبدة الكبرى : هي إحدى المدن الفنية التجارية أو ما يسمى الإمبريوري ، وقد أسسها الفنيقيون حوالي 600 ق. م أو قبلها بقليل ، وتحتوي المدينة على العديد من الآثار المعمارية مثل السوق ، والمسرح وغيرها ، للمزيد ينظر :-

OCD , PP. 844 – 485

* انتشار زراعته وعلى نطاق واسع بتشجيع من الأباطرة الرومان خاصة زمن الإمبراطور هادريانوس Hadrianus (117-138 م) وبعد الزيارة التي قام بها إلى إفريقيا عام 128 م (عيساوي ، 2010 ، ص 369) وذهل لمساحة الأرضي المهملة وغير المستغلة (شنبتي ، 1985 ص 81) ، ووُجد عملية غرس أشجار الزيتون ضئيلة ولم تول اهتماماً كبيراً، وربما السبب راجع في ذلك إلى استغلال الأرضي التي لم تزرع فيها الحبوب كمناطق رعوية (قواري ، 2012 ، ص 86) ، فعمل هادريانوس حاقد لاستغلال هذه الأرضي من خلال قانونه الذي منح بموجبه عدة امتيازات للفلاحين كتشجيع لهم ليحوّلوا أرضيهم إلى أراضي صالحة للزراعة ومنح زارعي الزيتون والأشجار المشمرة امتيازات خاصة (بشاري ، 2007 ، ص 65) ، كما قام الإمبراطور قسطنطين ** Constantine (306 – 337 م) ، بعدة أعمال للنهوض بزراعة الأشجار ومنها : قيامه برفع الرسوم والخدمات الجمركية عن آلات الفلاحة، واعفي العمال عن بعض الخدمات التي تجبرهم الحكومة فيها عند العجز عن أداء الضريبة ، كما أنه منع الأغنياء من استغلال الفلاحين الصغار بحجّة عدم إيفائهم دفع القروض التي عليهم ، فيأخذون أرضهم أو عبيدهم أو حيواناً لهم أو آلاتهم (دغمان ، 2009 ، ص 85).

* هادريانوس ، تولى الحكم بين عام (117-138 م) ، وهو ابن أخت الإمبراطور تراجانوس ، كان مهتماً بأمور المستعمرات الرومانية وخاصة شمال إفريقيا لما لمسه من خيرات اقتصادية وفيرة ، للمزيد ينظر :

OCD , PP . 662- 663 .

** قسطنطين ، إمبراطور روماني عاش في الفترة ما بين 337-306 م ، ومن أهم الأعمال التي قام بها هي اعترافه بالديانة المسيحية ، ونقل عاصمة الإمبراطورية من روما إلى روما الجديدة والتي سميت باسمه القسطنطينية ، للمزيد ينظر :-

OCD , PP . 378 – 380 .

كانت زراعة الزيتون على العموم أكثر انتشاراً بحيث شملت مختلف المناطق ، ومن نتائج قوانين مانكيانا^{*} Lex Hadrianus وهديانا^{**} Lex Manciana توسيع زراعة الزيتون بشكل ملحوظ (محمد ، 2005 ، ص 70) ، فبعد أن كانت شمال إفريقيا حتى القرن الأول الميلادي أرض القمح أصبحت ابتداء من القرن الثاني تنتج الزيتون جراء التوسع الروماني نحو الجنوب وفرض استغلالها والاستفادة منها ، ومن ثم تشجيع الفلاحين وإعطائهم تسهيلات (بشاري ، 2007 ، ص) ، و كنتيجة لهذا تم اخضاع الشعوب واستغلالها ونخب خيراتها وتمتع الرومان بها وزدية ثرواتهم على حساب الأهالي (قواربي ، 2012 ، ص 69) .

ادى توسيع زراعة الزيتون إلى انتشار المعاصر على التراب الإفريقي (شكل 2) ، ففي سبيطة وحدها وجدت آثار بعد هامٌ من تلك المعاصر (ما بين 15 و 20 معاصرة) تعود إلى القرنين الثاني و الخامس وقد تم جرد 400 معاصرة أما في المدن الثلاث كشفت الآثار عن 500 معاصرة ، فقد دلت المعاصر و الصور الفسيفسائية بالمنطقة على طرق التصنيع (العربي ، 2003 ، ص 125) ، ومن الملاحظ أيضاً ان المعاصر الإفريقية تتفاوت في حجمها (شكل 3) والقدرة الانتاجية لها فهي على العموم ثلاثة أنواع :

*سمى هذا القانون نسبة إلى شخص لم يتوصلا الباحثون إلى تحديد الصفة القانونية والمهنية التي كان يشغلها، وقد رجح رستوفترف أن يكون مبعوثاً خاصاً لأحد الفلاحين، وقد يكون حاكماً أو موظف للإمبراطور أو قاضياً فنصلياً كلف به مهمة وضع قوانين لتنظيم عملية الاستغلال الزراعي خلال عهد الأسرة الفلافية ومن المحتمل خلال فترة حكم الإمبراطور فسباسيانوس، روسستوفترف ، 1957 ، ص 343.

**قانون هديانا هو عبارة عن اصلاحات أمر بها الإمبراطور هدياناوس بعد أن زار بعض المناطق بأفريقيا فلم يطمئن للحالة التي وجد عليها الأرضي ، للمزيد ينظر : العربي ، 2003 ، ص ص 84 – 85 .

- 1 منشأة صناعية (Entreprise industrielles)؛ ويكون من 21 مصتبة عصر وكل مصتبة لها ثقالتان (شكل 4).
- 2 معاصر حضرية (Huileries Urbaines) : وجدت في مناطق الإنتاج الوفير في كل مدن البروقصلية و في كويكول و مادور و وليلي (العربي ، 2003، ص 124).
- 3 معاصر ريفية (Installations rurales) : ولا تكاد تخلو فيلا (Villa) من معصرة لغرض الاستهلاك العائلي والباقي يتم تسويقه (Camps ,H.F,1974,P.26).

صناعة الزيت :-

أدى اتساع زراعة شجرة الزيتون إلى انتشار هذه الصناعة ، فقد دعمت الأبحاث الأثرية ما جاء في المصادر الأدبية عن ثراء إفريقيا بالزيت ، وكانت نوعية الزيت وجودته تتبع نوع الزيتون ودرجة نضجه وكذلك أدوات وطريقة عصره ، لأن العصرة الأولى للزيتون نصف الناضج هي التي تعطي الزيت الجيد ، ولا ريب أن الزيت الجيد للاستهلاك البشري ، أما الأقل جودة فيوجه للاغراض الصناعية و الصحية و على الخصوص الأضاءة (العربي ، 2003 ، ص 125) .

لقد اصدر العديد من الباحثين حكماً قاسياً بخصوص جودة الزيت الإفريقي حيث اعتبروه ذا نوعية ردية لذا يستعمله الرومان في إنارة المصايف وفي الحمامات ، والسبب حسبهم يعود إلى عدم حرص الأفارقة على صنع بطريقة جيدة واعتمادهم على وسائل بدائية في إنتاجهم له بالإضافة إلى حرصهم على وفرة الحصول أكثر من حرصهم على جودته (Camps,H.F.1953,p63) ، مستندين على حكمهم هذا

إلى قصيدة الشاعر جوفينال^{*} Juvenal (47-127م) الذي وصف فيها الزيت الإفريقي الذي عكف أبناء مسيبسا على إرساله إلى روما بأنه زيت جعل حمامات روما مقرقة وأنه لشدة حموضته ورداهته يدفع حتى سعوم ولسعات الثعابين (Juvenal , V,86-91) ، سواء صدق هذا الشاعر أم بالغ، فإن الإنتاج تحسن مع مرور الوقت، حتى أصبح فيما بين 80 / 270 م ينافس زيوت بلاد الغال وبتيكا بإسبانيا ، ويعتقد أن هذا التطور يعود إلى تحكم المعمرين المقيمين بها في صناعتها ، لكن أحد الباحثين يرى أن روما اقتصست طريقة صناعة الزيت من إفريقيا وببلاد الغال ومن غيرها من البلدان المتوسطية ، وهذا

بديهي مادامت هذه الصناعة وجدت في المنطقة قبل الاحتلال الروماني (Camps.H.F,1953,73).

بعد جنِي الزيتون وعصره يُوجه القسط المخصص إلى المخازن (Horrea) المخصصة له؛ ففي البداية يوجَّه إلى المخازن القرية تم إلى المخازن التي تقع عادة على الطرقات الرئيسية ثم إلى مخازن المدن الداخلية لتمويل الجيش والمقاطعة، أو باتجاه الموانئ القرية لشحنها إلى روما عبر الناقلات البحرية (شكل 5)، وكانت الموانئ المكلفة بشحن الزيت باتجاه روما عديدة (Camps.H.F,1953,pp79-82) منها بلدة وتلالات (الم سعودي ، 1988 ، ص 25)

* شاعر روماني ، تلقى تعليمه في فن البلاغة ، عاش في الفترة ما بين (127 – 47 م) للمزيد ينظر

-:

OCD, PP . 804- 805 .

ويستقبله الرومان في ميناء أوستيا^{*} (Ostia) فعلى العموم كانت الكمية الموجهة إلى روما من الزيت الإفريقي معتبرة ، ومثلاً على ذلك تعتبر صناعة زيت الزيتون من أكثر الصناعات في إقليم المدن الثلاث ، حتى أن هدية الإقليم للإمبراطور سبتيسيوس سوبيروس^{**} Septimus Severus (193-211 م) ، كانت عبارة كميات كبيرة من زيت الزيتون كشكراً له على منحه الحقوق الإيطالية ، واستمر إعطاء هذه المنحة حتى عهد قسطنطين (ورمنقنز ، 1994، ص 92-93) ، علمًا بأن مادة الزيت أصبحت واحدة من مواد التموين الجانبي لسكان روما منذ عهده (بشارى، 2012، ص 22) ، ولاشك في ذلك كان وراء تشجيع هذا الإمبراطور على غراسة الزيتون ، فقد أصدر الإمبراطور سوبيروس قانوناً يعفي غارس الزيتون من الضرائب لمدة عشر سنوات (رمضان ، 1990، ص 138) ، ويُعتبر زيت الزيتون من أهم صادرات المدن الثلاث خلال العهد السوري ، ويُوضح ذلك من خلال مجموعة الجرار(الأمفورات) الخاصة بحمل زيت الزيتون ، التي تنتهي إلى المدن الثلاث في

*أوستيا ، هي ميناء قديم أقيم عند مصب نهر التiber ، وكانت تبعد عن روما بستة عشر ميلاً ، وقد كانت لها أهمية كبيرة بالنسبة إلى مدينة روما ، نظرًا لكونها المنفذ الخاص بها ، أثناء الحروب البونية الثانية (218-202 ق.م) أصبحت أوستيا قاعدة بحرية هامة ، وسرعان ما خرجت من نطاق أسوارها ، وتحولت إلى مركز تجاري مزدهر واسع النشاط ؛ وفي عهد الإمبراطور كلاديوس ، بني ميناءً جديداً تماماً على بعد ثلاثة أميال شمال الميناء القديم ، وأقيم رصيفان و منارة وتم عمل قناة تربط بينه وبين نهر التiber ، وللمزيد من الحماية ، أضاف تراجانوس حوض داخلي سداسي الشكل ، وتوسعت المدينة توسيعاً كبيراً في عهد هدريانوس ، للمزيد ينظر :

OCD,pp.1080-1081

**سبتيسيوس سوبيروس ، ولد في مدينة لبدة الكبيرة عام 146 م ، واتم فيها مراحل تعليمه الأولى قبل انتقاله لروما عام 160 م ، وهناك تلقى تعليمه في مجال القانون ، ومن ثم تدرج في سلم الوظائف الحكومية ، للمزيد ينظر :

Birley,A,R.,2002,pp.23-36

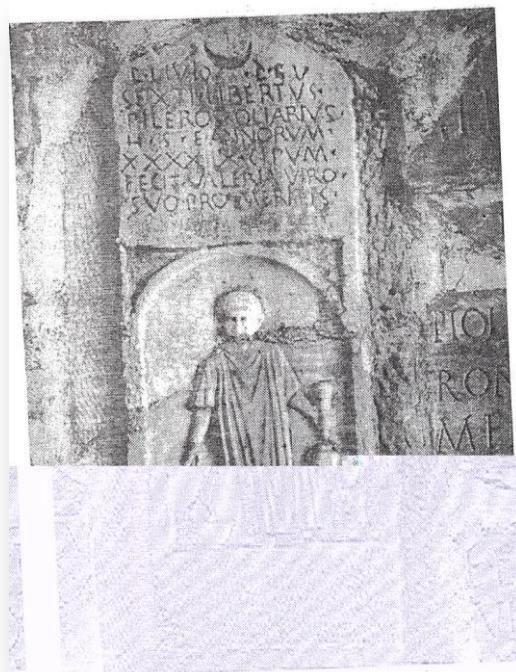
روما ، وكذلك في ميناء أوسينا في جنوب إيطاليا حيث ينتمي معظمها إلى الربع الأول من القرن الثالث الميلادي ، وقد تم التعرف على اثنين وستين نوعاً من اختام هذه الامفورات يرجع أغلبها إلى الربع الأول من القرن الثالث الميلادي ، وما يدل على كثرة الزيت الذي تصدره مناطق الإقليم كبير وسعة الامفورات التي كان يحمل فيها الزيت ، والتي تسع حوالي 50 لترًا ، وبعضها تجاوز هذه السعة حتى وصلت إلى 52.50 لترًا (بن حسين ، 2009 ، ص 155) .

إن تحسين نوعية الزيت الإفريقية وتضاعف إنتاجها مرات عديدة سمحت برواج تجارة حتى قيل أن إفريقيا وحدها ، كانت تزود كل الشعوب بما ذلك روما التي كانت حاجتها في تزايد مستمر (شارن ، 2011 ، ص ص 112-113 ؛ بشاري ، 2007 ، ص 171) ، حتى أنها خصصت لها أسطولاً لتأمين استيرادها وبلغ إنتاجها في أواخر عهد الإمبراطورية أقصاه ، حتى أن مصايحها كانت تبقى مشتعلة طوال الليل خلافاً لروما التي كانت تبيت في الظلام الدامس ، ويتبين ذلك من شهادة القديس أوغسطين* Augustine . st بين سنتي 386 / 387 م حيث أشار أنه لم يتمكن من الكتابة والمطالعة ليلاً خلال زيارته مدينة ميلانو ، حيث أن الإيطاليين بما فيهم الأغنياء لا يشغلون الأضواء في الليل لقلة الزيت ، خلافاً لما كان عليه الوضع في هيبوا حيث وفرة الزيت ، وللحاظ أن تكشف الإيطاليين في استعمال الزيت يعود إلى نقصه وغلائه ، (شارن ، ص 114) .

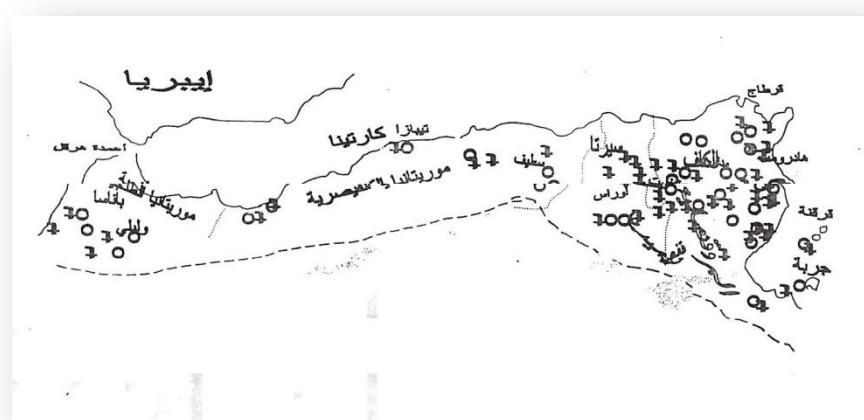
* القديس أوغسطين ، كاتب لاتيني ولد في مدينة تافست ، من أب وثني وأم مسيحية ، اشتغل بالتعليم وتدريس البلاغة حيث انتقل في عام 382 م من قرطاج إلى روما ومنها إلى ميلان ، للمزيد ينظر : -

OCD, PP . 215- 216 .

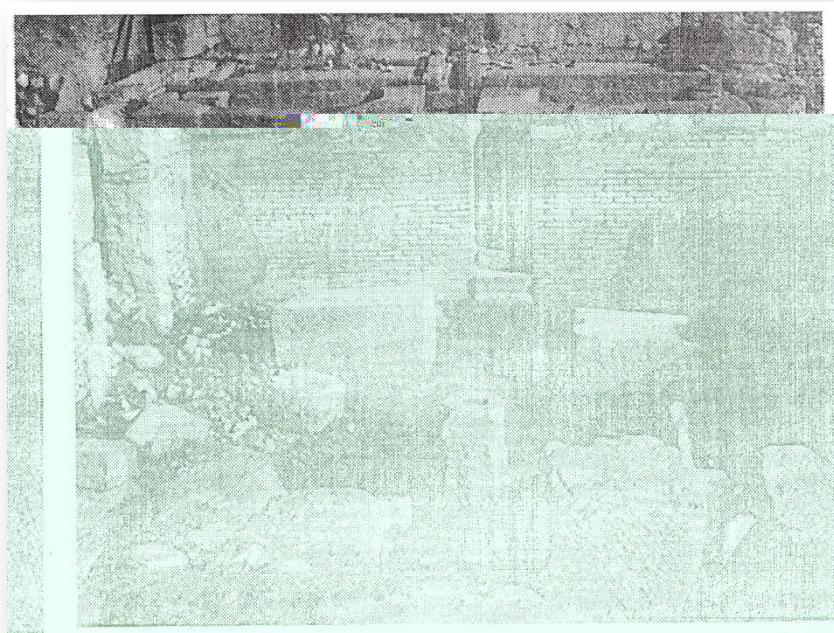
لم تكن الفترة الرومانية فقط هي الفترة الوحيدة التي ازدهرت زراعة هذه الشجرة بل استمر ذلك إلى ما بعد هذه الفترة بقرون ، ومن الواضح أن الإزدهار الذي عرفته إفريقيا خلال فترة الفتوحات الإسلامية كما وصف لنا ابن عبد الحكم (أبن عبد الحكم ، 2001 ، ص 248) ، قد كان استمرار للقرون التي قبلها خصوصا إذا علمنا أن شجرة الزيتون من الأشجار التي تعمّر أكثر من 500 سنة .



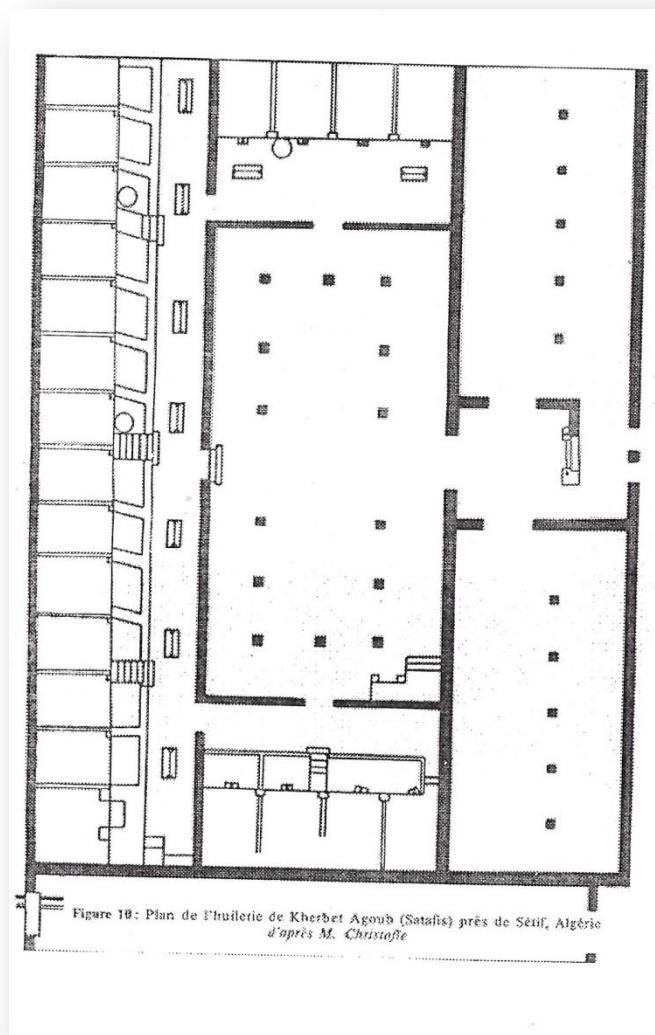
(1) تقديم الزيت قريانا للإله ساتورن ، العربي ، 2003، ص 128



شكل (2) خريطة توضح معاصر الزيت في أفريقيا القديمة - العربي ، 2003، ص 105 .

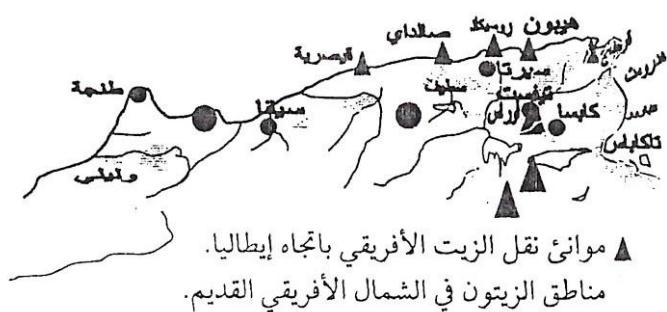


شكل (3) معصرة زيت من الفترة الرومانية - Camps,H.F.,1974,p.27



شكل (4) مخطط مبني ورشة صناعة الزيت

. العربي ، 2003 ، ص 122 .



شكل (5) خريطة توضح موانئ نقل الزيت الافريقي - العربي ، 2003 ، ص 102 .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : - المصادر

- ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر ، ج 1، شركة الأمل للطباعة والنشر ، القاهرة، 2001.
- Aristoles , History of Animals , Trans by Cresswell , R . , London , 1883 .
- Caesr , African War , Trans by way , A . G , L . C . L , London , 1955 .
- Columella , ON Agriculture , trans by Asl , H. B , L . C . L , London , 1960 .
- Diodorus , Siculus , Trans by oldfather , C. H , L . C . L, London , 1953 .
- Herodotus,trans by Godley .A.D., L.C.L.London,1975.
- Juvenal , Satire , Trans by Ramsay , G , L . C. L , London , 1928 .
- Ramsay ,G.L.L.C.L,London,1928.
- Livy,Trans by moore,F.G,London,1967.
- Pliny , Natural History , trans by Rhckham, H . R . L . C . L , London , 1960.
- Plutarch , Trans by Perrir , B . , L . C. L , London , 1967 .
- Polybins,The Histories , Trans.by paton, W.R,L.C.L,London,1991.
- Sexti Aurelius Victor , RÖmischen Kaiser (Liber de Cassaribus); Überestzt fuhrmann , M , Germany , 1997 .
- Theophrastus , Enquir Into Plants , trans by Hort , A., L . C . L , Londn, 1950.

ثانياً : - المراجع العربية

- 1 - انديشة ،أحمد محمد ، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث في ليبيا ، دار ومكتبة الشعب للنشر والتوزيع ، مصراته ، 2004 .
- 2 - حارش ، محمد الهادي ، التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، الجزائر ، 1992 .
- 3 - رستوفترف ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعية والاقتصادي ، ج 1 ، ترجمة ومراجعة زكي علي سليم سالم مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1957 .
- 4 - شينتي ، محمد البشير ، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني ودورها في أحداث القرن الرابع الميلادي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984 .

- أضواء على تاريخ الجزائر القديم (بحوث ودراسات) ، دار الحكمة ، الجزائر ، 2003.
- نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال ، الجزائر . 2012
- العربي ، عقون محمد ، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003.
- محمد ، بن عبد المؤمن ، مدينة بورتوس ماغنوس بطبيعة دراسة في تاريخها القديم ، منشورات المخبر للبحث التاريخي ، جامعة وهران ، 2005.
- الحجوي ، عمار ، أفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري 146 ق.م – 235 م ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، 2001 .
- ورمنقتن ، ب . ه ، تاريخ ولايات شمال أفريقيا الرومانية من دقلييانوس إلى الاحتلال الوندالي ، ترجمة عبد الحفيظ الميار ، طرابلس، 1994 .

ثالثا : - المراجع الأجنبية

- Birley , A . R . , Septmius Severus The Afircan Emperor , London , 2002.
- Camps , H . f . , Lolivier et L Huile dans L Afrque Romaine , Alger , 1953.
- Foxhall , L ., Olive Cultivaton in Ancient Greece : Seeking the Economy , Oxford , 2007 .
- Goldsworthy,A.,The Fall Of Carthage The Punic wars 265 – 146 Bc , Landon ,2003 .
- Mattingly , D ., Tripolitania , London , 2005 .
- The Oxford Classical Dictionary , Oxford , 1996 .

رابعا : - المقالات

- بشاري ، محمد الحبيب، " التوسعات الرومانية و انعكاساتها على الزراعة المغاربية " ، مجلة الدراسات التاريخية ، العدد 14 ، جامعة الجزائر ، 2012.

- ، " سياسة روما الزراعية القديمة (نوميديا وموريطانيا القيصرية) " ، المدينة و الريف في الجزائر القديمة ، أعمال الملتقى الوطني الأول المنعقد يومي 6-7 نوفمبر ، جامعة معسکر ، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2013 .
- عبد ربه ، مفتاح عثمان ، " زراعة الزيتون في قورينائية في العصر الكلاسيكي " ، مجلة الاتحاد العام للآثار بين العرب ، العدد 2 ، القاهرة ، 2005 .
- عيسى ، محمد علي ، " تبليط شوارع لبدة ثورة تاكفارنياس " ، مجلة آثار العرب ، العدد 5 ، طرابلس ، 1992 .
- العربي ، عقون محمد ، " موسوعة الفلاح الأفريقية الهوية والأهمية " ، المدينة والريف في الجزائر ، أعمال الملتقى الوطني الأول المنعقد يومي 6-7 نوفمبر ، جامعة معسکر ، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2013 .
- Camps , H . f , Oliveie et Son importance economique dans L'Afrique antque, paris,1974

خامساً : - الرسائل العلمية

- بشارى ، محمد الحبيب ، دور المقاطعات الأفريقية في اقتصاد روما ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الجزائر ، 2007 .
- بن حسين ، محمود فرج سالم ، أباطرة الأسرة السويسرية وعلاقتهم بمنطقة المدن الثلاث (لبدة الكبيرى - ويات - صبراته 193-235م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة طرابلس ، طرابلس ، 2009 .
- بورنى ، دليلة ، تطور النظام الضريبي الروماني في شمال إفريقيا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الجزائر ، 2001 .
- محمد المادي ، حارش ، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء مسيينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول 46ق.م - 203ق.م ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، الجزائر ، 1985 .
- رمضان ، نسعديت ، الإصلاحات السفيرية في بلاد المغرب القديم 195-235م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الجزائر ، 1990 .
- دغمان ، نادية جمعة ، النشاط الاستيطاني الزراعي الروماني في ولايات شمال إفريقيا للفترة (133ق.م- 337م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة طرابلس ، طرابلس ، 2009 .

- شارن، شافية، النشاط التجاري في نوميديا وموريطانيا أثناء الاحتلال الروماني(العهد الأول)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر ، 2001 .
- عيساوي ، مها ، المجتمع اللوبي في المغرب القسم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة متوري ، قسنطينة ، 2010 .
- مباركة ، قواري ، السلم الروماني في المقاطعات الأفريقية في عهد الأباطرة الأوائل للأسرة الانتونية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الجزائر2 ، الجزائر ، 2012 .
- محمد ، قاسم ، الوضعية الاجتماعية و الديمغرافية لغرب موريطانيا القيصرية من 42م إلى سنة 284م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة وهران ، 2015 .
- المسعودي ، أنسيا ، التبادل التجاري بين إيطاليا والمغرب القديم خلال العهد الإمبراطوري الأول (القرن الأول – القرن الثالث) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الجزائر ، 1990 .

مسميات علم العقيدة حتى بداية القرن الخامس الهجري

د. إبراهيم عبد الله سلطان

أستاذ مشارك، كلية علوم الشريعة جامعة المربك

المقدمة :

للقديمة الإسلامية أسماء عند أهل السنة، تردادها، وتأثرها، منها: الفقه الأكبر، والسنّة، والإيمان والشريعة، والتوحيد، وأصول الدين، وتعد تسمية العلم الذي يتناول المسائل العقدية باسم: علم العقيدة تسمية متأخرة نسبياً، اشتهرت مع بداية القرن الخامس الهجري، ذلك أن من الكتب التي وصلتنا مسماة بالعقيدة:

- 1- كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لـاللـكـائـي (ت 418هـ).
- 2- كتاب الاعتقاد للبيهقي (ت 458هـ).
- 3- كتاب الاعتقاد لابن أبي يعلى (ت: 526هـ).

غير أن هناك من يطلق على علم العقيدة تسميات أخرى منها: علم الكلام، والفلسفة الإسلامية، وهي تسميات يرى بعض المختصين أنها غير شرعية، ولهذا فإن مشكلة البحث تتناول مسألة تسمية العقيدة بأسماء شرعية، وأسماء غير شرعية، ويمكن صياغة إشكالية البحث من خلال الأسئلة الآتية:

- 1- ما الأسماء الشرعية للعقيدة الإسلامية؟
- 2- ما الأسماء غير الشرعية التي تطلق على العقيدة الإسلامية؟
- 3- كيف يمكن معالجة المشكل في إطار علمي إقتصادي؟

أهداف البحث

يهدف البحث طبقاً لإشكاليته إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- 1 بيان الأسماء الشرعية للعقيدة الإسلامية.
- 2 بيان الأسماء غير الشرعية التي تطلق على العقيدة الإسلامية.
- 3 بيان كيفية معالجة المشكل في إطار علمي إقتصادي.

أهمية البحث

تكمّن أهمية هذا البحث في معالجة إشكالية تتعلق بأسماء المعتقد، وبيان الشرعي منها وغير الشرعي وفق الكتاب والسنة، ورأي صالح سلف الأمة، وضرورة استعمال المفاهيم الصحيحة، ومعالجة

الخلافات بين المسلمين أنفسهم، في إطارٍ إقناعي، بالنظر إلى ما وصلت إليه الاتجاهات الإسلامية من تشرذم، حتى صاروا يكفرون بعضهم ببعض، أو يفسقونهم ويدعوهم، تاركين لغيرهم حرية العمل في كثير من بقاع العالم الإسلامي.

منهج البحث

تم استخدام المنهج الاستقرائي، من خلال دراسة تسميات العقيدة بغية الكشف عن الشرعي وغير الشرعي منها عبر التاريخ، كما استخدم منهج التحليلي، وهو البحث عن المعلومات الموجودة الدقيقة داخل التسمية والتفسير الدقيق للمفاهيم التي يحتويها الاسم، والتعبير عنها بوضوح وموضوعية وشمولية ودقة.

هيكلية البحث

يتكون البحث بعد المقدمة من مبحثين، وخاتمة.

المقدمة: تتضمن إشكالية البحث، وأهدافه، وأهميته، ومنهج الدراسة، وهيكلية البحث.

المبحث الأول: يتناول الأسماء الشرعية للعقيدة الإسلامية.

المبحث الثاني: يتناول الأسماء غير الشرعية لها.

الخاتمة: تتناول نتائج البحث.

المبحث الأول: الأسماء الشرعية للعقيدة الإسلامية

الكتب التي تتكلّم على علم العقيدة قبل بداية القرن الخامس الهجري تسمى العقيدة بسميات

متعددة منها:

أولاً- الفقه الأكبر:

من تسميات العقيدة الإسلامية: الفقه الأكبر؛ وسمي أكبر؛ لكونه يتناول القواعد التي ينطلق منها الدين؛ ولتعلقه بأعظم معلوم، وهو الباري -جل ذكره- والفقه الأكبر يقابل الفقه الأصغر، وهو فقه الأحكام العملية؛ فالفقه الأكبر يتعلّق بالاعتقاد، والتوحيد، الذي لا مجال فيه للاجتهاد، أما الفقه الأصغر؛ أي: فقه الفروع فيتعلّق بالشريائع والأحكام من صلاة، ورَكَّاْة، وصيام، وحج... التي يمكن فيها الاجتهاد، وأول من استعمل هذا الاسم الإمام أبو حنيفة النعمان (ت 150 هـ) (الغرياني، 2010، 10) فقد شاع وانتشر أن للإمام أبي حنيفة كتاباً في العقيدة سمّاه: الفقه الأكبر، وقد نسبه إليه بعض الأجلاء من العلماء منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية (ت 728 هـ) في كتابه: درء تعارض العقل والنقل؛ حيث يقول: «وقال أبو حنيفة في كتاب الفقه الأكبر -المعروف المشهور عند أصحابه- الذي روى

بالإسناد عن أبي مطیع، الحکم بن عبد الله البلاخي؛ قال، قال: أبو حنيفة عمن قال: لا أعرف ربِّي في السماء، أم في الأرض؟ فقال: قد كفر؛ لأنَّ الله يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5]. وعرشه فوق سبع سماوات، قال أبو مطیع: قلت فإنَّ قال: إنه على العرش ولكنَّه يقول: لا أدرِي العرش في السماء، أم في الأرض؟ قال هو كافر؛ لأنه أنكَرَ أن يكون في السماء؛ لأنَّه تعالى في أعلى علينا، وأنَّه يُدعى من أعلى، لا من أسفل، وفي لفظ قال: سألت أبي حنيفة عمن قال: لا أعرف ربِّي في السماء، أو في الأرض؟ قال: قد كفر؛ لأنَّ الله يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5]. وعرشه فوق سبع سماوات، قال فإنه يقول: على العرش استوى، ولكنه لا يدري العرش في الأرض أم في السماء؟ قال: إذا أنكَرَ أنه في السماء فقد كفر». (ابن تيمية، 1997، 263/6)

فابن تيمية يذكر في هذا النص أنَّ كتاب: الفقه الأكابر معروف مشهور عند أصحاب أبي حنيف وأئمَّة رواه بالإسناد عن أبي مطیع الحکم بن عبد الله البلاخي (ت 199هـ).

ويقول بدر الدين بن جماعة (ت 733هـ): «فبعد أن كتب التابعي الجليل الإمام أبو حنيفة - رحمه الله تعالى - الفقه الأكابر - الذي لا يزيد على ست صفحات من أصول مسائل الاعتقاد - رأينا بعد ذلك من توسيع فيه - تبعاً لل الحاجة - فشرح الموجود وأضاف ما يراه من البحوث والمواضيعات التي لها علاقة بعلم التوحيد» (ابن جماعة، 1990، 8/1).

كما نسب كتاب الفقه الأكابر إلى الإمام أبي حنيفة ابن القيم (ت 751هـ) حيث يقول: «وقال أبو حنيفة - رحمه الله -: الفقه الأكابر في الدين خير من الفقه في العلم، ولأنَّ يتفقه الرجل كيف يعبد ربه - سبحانه - خير من أن يجمع العلم الكثير. قال أبو مطیع قلت: فأخبرني عن أفضل الفقه، قال: يتعلم الرجل الإيمان، والشرع والناسن، والحدود، واختلاف الأئمة، وذكر مسائل في الإيمان، ثم ذكر مسائل في القدر» (ابن القيم، 1408، 2/5).

كما نسبه إليه أيضاً ابن أبي العز الحنفي (ت 792هـ) في شرح العقيدة الطحاوية، حيث يقول: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّه لَمَّا كَانَ عِلْمُ أَصْوُلِ الدِّينِ أَشْرَفَ الْعُلُومَ؛ إِذْ شَرَفُ الْعِلْمِ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ، وَهُوَ الْفِقْهُ الْأَكْبَرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى فِقْهِ الْفُرُوعِ، وَلَهُدَا سَيِّدُ الْإِمَامِ أَبُو حَنِيفَةَ - رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - مَا قَالَهُ، وَجَمَعَهُ فِي أَوْرَاقٍ مِّنْ أَصْوُلِ الدِّينِ "الْفِقْهُ الْأَكْبَرُ" وَحَاجَةُ الْعِبَادِ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ حَاجَةٍ، وَضَرُورُتُهُمْ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ؛ لِأَنَّه لَا حَيَاةَ لِلْفُلُولِ، وَلَا نَعِيمَ، وَلَا طُمَانِيَّةَ، إِلَّا بِأَنْ تَعْرِفَ رَبَّهَا، وَمَعْبُودَهَا، وَفَاطِرَهَا بِإِسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَعْمَالِهِ، وَيَكُونُ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَحَبَّ إِلَيْهَا مَمَّا سِواهُ، وَيَكُونُ سَعْيَهَا فِيمَا يُغَرِّنَهَا إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ. وَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ تَسْتَقْعُلَ الْعُقُولُ بِعِرْفَةِ ذَلِكَ وَإِذْرَاكِهِ عَلَى التَّعْصِيلِ؛ فَاقْتَضَتْ رَحْمَةُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ أَنْ يَعْثَثَ

الرَّسُولُ بِهِ مُعَرِّفٌ، وَإِلَيْهِ دَاعِينَ وَلِمَنْ أَجَابَهُمْ مُبَشِّرٌ، وَلِمَنْ حَالَفَهُمْ مُنْذِرٌ، وَجَعَلَ مَفْتَاحَ دَعْوَتِيهِمْ، وَرُزْنَدَ رِسَالَتِهِمْ، مَعْرِفَةً الْمَعْبُودِ – سُبْحَانَهُ – بِأَسْمَائِهِ وَصَفَاتِهِ وَأَعْوَالِهِ؛ إِذْ عَلَى هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ ثُبُّتِ مَطَالِبُ الرِّسَالَةِ كُلُّهَا مِنْ أَوْلَى إِلَى آخِرِهَا» (ابن أبي العز، 2013، 123-124) ويقول أيضاً مشيراً إلى أحد الإمام أبي جعفر الطحاوي عقيدته عن السلف، وعن أبي حنيفة وصاحبيه: «فَأَخِيرُ - رَحْمَهُ اللَّهُ - عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ السَّلْفُ، وَنَقَلَ عَنِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةِ النَّعْمَانِ بْنِ تَأْبِيتِ الْكُوفِيِّ، وَصَاحِبِيهِ أَبِي يُوسُفَ يَعْنُوبَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحُمَيرِيِّ الْأَنْصَارِيِّ، وَحُمَّادَ بْنِ الْحَسْنِ الشَّيْبَانِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - مَا كَانُوا يَعْتَقِلُونَ مِنْ أُصُولِ الدِّينِ، وَيَدِينُونَ بِهِ رَبَّ الْعَالَمَيْنَ» (ابن أبي العز، 2013، 130).

وقال مشتبأ كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة: «فَمِنْ كَلَامِ أَبِي حَنِيفَةَ - رَحْمَهُ اللَّهُ - فِي الْفِقْهِ الْأَكْبَرِ: لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ خَلْقِهِ، وَلَا يُشَبِّهُهُ شَيْءًا مِنْ خَلْقِهِ. ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: وَصَفَاتُهُ كُلُّهَا خِلَافُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ يَعْلَمُ لَا كَعْلَمَنَا، وَيَقْدِرُ لَا كَفُورْتَنَا، وَيَرَى لَا كَرُؤْتَنَا. اتَّهَى» (ابن أبي العز، 2013، 194).

غير أنه رغم نسبة علماء أجلاء كبار مثل ابن تيمية، وبدرا الدين بن جماعة، وابن القيم، وابن أبي العز لكتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة فإن هناك من يدعون أن نسبة الكتاب إليه لا تصح من حيث إسناده، الأمر الذي يفرض علينا تحرير المسألة وبيان نسبة الكتاب إليه من عدمها. وفي هذا السياق يمكن الاستفادة من بحث ممتاز للشيخ محمد الخميس في كتابه: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة كتاب الفقه الأكبر المنسوب إليه، فذكر أن من المؤلفات التي تنسحب إلى أبي حنيفة:

1- الفقه الأكبر برواية حماد بن أبي حنيفة (ت 176هـ).

2- الفقه الأكبر برواية أبي مطیع البلاخي (ت 199هـ)، ويسمى بالفقه الأبسط (محمد الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، 1/115).

ثم تناول كتاب الفقه الأكبر برواية حماد بن أبي حنيفة فقال: «وَهِيَ رِسَالَةٌ تَشْتَملُ عَلَى أُصُولِ الدِّينِ كَمَسَائِلِ الصِّفَاتِ، وَالْإِعْلَانِ، وَالْقَدْرِ، وَالنَّبُوَّةِ، وَالْمَعْدَادِ، بِعِبَارَةٍ سَهْلَةٍ وَجِيَزةٍ، مِنْ غَيْرِ أَدْلَةٍ تَفْصِيلِيَّةٍ إِلَّا فِي مَوْضِعَيْنَ:

الأول: في صفة الكلام؛ حيث استدل بقوله تعالى: ﴿وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية: 164].

والثاني: في بيان أن صفاته ليست مثل صفات المخلوقين؛ فاستدل بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلُهِ شَيْءٌ وَمَوْلَوْ السَّمَاءِ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى، الآية: 11] (محمد الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، 115/1).

ثم بين الشيخ محمد الخميس أن هذه الرسالة نالت شهرة واسعة، فتصدى لشرحها غير واحد من أهل العلم، حتى بلغ عدد شروحها خمسة عشر شرحاً (حاجي خليفة، كشف الظنون، 1287/2، بروكلمان، 1995، 237/3، فؤاد سرزيك، 1977، 31/2) لا زال كثير منها مخطوطاً، ما عدا شرح علي القاري، والمغيساوي؛ فهما مطبوعان (محمد الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، 115/1) ثم تحدث محمد الخميس عن ذكر هذا المؤلف من المصنفين، فذكر منهم:

- 1- ابن النديم في الفهرست (ابن النديم، الفهرست، 256).
- 2- البغدادي في الفرق بين الفرق (البغدادي، الفرق بين الفرق، 220) وأصول الدين. (البغدادي، 1400هـ، 308).

3- أبو المظفر الإسفرايني في كتاب التبصير في الدين (الإسفرايني، 1950، 113-114).

4- أبو اليسر محمد البرذوي في كتاب أصول الدين (البرذوي، 1388هـ، 1-7).

5- علاء الدين البخاري في كشف الأسرار شرح أصول البرذوي.

6- ابن تيمية في جموع الفتاوى (ابن تيمية، 2005، 46/5).

7- ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ابن القيم، 1408هـ، 5/2).

8- الذهبي في المشتبه (الذهبي، المشتبه، 137/1).

9- ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية (ابن أبي العز، 2013، 194).

10- إسماعيل البغدادي في هدية العارفين (إسماعيل البغدادي، 1955، 2/495).

11- حاجي خليفة في كشف الظنون (حاجي خليفة، كشف الظنون، 1287).

12- محمود شكري الألوسي في غاية الأمانى (شكري الألوسي، غاية الأمانى، 448).

ثم ذكر لنا محمد الخميس معلومة مهمة تؤكد نسبة هذه الرسالة إلى أبي حنيفة، فقال: «وقد ثُقِّلَ إسناد هذا المؤلف في نسخة خطية محفوظة ضمن المجموعة رقم (234) بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة، وهي من رواية نصر بن يحيى، عن ابن مقاتل، عن عصام بن يوسف، عن حماد بن أبي حنيفة، عن أبيه» (محمد الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، 115/1).

ثم عرف برواية هذه الرسالة بطريقة ممتازة لا يتسع المقام لذكرها (محمد الخميس، أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة 116/1-118):

ومن جهة أخرى بين الشيخ محمد الخميس أن من تكلم في نسبة الكتب المنسوبة إلى الإمام أبي حنيفة من الكتاب المعاصرين الألماني كارل بروكلمان (بروكلمان، 1995، 3/237) فقد نفى نسبة هذه الكتب كلها إلى أبي حنيفة وتبعد على ذلك تلميذه فؤاد سركين (فؤاد سركين، 1977، 2/32-31) التركى الأصل؛ حيث يرى أن هذه الكتب من عمل تلامذة أبي حنيفة -رحمه الله تعالى- سوى رسالته إلى عثمان البى، فإنها من عمل يده، أما أرنذجان ونسنك (محمد بن أيوب، عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي، 116، 123) فقد نفى صحة كتاب الفقه الأكبر، وصحح نسبة الفقه الأبسط إليه، وتابعه الشيخ محمد أبو زهرة (أبو زهرة، أبو حنيفة وأراؤه الكلامى، 186، 187) في التشكيك في نسبة الفقه الأكبر إلى الإمام أبي حنيفة، أما أحمد أمين (أحمد أمين، ضحى الإسلام، 198/2) فيرى أن الفقه الأكبر الذي بين أيدينا أساسه صحيح النسبة إلى أبي حنيفة، وأنه زيد عليه، وهذا ما يراه الباحث ويرجحه.

ثانياً - السنة:

تعتبر السنة المصدر الثاني من مصادر التشريع. وتطلق في الشع، ويراد بها المعنى العام؛ فتعم النبي ﷺ وأصحابه في القول والعمل والاعتقاد. ومن ذلك قول النبي ﷺ: «من رغب عن سنتي فليس مني وقوله: فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهدىين من بعدى» (البخارى، 1987، 5063، مسلم، صحيحه، 1401) يقول أبو الحسن الكرجي: «فَاعْلَمُ أَنَّ السُّنَّةَ طَرِيقُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالشَّيْءُونَ يَسْلُوكُهَا وَإِصَابُتُهَا، وَهِيَ أَفْسَامٌ تَلَاثَةٌ: أَفْوَالٌ، وَأَعْمَالٌ، وَعَقَائِدٌ، نَقْلُهُ ابْنَ تِيمِيَّةَ فِي الْفَتاوِيِّ» (ابن تيمية، 2005، 180/4).

يقول ابن تيمية: «السُّنَّةُ هِيَ مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ اعْتَقادًا، وَفَضْلًا وَعَمَالًا» (ابن تيمية، 2005، 111/5) ويقول أيضاً: «وَلَفَظُ "السُّنَّةُ" فِي كَلَامِ السَّلَفِ يَتَنَاهُوا عَنِ الْسُّنَّةِ فِي الْعِبَادَاتِ، وَفِي الْإِعْتِقَادَاتِ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرٌ مِّنْ صَنْفِهِ فِي السُّنَّةِ يَفْصِدُونَ الْكَلَامَ فِي الْإِعْتِقَادَاتِ، وَهَذَا كَفُولٌ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي بْنِ كَعْبٍ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-: «اَفِصَادٌ فِي سُنَّةٍ خَيْرٌ مِّنْ اجْتِهَادٍ فِي بِدْعَةٍ» (اللالكاني، 1402، 88/1، 2005، 111/5).

وقال ابن رجب الحنبلي: «والسُّنَّةُ: هي الطَّرِيقَةُ الْمُسْلُوكُهُ؛ فَيُشَمَّلُ ذَلِكَ التَّمِسْكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَخَلْفَأَوْهُ الرَّاشِدُونَ مِنَ الاعْتِقَادَاتِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ، وَهَذِهِ هِيَ السُّنَّةُ الْكَامِلَهُ، وَلَهُذَا كَانَ السَّلْفُ قَدِيمًا لَا يُطْلَقُونَ اسْمَ السُّنَّةِ إِلَّا عَلَى مَا يُشَمَّلُ ذَلِكَ كُلَّهُ» (ابن تيمية، 2005، 111/5).

ولهذا سميت بعض كتب العقيدة باسم السنة؛ لأنها جمعت الأحاديث والسنن الواردة في الاعتقاد

ومن أوائل الذين ألفوا في هذا المجال ونسبت إليهم كتب بهذا المسمى:

- 1- الإمام أبو بكر الحميدي (ت 219هـ) صاحب كتاب: أصول السنة.
- 2- ابن أبي شيبة (ت 235هـ) صاحب كتاب: المسند والمصنف.
- 3- الإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ) صاحب كتاب: السنة.
- 4- إسماعيل بن يحيى المزني (ت 264هـ) صاحب كتاب: شرح السنة.
- 5- أبو داود (ت 275هـ) صاحب: السنن.
- 6- حرب الگرماني بالفتح والكسر (280هـ) صاحب كتاب: السنة والجماعه.
- 7- ابن أبي عاصم (ت 287هـ) صاحب كتاب: السنة.
- 8- عبد الله بن حنبل (ت 290م) صاحب كتاب: السنة.
- 9- محمد بن نصر المروزي (ت 294هـ) صاحب كتاب: السنة.
- 10- الإمام أبو بكر الخلال (ت 311هـ) صاحب كتاب: السنة.
- 11- الإمام البربهاري (ت 329هـ) صاحب كتاب: شرح السنة.
- 12- الطبراني (ت 360هـ) صاحب كتاب: السنة.
- 13- محمد ابن أبي زمین المالکي (ت 399هـ) صاحب كتاب: أصول السنة.

ومن هذا الباب يقول سفيان بن عيينة: «السنة عشرة؛ فمن كن فيه فقد استكملاً السنة، ومن ترك منها شيئاً فقد ترك السنة: إثبات القدر، وتقليم أبي بكر وعمر، والخوض، والشفاعة، والميزان، والصراط، والإيمان قول وعمل، القرآن كلام الله، وعذاب القبر، والبعث يوم القيمة، ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم». (اللآلئ، 1402هـ، 155/1).

يقول الإمام الشافعي: «القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها -أهل الحديث الذين رأيتمهم وأخذت عنهم- مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادته أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء» (ابن القيم، 1408هـ، 31/5).

ويقول الإمام أبو بكر الحميدي: «السُّنَّةُ:

1- أن يؤمن الرجل بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وأن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن ذلك كله قضاء من الله عز وجل.

2- وأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ولا ينفع قول إلا بعمل، ولا عمل وقول إلا بنية، ولا قول وعمل بنية إلا بسنة.

3- والترجم على أصحاب محمد كلهم، فإن الله -عز وجل- قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَعْفِرْ لَنَا وَلَاخْوَانَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر 10].

فلم يؤمر إلا بالاستغفار لهم؛ فمن يسبهم أو ينقضهم أو أحدها منهم، فليس على السُّنَّةِ، وليس له في الفيء حق، أخبرنا بذلك غير واحد عن مالك بن أنس أنه قال: "قسم الله تعالى الفيء فقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [الحشر: 8] قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَعْفِرْ لَنَا﴾ [الحشر 10] الآية ، فمن لم يقل هذا لهم فليس من له الفيء.

4- القرآن: كلام الله، سمعت سفيان يقول لي: القرآن كلام الله، ومن قال (مخلوق) فهو مبتدع لم نسمع أحداً يقول هذا. سمعت سفيان يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. فقال له أحدهوا إبراهيم بن عبيدة: يا أبا محمد، لا تقل: ينقص. فغضب، وقال: "اسكت يا صبي، بل حتى لا يبقى منه شيء."

5- والإقرار بالرؤيا بعد الموت.

6- وما نطق به القرآن والحديث، مثل: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُوَةٌ عُلِّتُ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة 64] ومثل: ﴿السَّمَوَاتُ مَطْوِيَاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: 67] ، وما أشبه هذا من القرآن والحديث لا نزيد فيه ولا نفسره. نقف على ما وقف عليه القرآن والسُّنَّةِ. ونقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَ﴾ [طه: 5] ومن زعم غير هذا فهو مُعطلٌ جَهْمُوٌّ.

7- وأن لا نقول كما قالت الخوارج: «من أصاب كبيرة فقد كفر». ولا تكفي بشيء من الذنوب إنما الكفر في ترك الحمس، التي قال رسول الله: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ﷺ وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت» (البخاري، 1987، 1/11، 45). صحيحة، مسلم.

فأما ثالث منها فلا يناظر تاركها: من لم يتشهد، ولم يصل، ولم يصوم؛ لأنَّه لا يؤخر من هذا شيء عن وقته، ولا يجزئ من قضاه بعد تفريطه فيه عمداً عن وقته.

فأما الزكاة، فمتى ما أداها أجزأت عنه، وكان آثماً في الحبس.

وأما الحج، فمن وجب عليه، ووجد السبيل إليه، وجب عليه، ولا يجب عليه في عame ذلك حتى لا يكون له منه بد، متى أداه كان مؤدياً، ولم يكن آثماً في تأخره إذا أداه، كما كان آثماً في الزكاة؛ لأن الزكاة حق ل المسلمين مساكين، حبسه عليهم، فكان آثماً حتى وصل إليهم. وأما الحج فكان فيما بينه وبين ربه، إذا أداه فقد أدى، وإن هو مات، وهو واجد مستطيع، ولم يحج، سأله الرجعة إلى الدنيا أن يحج، ويجب لأهله أن يحجوا عنه، ويرجو أن يكون ذلك مؤدياً عنه، كما لو كان عليه دين قضي عنه بعد موته» (الحميدي، أصول السنة، 1-4).

ولهذا كثرت مصنفات أئمة أهل السنة الموسومة: بـ "السنة" كما كان من الإمام أحمد، وحرب الگرماني، وابن أبي عاصم، وعبد الله بن حنبل، ومحمد بن نصر المروزي، والإمام الخلال... إلخ.

ومنها ما سمي بأصول السنة، كما كان من الإمام الحميدي، والإمام ابن أبي زمين المالكي وغيرهما. ومنهم من سماها بشرح السنة، كما كان من الإمام التزني، والإمام البربهاري وغيرهما، يقول ابن تيمية: «السُّنَّةُ هِيَ مَا قَامَ الدَّلِيلُ الشَّرْعِيُّ عَلَيْهِ بِإِنَّهُ طَاعَةٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، سَوَاءٌ فَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ فُعِلَ عَلَى زَمَانِهِ أَوْ لَمْ يَفْعُلْهُ، وَمَمْ يُفْعَلُ عَلَى زَمَانِهِ؛ لِعَدَمِ الْمُفْتَضِيِّ حِينَئِذٍ لِفَعْلِهِ، أَوْ وُجُودِ الْمَانِعِ مِنْهُ» (ابن تيمية، 1997، 317/21، وابن تيمية، 1406هـ، 3/457-458).

ثالثاً - الإيمان:

الإيمان لغة الإقرار والتصديق المصاحب للإذعان. وفي اعتقاد أهل السنة والجماعة اعتقاد بالجنان وقول باللسان، وعمل بالأركان، يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بطاعة الشيطان. يقول ابن تيمية: «وَالْمَأْتُورُ عَنِ الصَّحَابَةِ وَائِمَّةِ التَّابِعِينَ وَجُمْهُورِ السَّلَفِ، وَهُوَ مُدْكَبُ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَهُوَ الْمَنْشُوبُ إِلَى أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ يَزِيدُ وَيَنْفَعُ؛ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْفَعُ بِالْمُعْصِيَةِ، وَإِنَّهُ يَجُوزُ الْإِسْتِشَانُهُ فِيهِ، كَمَا قَالَ عُمَيْرُ بْنُ حِيَّبٍ الْحَطْمِيُّ وَعَيْرَةُ مِنَ الصَّحَابَةِ: الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْفَعُ؛ فَقَيْلَ لَهُ: وَمَا زِيَادَتُهُ وَنُفْصَانَهُ؟ فَقَالَ: إِذَا ذَكَرْنَا اللَّهَ وَحْمَدْنَاهُ وَسَبَّخْنَاهُ فَتَلَكَ زِيَادَتُهُ. وَإِذَا عَقَلْنَا وَوَسَيْنَا وَضَيَّعْنَا فَدَلَكَ نُفْصَانَهُ» (ابن تيمية، 1997، 505/7).

ويطلق اسم الإيمان على العقيدة؛ باعتبار أن أصوله السنة التي عليها تقوم العقيدة، ومن مصنفات أئمة السنة في هذا المجال:

1- كتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكمال درجاته لأبي عبيد القاسم ابن سلام (ت 224هـ).

- 2- كتاب الإيمان لابن أبي شيبة (ت 235هـ).
- 3- كتاب الإيمان لحمد بن يحيى العدني (ت 243هـ).
- 4- كتاب الإيمان لابن مندة (ت 395هـ).
- 5- كتاب الإيمان لأبي يعلى (ت 458هـ) (الغربياني، 2010، 10).

رابعاً- الشريعة:

يرى ابن الأثير أن العقيدة تعني الشريعة؛ فهو يقول: «وهو ما شرع الله لعباده من الدين» (ابن الأثير، 1979، 460/2).

ويقول ابن تيمية: «فالسُّنَّةُ كالشَّرِيعَةِ هِيَ: مَا سَنَّ الرَّسُولُ، وَمَا شَرَعَهُ؛ فَقَدْ يُرَاذُ بِهِ مَا سَنَّهُ وَشَرَعَهُ مِنَ الْعَقَائِدِ، وَقَدْ يُرَاذُ بِهِ مَا سَنَّهُ وَشَرَعَهُ مِنَ الْعَمَلِ، وَقَدْ يُرَاذُ بِهِ كِلَّاهُمَا؛ فَلَفَظُ السُّنَّةِ يَقْعُدُ عَلَى مَعَانٍ كَفْفُظِ الشَّرِيعَةِ وَلَحَدًا قَالَ أَبْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿شَرِيعَةٌ وَمِنْهَا حِاجٌ﴾ [المائدة: 48] سُنَّةٌ وَسَيِّلًا. فَقَسَّرُوا الشَّرِيعَةَ بِالسُّنَّةِ وَالْمِنْهاجِ بِالسَّيْلِ. وَاسْمُ السُّنَّةِ وَالشَّرِيعَةِ قَدْ يَكُونُ فِي الْعَقَائِدِ وَالْأَقْوَالِ، وَقَدْ يَكُونُ فِي الْمَقَاصِدِ وَالْأَفْعَالِ» (ابن تيمية، 1997، 19/307-308) وقد صنف فيها:

- 1- الإمام أبو بكر الأجري (360هـ) كتابه: الشريعة.
- 2- الإمام ابن بطة العكبري (387هـ) كتابه: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية.

خامساً: التوحيد:

التوحيد لغة: جعل الشيء واحداً، قال في القاموس: التوحيد إيمان بالله وحده؛ أي: التصديق بما جاء به النبي ﷺ من الخبر الدال على أن الله -تعالى- واحد في ألوهيته لا شريك له. وشرعنا: «إفراد المعبود بالعبادة، مع اعتقاد وحدته ذاتها، وصفات، وأفعالها» (السفاريني، 1982، 1/57).

وتعتبر تسمية العقيدة بالتوحيد من باب تسمية الشيء بأشرف أفراده، ومن أهمات كتب العقيدة المسماة بالتوحيد:

- 1- كتاب التوحيد من صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ).
 - 2- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب -عز وجل- لابن حزم (ت 311هـ).
 - 3- كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الاتفاق والتفرد لابن مندة (ت 395هـ).
- وفي الحقيقة: يعتبر التوحيد فقهها أكبر، وهو علم العقيدة، ولهذا يقول الله: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [التوبه: 122] فأول الفقه في الدين هو الفقه في التوحيد، وكذلك

في قوله: ﴿مَنْ يَرِدُ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفْقِهُ فِي الدِّينِ﴾ (البخاري، 1987، 1/27) فأول مراحل التفقه وأعظمها هو التفقه في توحيد الله عز وجل.

يقول ابن تيمية: «وَهَذَا حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ: وَهُوَ أَنْ لَا يَشْرُكُهُ شَيْءٌ مِّنَ الْأَشْيَاءِ فِيمَا هُوَ مِنْ خَصَائِصِهِ وَكُلُّ صِفَةٍ مِّنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ فَهُوَ مُتَّصِفٌ بِهَا، عَلَى وَجْهِ لَا يُمَاثِلُهُ فِيهِ أَحَدٌ؛ وَلِهَذَا كَانَ مَذْهَبُ سَلْفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا إِثْبَاثُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ الصِّفَاتِ، وَنَفْيُ مُمَالِتِهِ بِشَيْءٍ مِّنَ الْمَخْلُوقَاتِ» (ابن تيمية، 1997، 3/74).

ويقول ابن القيم: «وهو التوحيد الذي حقيقته إثبات صفات الكمال لله وتنزيهه عن أضدادها وعبادته وحده لا شريك له» (ابن القيم، 1998، 3/329) ويقول كذلك: «وَأَمَّا تَوْحِيدُ الرَّسُولِ فَهُوَ إِثْبَاثُ صَفَاتِ الْكَمَالِ لِهِ سُبْحَانَهُ، وَإِثْبَاثُ كُونِهِ فَاعِلًا بِمُشَيْتِهِ وَقَدْرَتِهِ وَاحْتِيَارِهِ، وَأَنَّ لَهُ فَعْلًا حَقِيقَةً، وَأَنَّهُ وَحْدَهُ الَّذِي يَسْتَحِقُ أَنْ يَعْبُدَ وَيَخَافَ وَيَرْجُ وَيَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ؛ فَهُوَ الْمُسْتَحْقُ لِغَايَةِ الْحُبِّ بِغَايَةِ الذَّلِّ، وَلَيْسَ لَهُ خَلْقٌ مِّنْ دُونِهِ وَكِيلٌ، وَلَا وَلِيٌّ، وَلَا شَفِيعٌ، وَلَا وَاسْطَةٌ بَيْنِهِ وَبَيْنِهِمْ فِي رَفِعِ حَوَاجِحِهِمْ إِلَيْهِ، وَفِي تَفْرِيَجِ كُرْبَاهُمْ وَإِغْاثَةِ لَفَاقِهِمْ، وَإِجَابَةِ دُعَائِهِمْ، وَبَيْنِهِمْ وَبَيْنِهِمْ وَاسْطَةٌ فِي تَبْلِيغِ أَمْرِهِ وَخَبِيرِهِ وَخَبِيرِهِ إِلَيْهِمْ، فَلَا يَعْرِفُونَ مَا يَجْهَهُ وَيَرْضَاهُ وَيَغْضُبُهُ وَيَسْخُطُهُ، وَلَا حَقَّاقَ أَسْمَاهُ وَتَفْصِيلَ مَا يَجْبُ لَهُ وَيَعْتَنِعُ عَلَيْهِ وَيَوْصِفُ بِهِ إِلَّا مِنْ جَهَةِ هَذِهِ الْوَاسْطَةِ» (ابن القيم، 1998، 3/333-334).

سادساً- أصول الدين:

أصول الدين لفظ مستعمل في عبارات بعض أئمة أهل السنة والجماعة، ومن ذلك ما ورد عن ابن أبي حاتم، قال: «سَأَلْتُ أَبِي، وَأَبَا زُرْعَةَ عَنْ مَدَاهِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أَصْوَلِ الدِّينِ، وَمَا أَدْرَكَ أَهْلُهُ أَئْمَةُ الْعِلْمِ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: أَدْرَكْنَا الْعَلَمَاءَ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ: حِجَارًا وَعِرَاقًا وَمَصْرَ وَشَامًا وَيَمَنًا؛ فَكَانَ مِنْ مَدَاهِبِهِمْ: أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَرِيدُ وَيَنْفَضُ. وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى مُنْزَلٌ؛ عَيْرٌ مَخْلُوقٌ، بِجَمِيعِ جَهَاتِهِ، وَالْقَدْرُ خَيْرٌ وَشَرٌّ مِنَ اللَّهِ -عَزْ وَجْلُهُ- وَخَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدِ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرِ الصَّدِيقِ، ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ، ثُمَّ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ، بِائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ بِلَا كَيْفٍ. أَخْاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، لَيْسَ كَمْثَلَهُ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُرِيُّ فِي الْآخِرَةِ؛ يَرَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِأَبْصَارِهِمْ، وَيَسْمَعُونَ كَلَامَهُ كَيْفَ شَاءَ وَكَمَا شَاءَ، وَالْجَنَّةُ حَقُّ وَالنَّارُ حَقٌّ، وَهُمَا مَخْلوقَتَانِ لَا يَفْنِيَانِ أَبَدًا» (اللاذكي، 1402، 1/176، وابن تيمية، 2005، 3/223).

ومن كتب العقيدة المؤلفة تحت هذا المسمى:

1- الإبانة عن أصول الديانة للإمام أبي الحسن الأشعري (ت 324هـ)

2- الأصول إلى معرفة الأصول لأبي عمر الطرمني (ت 429هـ).

3- أصول الدين للإمام محمد البرذوي (ت 493هـ).

غير أن ابن تيمية يعتقد إدخال بعض المسائل الكلامية تحت مسمى أصول الدين فيقول:

«وَهَدَا كَمَا أَنَّ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ يُسَمِّي مَا وَضَعَهُ "أُصُولَ الدِّينِ" وَهَذَا اسْمٌ عَظِيمٌ، وَالْمُسَنَّى بِهِ فِيهِ مِنْ فَسَادِ الدِّينِ مَا اللَّهُ بِهِ عَلِيهِمْ. فَإِذَا أَنْكَرَ أَهْلُ الْحَقِّ وَالسُّنْنَةَ ذَلِكَ، قَالَ الْمُبْطِلُ: قَدْ أَنْكَرُوا أُصُولَ الدِّينِ. وَهُمْ لَمْ يُنْكِرُوا مَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمِّي أُصُولَ الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنْكَرُوا مَا سَمَّاهُ هَذَا أُصُولُ الدِّينِ، وَهِيَ أَسْمَاءٌ سَمَّوْهَا هُمْ وَآباؤُهُمْ بِاسْمَاءٍ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ؛ فَالَّذِينَ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَقَدْ بَيَّنَ أُصُولَهُ وَفُرُوعَهُ، وَمِنْ الْمُحَالِّ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ قَدْ بَيَّنَ فُرُوعَ الدِّينِ دُونَ أُصُولِهِ كَمَا قَدْ بَيَّنَا هَذَا فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ» (ابن تيمية، 2005، 56/4).

المبحث الثاني: الأسماء غير الشرعية للعقيدة الإسلامية

للعقيدة عدة أسماء شرعية، كما سبق أن بيننا؛ فهي الفقه الكبير، وهي علم التوحيد، والسنة والشريعة والإيمان، وأصول الدين، غير أن بعض الناس يسمونها أحياناً تسميات أخرى يرى غيرهم أنها غير شرعية على النحو الآتي:

أولاً- علم الكلام:

وفي هذا السياق نود أن نتناول رأيي عالمين مخدنتين محدثين للاستشهاد برأيهما؛ أحدهما زعيم النهضة الحديثة في الجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس (ت 1940م) والآخر زعيم النهضة الحديثة في تونس، الشيخ الطاهر ابن عاشور (ت 1973م).

فمنهج ابن باديس سلفي العقيدة؛ فهو لا يقبل بعلم الكلام، ولم يتطرق إلى تعريفه، ولم يدخل في مناقشة مختلف الآراء الكلامية؛ لأنه لا يقبل بطرائق المتكلمين أصلاً، ويرى أن اليقين في إثبات العقائد لا يوجد إلا في القرآن وصحيح السنة.

أما ابن عاشور فهو أشعري العقيدة، ويقبل بعلم الكلام، ويرى أنه كان له دور مهم في إثبات العقائد الإسلامية والدفاع عنها، وقد ظل يقوم بهذا الدور منذ نشأته – في صدر الإسلام – إلى عدة قرون – فيما بعد – ولذلك يعرفه بقوله: «يراد من علم الكلام: العلم الذي يعرف به إثبات العقائد الإسلامية بإثباتات المحجج ودفع الشبه. ومن المصطلحات التي تطلق بإنائه ما وراء الطبيعة، أو الإلهيات عند اليونان، وعلم العقيدة والتوحيد عند جمهور كبير من المسلمين» (ابن عاشور، 1967، 205).

وستلاحظ أن تعريف ابن عاشور لعلم الكلام قريب من تعريف الإمام الإيجي (ت 756هـ) -صاحب الموقف - الذي يعرف علم الكلام بأنه: «علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه» (الإيجي، 40/1) أما ابن خلدون (ت 808هـ) فيعرفه بأنه: «علم يتضمن الحاجة عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقليّة والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة» (ابن خلدون، 1990، 458).

ويكفي القول بأن كلاً من الإيجي وابن عاشور قد جعلا علم الكلام يقوم على نصرة العقيدة الإسلامية دون تمييز بين الفرق الإسلامية، في حين نجد أن تعريف ابن خلدون لعلم الكلام بهذه الطريقة يكشف عن أنه يجعل من وظائف هذا العلم الرد على الفرق المخالفة في الرأي لما عليه السلف وأهل السنة (28) وهو بذلك يجعل علم الكلام مقصوراً على بعض الفرق المتممة للعلم -لا سيما السلف والأشاعرة- (29) والماتريدية دون سواهم من الفرق الأخرى - وهذا غير مسلم له؛ لأن هذا العلم شامل - كذلك- لغيرهم من الفرق: كالمعتزلة، الذين لا تخرجهم مخالفتهم للأشاعرة والماتريدية من نطاق هذا العلم -إذ كانوا السباقين إلى ظهوره (حسن الشافعي، 1991، 18).

ولذلك فإن تعريف علم الكلام عند ابن عاشور يعكس هذا الدور، الذي من أجله أنشئ؛ فهو يرى أنه قد عرف بالتبشير في المنازرات متكلمون من المعتزلة والشيعة، الذين كانوا يعقدون المجالس لمناقشة أهل الديانات الأخرى والزنادقة، ويناقشوهم في دعواهم المخالفة لعقيدة الإسلام، حتى إنهم كانوا يشدون الرجال إلى الآفاق لمناقشة زنديق مشهور، أو ذهريٍّ بارز، ولذا فإن خراجمهم من دائرة علم الكلام أمر غير مقبول (عبد الحميد مذكر، 2003، 24-16. عبد البجيد التجار، 1992، 107).

ومن ناحية أخرى فإن ذهاب بعض العلماء القدماء كالغزالى (ت 505هـ)، والإيجي (ت 756هـ) وابن خلدون (ت 808هـ)، وأمثالهم إلى تجويف دراسة علم الكلام لاستخدامه عند الضرورة إذا كان الجادل لا يرتعى إلا به، فإن موقف الشيوخين ابن باديس وابن عاشور لا يخرجان عن رأينهما:

28- ينسب الأشاعرة إلى الشيخ أبي الحسن الأشعري الشافعى ولد سنة 260هـ، من نسل أبي موسى الأشعري الصحابي المشهور. تلقى مذهب المعتزلة حق صار عالما فيه، ثم رجع عن الاعتزال وجاهر بخلافهم، مكونا مذهبًا سنيا جديداً عرف باسمه. بلغ مصنفاته نحو ثلاثة مؤلف، من أشهرها الإبانة عن أصول الدين، ورسالة أهل الشرف، والمعجم في الرد على أهل الزينة، ومقالات إسلاميين. توفي سنة 324هـ. (ابن حلكان، 1988، 3/284. وابن قاضي شهبة، 1407هـ، 2/113).

29- تُنسب الماتريدية إلى الشيخ أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي الحنفي كان من كبار العلماء، له كتاب التوحيد وكتاب المقالات وكتاب بيان أوهام المعتزلة وكتاب تأويلات القرآن. توفي بسمرقند سنة 333هـ . ينظر (ابن أبي الوفاء القرشي، الجوهر المضيء في طبقات الحنفية، 1/130).

الرأي الأول: الذي يمثل أهل السلف، ومن سار على نجدهم، من لا يرتضون علم الكلام وينتقدونه ويرون أنه لا يصل إلى الإيمان السليم؛ ومن ثم فلا ضرورة لدراسته وبهذا الرأي يأخذ ابن باديس.

الرأي الثاني: ويمثل الذين يتقبلون بهذا العلم، ويرون أن دراسته ضرورية للدفاع عن العقيدة - في كل عصر - وبه تعرف دقائق أصول الدين، وبه يدافع عنها، وبهذا الرأي يأخذ ابن عاشور.
وما يمكن ترجيحه في المسألة هو أن علم الكلام يمكن القبول به، ويكون مفيدة إذاً أحسن استعماله في دفع شبكات خصوم الدين، وكان عاملاً من عوامل صيانة العقيدة، والدفاع عنها، وتوحد الأمة، أما إذا استخدم في غير ما أنشئ لأجله، من الدفاع عن الدين، بأن جرًّا مفسدة، كإثارة الخصومات الداخلية والشبهات في العقيدة، وصار عاملاً مفرقاً للأمة، فيصبح غير مفید، دون جدوى. وهذا يعني أنه ينبغي استعماله في الأحوال التي تستوجبه، إضافة إلى أنه يجب فصل علم العقيدة عند دراسته عن الفلسفة وعلم الكلام؛ بحيث يُدرس كل على جهة مفصولة؛ فهذه عقيدة وتلك فلسفة أو علم كلام.
ومن هنا تأتي فائدة التأصيل لهذا العلم وكيفية نشأته وأسبابها، وهل كان ترفاً فكريًا؟ أو أنه نشأ ضرورة للدفاع عن العقيدة وحراستها؟ ذلك أنه يمكن القول بأن علم الكلام هو علم الدفاع عن العقيدة، وليس العقيدة نفسها، فهو وسيلة للدفاع عنها، وليس غاية في حد ذاته؛ فهو نوع من الجدل الداخلي في الدفاع عن العقيدة، بينما العقيدة هي الغاية المطلوب الوصول إليها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن الجدال في علم العقائد يسمى كلاماً» (ابن تيمية، 1997، 160/1)، ويقول شمس الدين السقافريني (ت 1188هـ): «وعلم الكلام هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية؛ أي المنسوبة إلى دين النبي ﷺ وإن لم تكن مطابقة للواقع؛ لعدم إخراج الخصم من المعتزلة والجهمية، والقدرية والجبرية، والكرامية وغيرهم، عن أن يكون من علماء الكلام. وهذا ما جعلهم يعرفون علم الكلام بأنه العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية؛ أي: العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من أدتها اليقينية، سواء توقفت على الشعاع كالسمعيات أم لا، وسواء كانت من الدين في الواقع ككلام أهل الحق أو لا، ككلام المحالف، واعتبر في أدتها اليقين؛ لأنه لا عبرة بالظن في الاعتقادات؛ بل في العمليات، وموضوعه هو المعلوم؛ من حيث يتعلق به إثبات العقائد الدينية؛ إذ موضوع كل علم ما يبحث في ذلك العلم عن عوارضه الذاتية، ولا شك أنه يبحث في هذا العلم عن أحوال الصانع، من القدم والوحدة، والقدرة، والإرادة وغيرها؛ ليعتقد ثبوتها له تعالى، وأحوال الجسم

والعرض من الحدوث والافتقار، والتركيب من الأجزاء، وقبول الفناء؛ ونحو ذلك ليثبت للصانع ما ذكر مما هو عقيدة إسلامية، أو وسيلة إليها» (الستغاري، 1982، 1/4-5).

ويعتقد الإمام أحمد علم الكلام فيقول: «عليكم بالسنة والحديث، وما ينفعكم الله به، وإياكم والخوض والجدال والمراء، فإنه لا يفلح من أحب الكلام، وكل من أحدث كلاما لم يكن آخر عمره إلا إلى بدعة؛ لأن الكلام لا يدعو إلى خير، ولا أحب الكلام ولا الخوض ولا الجدال، عليكم بالسنن والآثار والفقه الذي تنتفعون به، ودعوا الجدال وكلام أهل الزبغ والمراء، أدركنا الناس ولا يعرفون هذا، وبجانبون أهل الكلام وعاقبة الكلام لا تؤول إلى خير، أعادنا الله وإياكم من الفتن، وسلمتنا وإياكم من كل هلكة» (ابن بطة، 1995، 539/2، 1982، 108/1-109) ويقول كذلك: «من تعاطى الكلام لم يفلح، ومن تعاطى الكلام لم يخل من أن ينجهم» (ابن بطة، 1995، 539/2) أي: يصير جهemia نسبة إلى الجهم بن صفوان السمرقندى⁽³⁰⁾ وهو من أوائل من قال بالجبر؛ أي: أن الإنسان مجرّد في جميع أعماله؛ فهو مسير لا مخير، وهم أيضاً من ينكرون الصفات لله تعالى.

وهكذا، يمكن القول بأن موقف الصحابة، ومن بعدهم من السلف في مسألة البحث في العقائد كان -في الواقع- موقعاً حكيماً؛ ذلك أئمّم في الحقيقة- كانوا يؤمّنون بعقائد الإسلام إيماناً قوياً، لا تشوبه شائبة كيف لا؟ وهم كانوا يقتبسون من أنوار النبوة. وكلما استشكل عليهم أمر من أمور العقائد، أو الأحكام العملية لجأوا إلى الرسول ﷺ في حال حياته، وإلى سنته من بعده، فكانوا متتحققين بالإيمان -علمًا وتطبيقاً.

ومن هنا شأنه لا يستسيغ -في الحقيقة- جدلاً عقلياً حول مسائل الإيمان، وهذا يفسر لنا لم لم يبحج الصحابة -ومن تبعهم- إلى التعمق، والبحث الجدي العقلي في أمور الاعتقاد. وقد يعتراض معترض فيقول: كيف يكون موقف الصحابة -كذلك- في الوقت الذي دعا فيه القرآن نفسه إلى اصطناع الجدل في تبلیغ الدعوة؟

³⁰ - جهم بن صفوان: إليه تُنسب الجهمية، وهو من القائلين بالجبر الخالص، وأنه لا فعل، ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تُنسب الأعمال للمخلوقين على المجاز، ورغم قوله بالجبر فهو يتفق مع ما يقول به القدرية الأوائل ثم المعتزلة، من القول بخلق القرآن، ونفي الصفات، ويزيد عليهم أنه لا يجوز وصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه؛ لأن ذلك يقتضي التشبيه، وقد ظهرت بدعته بتزمد، وقتل مسلم بن أحرار المازني بموسى في آخر أيام بنى أمية سنة 128هـ، بعد أن اتفق على تكفيه، وكان قد خرج على السلطان. ووجه بن صفوان هو تلميذ الجهد بن درهم أول من ابتدع القول بخلق القرآن، وتعطيل الصفات، وقد قتل سنة 124هـ بتهمة الزندقة والإلحاد. (عبد القادر البغدادي، الفرق بين الفرق، 199-200. والشهرستاني، 1404هـ، 1/86).

يرد الشيخ مصطفى عبد الرازق (ت 1966هـ) في كتابه: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية على مثل هذا الاعتراض قائلاً: «ومهما يكن في القرآن من تعرّض للجدل، ومن دعوة إلى الجدل برفق عند الحاجة في مثل قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنْذَعُ إِلَيْكُمْ سَبِيلًا رَّبُّكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُؤْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادُوكُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحَسَنُ﴾ [سورة النحل الآية: 125]. فإن القرآن ليس كتاباً جديلاً، ولم تقم دعوته إلى الإيمان على الجدل. وقد مضى زمن النبي ﷺ والمسلمون على عقيدة واحدة؛ هي ما جاء في كتاب الله لأنهم - كما يقول طاش كبرى زاده - «أدركوا زمن الوحي، وشرف صحبة صاحبه، وأزال نور الصحبة عنهم ظلم الشكوك والأوهام» (مصطفى عبد الرازق، 1959، 272).

يضاف إلى ما تقدم أن الصحابة خشوا أن يؤدي البحث العقلاني الاجتهادي في مجال العقائد إلى انقسام المسلمين -بعضهم عن بعض- فنعوا عن ذلك، وحرصوا على توحيد الكلمة؛ بأن يكونوا على منهاج واحد في أصول العقائد، وإن كان ثمة خلاف بينهم فهو في فروع الأحكام الشرعية؛ بمعنى أنهم لم يختلفوا في الذات الإلهية، من حيث وحدانيتها، وتزييفها، وإنما اختلفوا -أحياناً- في فروع المسائل الفقهية المتعلقة بالأحكام الشرعية؛ كالميراث مثلاً، وهو يفسر لماذا ظهرت المدارس الفقهية في الإسلام (عبد القادر البغدادي، الفرق بين الفرق، 14). وهذا نتيجة اجتهاد كل منهم بالرأي.

وبهذا يتبيّن -مما سبق- أن فهم النصوص الدينية نفسها كانت من العوامل التي أدت إلى ظهور الخلاف في العقائد؛ إما لأن بعض هذه النصوص قد أثار بطبيعته في عقول بعض المسلمين حب البحث في العقائد الإسلامية، والتقصي للعقائد المخالفة لها، أو لأن بعض هذه النصوص من قبيل المتشابه الذي لا يدرك كنه معناه، كبعض آيات الصفات، وقد أدى تأويل بعض أهل الأهواء مثل هذه النصوص المتشابهة إلى مشكلات عقدية عويصة، كانت -فيما بعد- موضوعاً لذلك العلم.

وهكذا يمكن القول بأنه تبع ضعف العقيدة الضعف العام في الفرد، وفي الأسرة، وفي المجتمع، وفي الدولة، وفي كل جانب من جوانب الحياة، وأخذ هذا الضعف يدبّ في كل ناحية، حتى أصبحت الأمة عاجزة عن النهوض ببعضها، والاضطلاع بمسؤولياتها داخلياً وخارجياً، ولم تبق الأمة كما أمرها الله أن تكون صالحة لقيادة الأمم وهداية الشعوب.

وإذا كان سبب تخلف الأمة عن غاياتها الكبرى هو ضعف العقيدة، فإنه من الضروري أن نسعى جاهدين إلى غرس العقيدة في نفوسنا، وأن نترسم الخطة التي رسمها الرسول ﷺ وأصحابه من بعده في تعهدنا بالتربية والتنمية حتى تبلغ غايتها من القوة، وتصل إلى النهاية من اليقين الذي يدفعنا إلى مجد الحياة ويرفعنا إلى أعلى درجات العز والشرف في الدارين.

خلاصة القول عن تسمية العقيدة بعلم الكلام أمر لا يُسلِّم به كثير من العلماء؛ باعتبار أن علم الكلام هو علم الدفاع عن العقيدة وليس العقيدة نفسها؛ بل هناك من يرى أن علم الكلام هو الذي أدخل عن طريقه للناس إلى علم العقيدة أو التوحيد، وأدخل الخوف عند بعض الناس، وهو ما سنشير إليه -إن شاء الله- في طريقة تعليم العقيدة أو التوحيد؛ ذلك أن الخطأ الذي وقع فيه بعض العلماء السابقين -رحمهم الله- أئمَّا فعلاً ما أحسنوا طريقة تعليم العقيدة أو التوحيد، حينما جعلوها علم كلام، وجعلوها جدلاً، ودخلوا في قضايا لا تنفع عامة الناس، وإنما صار الموضوع دائراً في حلقة بين علماء خاصة، أو -إن صح التعبير- بين خاصة الخاصة ولم يغفهم شيئاً.

بينما لو أخذوا بطريقة القرآن في عرض قضايا العقيدة أو التوحيد وإثباته، وبين مكملاته، وبين ضده الذي هو الشرك، وكذلك توابع الشرك؛ لكان هذا أوضح من حيث البرهان والمحجة، ومن حيث البيان والوضوح، ومن حيث التأثير والقبول، ومن حيث مخاطبة جميع الناس، سواء البدوي في باديته أو الفلاح في مزرعته، أو الصانع في مصنعته، أو العالم في درسه، أو الصغير في محضنه؛ كل هؤلاء يخاطبون القرآن قد خاطب الجميع.

ثانياً: الفلسفة الإسلامية

أُطلق اسم الفلسفة على العقيدة الإسلامية، وهو الآن منتشر في بعض الكليات والجامعات في العالم كما هو الحال في كليات دار العلوم بمصر، وأقسام الفلسفة الإسلامية في كثير من جامعات العالم حالياً غير أن إطلاق هذا اسم على العقيدة الإسلامية لا يُسلِّم به كثير من علماء الأمة منذ القدم، فهذا ابن تيمية يقول: «ثم إنه لما عُرِّبتُ الكتب اليونانية في حدود المائة الثانية، وقبل ذلك وبعد ذلك، وأنحدرها أهل الكلام وتصرفوا فيها من أنواع الباطل في الأمور الإلهية ما ضل به كثير منهم، وفيها من أمور الطلب والحساب مالا يضر كونه في ذلك، وصار الناس فيها أشتاتاً: قوم يقبلونها، وقوم يخلون ما فيها، وقوم يعرضون ما فيها على أصولهم وقواعدهم، فيقبلون ما وافق ذلك دون ما خالفه، وقوم يعرضونها على ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة، وحصل بسبب تعريتها أنواع من الفساد والاضطراب مضموماً إلى ما حصل من التقصير والتغريب في معرفة ما جاءت به الرسل من الكتاب والحكمة حتى صار ما مدح من الكتاب والسنة من مسمى الحكمة يظن كثير من الناس أنه حكمة هذه الأمة أو نخوها من الأمم كالهند وغيرهم، ولم يعلموا أن اسم الحكمة مثل اسم العلم، والعقل، والمعرفة، والدين، والحق، والباطل، والخير والصدق، والحبة، ونحو ذلك من الأسماء التي اتفق بنو آدم على استحسان مسمياتها ومدحها، وإنما تنازعوا في تحقيق مناطها، وتحقيق مسمياتها، فإن كل أمة من أهل الكتب وغير أهل الكتب تسمى بهذه الأسماء ما

هو عندها كذلك من القول والعمل، وإن كانت في كثير من ذلك أو أكثره إن تتبع: ﴿إِلَّا الظُّنُّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾ [النجم: 23] ولهذا قال تعالى وتقدس: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ السَّيِّئَاتِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحُقْقِ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا احْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: 231] أي: إنما يفصل النزاع بين الآدميين كتاب منزل من السماء، ولهذا أمر الله تعالى المؤمنين عند تنازعهم بالرد إليه، كما قال تعالى وتقدس: ﴿هُنَّا أَئِمَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطْبَعُوا اللَّهَ وَأَطْبَعُوا الرَّسُولَ وَأُولُو الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعُمُ فِي شَيْءٍ فَرِدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ ثُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمُ الْآخِرُ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ ثَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59] وهذا ونحوه مبسوط في غير هذا الموضع.

إنما المقصود هنا أن الناقلين للمقالات وأهل الجدل صاروا يعبرون باللغة المعربة من (سوفسيقا) وهي (سوفسطا) عن هذا المعنى الذي يتضمن إنكار الحق وتمويهه بالباطل، وظن من ظن أن هذا قول ومنذهب عام لطائفة في كل حق، وليس الأمر كذلك، وإنما هو عارض لبني آدم في كثير من أمورهم؛ فكل من جحد حقاً معلوماً وموه ذلك بباطل فهو مسفسط في هذا الموضع، وإن كان مقراً بأمور أخرى، وهو معاند سوفسيقائي إذا علم ما أنكره، قال تعالى وتقدس: ﴿وَحَجَدُوا إِنَّهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَغُلْوًا﴾ [النمل: 14] فهؤلاء سفسطائيون في هذا المحجود، وإن كانوا مقرين بأمور أخرى، وقال تعالى وتقدس: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكَادُونَكَ وَلَكَنَ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: 33] ولهذا كان جمهور من كذب بالحق الذي بعث به رسله من ذوي التمييز هم من الجاحدين المعاندين، وهم من شر السوفسيقائيين» (ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، 323-324/2). ويقول كذلك: «ومعلوم أن أهل الكتاب أقرب إلى المسلمين من المحسوس⁽³¹⁾ والصابرين⁽³²⁾ والمشركين، فكان أول

³¹ - المحسوسية : ديانة شرك، ووثنية، فهم يعبدون النار، وزرادشت (583-660 ق. م) هو منشئ الطائفة المحسوسية، وخلاصة رأيه الحمد لله الذي ﴿تَمَثَّلَ فِي وُجُودِ إِلَهِينِ: إِلَهِ النُّورِ، أَوِ الْخَيْرِ، وَإِلَهِ الظَّلَامِ، أَوِ الشَّرِّ، وَقَدْ رَدَ الْقُرْآنَ بِإِبْطَالِ هَذِينِ الإِلَهِينِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: [الأنعام: 1]. (ابن حزم، 1395، 35/1). ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلَمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْبُدُونَ وَالْمُهَرَّسَاتِي، 1404هـ، 231/1﴾.

³² - الصابحة: الباقى منهم إلى اليوم طائفة المندائية، وتعتبر يحيى نبياً لها، ويقدسون الكواكب والنحوم، يتوجهون نحو القطب الشمالي، «إن الصابحة نوعان: صابحة حنفاء وصابحة مشركون؛ فالحنفاء ممثلة من كان متبعاً لشريعة والتعميد في المياه الجارية، يقول ابن تيمية: وأما الصابحة المشركون: فهم قوم يعبدون التوراة والإنجيل قبل النسخ والتحريف والتبدل، وهؤلاء حمدتهم الله تعالى وأثنى عليهم الملائكة، ويقرأون الزبور، ويصلون، فهم يعبدون الروحانيات العلوية، ومنهم من يعتبرون أنفسهم أتباعاً لنوح عليه السلام، منهم من ويتواجدون اليوم، في العراق وإيران». لفق له مذهبها من بين اليهودية والنصرانية، ومنهم من لفق له مذهبها من بين اليهودية والمحسوسية ابن تيمية، الرد على المنطقين، 456/1. والموسوعة الميسرة في الأديان، 136.

ما ظهر من البدع فيه شبهه من اليهود والنصارى. والنبوة كل ما ظهر نورها انطفت البدع؛ وهي في أول الأمر كانت أعظم ظهورا؛ فكان إنما يظهر من البدع ما كان أخف من غيره.

كما ظهر في أواخر عصر الخلفاء الراشدين بدعة المخوارج⁽³³⁾ والتثنية⁽³⁴⁾، ثم في أواخر عصر الصحابة ظهرت القدرية⁽³⁵⁾ والمرجحة⁽³⁶⁾، ثم بعد انفراط أكابر التابعين ظهرت الجهمية⁽³⁷⁾، ثم لما عربت كتب الفرس والروم ظهر التشبيه بفارس والروم. وكتب المند انتقلت بتوسط الفرس إلى المسلمين، وكتب اليونان انتقلت بتوسط الروم إلى المسلمين، فظهرت الملاحدة الباطنية، الذين ركبوا مذهبهم من قول الجوس واليونان، مع ما أظهروه من التثنية.

- المخوارج: هم في الأصل من خرج عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وهم جماعة من كان معه في حرب صفين سنة 33 (35هـ)، وتطلق المخوارج عموما على كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، فيسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان ومكان، وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليه في النار. ينظر: الملل والنحل: الشهريستاني، 1/113 وما بعدها.

- التثنية: أي صاروا شيعة، وهم الذين شابعوا علي بن أبي طالب بعد معركة صفين سنة (35هـ) القائلون بأحقيته في الخلافة بعد 34 وأن الخلافة مسألة دينية تم بالنص وليس دنيوية. (الشهريستاني، 1404، 1، 145هـ). الرسول

³⁵ - القدرية هم (أوائل المعتزلة) القائلون بالاختيار، وبقدرة العبد على خلق أفعاله، وقد ذكر البغدادي ما نصه: «ثم حدث في زمان المتأخرین من الصحابة خلاف القدرية في القدر والاستطاعة من معبد الجھنّم، وغيلان الدمشقى، والجعد بن درهم، وتبرأ منهُم المتأخرُون من الصحابة؛ كعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وأبي هريرة وابن عباس، وأنس بن مالك، وعبد الله بن أوفى، وعقبة بن عامر الجھنّم، وأقرانهم». (البغدادي، الفرق بين الفرق، 14-15).

³⁶ وغيرها من الأمور العقدية، وقالوا بأن كل من الكبيرة في مرتکب المخوارج والمعتزلة وأهل السنة - المرجحة: فرقۃ إسلامیۃ، خالفوا رأی ، مهما كانت الذنوب التي يوم القيمة تعالى وحده الله لا يمكن الحكم عليه بالكفر؛ لأن الحكم عليه يرجأ إلى الله آمن بوجوهه افترتها، وتکاد تتفق فرق المرجحة في أصولها على أن الإيمان هو التصديق أو المعرفة بالقلب أو الإقرار، وأن العمل ليس داخلاً في حقيقة الإيمان، ولا هو جزء منه، مع أنهم لا يغفلون منزلة العمل من الإيمان تماماً إلا عند الجهم بن صفوان ومن تبعه في غلوه. وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأن التصديق بالشيء والجزم به لا يدخله زيادة ولا نقصان. وأن أصحاب المعاشر مؤمنون كاملو بالإيمان بكمال (البغدادي، الفرق بين الفرق، 190هـ). والشهريستاني، 1404، 1، 138هـ).

³⁷ - الجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان السمرقدي (ت 128هـ) وهو من أوائل من قال بالجبر؛ أي: أن الإنسان مجبر في جميع أعماله فهو مiser لا خير، وهو أيضاً من ينكرون الصفات لله تعالى ووجههم هو من القائلين بالجبر الخالص، وأنه لا فعل، ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تنسب الأعمال للمخلوقين على المجاز، ورغم قوله بالجبر فهو يتفق مع ما يقول به القدرية الأوائل ثم المعتزلة، من القول بخلق القرآن، ونفي الصفات، ويزيد عليهم أنه لا يجوز وصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه؛ لأن ذلك يقتضي التشبيه، وقد ظهرت بدعته بتزويج، وقتلها مسلم بن أحوذ المازني بمرو في آخر أيامبني أمية سنة 128هـ، بعد أن انفع على تكبيره، وكان قد خرج على السلطان. وجههم بن صفوان هو تلميذ الجهد بن درهم أول من ابتدع القول بخلق القرآن، وتعطيل الصفات، وقد قتل سنة 124هـ بتهمة الزندقة والإلحاد. (البغدادي، الفرق بين الفرق 199-200هـ). والشهريستاني، 1404، 86/1).

وكانت قرامطة⁽³⁸⁾ البحرين أعظم تعطيلاً وكفراً، كفرهم من جنس كفر فرعون، بل شر منه» (ابن تيمية، بيان تلبيس الجهمية، 2/375). ويقول ابن القيم: «الفلاسفة: اسم جنس ملن يحب الحكمة و يؤثرها، وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصاً بن خرج عن ديانات الأنبياء، ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه، وأخص من ذلك أنه في عرف المؤذنين اسم لأتبع أرسسطو⁽³⁹⁾، وهم المشاعون⁽⁴⁰⁾ خاصة.

- القرامطة: حركة باطنية هادمة، تنتسب إلى حمدان بن الأشعث، الملقب بقرمط؛ لقصر قامته وساقيه، فارسي مجوسى، من 38 خوزستان في الأهواز، ثم رحل إلى الكوفة. وبدأ دعوته سراً سنة 258هـ وجهر بها سنة 278هـ إلى أن توفي سنة 293هـ، وفي الوقت نفسه بدأ عبد الله بن ميمون القداح رأس الأفعى القرمطية نشر الإسماعيلية في جنوب فارس سنة 260هـ وقد اعتمدت الإسماعيلية حركة التنظيم السري العسكري، وكان ظاهرها التشيع لأن البيت، وتنتسب إلى إسماعيل (ت 143هـ) بن جعفر الصادق (ت 148) وحقيقة إلحاد والإباحية، ونفي الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية؛ فهم كانوا يظلون الإسلام ويقطّون المحسنة؛ فبعد هو الإمام، وعرفوا إسماعيل بن جعفر حدث انشقاق في الصف الشيعي؛ فهناك من اعتبر للشيعة الإمام السادس جعفر الصادق وفاته تسميزهم عن الإسماعيلية، الإمام السابع، ويسمون بالاثني عشرية؛ موسى الكاظم بن جعفر، وهناك من اعتبر بالإسماعيلية فيما بعد ملاحة ، الحجاز إماماً، واضطروا للخروج من محمد بن إسماعيل بايع الإسماعيليون ويعثرون أغلبية الشيعة اليوم، ويسمون بالجعفري، العباسين لهم، واحتفلوا تبادلاً حملة سرية واسعة لنشر العقيدة الإسماعيلية الباطنية باسم إسماعيل الغائب، الذي قيل إنه المهدي المنتظر، وعند عودته سوف تملأ الأرض عدلاً، ويمثل القرامطة في البحرين فرع الإسماعيلية في الشرق، مقابل الفرع العبيدي الفاطمي في المهدية بتونس الذي تأسس على يد عبيد الله المهدي سنة 297هـ وتحول إلى القاهرة سنة 358هـ ليستقر بما حتى نهاية الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي سنة (567هـ). (الموسوعة الميسرة، في الأديان 1/87-88).

- فيلسوف يوناني قدم عاش في الفترة ما بين (384-322ق.م) كان أحد تلاميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر. 39 .32 (الفلسفية المختصرة، 1963م)

40- المشائية: نسبة إلى مشي أرسسطو أمام طلابه في أثينا، وبعد وفاته أصبحت المشائية اصطلاحاً لفلسفته، وقد انتقلت فلسفته إلى المسلمين، ومثل أرسسطو عندهم الاتجاه العقلي، ولم يحصر الفلسفة المسلمين فكرهم داخل الإطار الأرسطي فقط، بل أضافوا إليه من أفلاطون وأفلاطونين، وقاموا بالتوفيق والمنجز بين عدة آراء في مركب واحد يحمل ملامح التفكير اليوناني والروح الإسلامية. حاولت المشائية الإسلامية إيجاد صيغة مشتركة بين الدين والفلسفة وإن كانت رؤيتها إلى الفلسفة أميل، وجلأت إلى التأويل لتفسير ملامح التوفيق، وكان منطلقاتها في ذلك أن النص الديني يخاطب بظاهره جمهور الناس، أما الخاصة فينبغي أن يكون لهم تصوّرها الخاصة، مع الإيمان بأن في النص ثنائية، وأول علم من أعمال المشائية العربية الكהתי (ت 260هـ) الذي الجمع بين الدين والفلسفة، جاء بعده الفارابي (ت 339هـ) الذي أطلق عليه لقب المعلم الثاني خلفاً لأرسسطو المعلم الأول، وجاء بعده ابن سينا (ت 428هـ) في المشرق، فهم لا يمثلون المشائية المخالصة، بل أضافوا إليها مؤثرات أخرى، وقد هاجم الغزالى هذه المشائية المشرقة في كتابه (تحافت الفلسفه) وحضر آراءهم في عشرين مسألة، كفرهم في ثلاثة منها، وكان لهذا الكتاب أثره في زعزعة الفلسفة في المشرق. انتقلت المشائية من المشرق إلى المغرب وأخذ بها ابن باجة (ت 533هـ) وابن رشد (ت 595هـ) الذي دافع عن الفلسفة ضد هجمة الغزالى في كتابه (تحافت التهافت) إلا أنه لم ينجح بصورة عامة في دفع التهمة عن المشائية، وظللت بعد ذلك من العلوم المكرورة في بلاد الأندلس. يُعدُّ ابن رشد الممثل الخالص للفكر المشائي، وأعظم شارحي فلسفة أرسسطو في العصور الوسطى، إذ هاجم كل الخراف عن فلسفة

وهم الذين هذب ابن سينا⁽⁴¹⁾ طريقتهم، وبسطها وقرها، وهي التي يُعرفُها؛ بل لا يعرف سواها المتأخرون من المتكلمين، وهؤلاء فرقة شاذة من فرق الفلسفه، ومقالتهم واحدة من مقالات القوم، حتى قبل إنه ليس فيهم من يقول بقدم الأفلاك غير أرسطو وشيعته؛ فهو أول من عُرف أنه قال بقدم هذا العالم، والأساطين قبله كانوا يقولون بجدوته، وإثبات الصانع ومبaitته للعالم، وأنه فوق العالم، وفوق السموات بذاته، كما حكاه عنهم أعلم الناس في زمانه بمقالاتهم أبو الوليد ابن رشد:

«القول في الجهة»: وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يشيرونها لله - سبحانه -

حتى نفتها المعتزلة⁽⁴²⁾، ثم تبعهم على نفيها متأخرها الأشعرية؛ كأبي المعالي(ت 478هـ)، ومن اقتدى بقوله» إلى أن قال: «لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء، وأن منه تنزيل الملائكة بالوحى إلى النبيين، وأن من السموات نزلت الكتب، وإليها كان الإسراء بالنبي ﷺ حتى قرب من سدرة المنتهى، وجميع الحكماء قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء، كما اتفقت جميع الشرائع على ذلك» (ابن رشد، فلسفتة، فصل المقال، 93-94).

ثم ذكر تقرير ذلك بالعقل، وبين بطلان الشبهة التي لأجلها نفتها الجهمية، ومن وافقهم إلى أن قال: «فقد ظهر لك من هذا أن إثبات الجهة واجب بالشرع والعقل، وأنه الذي جاء به الشرع، وابني عليه وأن إبطال هذه القاعدة إبطال للشرع» (ابن رشد، فلسفتة، فصل المقال 96).

ولا يخفى ابن القيم إعجابه بابن رشد؛ إذ يعلق على ذلك بقوله: «فقد حكى لك هذا المطلع على مقالات القوم الذي هو أعرف بالفلسفة من ابن سينا وأضرابه: إجماع الحكماء على أن الله سبحانه في السماء فوق العالم» (ابن القيم، 1975، 2/257-261).

أرسسطو، وهاجم الفارابي وابن سينا فيما نسبوه إلى أرسسطو من آراء، ورفض كل خروج عن نص أرسسطو، وتمسكاً شديداً بأراء أرسسطو. ولابن رشد الفضل الأكبر في إيضاح نص أرسسطو المترجم إلى العربية، وهو أمر تأثر به فلاسفة العصور الوسطى في أوروبا وعلى رأسهم ألبرت الكبير، وكانت شروح ابن رشد مصدراً أساسياً لفهم فلسفة أرسسطو. وبعدهاأخذت المشائخ في الانحسار. الموسوعة الفلسفية العربية 1988، (المشائخ) بقلم ماجد فخرمي.

41- الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، الفيلسوف الرئيس، له تصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات. أصله من بلخ، وولد في بخاري. ونشأ وتعلم فيها، اتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همدان، ومات بها سنة 428هـ. قال ابن القيم (كان ابن سينا - كما أخير عن نفسه - هو وأبوه، من أهل دعوة الحاكم، من القرامطة الباطينيين). وقال عنه ابن تيمية: (تكلم ابن سينا في أشياء من الإلهيات، والنبوات، والمعاد، والشرع، لم يتكلم فيها سلفه). (الزرکلی، 2002، 2/241).

42- المعتزلة: أتباع القدرة الأولى وقد سموا بالمعتزلة، لأن زعيمهم واصل بن عطاء الغزال (ت 131هـ) اعتزل مجلس الحسن البصري ومن أصولهم أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، وأن الإنسان قادر على خلق أفعاله، ويقولون بخلق القرآن، وبعدم روئية الله تعالى مطلقاً. (الشهرستاني، 1404هـ، 1/32).

ثم يفرق ابن القيم بين المتطفلين على الفلسفة وبين أساطينها؛ فينقل عن أبي البركات البغدادي⁽⁴³⁾ ما يراه مناسباً فيقول: «والمتطفلون في حكايات مقالات الناس لا يمحكون ذلك إما جهلاً، وإما عمداً وأكثر من رأينا يحكي مذاهبيهم ومقالات الناس متطفل، وكذلك الأساطين منهم متفقون على إثبات الصفات والأفعال وحدوث العالم، وقيام الأفعال الاختيارية بذاته – سبحانه – كما ذكره فيلسوف الإسلام في وقته أبو البركات البغدادي وقال: لا يستقيم كون رب سبحانه رب العالمين إلا بذلك، وأن نفي هذه المسألة ينفي روبيته، قال: والإجلال من هذا الإجلال والتنتزه من هذا التنتزه أولى» (ابن القيم، 1975، 257/2).

ثم يذكر فصلاً ينقل فيه عن بعض الفلاسفة تعظيمهم للرسل والشائع ووجوب اتباعهم فيقول: «فصل: وكذلك كان أساطينهم ومتقدموهم العارفون فيهم، معظمين للرسل والشائع، موجبين لاتباعهم خاضعين لأقوالهم، معترفين بأن ما جاءوا به طروا آخر وراء طور العقل، وأن عقول الرسل وحكمتهم فوق عقول العالمين وحكمتهم، وكانوا لا يتكلمون في الإلهيات، ويسلمون بباب الكلام فيها إلى الرسل ويقولون: علمنا إنما هي الرياضيات والطبيعيات وتوابعها، وكانوا يقررون بحدث العالم، وقد حكى أرباب المقالات أن أول من عرف عنه القول يقدم هذا العالم أرسطو، وكان مشركاً يعبد الأصنام، ولو في الإلهيات كلام كله خطأ من أوله إلى آخره، وقد تعقبه بالرد عليه طوائف المسلمين، حتى الجهمية، والقدرية، والمعزلة، والرافضة وفلاسفة الإسلام أنكروه عليه، وجاء فيه بما يسخر منه العقلاً، وأنكر أن يكون الله سبحانه يعلم شيئاً من الموجودات وقرر ذلك بأنه لو علم شيئاً لكميل بمعلوماته، ولم يكن كاملاً في نفسه، وبأنه كان يلحقه التعب والكلل من تصور المعلومات؛ فهذا غاية عقل هذا المعلم والأستاذ» (ابن القيم، 1975، 257/2).

ثم يستدل ابن القيم بكلام فيلسوف الإسلام – كما يسميه هو – أبو البركان البغدادي فيقول: «وقد حكى ذلك أبو البركات البغدادي وبالغ في إبطال هذه الحجج وردتها؛ فحقيقة ما كان عليه هذا المعلم لاتباعه: الكفر بالله – تعالى – وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، ودرج على أثره أتباعه من الملاحدة من يتسترون باتباع الرسل، وهو منحل من كل ما جاءوا به، وأتباعه يعظمونه فوق ما يعظمه الأنبياء ويربون عرض ما جاءت به الأنبياء على كلامه؛ فما وافقه منها قبلوه، وما خالفه لم يعبأوا به شيئاً،

- هبة الله بن علي بن ملكاً، أبو البركات، المعروف بأوحد الزمان، طبيب، فيلسوف من سكان بغداد. يسمى بفيلسوف 43 العراقيين، ادعى أنه نال رتبة أرسطو. كان يهودياً وأسلم في آخر عمره. من كتبه المعتبر في الحكمة، توفي في سنة 560هـ (الزرکلی، 74/8، 2002).

ويسموه المعلم الأول؛ لأنه أول من وضع لهم التعاليم المنطقية، كما أن الخليل بن أحمد أول من وضع عروض الشعر» (ابن القيم، 1975، 257/2-261).

وفي هذا السياق يقول الحافظ بن حجر العسقلاني: «فمما حدد تدوين:

1- الحديث.

2- ثم تفسير القرآن.

3- ثم تدوين المسائل الفقهية المولدة عن الرأي الخضر.

4- ثم تدوين ما يتعلق بأعمال القلوب.

فأما الأول فأنكره عمر⁽⁴⁴⁾ وأبو موسى⁽⁴⁵⁾ وطائفة، ورخص فيه الأئشرون.

وأما الثاني فأنكره جماعة من التابعين، كالشعري⁽⁴⁶⁾.

وأما الثالث فأنكره الإمام أحمد وطائفة يسيرة، وكذا اشتد إنكار أحمد للذى بعده.

ومما حدث أيضاً تدوين القول في أصول الديانات؛ فتصدى لها المثبتة والنفاة؛ فالبالغ الأول حتى شبهه، وبالغ الثاني حتى عطل، واشتد إنكار السلف لذلك، كأبي حنيفة، وأبي يوسف، والشافعي، وكلامهم في ذم أهل الكلام مشهور، وسببه أئمه تكلموا فيما سكت عنه النبي ﷺ وأصحابه، وثبت عن مالك أنه لم يكن في عهد النبي ﷺ وأبي بكر، وعمر شيء من الأهواء؛ يعني بدع الروافض، والقدرة، والمعتلة، والخوارج، وقد توسع من تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالبية الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم، ولم يقتنعوا بذلك حتى مزحوا مسائل الديانة بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلاً يردون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل، ولو كان مستكرها، ثم لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أن الذي رتبوه هو أشرف العلوم وأولاها بالتحصيل وأن من لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عامي جاهل. فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف، واجتنب ما أحدهه الخلف، وإن لم يكن له منه بد فليكتف منه بقدر الحاجة، ويجعل الأول المقصود بالأصلية. والله الموفق» (ابن حجر، 1379هـ، 546/13).

⁴⁴- عمر بن الخطاب: أحد كبار الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - أمير المؤمنين، توفي مقتولاً، طعنه أبو لؤلؤة ففيروز الجوني، غلام المغيرة بن شعبة سنة ثلث عشر وعشرين للهجرة. (ابن الأثير، أسد الغابة، 4/166).

⁴⁵- على زيد وعدن، وولاه عمر بن عبد الله بن قيس، الفقيه المقرى، أحد كبار الصحابة، ولاد النبي يوم صفين من بين حزبه علي بن أبي طالب الخطاب على البصرة، وولاه عثمان بن عفان على الكوفة، وكان المحكم الذي احتاره توفي سنة 44هـ. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 3/336).

⁴⁶- الشعري: عامر بن شراحيل بن عبد الله بن ذي كبار، ذو كبار: قيل من أقباط النيين، أبو عمرو المقدسي، ثم الشعري، تابعي وفقهى ومحدث من السلف، ولد في خلافة عمر بن الخطاب، توفي سنة 100هـ. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، 7/329).

وهكذا يمكن الاستنتاج من خلال استعراض الآراء السابقة أنه يمكن معالجة مشكلة البحث في إطار علمي إقناعي باتباع ما جاء به القرآن والسنة، وما كان عليه سلف الأمة، وبخاصة أصحاب القرون الثلاثة الأولى، ومن سار على نحجهم إلى يوم الدين.

الخاتمة: وتتضمن أهم نتائج البحث على النحو الآتي:

- 1- الأسماء الشرعية للعقيدة الإسلامية: الفقه الأكبر، والسنّة، والإيمان والشريعة، والتوحيد، وأصول الدين.
- 2- الأسماء غير الشرعية للعقيدة الإسلامية: علم الكلام، والفلسفة.
- 3- الفقه الأكبر الذي بين أيدينا أساسه صحيح النسبة إلى أبي حنيفة وله روایتان.
- 4- علم الكلام هو علم إثبات العقيدة والدفاع عنها وليس العقيدة نفسها، فهو وسيلة للدفاع عنها.
- 5- يوجد رأيان تجاه علم الكلام: رأي يرفضه، ويمثل أهل السلف، ومن سار على نحجهم، فهم لا يرتضونه، ويرون أنه لا يصل إلى الإيمان السليم؛ ومن ثم فلا ضرورة لدراسته. ورأي يقبل به، ويرون أن دراسته ضرورية للدفاع عن العقيدة -في كل عصر- وبه تعرف دقائق أصول الدين، وبه يدافع عنها.
- 6- يجب الفصل بين علم العقيدة وعلم الكلام والفلسفة أثناء الدراسة؛ لاختلاف ماهية كل منها عن الآخر.
- 7- يمكن معالجة المشكل في إطار علمي إقناعي بمحاجة يفصل علم العقيدة عن الكلام وعن الفلسفة بحيث تدرس العقيدة لوحدها ويدرس العلمان منفصلان عن العقيدة.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

- 1- الإبانة الكبرى، لابن بطة، تحرير: رضا بن نعسان وآخرون، دار الرأي بالرياض، ط1، 1995م.
- 2- الأعلام للزرکلي، دار العلم للملايين، ط 2002، 15م.
- 3- أبو حنيفة، حياته وعصره، آراؤه الفقهية، محمد أبو زهرة، طبعة دار الفكر العربي، الطبعة الثانية.

- 4- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم، تحقيق د. عبد الله المعتق ط 1، 1408هـ، مطبع الفرزدق الرياض، طبعة أخرى، دار الكتب العلمية.
- 5- أرسطو عند العرب، لعبد الرحمن بدوى، وكالة المطبوعات الكويت، ط 2، سنة 1968م.
- 6- الاستقامة، لابن تيمية، تحرير: د. محمد رشاد سالم، جامعة محمد بن سعود، المدينة، ط 1، 1403هـ.
- 7- أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، تحقيق علي معرض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 8- أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، محمد بن عبد الرحمن الخميسي، دار الصميعي، السعودية.
- 9- أصول الدين، لعبد القادر البغدادي، طبعة دار الكتاب العلمية الثانية 1400هـ.
- 10- أصول الدين، للبرذوي، حققه وقدم له، د. هانز بترلانس، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركاه، القاهرة 1388هـ.
- 11- أصول السنة، للحميدي، تحرير: عبد الله بن يوسف الجديع.
- 12- إغاثة اللهمان لابن القيم، دار المعرفة، تحرير: محمد حامد الفقي، بيروت، ط 2، 1975م.
- 13- أليس الصبح بقريب، لابن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط 1، 1967م.
- 14- إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، لابن جماعة، تحرير: وهي الألباني، دار السلام ، مصر، ط 1، 1990.
- 15- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامبة، لابن تيمية، مؤسسة قرطبة.
- 16- تاريخ الأدب العربي، لبروكلمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995.
- 17- تاريخ التراث لفؤاد سرکین، ترجمة محمود فهمي وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1977م.
- 18- التبصیر في أصول الدين وتمیز الفرق الناجحة عن الفرق المالکین، لأبی المظفر الإسپرایی، تحریر: کمال الحوت، عالم الكتب، بيروت، طبعة أخرى بتحقيق الكوثري، مطبعة الأنوار، القاهرة 1950م.
- 19- تمہید لتأریخ الفلسفۃ الإسلامیۃ، لمصطفی عبد الرزاق، تمہید القاهرة 1959م.

- 20 تمهيد لدراسة علم الكلام، عبد الحميد مذكر، دار المانى للطباعة والنشر، 2003م.
- 21 الجامع الصحيح، للبخاري، ترجمة: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير اليمامة بيروت، ط3، 1987م.
- 22 جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1408هـ.
- 23 الجوادر المضدية في طبقات الحنفية، ابن أبي الوفاء القرشي، مير محمد كتب خانة، كراتشي.
- 24 درء تعارض العقل والنقل، أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، ابن تيمية، ترجمة: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.
- 25 الرد على المنطقين، ابن تيمية دار المعرفة، بيروت.
- 26 سير أعلام النبلاء، للدّهبي، ترجمة مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.
- 27 شرح أصول أهل السنة والجماعة، لللّكائي، ترجمة: أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، 1402هـ.
- 28 شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، ترجمة: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط3، 2013.
- 29 صحيح، البخاري، حسب ترقيم فتح الباري، دار الشعب، القاهرة، ط1، 1987.
- 30 صحيح مسلم، ترجمة: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- 31 الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، ترجمة: د. علي بن محمد، دار العاصمة، الرياض، ط3، 1998م.
- 32 ضحى الإسلام، لأحمد أمين، طبعة دار الكتاب العربي - بيروت.
- 33 طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة، تحقيق عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1407هـ.
- 34 عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي، لحمد بن أيوب، طبعة المؤسسة الإسلامية دكا بنجلادش.
- 35 العقيدة الإسلامية، للصادق الغرياني، مكتبة بن حمودة، زليتن ليبيا، ط2، 2010م.

- 36 غاية الأمانى فى الرد على النبهانى، محمود الألوسى، طبعة دار إحياء السنة بالإسكندرية.
- 37 فتح البارى شرح صحيح البخارى، لابن حجر، تتح: أحمد بن علي بن حجر، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
- 38 الفرق بين الفرق لعبد القادر البغدادى، تتح: محمد محيى الدين، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده مصر.
- 39 الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1395هـ، طبعة أخرى تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار عكاظ للنشر والتوزيع سنة 1402هـ.
- 40 الفقه الأبسط، لأبي حنيفة، تحقيق محمد زاهد الكوثري، طبعة مطبعة الأنوار، القاهرة 1368هـ.
- 41 الفقه الأكبر، لأبي حنيفة، طبعة دار الكتب العلمية بيروت، سنة 1404هـ.
- 42 فلسفة ابن رشد، فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال والكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، - صحيحه وراجعه وضبط أصوله مصطفى عبد الجاد عمران، المكتبة الحمودية التجارية، مصر.
- 43 الفلسفية المختصرة، ترجمة د. فؤاد كامل وآخرون، مكتبة الأنجلو الأمريكية 1963م.
- 44 الفهرست، لابن النديم، تتح: رضا تحدى، طبعة أخرى دار المعرفة، بيروت.
- 45 كشف الأسرار شرح أصول البرذوى، لعلاء الدين البخارى، طبعة دار الكتاب العربي بيروت.
- 46 كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، لحاجي خليفه، دار العلوم الحديثة . بيروت.
- 47 لوامع الأنوار البهيمية وسواتع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقه المرضية، للستفاريني المختبى، مؤسسة الحافظين ومكتبتها، دمشق، ط2، 1982م.
- 48 مباحث في منهج الفكر الإسلامي، لعبد الحميد النجار، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992م.
- 49 مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تتح: أنور الباز، وعامر الجزار، دار الوفاء، ط3، 2005م.
- 50 المدخل إلى دراسة علم الكلام، لحسن الشافعى، مكتبة وهبة، ط2، 1991م.

- 51 المشتبه، للذهبي، تتح: علي البحاوي، طبعة دار إحياء الكتب العربية . القاهرة.
- 52 المعجم الفلسفى، لجميل صليبا، دار الكتاب اللبناني بيروت سنة 1982 م.
- 53 المعجم الفلسفى، ملراد وهبة وآخرون، دار الثقافة الجديدة القاهرة، ط 2، سنة 1971 م.
- 54 المقدمة، لابن خلدون، تدقیق عبد الله البستاني، مكتبة لبنان ط 4، 1990 م.
- 55 الملل والنحل، للشهرستاني، تتح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، 1404 هـ.
- 56 منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تتح: محمد رشاد سالم 1406 هـ، طبعة جامعة الإمام بالرياض، طبعة أخرى مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.
- 57 المواقف، لعبد الدين الإيجي: نشر دار الباز للطباعة والنشر، دار عالم الكتب .
بيروت.
- 58 الموسوعة الفلسفية العربية، لماجد فخري، نشر دار الإنماء العربي، بيروت، مج 2
القسم الثاني مادة (المشائية) ط 1، 1988 م.
- 59 الموسوعة الميسرة، في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب
الإسلامي، إشراف وتحطيط ومراجعة: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، والمقدمة
 مضافة للموسوعة إيماناً للفائدة. من كتاب "فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام" للشيخ
غالب عواجي.
- 60 موقف المشائية الإسلامية من النص الديني، لإنشاد محمد على، القاهرة سنة
1991 م.
- 61 النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تتح: طاهر أحمد الزاوي، ومحمد محمد
الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979 م.
- 62 هدية العارفين في أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، إسماعيل البغدادي، طبعة دار العلوم
الحديثة، بيروت، سنة 1955 م.
- 63 وفيات الأعيان، ابن حلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1968 م.

الصمود النفسي والخلافات الزوجية

"عينة من الليبيات المتواجدات بمصر"

د.زهرة سالم على قشقش

كلية الاداب والعلوم مسالاته - جامعة المرقب

ملخص الدراسة :

تهدف الدراسة إلى معرفة الفروق بين مرتفعي ومنخفضي الدرجة في الخلافات الزوجية في ضوء الصمود النفسي، وفي ضوء المتغيرات الديموغرافية، ولتحقيق هذا الهدف طبق مقياس (الصمود النفسي - الخلافات الزوجية) على (ن = 87) زوجة، وقد توصلت نتائج الدراسة إلى عدم وجود فروق بين مرتفعي ومنخفضي الدرجات في الصمود النفسي في مقياس الخلافات، فضلاً عن أن الصمود النفسي لا يختلف بإختلاف المتغيرات الديموغرافية.

مشكلة الدراسة ومحدداتها:

يعتبر الصمود النفسي هو أحد المفاهيم الحديثة والذي يعكس تكوين نفسي قوي لا يؤمن بالحظ أو الصدفة بل بالإصرار والمبادرة، وبعد الصمود تصوراً متعدداً في معانيه، ومتبايناً من حيث زاوية الرؤية إليه، حيث يغدو التحدي Challenge والمبادرة Lntaive والإيجابية Positivenes والقدرة على الإن奸اء بدون إنكسار، والقدرة على التكيف الشديد مع الموقف الضاغطة حتى يعود الفرد إلى نقطة الثبات، كما أن الأزواج المعرضين للشدائد ينظرون إليهم على أساس لديهم بعض القدرات على الصمود (Neff & Broady, 2011). وقد بيّنت دراسة (Walsh, 1996, PP.261 – 281) أن القدرة على تنظيم الضغوط بصورة مبكرة في سنوات الزواج المبكرة ربما تجعل العلاقات الزوجية أكثر صموداً في مواجهة ضغوط المستقبل ، وهذا ما أكدت عليه دراسة (Conger,P.D, Rueueted, 1999) حيث وجود علاقة بين الصمود الزوجي والقدرة على مواجهة الضغوط الاقتصادية.Conger, P.D, Rueueted, 1999, 54) ويلاحظ أن مفاتيح الصمود الأسري بأنها تستطيع تنظيم المعتقدات والأنمط التنظيمية وعمليات الإتصال، كما أنها تتضمن معنى الشدائـد ووجود توقعات إيجابية نحو الحياة والتمتع بجانب روحاني (Walsh, F.,1998,P.79).

كما أن التوتر في كثير من الأحيان يعمل على إعاقة العلاقة الزوجية، كما يمكن التغلب على الضغوط الصغيرة في وقت مبكر من العلاقة والتي قد تساعد الزوجين في تطوير القدرة على مواجهة أكبر للضغط في المستقبل. (Baumeister, 2006, P.74)

كما أن الصمود الزوجي يتطور عبر الزمن في إطار التعرض للشدائد. (Staudinger, 1993, P.541)

فضلاً عن أن الصمود النفسي للزوجين إلتزام زوجي مرکزى يرتبط بطبيعة الإلتزامات المتعلقة بالجنس والأدوار الاجتماعية، والعناية الزوجية، والتركيز على السياق والعلاج الضمني للأزمات الزوجية، والتمكن من مهارات الإدارة الزوجية القائمة على التأزر، والتمسك بالأدوار العادلة للزوجين، والمساندة الزوجية في أوقات إنخفاض الظروف المالية للأسرة. (Steven, W. & Walin, S., 1993, P.320).

ويذهب البعض أن عدم الصمود النفسي للزوجين ينصب على المبادئ الأخلاقية، والإعتقادات والتصورات الخاطئة عن الزواج والخوف من الفشل الزوجي والطلاق، والشعور بأن هناك قيوداً مفروضة من الزوج أو الزوجة، وعدم الشعور بالألفة في تواجد الطرف الآخر وما يتربى على ذلك من عدم استقرار العلاقة الزوجية (Hamilton, M., 1993, P.180)، والصمود النفسي في الزواج يعتمد على السعة النفسية، والوضوح والدقة في التحدث والإستماع للشريك في الزواج والولاء والثقة والإحترام والإهتمام بإيجابيات الطرف الآخر لصيانة العلاقة الزوجية . (Hamilton, 1993, P.182)

ويوضح (Mark, & Neils, 1989) في عرضهما لنظرية إضطراب العلاقات الشخصية والإكتئاب أن الأزواج المكتئبين يتسمون بعدم الصمود في التفاعل مع البيئة الاجتماعية بما فيها العلاقة الزوجية وليس لديهم الكفاية الذاتية في حل مشكلاتهم الزوجية، وغالباً ما تكون توقعاتهم سلبية بالنسبة للخبرات التي يمرون بها. (Mark, & Neils, 1989, P.186)، كما أن الصمود إلتزام يجبر الفرد على تكريس نفسه لمقاومة الضغوط الداخلية والخارجية للأسرة، والتضحية من أجل الطرف الآخر، وعدم الشعور بالإستياء والكرهية مع استمرارية هذه الضغوط وفي النهاية فهي استثمارات بنائية للارتفاع بالمستوى الاجتماعي والإقتصادي الثقافي للزوج والأسرة في المستقبل (Hamilton, M., 1993, P.177).

أما (Tsipora, 1987) فقد وجدت أن النساء المتزوجات اللاتي يتسمن بالصمود الزوجي قد حصلن على تقديرات عالية في كل من الإنتاج والذكاء، وفي نفس الوقت قد حصلن على درجات مرتفعة من الحضور والحافظة والتقليدية، وهذا ما تؤكد عليه نظرية الزواج المغاير الذي يجذب تغير الزوجين

في الشخصية، أي أن المتناقضين يتحاذبان، بعكس نظرية الزواج المتماثل الذي يجد مثالاً أو تقارب الزوجين في الشخصية أي أن الشخص يجب مثيله في الشخصية ، ويلاحظ أن الذكاء الاجتماعي والإتزان الإنفعالي لهما دور هام في إكتساب الصمود الزواجي من خلال عملية التنشئة الاجتماعية وتعلم الأنماط السلوكية الخاصة بالتفاعل الزواجي بواسطة التعلم المقصود والتلقائي وعن طريق عمليات التوحد مع النموذج خاصة مع الوالدين وبعض الأقارب .(Tsipora P.R., 1987,P.1026).

ويؤكد (Reinhart, G.E., 1977) أن القادرين على الإتصال الزواجي الناجح لديهم القدرة على التعبير عن وجهات النظر المختلفة مع تقبل وجهات النظر المختلفة مع تقبل وجهات نظر الشريك الآخر، والقدرة على التفاوض والمشاركة والإستماع إلى الرأى الآخر (Reinhare, G.E., 1977, PP: 2881 – 2883).

وبناء على ما سبق يمكن تحديد مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

- 1- هل توجد فروق بين مرتفعي ومنخفضي الدرجة علي مقياس الصمود النفسي في الخلافات الزوجية؟.
- 2- هل يختلف الصمود النفسي باختلاف المتغيرات الديموغرافية (العمر— مدة الزواج — عدد الأبناء — المستوى التعليمي)؟.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى معرفة الفروق بين مرتفعي ومنخفضي الدرجة في الخلافات الزوجية في ضوء الصمود النفسي، وفي ضوء المتغيرات الديموغرافية.

أهمية الدراسة: تبرز أهمية الدراسة في ضوء الأهمية السيكولوجية لمفهوم الصمود والخلافات الزوجية، كذلك فإن دراسة متغير إيجابي وقائي حديث نسبياً (الصمود النفسي) لم ينل ما يستحقه من الاهتمام، فضلاً عن إعداد مقياسين أحدهما لقياس الصمود النفسي والآخر لتشخيص الخلافات الزوجية.

مصطلحات الدراسة :

تعريف الصمود النفسي إجرائياً بأنه: قدرة الزوجين على مواجهة أي خلافات بأسلوب إيجابي متضمن المرونة في حل المشكلات والقدرة على التواصل الإيجابي وضبط الإنفعالات حتى لا يتسلل الملل أو الخلافات بين الزوجين.

أما عن تعريف الخلافات الزوجية إجرائياً: فمعنى عجز أحد الزوجين أو كلاهما عن الوفاء بوظائفهما المحددة، فضلاً عن اختلافهما في ثوابت ومتغيرات الحياة. الدراسات السابقة الخاصة بالصمود والخلافات الزوجية: يحمل فيما يلي الدراسات ذات الصلة بموضوع الدراسة :

عن الخلافات الزوجية والمشكلات السلوكية جاءت دراسة (Jean,M.k,1994) وقد طبقت الأدوات على (ن=65) زوج وزوجة وقد استخدمت الباحثة استبيان الرضا الزواجي والصمود النفسي وقائمة المشكلات السلوكية وتشير نتائج الدراسة إلى أن الخلافات الزوجية ترتبط بنقص الصمود وعدم الرضا عن العلاقة الزوجية، وأن الإرتباط إيجابي بين المشكلات السلوكية كالعدوان والغيرة والكذب.

وفي نفس السياق اهتم (Gail,K.& Beelek,O,2002) بدراسة العدوان الزوجي وطبقت الأدوات على (ن=614) زوج وزوجة تتراوح أعمارهم ما بين 62 : 65 سنة ومتوسط مدة الزواج 36 سنة، وقد أوضحت النتائج أن هناك علاقة سلبية بين عدم الصمود الزوجي والإتصال الإنفعالي والقدرة على حل المشكلات والرضا الزوجي كما ترتبط العدوانية الزوجية وعدم الصمود النفسي بالعنف وتحطيم القيم والتهديدات المختلفة لطريق العلاقة الزوجية.

بينما قام (Froma,W,2003) بالكشف عن فعالية برنامج علاجي لزيادة فعاليات الصمود الزوجي ووضع نموذج للصمود الشخصي كسمة من سمات الشخصية ومدى تأثيرها على بعض وظائف الأسرة، وقد استخدم فيها برنامج علاجي من خلال مشاهدة لعب الأدوار الزوجية، وقد استعان الباحث بمقاييس سمات الشخصية واستبيان الصمود الأسري Family Resilience Inventory على عينة من المتزوجين الذين يعانون من مشكلات زوجية وعدها 20 متزوجاً كمجموعة تجريبية 20 متزوجاً كعينة ضابطة وتبين النتائج أن تتمية الصمود يرتبط بأنظمة المعتقدات الزوجية وتنظيم الحياة الأسرية والاتصال الوجداني وحل المشكلات والممارسة الإكلينيكية كان لها الأساس في تكوين بنية المفاهيم الزوجية، التي تدعم الصمود في العلاقة الزوجية والجهود القوية لمواجهة تحديات الحياة الزوجية الخطيرة.

كما طبق (Claudine,E.D,1996) عن العوامل الاجتماعية التي تؤثر على التوافق الأسري والإإنفعالي لدى الأزواج والزوجات من ثلاث جنسيات منها الفرنسية، والهندية والأمريكية، واستخدام الباحث مقياس أيديولوجيات الدور الجنسي، ومقاييس التوافق الأسري الإنفعالي ومقاييس المساندة الاجتماعية، واقتصرت العينة على مجموعة من الأزواج وزوجاتهم من المهاجرين بمجتمعات أخرى من أجل

زيادة الدخل الأسري، وقد توصلت الدراسة إلى أن هناك ارتفاع في مستوى الصمود الزوجي لدى الزوجات الهنديات ب رغم فقدان المساندة من الأصدقاء وأعضاء الأسرة في المجتمعات الجديدة، وقلة خبرة الزوجات في التكيف مع المجتمع الجديد نظراً لقضاء الأزواج وقت طويل في العمل، وقد وجّد أن من أهم محاور الصمود الزوجي هي المساعدة وترشيد الإستهلاك، وتوفّر المعلومات من خلال شبكات المساندة الإنفعالية والإجتماعية وقوّة بذل الجهد مع الأزواج، وزيادة توافق المستوى الأسري من خلال شبكة المساندة الزوجية، والإهتمام بالموارد الزوجية، والثراء السريع، والتّوافق بنجاح مع ظروف الحياة الجديدة.

وفي دراسة (Linda,B,C,2001) والتي هدفت إلى استخدام أساليب لعب الأدوار الزوجية على مجموعة من الأزواج والزوجات الذين يعانون من ضغوط زوجية وبعد التدخل العلاجي وجد أن تنمية الصمود الزوجي من خلال أساليب لعب الأدوار أدت إلى إنخفاض مستوى الغضب والعنف الأسري والصراعات الوالدية وعدم الرضا الجنسي والنجاح في القيام بالدور الزوجي مع ضغوط العمل لدى الزوجين.

وعن مدى تأثير الصمود والسعادة الإنفعالية في التغلب على الصعوبات الأسرية لدى المتزوجين والمتزوجات ذوي المستوى الإجتماعي والإقتصادي المنخفض، طبق (Thomas,B,2000) الأدوات على (n=300) زوج وزوجة، استبيانه ظروف الحياة الصعبة القدرة على الإحتمال الأسري، ومقاييس الصمود في السعادة الإنفعالية، وتوصلت النتائج أن الأزواج من أصل أفريقي أكثر نشاطاً في القيام بأدوارهم الزوجية وأن الزوجات يتمتعن بالإيجابية وأكثر استسلاماً وحضوراً لأدوارهن الزوجية ويظهر ذلك من خلال قيام أزواجهن بوظائفهم الأسرية والمشاركة الفعالة في الأنشطة الأسرية كما وجدت علاقة بين الأنماط السلوكية ونموذج الصمود الزوجي وتوضح النتائج مدى تأثير التقارب الأيكولوجي والثقافي بين الزوجين وعلاقته بالمنظور الدينامي للسعادة الإنفعالية واستراتيجيات المشكلات الزوجية والتغلب على الصعوبات الأسرية والسعادة الإنفعالية والصمود التنبئي لدى أزواجهن والنجاح في مواجهة الصعوبات الأسرية.

وفي دراسة (Cameron,J,2002) عن العلاقة بين الصمود الأسري والضغط الإنفعالي والقلق والإكتئاب والمشكلات الصحية، طبقت الأدوات على (n=150) من الأباء والأمهات لديهم أبناء مرضي بالورم الليفي، وتبيّن النتائج وجود علاقة بين الصمود الأسري وأسلوب مواجهة الضغوط الأسرية والتعامل مع مصادر التوتر

والحن المترابطة على الأسرة والتخفيف من حدة المشكلات الصحية، وتبين النتائج أن إرتفاع المرونة الأسرية لها تأثيرها الإيجابي في إنخفاض مستوى القلق والإكتئاب والضغط الإنفعالي للوالدين والأبناء.

وعن العلاقة بين تماسك المروية في سن البلوغ ومرونة الأنماط لدى الأقران في الزواج، والتغير في سمات الشخصية، حيث أجرى (Jennifer,P,1999) دراسة على (n=200) زوج وزوجة، تراوحت أعمارهم ما بين 21 : 27 سنة، وتوضح النتائج أن هناك علاقة إيجابية بين مرونة الأنماط وتطور المروية في الحياة الزوجية لدى النساء، وأن مرونة الأنماط ترتبط إيجابياً بمفهوم الذات والتغير الإيجابي في السمات الشخصية في السنوات الأولى من الزواج كما وجد أن الخبرات التي يكتسبها الأزواج والزوجات من الوالدين ذات علاقة إيجابية بنمو المروية وتماسكها في الزواج، وتبين أن النجاح الزوجي يرتبط بتماسك المروية وزيادة مرونة الأنماط في العلاقة الزوجية في المرحلة العمرية ما بين 21 : 27 سنة، وتشير النتائج أن مرونة الأنماط تمثل متغير وسيطاً بين تغير السمات الشخصية في الزواج وتماسك المروية والرضا الزوجي.

وفي دراسة (Carol,A,B,1987) عن الإكتئاب والعلاج الأسري للعلاقة الزوجية، وطبق فيها مقياس بيك للإكتئاب، وبرنامج إرشادي للصمود الزوجي، ومقاييس لوك للتتوافق الزوجي، وقد أوضحت النتائج أنه توجد علاقة بين الإكتئاب والتفاعلات السلوكية السلبية بين الزوجين، والتي تحتوي على المشكلات الزوجية، ونقص الاتصال الإيجابي بين الزوجين وعدم المساعدة الإنفعالية والشعور بالإستحسان بين الزوجين، وأن علاج الإكتئاب يتطلب علاج السلوك الزوجي وعلاجه استراتيجيات الزواج لتنمية الصمود الزوجي.

وفي دراسة قام بها (J.Lynchoden,2003) بهدف الكشف عن التماسك الزوجي والمرونة والإتصال في الزواج دراسة مقارنة بين 274 من الزوجات التقليديات والزوجات غير التقليديات عن الأزمات التي تؤدي إلى عدم الاستقرار الأسري في الحياة الزوجية وأشارت النتائج إلى العديد من التشابه بين العيتين، ولكن المرأة غير التقليدية أظهرت مرونة أكبر في زواجهما، وأساليب عملية في التعامل مع الأزواج (Rhoden, 2003, P. 248). وعن دراسة عواطف صالح 2004، والتي هدفت الكشف عن المرونة الزوجية وعلاقتها باللحاجات الإنفعالية الإجتماعية والإكتئاب لعينة بلغت (180) من الأزواج، من تراوح أعمارهم (24 : 58) في حين تراوحت الأعمار لعينة المتزوجات ما بين (19: 50) سنة استبيان المرونة الزوجية، وقد اسفرت النتائج إلى وجود علاقة إرتباطية بين المرونة الزوجية واللحاجات الإنفعالية، وكذلك توجد

فروق بين المتزوجين والمتزوجات في المرونة الزوجية وجود علاقة ارتباطية موجبة بين كل من الصمود وحل المشكلات الخاصة بالدور الزوجي.

وعن فحص العلاقة بين الصمود لدى المتزوجين والمطلقين والتواافق لدى الأطفال، أجريت دراسة (Wesleym D.Z., 2001) حيث تم ضبط متغير مدة الزواج بتحديد مدة عشر سنوات على مرور الزواج سواء بالنسبة للزيجات المستمرة أو المطلقة، وقد أوضحت النتائج أن هناك علاقة بين السعادة الزوجية والصمود لدى الزوجين، كما وجدت علاقة بين الصمود والتواافق النفسي لدى الأطفال، وتبين الدراسة أن أداء الدور الزوجي بنجاح يرتبط بالإحساس والإتصال الوجداني، وحل الخلافات الزوجية، والتواافق المختسي الإيجابي والرؤية المدعمة لصمود كسمة شخصية في الأزواج، وأن هذه الزيجات لديها خبرات الإدراك المدعم للشخصية .

الدراسات السابقة دراسة تحليلية: بتحليل الدراسات السابقة نستخلص مايلي:

- 1- أن هناك شبه إجماع بين الدراسات التي تناولت كلاً من الصمود والخلافات على أن هناك علاقة إرتباطية بين المتغيرين وأن الصمود النفسي قد يرتبط سلباً أو إيجابياً بكل من (الإكتئاب - الضغط الإنفعالي - القلق - المشكلات الصحية - مفهوم الذات - تحقيق الذات - العوامل الاجتماعية - الدخل) أن الصمود النفسي والخلافات الزوجية يتباين كلاً منهما بتباين المتغيرات الديموغرافية .
- 2- أما عن الجديد الذي تضييه هذه الدراسة فيتمثل في إعداد مقياسين إحداهما لتشخيص الصمود النفسي والآخر لقياس الخلافات الزوجية، فضلاً عن تناول الصمود في علاقاته بالخلافات الزوجية في إطار الشفافة العربية.

فروض الدراسة: في ضوء الدراسات السابقة تصوغ فروض هذه الدراسة كمايلي : 1- يوجد فروق بين مرتفعي ومنخفضي الدرجة على مقياس الصمود النفسي في الخلافات الزوجية.

2- يختلف الصمود النفسي باختلاف المتغيرات الديموغرافية (العمر - مدة الزواج - عدد الأبناء - المستوى التعليمي) لعينة الدراسة.

منهج الدراسة وإجراءاتها: ويتمثل منهاج الدراسة وإجراءاتها فيما يلي :

أولاً: منهاج الدراسة: تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي لكونه أكثر موائمة لتحقيق أهداف الدراسة والتحقق من فرضيتها.

ثانياً: عينة الدراسة: تكونت عينة الدراسة (ن=87) من المتزوجات تراوحت أعمارهن ما بين (20-42) سنة، وكان مستوى تعليمهن مابين (المتوسط- العالي) ويمكن بيان الخصائص الديموغرافية للعينة من خلال الجدول التالي:

(1) جدول الخصائص الديموغرافية لعينة الدراسة (ن = 87)

النسبة	العدد	القيمة الإحصائية	
		المتغيرات	النوع
%100	87	إناث	
%41.1	36	سنوات 30 – 20	العمر
		سنوات 42 – 31	
%77.0	67	سنوات 9 – 1	مدة الزواج
		سنوات 18 – 10	
%89.7	78	أبناء 4 – 0	عدد الأبناء
		أبناء 8 – 5	
%14.9	13	تعليم متوسط	المستوى التعليمي
		تعليم عالي	
%85.1	74		

يتضح من الجدول السابق أن عينة الدراسة تكونت من (ن=87) زوجة من تراوحت أعمارهن ما بين(20-42) سنة، وكانت مدة الزواج من (1-8) سنوات وكان مستوى تعليمهن مابين (المتوسط- العالي) وتم إختيار المتغيرات الديموغرافية وفقاً لما تناولته بعض الدراسات السابقة ذكر منها دراسة كلاً من (عواطف صالح,Gail,K,&Beelck,O,2000), (Jennifer,P.,1999), (2004). كما أن بعض الأدبيات السيكولوجية تذكر بأن مستوى التعليم والذكاء والอายع يقلل من الصراعات ويساعد على الصمود الزواجي,.Wayne,&share,1997.p111).

ثالثاً: أدوات الدراسة: لتحقيق أهداف الدراسة تم إعداد الأدوات الآتية:

مبررات إعداد المقياسين: تم بناء هذين المقياسين بهدف توفير أدوات مستمددة من البيئة العربية بما يتناسب مع طبيعة العينة، وقد تم إعدادها وفق خطوات علمية منهجية و تم تفصيلها لتتلائم مع محتوى الدراسة وعيتها، وفيما يلي توضيح مراحل إعداد المقياسين وحساب الكفاءة السيكومترية لها.

أولاً: مقياس الصمود النفسي: مر إعداد مقياس الصمود بمراحل نيلورها فيما يلي:

1- دراسة وتحليل النظريات والدراسات السابقة: عادة ما يعتمد القياس النفسي على نظريات تفسره، وبحوث ميدانية تختبر صلاحيته وكفاءته، ومن ثم جاءت ضرورة تحليل النظريات والبحوث المرتبطة بالصمود، وذلك بهدف معرفة وجهات النظر المختلفة في تفسير هذه السمة، مما يساعد على استخلاص مجالات ومكونات الظاهرة وتحديد التعريف الإجرائي، وبعد ذلك خطوة أساسية لبناء القياس وتحديد مكوناته. (Thomas,B,2000),(Lind,B,C,2001),(Froma,w,2003).

2- الإطلاع على المقاييس السابقة: التي تناولت الصمود كوسيلة مساعدة لتحديد مكونات القياس، والإحتكام إلى النماذج السابقة كمعيار صدق بالإضافة للتعرف بصورة عملية على كيفية كتابة بنود القياس، وما إلى ذلك من فوائد بناء القياس، وفيما يلي سوف نشير بعض المقاييس التي تم الإطلاع عليها والاستفادة منها، وذلك على النحو التالي:

مقياس (محمد عثمان,2010) يتكون من أربعة مكونات وسبعون عبارة,(كارولين ويكس, 2005) يتكون من أربعة مكونات وإثنان وأربعون عبارة، (لاء اسحق, 2009) يتكون من خمسة مكونات وسبعة وخمسون عبارة، (سامي فتحان, 2010) يتكون من أربعة مكونات وستون عبارة,(محمد الخطيب, 2007) يتكون من أربعة مكونات وخمسة وخمسين عبارة,(عواطف صالح, 2004) مكونان وثلاثون عبارة، (هبة ابراهيم, 2009) ثلاثة مكونات وأربعين عبارة.

3- إعداد استبانة مفتوحة: ثم تصميم استبانة مفتوحة طبقت الأسئلة على عينة (n=30) من الزوجات وقد تضمنت الاستبانة الأسئلة التالية: س1-هل تجدين بعض الصعوبات في حل الخلافات التي تواجهك في حياتك الزوجية؟. س2-هل لك أن تذكر بعض الأساليب التي تستخدمينها أثناء حل الخلافات؟. س3-هل تواجهين صعوبات في أداء الأدوار المطلوبة منك كزوجة؟.

4- تحديد مكونات المقياس: من خلال الدراسة الإستطلاعية وتحليل الدراسات والأطر النظرية والمقاييس السابقة التي تم الإشارة إليها، ثم بلورة مكونات المقياس في ثلاثة مكونات فرعية، كما تم تحديد المفهوم الإجرائي لكل مكون وذلك على النحو التالي:

أ- المرونة في حل المشكلات: القدرة على حل المشكلات الزوجية المتعلقة بالزواج والأنباء وتقدم بعض التنازلات الخاصة بالعلاقة الزوجية في الموقف الضاغطة.

ب- ضبط الإنفعالات: قدرة الأزواج على ضبط النفس وتقبل الأخطاء والقدرة على التكيف إزاء أحداث الحياة.

ج- التواصل الإيجابي الفعال: توظيف المهارات المختلفة للحد من السلوك السلبي من أجل إنجاح العلاقة الزوجية.

5- صياغة عبارات المقياس: تم صياغة المقياس في ضوء مصادر المعرفة السابقة، وبناء على التعريفات الخاصة بكل مكون، فقد بلغ المقياس في صورته الأولية (35) مفردة، وقد صيغت عبارات المقياس بلغة عربية سهلة وواضحة غير موحية أو مزدوجة المعنى.

6- تحكيم المقياس: تم التحكيم بعرضه على عينة من أساتذة في علم النفس بجامعة عين شمس وذلك لبيان مدى مناسبة كل عبارة من مقياس المكون، وبيان ما إذا كانت العبارات مناسبة وواضحة، وقد أسفرت نتائج التحكيم عن الإبقاء على العبارات التي حصلت على موافقة (80%) من الحكمين وبناء عليه تم حذف بنددين، كما تم صياغة ستة بنود.

7- الصورة النهائية للمقياس: يتكون المقياس في صورته النهائية من (33) عبارة موزعة على ثلاثة مكونات فرعية تتعلق بالصمود بعضها إيجابي وبعضها سلبي، يوجد أمام كل منها ثلاثة احتيارات هي (دائماً - أحياناً - أبداً) تحصل الدرجات الإيجابية منها على الدرجات (3 - 2 - 1) على التوالي، أما العبارات السلبية ف تكون عكس ذلك، وتدل الدرجة المرتفعة على معدل مرتفع من الصمود والعكس صحيح.

8- حساب الكفاءة السيكومترية: ويقصد بها التحقق من صدق وثبات المقياس، وقد تم حساب صدق وثبات المقياس على عينة قوامها (87) زوجة على النحو التالي:

أولاً: الصدق: تم حساب الصدق بعدة طرق نوضحها فيما يلي:

- 1- صدق المحكمين:** تم عرض المقياس في صورته الأولية على مجموعة من المحكمين، وقد تم تعديل وصياغة البنود في ضوء مقتراحهم، ومن ثم فقد تحقق صدق المحكمين.
- 2- صدق البناء والمحتوى:** ولتحقيق هذا النوع من الصدق، فقد تم تحديد مكونات المقياس و صياغة بنوده في ضوء تحليل المقاييس والنظريات والدراسات السابقة المعنية بدراسة الصمود عند الزوجات، وبالتالي فإن المقياس يكون صادقاً من حيث المحتوى والبناء، وأن مفرداته ثم إشتقاقها من الأطر النظرية والميدانية .
- 3- القدرة التمييزية للمقياس:** حيث تم حسابها بإعتماد اختبار "ت" للعينات المستقلة على عينة بلغ حجمها (81) بإعتماد الوسيط

جدول (2) القدرة التمييزية للمقياس

مستوى الدلالة	قيمة "ت"	درجات الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط	حجم العينة	القيم الاحصائية المتغيرات	
						الاصدقاء	المتزوجون
.001	10,832	79	5,319	67,81	43	الادنى	الصمود النفسي
			2,561	78,07	38	الاعلى	

وبالنظر للجدول السابق يتبين لنا أن قيمة ت = 10,832 وهي دالة عند مستوى الدلالة 0,01 وهذا يعني أن المقياس لديه القدرة على التمييز بين المرتفعى ومنخفضى الصمود النفسي.

ثانياً: ثبات المقياس: يتمتع هذا المقياس بمعدلات ثبات مرتفعة حيث بلغ معامل الثبات بطريقة الفاکرونباخ (0.686) وبطريقة التجزئة النصفية (0.621) وبطريقة الإتساق الداخلي فقد بلغ معامل الثبات لمكونات المقياس الصمود النفسي كالتالي: المرونة في المشكلات (0.755) ضبط الإنفعالات (0.781) التواصل الإيجابي الفعال (0.722) وهي جميعاً دالة عند مستوى (0.05). وقد تم الوفاء بمتطلبات المرغوبة الاجتماعية، حيث التوزيع العشوائي للمفردات كما هو وارد بالجدول التالي:

جدول (3) توزيع بنود المقياس على المكونات

أرقام العبارات	مكونات المقياس
-31-28-25-22-19-16-13-10-7-4-1	المرونة في حل المشكلات
32-29-26-23-20-17-14-11-8-5-2	ضبط الأنفعالات
33-30-27-24-21-18-15-12-9-6-3	التواصل الإيجابي الفعال

ثانياً: مقياس الخلافات الزوجية: من إعداد هذا المقياس بنفس خطوات المقياس السابقة ونذكرها

فيما يلي:

1- الإطلاع على الدراسات السابقة التي تناولت الخلافات الزوجية: وذلك بهدف التعرف على أسباب الخلافات الزوجية، وكيفية التعامل معها أو مواجهتها نذكر منها لا للحصر، (صفاء مرسي، Abdurraqib, 1998)، (Smith&Suit, 2004)، (Smith&Suit, 2005).

2- الإطلاع على المقاييس السابقة والتي أهتمت بمقاييس الخلافات الزوجية ونذكر منها لا للحصر، يتكون من مكونان واحد وأربعون عبارة، (صفاء مرسي, 2005)، (Lloyd, 1990)، أربعة مكونات وستة وخمسون عبارة، (مرفت إمام, 2006)، خمسة مكونات وتسعون عبارة (ريناد موسى، 2007)، خمسة مكونات وثمانون عبارة

3- إعداد استبيان مفتوحة: تم تصميم إستبيان مفتوحة، طبقت الأسئلة على عينة (n=30) من الزوجات، وكانت الأسئلة كالتالي: س1- ماهي أهم أسباب الخلافات الزوجية في تصورك؟، س2- ماهي السلوكيات التي تقومين بها لتشعر زوجك بالود والمساعدة والأهتمام؟، س3- في رأيك ماهي العوامل التي تجعل الزواج ناجحاً؟.

4- صياغة عبارات المقياس: تم صياغة مفردات المقياس في ضوء مصادر المعرفة السابقة، وبناء على التعريفات الخاصة بالخلافات الزوجية، وقد صيغت عبارات المقياس بلغة عربية سهلة وواضحة غير موجة أو مزدوجة المعنى.

5- تحكيم المقياس: تم تحكيم المقياس حيث عرض على عينة من اساتذة في علم النفس بجامعة عين شمس وذلك لبيان مدى مناسبة كل عبارة في مقياس المكون، وبيان ما إذا كانت العبارات مناسبة وواضحة، وقد أسفرت نتائج التحكيم عن الإبقاء على العبارات التي حصلت على موافقة (80%) من المحكمين.

6- الصورة النهائية للمقياس: يتكون المقياس في صورته النهائية من (17) عبارة، يوجد أمام كل منها ثلاثة اختيارات (دائماً — أحياناً — أبداً) وتدل الدرجة المرتفعة على معدل مرتفع من الخلافات الزوجية، والعكس صحيح.

7- حساب الكفاءة السيكومترية للمقياس: ويقصد بها التتحقق من صدق وثبات المقياس وقد تم صدق وثبات المقياس على عينة قوامها (87) زوجة تتوفر فيها نفس خصائص العينة الأساسية للدراسة على النحو التالي:

أولاً: الصدق: تم حساب الصدق بعدة طرق نوضحها فيما يلى:

1- صدق المحكمين: تم عرض المقياس في صورته الأولية على عينة من المحكمين، وقد تم تعديل وصياغة البنود في ضوء مقتراحات المحكمين.

2- الصدق المحتوي والبناء : ولتحقيق هذا النوع من الصدق، فقد تم تحديد بنود المقياس في ضوء تحليل المقياس والنظريات، والدراسات السابقة المعنية بدراسة الخلافات الزوجية، وهذا يعني أن المقياس صادق من حيث بناء المحتوى .

ثانياً: ثبات المقياس: يتمتع هذا المقياس بمعدلات ثبات مرتفعة، حيث بلغ معامل الثبات بطريقة معامل ألفا كرونباخ (0.817) وكذلك بطريقة الإتساق الداخلي ونوضح ذلك في الجدول التالي:

يوضح جدول (4) معامل الإتساق الداخلي لمقياس الخلافات الزوجية

رقم العبارة	معامل بيرسون
1	538 **
2	572 **
3	635 *
4	493 **
5	119
6	343 **
7	631 **
8	634 **
9	590 **
10	055 *
11	614 **
12	568 **
13	703 **
14	640 **
15	633 **
16	576 **
17	550 **

ثالثاً: تطبيق أدوات الدراسة: تم تطبيق أدوات الدراسة (مقياس الصمود النفسي-الخلافات الزوجية) وذلك بصورة فردية على ($n=87$) زوجة ليبية من المقيمات بجمهورية مصر العربية لغرض الدراسة وذلك وفاء بما ورد في عنوان الدراسة.

نتائج الدراسة ونستعرضها على النحو التالي:

1- الفرض الأول: ونصه (تختلف الخلافات الزوجية لعينة الدراسة باختلاف الصمود النفسي)، وللتحقق من ذلك تم معالجة استجابات ($n=87$) على مقياس الصمود النفسي ومكوناته، باستخدام اختبار (T.test) للعينات المستقلة ونوضح ذلك بالجدول التالي:

جدول (5) قيمة (ت) ودلالتها بين ذوي الدرجات المرتفعة وذوى الدرجات المنخفضة على
مقياس الصمود في الخلافات الزوجية

مستوى الدلالة	dr	قيمة (ت)	منخفضي الصمود		مرتفعي الصمود		المتغير	القيمة الإحصائية
			(n=22)		(n=22)			
0.001	42	11,35	1,76	23,40	4,59	35,31	الخلافات الزوجية	

وبالنظر إلى المعالجة الإحصائية فإن قيمة (ت) بالنسبة لمقياس الخلافات الزوجية (11.35) وهي قيمة دالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.01) كما بلغ المتوسط الحسابي مرتفعي الدرجة في الصمود (35.31) وإنحراف معياري (4.59) وعلى ذلك يمكننا القول أنه لا توجد فروق دالة إحصائية بين مرتفعي ومنخفضي في درجة الصمود النفسي على مقياس الخلافات الزوجية ومقارنة هذه النتيجة تختلف مع نتائج دراسة (Mark, W.A. & Neils, J.S., 1989) في عرضهما لنظرية إضطراب العلاقات أن الأزواج الذين يعانون من صمود منخفض لديهم نقص في القدرة على التحكم الداخلي والخارجي في الضغوط التي قد يتعرضون لها في الحياة الزوجية. كما أوضحت نتائج دراسة (Jean. M. 1994 K., 1994) بأن هناك ارتباط إيجابي الدلالة إحصائيًا بين عدم الصمود النفسي وارتفاع معدل الخلافات وعدم الرضا عن الحياة الزوجية كذلك أوضحت نتائج دراسة (Goil, K & Beelek, O,

(2000) بأن هناك علاقة سلبية بين عدم الصمود النفسي للأزواج والإتصال الإنفعالي والقدرة على حل المشكلات والرضا الزوجي ويعزى تفسير هذه النتيجة إلى أن معظم الزوجات اللواتي تحصلن على درجات مرتفعة على مقياس الصمود قد يرجع إلى قدرهن على الاتصال الزوجي الناجح والقدرة على التعبير عن وجهات النظر المختلفة مع تقبل وجهات نظر الشريك الآخر، والقدرة على التفاوض والمشاركة والأستماع إلى الرأي الآخر ومن تم تصبح لديهن القدرة على الصمود النفسي لمواجهة الخلافات التي تواجه حياتهن الزوجية.

2- الفرض الثاني ونصه: يختلف كل من الصمود النفسي والخلافات الزوجية باختلاف المتغيرات الديموغرافية (العمر—مدة الزواج—عدد الأبناء—المستوى التعليمي).

وللحتحقق من صحة هذا الفرض تم تطبيق المقاييس الآتية مقياس الصمود ومقياس الخلافات الزوجية وذلك على عينة ($n=87$) زوجة وقد تمت معالجة البيانات باستخدام الإحصاء البارامترى متمثلًا في اختبار $T.test$ للعينيات المستقلة وذلك للتحقق من دلالة الفروض بين الزوجات وفقاً لمتغير العمر، وقد أسفر تطبيق هذا الإختبار عن النتائج المبينة بالجدول التالي:

جدول (6) وقيمة (ت) دلالتها بصدق اختلاف الصمود باختلاف العمر

مستوى الدلالة	قيمة (ت)	العمر من 31 - 42 (ن = 51)		العمر من 20 - 30 (ن = 36)		القيمة الإحصائية المتغير
		ع	م	ع	م	
.948	0.065	6.48	72.6	6.46	72.7	الصمود النفسي

يتضح من القيم المدونة بالجدول السابق عدم دلالة قيمة (ت) بالنسبة لمقياس الصمود النفسي وفقاً لمتغير العمر، بمعنى عدم إختلاف الصمود النفسي باختلاف العمر، وهذه النتيجة لا تتفق مع دراسة Jennifer, p, 1999 (والتي تؤكد بأن نجاح الزواج يرتبط بالمراحل العمرية ما بين 21-27 سنة).

أما بالنسبة للشق الثاني من الفرض الثاني: يختلف الصمود النفسي باختلاف مدة الزواج لدى عينة الدراسة وللحقيقة من صحة هذا الفرض تم تطبيق اختبار T.test للعينات المستقلة وقد أسفر تطبيق هذا الإختبار عن النتائج المبينة بالجدول التالي:

جدول (7) وقيمة (ت) دلالتها بصدق اختلاف الصمود باختلاف مدة الزواج

مستوى الدلالة	قيمة (ت)	مدة الزواج من 10 - 18 (ن = 20)		مدة الزواج من 1 - 9 (ن = 67)		القيمة الإحصائية المتغير
		ع	م	ع	م	
.599	0.612	7.79	73.50	6.02	72.4	الصمود النفسي

يتضح من القيم المدونة بالجدول السابق عدم دلالة قيمة (ت) بالنسبة لمقياس الصمود النفسي وفقاً لمتغير مدة الزواج، وهذه النتيجة تختلف مع النتائج التي توصلت إليها دراسة Wesley, D.Z., (2001) عن فحص العلاقة بين الصمود النفسي لدى المتزوجين والمطلقات حيث تم ضبط متغير مدة الزواج بتحديد مدة عشر سنوات على مرور الزواج سواء بالنسبة للزيجات المستمرة أو المطلقة، وقد

أوضحت النتائج أن هناك علاقة بين الصمود ومدة الزواج لصالح المتزوجين، كما أكدت دراسة Goil, (K & Beelck, O, 2000) أن هناك علاقة سلبية بين الصمود الزوجي ومدة الزواج، ويعنى تفسير هذه النتيجة إلى أن معظم الزوجات مدة زواجهن أقل من العشر سنوات وقد يكون السبب راجع إلى قدرتهم على الأتصال الوجداني وحل المشكلات حيث تؤكد الأدبيات السيكولوجية أن القدرة على تنظيم الضغوط بصورة مبكرة في السنوات المبكرة ربما تجعل العلاقات الزوجية أكثر صموداً في مواجهة ضغوط المستقبل.(Neff&broady,2011)

أما بالنسبة للشق الثالث من الفرض الثاني: يختلف الصمود باختلاف عدد الأبناء وللحقيقة من صحة هذا الفرض السابق تم تطبيق اختبار (T.test) للعينات المستقلة وقد أسفرت تطبيق هذا الإختبار عن النتائج المبينة بالجدول التالي:

جدول (8) قيمة (ت) ودلالتها بصدق اختلاف الصمود باختلاف عدد الأبناء

مستوى الدلالة	قيمة (ت)	عدد الأبناء من 5—8 (ن = 9)		عدد الأبناء من 0—4 (ن = 78)		القيمة الإحصائية المتغير
		ع	م	ع	م	
.199	1.45	6.80	75.6	6.35	72.38	الصمود النفسي

يتضح من القيم المدونة بالجدول السابق عدم دلالة قيمة (ت) بالنسبة لمقياس الصمود على متغير عدد الأبناء وهذه النتيجة تختلف مع النتائج التي توصلت إليها دراسة Michel, D., 2002) أن الأزواج الذين يتمتعون بمستوى عالي من الصمود لديهم القدرة على حل المشكلات والخلافات وإحتفاظ كل من الزوجين بمكانته فيما يتعلق بالوظائف الأسرية والتوقعات المنتظرة منه مع الطرف الآخر، خاصة مع تواجد عدد كبير من الأطفال في الأسرة.

في حين نجد دراسة Jean, M.K, 1994) تشير نتائجها إلى انخفاض مستوى الصمود النفسي للزوجين وارتفاع معدل الخلافات وعدم الرضا عن الحياة الزوجية يأتى نتيجة إلى رفض الزوجين إلى وجود

طفل في الأسرة، ويعزى تفسير هذه النتيجة إلى أن معظم أفراد العينة من الزوجات اللواتي لديهن أقل عددًا من الأبناء الأمر الذي يساعد الزوجات في القيام بأدوارهن وتنظيم حياتهن بمرنة أكثر.

أما بالنسبة للشق الرابع من الفرض الثاني: يختلف الصمود باختلاف المستوى التعليمي وللحقيقة من صحة هذا الفرض تم تطبيق اختبار (T.test) للعينات المستقلة وقد أسفر تطبيق هذا الإختبار عن النتائج المبينة بالجدول التالي:

جدول (9) قيمة (ت) ودلالتها وفقاً لاختلاف الصمود باختلاف مستوى التعليم

مستوى الدلالة	قيمة (ت)	المستوى العالي (ن=74)		المستوى التعليمي متوسط (ن=13)		القيم الإحصائية المتغير
		ع	م	ع	م	
.825	0.259	6.2	72.6	7.6	73.15	صمود النفسي

يتضح من القيم المدونة بالجدول السابق عدم دلالة قيمة (ت) بالنسبة لمقياس الصمود النفسي وفقاً لمتغير مستوى التعليم وهذه النتيجة تختلف مع ما توصلت إليه دراسة (Wayne,S.J.&Share,L.M.,1997) أن الصمود النفسي للزوجين يتأثر بتقارب مستوى التعليم وذكاء الزوجين بحيث ي العمل التقارب بتقليل الصراعات بينما جاءت نتائج دراسة (Steven, W. & Walin, S., 1993) أن ضعف الصمود النفسي للزوجين يترتب عليهما إنخفاض الإن Bharz الأكاديمي لدى بعض الأزواج وقد يرجع ذلك إلى نقص المهارات الاجتماعية، ثُعزى تفسير هذه النتيجة إلى أن معظم الزوجات من ذات المستوى التعليم العالي وهذا يمنع الزوجة فهمًا أكثر لبعض الأمور التي تتتعلق بالحياة الزوجية وكيفية حل بعض المشاكل والخلافات المتعلقة بالحياة الزوجية .

الوصيات والبحوث المقترحة

أولاًً التوصيات وتمثل في :-

- 1- إنشاء مكاتب أرشاد زواجي تساعده في حل المشكلات التي يتعرض لها الزوجان والتي تعمل على تنمية الصمود النفسي.
- 2- إثراء البرامج الإعلامية (المقرؤه-المرأيه-المسموعة) بما يعمق ثقافة الآخر، والتواصل البناء بين الأزواج .
- 3- إثراء البرامج التعليمية بما يساعد على تأهيل وتنقيف الشباب المقبل على الزواج والأختيار الصحيح للقرین .

ثانياً البحوث المقترحة:-

- 1- الصمود النفسي وعلاقته بالمعاناة الاقتصادية لدى المتزوجين من الجنسين .
- 2- النضج الإنفعالي وعلاقته بالصمود النفسي لدى الزوجين.
- 3- الذكاء الوجداني وعلاقته بالصمود النفسي لدى المتزوجين.
- 4- بعض المتغيرات النفسية والإجتماعية وعلاقتها بالصمود النفسي لدى المتزوجين ومن هذه المتغيرات العقم- تعدد الإنجاب - القلق- الذكاء - تقدير الذات - مستوى الطموح.
- 5- فاعلية برنامج إرشادي مقترن لتنمية الصمود النفسي وتحفيظ مستوى الخلافات الزوجية.
- 6- دراسة تأثير متغيرات أخرى مثل الأصدقاء والأهل في تعزيز مستوى درجة الصمود النفسي لدى الأزواج .
- 6- دراسة مقارنة بين المتزوجين والمطلقين في استخدام أساليب وفنيات الصمود النفسي.

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

- 1- ريناد عبد المنعم موسى(2007): المشكلات الزوجية وعلاقتها بالسلوك الأنفعالي للأبناء في المرحلة الابتدائية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة.
- 2- سامي خليل فحجان (2010): التوافق المهني والمسؤولية الاجتماعية وعلاقتها بمرهونة الأنماط لدى معلمي التربية الخاصة، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة الإسلامية بغزة.
- 3- صفاء إسماعيل مرسي السيد (2004): بعض المتغيرات النفسية الاجتماعية المرتبطة بالأختلالات الزوجية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة.
- 4- عواطف حسين صالح صالح (2004): المرهونة الزوجية وعلاقتها بال الحاجات الإنفعالية الإجتماعية والإكتئاب لدى المتزوجين من الجنسين، مجلة كلية التربية، المنصورة، العدد 56 سبتمبر.
- 5- كارولين ويكس (2005): مقياس المرهونة متعدد الأبعاد، ترجمة عيد محمد شحادة أبو عمرة (2008): المرهونة وعلاقتها بالتوافق الدراسي وفاعلية الذات، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة.
- 6- محمد جواد الخطيب (2007): الأحتراق النفسي وعلاقته بمرهونة الأنماط لدى المعلمين الفلسطينيين بمحافظات غزة، كلية التربية، جامعة الأزهر بغزة، بحث مقدم إلى المؤتمر التربوي الثالث الذي عقد في الجامعة الإسلامية، غزة، في الفترة من 30-31 أكتوبر.
- 7- محمد سعد حامد عثمان(2010): فاعلية برنامج أرشادي لتنمية المرهونة الإيجابية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس.
- 8- مرفث محمد إمام (2008): نمط التواصل اللغظي بين الزوجين، وعلاقته ببعدي الأنبساط والعصبية والتوافق الزوجي، وعلاقة ذلك بالسواء النفسي بالإطفال، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة.
- 9- هبة سامي محمد إبراهيم (2009): المرهونة الإيجابية وعلاقتها بوجهة الضبط لدى عينة من الشباب الجامعي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس.
- 10- ولاء اسحق (2009): فاعلية برنامج إرشادي مقترن لزيادة مرhone الأنماط طالبات، رسالة ماجستير، كلية التربية،جامعة الإسلامية بغزة.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- 1- BanMeister, R.F., Gailliot, M., Dewall, C.N., Poaten, M. (2006): Self-regulation and Personality: How interventions increase regulatory success, and now depletion moderates the effects of traits on behavior journal of personality, 74, 1773 – 1802, doi.: 10 – 1111/j. 1467 – 6494. 2006. 00428.X
- 2- Carol A.B. (1987): Depression and families, journal of psychotherapy and the family, vol. 47, no. 33 – 47.
- 3- Conger, R. D., Rueter M. A., Elder G. H. Jr. (1999): Couple resilience to economic pressure. Journal of personality and social psychology, 76 (1), 54 – 71.
- 4- Forma, W. (2003): Family resilience: A frame work for clinical practice, family process, vil. 42, no.1: p.1 – 3.
- 5- Gail K. and Beelek, O. (2002): individual resiliency, Historical variables and relationship quality as predictors of aggression older marriages, Diss, Abs, inter, vol. 62, no. (H – B), 5431.
- 6- Hamilton, M. (1993): Resiliency infamilios, Beverly Hills, CA: sage.
- 7- Jean M.K. (1994): Resiliency and Vulnerability the role of parent child relationships in Association with Marital discord and girls adjustment Diss, Abs, inter Vol. 55, (10B), 4608.
- 8- Jennifer p.l. (1999): Identify consolidation in early adulthood relations with ego-resiliency, the context of marriage and personality change, journal of personality, vol. 67, no. 2: 295 – 329.
- 9- Linda B.C. (2001): The relationship between family resilience and the successful management of fibromyalgia, Diss, Abs, inter vol. 62, (7 – B).
- 10- Lioyd,s.,A.(1990) behavioral self-report report technique for assessing conflict in close relationships, journal of social and personal relationships, 7,265,272.
- 11- Mark W.A and Neils J.S. (1989): Depression marital satisfaction and marital and personality measures of sex roles, journal of marital and family therapy, vol. 15, no. 2, 177 – 186.
- 12- Michel, D. (2002)L Strengthening fanmily resilience in traumatic situations, therapy families, vil. 23, no. 3: 269 – 287.
- 13- Neff A.Lisa and Broady F.Elizabeth (2011): stress resilience in Early Marriage: can practice Make perfect? Journal of personality and Social psychology DoI:10.1037/a0023809.

- 14- Rnoden, Lyn (2003): Marital cohesion, flexibility and communication in the marriages nontraditional and traditional women the family journal, vol. 11, no. p. 248 – 256.
- 15- Rutter, M. (2007): Resilience, competence and coping child abuse and neglect, 31 (3). 205 – 209.
- 16- Staudinger, V.M., Marsiske, M., of Batles, P.B. (1993): Resilience and levels of reserve capacity in later adulthood: perspectives from life-theory-development and psychopathology y, 5, 541 – 566.
- 17- Steven W. and Walin S. (1993): The Resilient self, New York, NY: Villiard Books.
- 18- Thomas B. (2000): The effects of stress on emotional, Well-being and resiliency through a mediating mechanisms of active coping skills and family hardness (coping), Diss, Abs, inter, vol. 60, (7 – A), 2382.
- 19- Timothy, J. (2008): Supply chain resilience: Development of A conceptual framework, An Assessment tool and an implementation process. Doctorate Thesis, The graduate school, Ohio University.
- 20- Tsipora P. R. (1987): Divorce and the adult life span: Alongitudin and adolescent using social climate and relationship styles, Diss., Abs., inter, vil. 38, vil. 6, no. 3, 2881 – 2882.
- 21- Walsh, F. (1996): The concept of family resilience: Crisis and challenge. Family process, 35, 261 – 281.
- 22- Walsh, F. (1998): Strengthening family resilience. New York: Cuiford.
- 23- Wesley, D.Z. (2001): The enduring marriages of adult children of divorce, Diss, Abs, inter, vol. 61, (05B), 2822.
- 24- Wayne,s.j. and Share,L.M.,(1997,perceived organizational Support and Leadermember exchange:A social exchange perspective academy of management journal, vol.82,no.4:111
- 25- Wicks, C. (2005): Resilience: an integrative framework for measurement (doctoral dissertation). Graduate school Loma Linda University.
- 26- Zucked, R., Wong, M., Puttler, L., of Fitzg et al., d, H. (2003): Relationship to developmental outcomes between early childhood and adolescence. United State of America: Cambridge University Press. 76 – 103.

ضغوط العمل في المستشفيات العامة بوادي الشاطئ

أ. عبد المنعم ناجم محمد

كلية الاقتصاد جامعة سوها

د. عيسى أحمد إبراهيم أبو عجيلة

المعهد العالي للمهن الشاملة سوها

الملخص

هدفت الدراسة إلى معرفة أثر المتغيرات الشخصية على ضغوط العمل في المستشفيات العامة بوادي الشاطئ، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وتم استخدام قائمة الاستقصاء كأدلة رئيسية لجمع البيانات، وقد بلغ مجتمع الدراسة (793) مفردة وتم اختيار عينة عشوائية طبقية وبلغ عدد الاستثمارات التي تم تحليلها (218) استثماراً واستخدم برنامج التحليل الاحصائي (SPSS) لإدخال ومعالجة البيانات، واحتبار الفروض، وتوصلت الدراسة إلى أن الأطباء والممرضين والإداريين والعاملين بالمستشفيات العامة بوادي الشاطئ يشعرون بضغط عمل بمستويات مختلفة، ويوجد اختلاف معنوي بين مستوى ضغوط العمل لعينة الدراسة يعزى إلى المتغيرات الشخصية باستثناء متغير (الخبرة).

الجزء الأول : الإطار العام للدراسة

تعد ضغوط العمل من أهم الموضوعات التي لقيت اهتمام كبير من قبل الباحثين، ففي الماضي كان ينظر إليها على أنها ظاهرة مرتبطة بالصحة العامة للفرد وضمن اختصاص الطب البشري وعلم النفس، وتناولته العديد من البحوث في مجال علم النفس الاجتماعي وعلم النفس المهني والتي أكدت في جملتها أنها مشكلة مهمة تتعلق بالعمل، وأن فهمها يتطلب فهم كل من شخصية الفرد وبيئة العمل، أما اليوم فموضوع ضغوط العمل يعد من الموضوعات المرتبطة بالسلوك التنظيمي وإدارة الموارد البشرية، ولقد شغل ولا يزال يشغل هذا الموضوع مساحة هامة في الفكر التنظيمي المعاصر، ولا يزال يحظى باهتمام متزايد من قبل المفكرين والاستشاريين والمديرين.

أولاً: الدراسات السابقة:

1- دراسة (Shamaila 2010): هدفت الدراسة إلى: معرفة مستوى وتأثير ضغوط العمل لدى الممرضات في المستشفى التعليمي بكراتشي وتوصلت الدراسة إلى أن 30% من الممرضات لديهن مستوى عالي من ضغط العمل بينما 64.3% لديهن مستوى متوسط من ضغط العمل، ولنوع العمل والعمر أثر في ضغوط العمل وأهم مصادر ضغوط العمل (البيئة الفقيرة، عبء العمل الثقيل،

السلوك العدواني، المشاكل المتعلقة بالنقل، المخاطر المهنية) و ضغوط العمل لها تأثير حقيقي على الرعاية الصحية وجودة الأداء.

دراسة (Aoki: 2011) : هدفت الدراسة إلى : معرفة مستوى ضغوط العمل الذي تتعرض له المرضات بتايلند بالإضافة إلى معرفة أثر العوامل الشخصية وخصائص العمل والدعم الاجتماعي على مستوى ضغوط العمل، وتوصلت الدراسة إلى: أن المرضات تعانى من ضغوط عالية حيث أن 26% من عينة الدراسة قد تم تصنيفها على أنها مجموعة ذات خطر مرتفع فيما يتعلق بضغط العمل، وأن 70% من عينة الدراسة كانت أعباء العمل عليهن ثقيلة جداً مما سبب في ارتفاع ضغط العمل لديهن، وقد أوضحت الدراسة أن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين كلاً من ضغوط العمل وعباء العمل، وأن لعلاقات العمل الجيدة والدعم الاجتماعي أثر كبير في تخفيف الشعور بضغط العمل.

دراسة (Golubovic: 2012): هدفت الدراسة إلى: معرفة و تحليل ضغوط العمل المادية والاجتماعية وأثارها على الصحة النفسية والجسدية للمرضات العاملات في غرف العناية المركزة بصربيا، وتوصلت الدراسة إلى: وجود تأثير كبير لضغط العمل الناتجة عن البيئة المادية على الصحة البدنية والنفسية للمرضات مقارنة مع الضغط الناتج عن البيئة الاجتماعية، مع فروق في مستوى الضغط يرجع للعوامل الشخصية والاجتماعية للمشاركات، وتعانى المرضات الكبير من الامراض والألم الناتجة عن ضغوط العمل مثل (الصداع، الارق، التعب، ألام اسفل الظهر، تقلب المزاج، ارتفاع ضغط الدم، السكري).

دراسة (Farquhason: 2013): هدفت الدراسة إلى: معرفة ضغوط العمل الوظيفية ومتطلبات الرعاية الصحية وأثارها على الصحة والأداء بإسكتلندا، وتوصلت الدراسة إلى: أن (30%) من عينة الدراسة تعانى من ضغوط عالية و (31%) لديهن النية في ترك العمل بسبب الضغوط و (16%) ستترك العمل في الوقت القريب مع اول فرصة للعمل في مكان آخر وظهور أثار الضغوط في اعتلال الصحة الجسدية و النفسية وانخفاض الرضا الوظيفي وزيادة الغياب ودوران العمل وضعف في الأداء والانتاجية، وللضغط علاقة وثيقة بالنية في ترك العمل، وان إجراء تغيرات في بيئات العمل بهدف التحسين والتطوير واعادة تنظيم المهام والتدريب على التكيف مع الضغوط، تعد من

ضمن استراتيجيات مواجهة الضغوط ، وتساهم في الاحتفاظ بالعناصر الطبية والممرضات وبقائهن في العمل، ولها أثر في تحسين رعاية المرضى والأداء الوظيفي.

5- دراسة (Namrata: 2014) هدفت الدراسة إلى: تقييم ضغوط العمل بين الممرضات العاملات في مستشفى الرعاية بدلهي وأثرها على الفرد والمنظمة، وجودة الرعاية الصحية للمرضى، وتوصلت الدراسة إلى أن نسبة الممرضات التي لديهن مستوى عالي من ضغوط العمل قد بلغت (49%)، وأن أهم مصادر ضغوط العمل هي (عدم اليقين في العلاج، والتعامل مع المرضى، وعيء العمل، والصراع مع الأطباء والمرشفين، والعلاقة مع الزملاء، والتميز) وللضغط تأثير سلبي مباشر على الفرد، من حيث الصحة والرفاه وعلى المنظمة من حيث التكاليف والغياب ودوران العمل والمناخ التنظيمي وجودة الرعاية الصحية.

6- دراسة (Jones: 2015) هدفت الدراسة إلى: معرفة العلاقة بين ضغوط العمل والعوامل الشخصية والتنظيمية في غرف العناية المركزة بالمستشفيات الباريسية ، وتوصلت الدراسة إلى : أن أثار الضغوط تظهر في صعوبة النوم وزيادة التعب والإرهاق ، والنساء أكثر عرضة للتتوتر من الرجال ، والعمل في الليل أكثر صعوبة وضغط من النهار وللعوامل الشخصية والتنظيمية أثر في ضغوط العمل.

7- دراسة (Psych: 2015): هدفت الدراسة إلى: معرفة ضغوط العمل واستراتيجيات تخفيف الضغوط عند الممرضات وأثر الضغوط على جودة الحياة الوظيفية ورعاية المرضى في دبلن وتوصلت الدراسة إلى: أن الضغوط تتمثل في نقص المواد وعيء العمل والمياكل التنظيمية والعمليات، وعدم وجود اختلافات كبيرة حول استراتيجيات التأقلم، وللتدخلات التنظيمية أثر في زيادة الإن Bhar ، الشخصي ولضغوط العمل أثر على جودة الحياة الوظيفية ورعاية المرضى .

ثانياً: مشكلة الدراسة:

تعتبر مهنة الطب من المهن ذات الطابع الانساني، وتصنف من المهن الضاغطة، وهي لا تخليوا من المعوقات والضغط التي تحول دون قيام الفرد بدوره المطلوب الأمر الذي يجعله غير قادر على أداء عمله بالمستوى المتوقع وتشمل مشكلة الدراسة في ضغوط العمل التي يتعرض لها العاملين في المستشفيات العامة ببودي الشاطئ وأثر المتغيرات الشخصية في ذلك ويكمّن بلورة مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

1- ما مستوى الضغوط التي يعاني منها الأطباء والممرضين والإداريين العاملين بالمستشفيات العامة بوادي الشاطئ .

2- ما مدى أثر للمتغيرات الشخصية على ضغوط العمل في المستشفيات قيد الدراسة.

ثالثاً: فرضية الدراسة:

لا يوجد اختلاف معنوي لمستوى ضغوط العمل وفقاً للمتغيرات الشخصية (النوع - العمر - الخبرة - المسمى الوظيفي - المستوى التعليمي) في المستشفيات العامة بوادي الشاطئ .

رابعاً: أهداف الدراسة

1- التعرف على مستوى وحجم ضغوط العمل التي يعاني منها الأطباء والممرضين والعاملين في المستشفيات العامة بوادي الشاطئ .

2- التعرف على أثر المتغيرات الشخصية على ضغوط العمل في المستشفيات العامة بوادي الشاطئ .

خامساً: أهمية الدراسة

1- الأهمية العلمية:

أ- أن للضغط الوظيفية العديد من النتائج والآثار السلبية ليس على شاغل الوظيفة فقط ولكن تتمدد هذه الآثار على المنظمة وعلى المجتمع بصورة عامة، وعادة ما تكون مكلفة.

ب- من خلال مراجعة الدراسات السابقة تبين قلة الدراسات المتعلقة بالبيئة الليبية في موضوع ضغوط العمل، رغم أهميته في المنظمات غير الهدفية إلى الرفع وفي المستشفيات العامة خصوصاً وتأتي هذا الدراسة كإضافة علمية لهذا الموضوع.

2- الأهمية التطبيقية:

تبعد الأهمية التطبيقية للدراسة من أهمية المستشفيات الليبية كمحال للتطبيق مما يزيد من أهمية الوصول إلى نتائج ووصيات تساعد في الاستخدام الفعال لمنهج وإدارة الضغوط وبالتالي المساعدة في تحسين الأداء في هذه المستشفيات.

الجزء الثاني : الإطار النظري للدراسة

أولاً: مفهوم ضغوط العمل:

تعتبر ضغوط العمل سمة عالمية والتباين ليس فقط في ضغوط العمل من دولة إلى أخرى أثما التباين في رد الفعل غير الملائم على هذه الضغوط مع تباين ضغط العمل بين الوظائف فبعض الوظائف بطبيعتها تتضمن ضغوط عالية مثل المدراء والأطباء والممرضين وما في حكمهم، وذلك لأن هذه

المهن تحتاج الى قرارات خطيرة او تركيز مستمر في العمل في بيئة غير آمنة ، وتحتاج الى معاناة فكرية وتفاعل مستمر مع الاشخاص لإرضاء رغباتهم ، وزيادة تنامي هذه الظاهرة رغم التدابير الاحترازية المتخذة للحد منها.

ويمكن تعريف ضغوط العمل بأنها: حالة من التوتر والانفعال تصيب الفرد بدنياً ونفسياً وعقلياً ناتجة عن تعرضه لمواقف ومتطلبات بيئية أو وظيفية أو اجتماعية مفروضة عليه وإذا ما زادت عن قدرته وإمكانياته فإنها تسبب له أضرار متعددة (جاد الرب ، 2011 ، 398) .

كما يمكن تعريفه بأنه رد الفعل السلبي للأفراد على مطالب العمل المفروضة عليهم وألتي تفوق طاقتهم (Sally, 2013 , 8) .

ومما ورد سلفاً فإن الباحث يرى بأن ضغوط العمل هي ردة فعل لدى الفرد ناتجة عن مواجهة الفرد حوادث بيئية مزعجة قد تكون في العمل او خارجه ولا يستطيع التكيف معها مما تدفعه إلى سلوك غير طبيعي في ادائه لعمله.

ثانياً: مصادر ضغوط العمل:

تتعدد مصادر ضغوط العمل وقام الباحث بدراسة كلٌّ من:

1- طبيعة العمل : طبيعة العمل الذي يقوم به الفرد من حيث مدى تنوع الواجبات المطلوبة أو مدى أهمية العمل وكميته ونوعية المعلومات المرتدة من تقييم الأداء كلها من العوامل المختملة أن تكون مصدراً أساسياً للإحساس بالضغط (العميان ، 2005: 161) .

2- غموض الدور: وهو عبارة عن مدى الجهل السائد في العلاقات الوظيفية بسبب نقص المعلومات أو جهل الأفراد بالسلوكيات المطلوبة لتأدية العمل مع عدم الإلمام بالنتائج المرتبة على ذلك (جاد الرب ، 2011 : 400) .

3- صراع الدور: يظهر صراع الدور إذا كان هناك تعارض بين جوانب أداء ذلك الدور ومعتقدات الشخص الدينية والأخلاقية فمن المعلوم أن الأفراد يؤمدون بالعديد من القيم الدينية بالإضافة إلى العديد من قواعد الأخلاق والقيم، ففي بعض الأحيان يحدث هذا التعارض بين القيم والمعتقدات وطبيعة الدور الذي يقوم به الفرد وهذا التعارض يسبب صراعاً داخل الفرد مما يؤدي إلى شعوره بالضغط (الكتبى ، 2005: 216) .

4- اختلال العلاقات الشخصية: تؤدي العلاقات الشخصية بين الفرد وزملائه في العمل دوراً هاماً في الحياة العملية فهذه العلاقات قد تتيح له إشباع حاجاته النفسية من احترام وتقدير وإذا سيء

استغلال هذه العلاقة فإنها بلا شك ستتصف بسمات العداء والكرابحة وقد تعمق إلى الحد الذي يشعر فيه الفرد بالاختراب والانفصال.

5- زيادة أو انخفاض عبء العمل: إن تحمل الفرد بأعباء فوق طاقته يعتبر مصدراً من مصادر الضغوط وقد تكون زيادة الأعباء من الناحية الكنمية حيث يتطلب من الفرد القيام بأعمال أكثر مما يستطيع إنجازه في وقت محدد، كما قد تكون زيادة العبء في شكل نوعي كأن يتطلب من الفرد القيام بأعمال لا تلائمه اسـتعادـه وقدراتـهـ الخاصةـ أيـ المـهـارـةـ المـطـلـوـبـةـ لـإنـجـازـ مـسـتـوـيـ أـدـاءـ معـينـ أـكـبـرـ منـ قـدـرـتـهـ،ـ وكـذـلـكـ انـخـفـاضـ أـعـبـاءـ الـعـمـلـ يـعـشـلـ مشـكـلةـ لـكـثـيرـ مـنـ الـأـفـرـادـ خـاصـةـ عـنـدـمـ يـصـحـ ظـاهـرـةـ مـسـتـمـرـةـ وـيـرـجـعـ ذـلـكـ إـلـىـ أـنـ الـعـمـلـ لـيـعـشـلـ تـحـديـاـ لـقـدـرـاتـهـ وـيـدـفـعـهـ لـلـمـلـلـ.

ثالثاً: أثار ضغوط العمل

لا يعتبر ضغط العمل مرضًا في حد ذاته بقدر كونه أحد الاسباب التي تؤدي إلى الاصابة بالأمراض العضوية والنفسية ومن ثم ضغط العمل والشعور به يمثل مقدمة لشعور الفرد في العمل بحالة من عدم التوافق الذاتي ومن ثم عدم التكيف مع بيئة العمل.

في دراسة أجرتها شركة "هاريس إنترأكتيف" لأبحاث واستشارات السوق في نيويورك أن (70%) من العاملين في الولايات المتحدة يعتقدون أن الناس في موقع العمل أصبحوا يتعرضون لضغط أكبر بالمقارنة مع سنوات الماضي، وقال (4) من كل (4) موظفين شملتهم الدراسة إنهم يشعرون بأنهم أذكوا عقلياً وجسدياً بنهاية يوم العمل، وكل هذه النسب تغذى التقرير الذي يذهب إلى أن ضغوط العمل النفسية والجسمانية تكلف الشركات الأمريكية (300) مليار دولار سنوياً، وفي دراسة عن المستشفيات البريطانية توصلت إلى أن (30%) من المرضات تعاني من ضغوط عالية جداً و (31%) تفك جدياً في ترك المهنة و (16%) تقول أنها ستترك العمل في هذه المستشفيات في أقرب وقت إذا ما وجدت وظيفة أخرى (Barbara, 2013) ، وفي دراسة استرالية (Holland: 2012) أن الفترة القادمة سيكون هناك عجز في المرضات في استراليا بسبب دوران العمل الناتج عن الضغوط وأكدت الدراسة وجود تصور لدى المرضات بأنها مقدرة بأقل من قيمتها الحقيقة وتفتقر إلى التقدير الذي تستحقه وأن (15%) سيتركون العمل في الفترة القريبة وذلك بسبب اعباء العمل المفرطة وال العلاقات السيئة مع الإدارة والموظفين (Holland ' 2012 : 41) ، والإحصائيات تشير إلى أن (40%) من الأشخاص الذين يتركون وظائفهم يفعلون ذلك بسبب الضغوط وقدرت شركة زيروكس أن تكلفة توظيف مدير تنفيذي

بدليل في الإدارة العليا تتراوح بين مليون ونصف دولار، كما تشير الإحصائيات أن التكلفة الناجمة عن استبدال الموظفين العاديين تتراوح بين (3000) إلى (15000) دولار. كما ان لضغوط العمل تأثير على العلاقات الاسرية فقد اظهرت دراسة (Anafarta: 2011) أن العلاقة تبادلية حيث للضغط و الصراع في العمل تأثير على العلاقات الاسرية كما أن للنزاعات العائلية للفرد تأثير على علاقاته وأدائه للعمل (Anafarta : 2011 : 4) .

الأثار السلبية للضغط على الفرد:

لقد أهتم الكثير من كتاب الإدارة بالأثار الناجمة عن ضغوط العمل على اداء الفرد كالغيب، القلق، العدواية، ضعف القدرة على التركيز مما يزيد من خاطر تعرضهم للحوادث وذكرت دراسة (Salami:2010) أن ضغط العمل يحدث تأثيرات على الفرد مثل الخوف والغضب والقلق ولدى ينبع عنه ضعف في التركيز وضبابية في الفهم وضعف في مهارات اتخاذ القرار (Salami:2010 , 249) .

وفي تقرير جمعية الرعاية والصحة المهنية (OSACH) ان رد الفعل الابرز يتمثل في الاستجابة السلبية المعتادة التي تنتج عن الشعور بالضغط والتي يمكن رصدها من خلال مجموعة من الاشارات اهمها ما يظهر على السلوكيات التنظيمية للفرد مثل انخفاض الروح المعنوية، وتزايد حالات الغياب والشكوى والمشاحنات، وعدم القدرة على انجاز الاعمال المكلف بها الفرد، كما يظهر كمشكلة نفسية مثل السلوك الانتحاري، والاعتماد على العقاقير والمخدرات، والميل نحو العنف، كما تظهر الاعراض الجسمية مثل امراض الضغط والقلب وألام المعدة والتوبات العصبية..، والأثار الاجتماعية التي منها الشعور بالاغتراب الوظيفي أو أداء العمل دون مستوى الكفاءة، كما يسبب الضغط الكبير من المشاكل الأسرية التي قد تؤدي في بعض الأحيان إلى الطلاق (OSACH , 2006 , 3) .

1- الآثار السلبية للضغط على المنظمة :

أن آثار الضغوط على المنظمة تمثل في ضعف مشاركة الفرد في العمل نتيجة الغياب ، التأخر عن العمل والشكاوي والتظلمات وما يتربى على ذلك من تدني في الانتاج وارتفاع نسبة الحوادث، وقلة الاستفادة من الخبرات والقدرات المتوفرة في العمل و ضعف الرضا الوظيفي و الشعور بالفشل وعدم الدقة في اختيار القرارات و تدني مستوى الخدمات وجودتها وسوء العلاقات بين أفراد المنظمة.

2- الآثار الإيجابية للضغوط :

يرى بعض الباحثين أنه يمكن اعتبار مقدار مناسب من ضغوط العمل يمثل الإثارة لحياة العامل لكي يشعر الفرد بالثقة والتجدد والتغيير والتحدي ويمكن القول أنها الآثار الإيجابية للضغط.

الجزء الثالث : منهجة الدراسة

أولاً: أسلوب الدراسة

تم الاعتماد في الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يهتم بدراسة الظاهرة وتحليلها للوصول إلى الاستنتاجات الدقيقة حول الظاهرة وتفسيرها ، ولتحقيق أهداف الدراسة تم الاعتماد على مصدرين أساسيين للبيانات ، ويمكن توضيحهما على كذا يلي :

1- المصادر الثانوية: اعتمد الباحث في تكوين الإطار النظري على الكتب العربية والدراسات العربية والأجنبية، والدوريات والأبحاث العلمية، الموجودة في الجامعات، أو منشورة عبر الإنترن特 والتي تناولت موضوع الدراسة أو بعض جوانبها.

2- المصادر الأولية: لقد قام الباحث بأعداد باستمارة الاستبيان حول موضوع الدراسة، صممت لهذا الغرض موجهة لمفردات عينة الدراسة في المستشفيات العامة ببودي الشاطئ وذلك لاختبار صحة الفرض الخاص بالدراسة وذلك لأنها من أكثر وسائل جمع المعلومات كفاءة في الدراسات الاجتماعية وكانت على النحو التالي:

أ. المتغيرات الشخصية : (النوع ، العمر، المؤهل العلمي، سنوات الخبرة، الوظيفة)

ب. المتغيرات المتعلقة بضغط العمل وأبعادها الفرعية كما يلي:

- عباء العمل ويشمل على 6 عبارات بحثية.
- صراع الدور ويشمل على 6 عبارات بحثية.
- غموض الدور ويشمل على 5 عبارات بحثية.
- العلاقة مع الزملاء ويشمل على 5 عبارات بحثية.
- بيئة العمل ويشمل على 5 عبارات بحثية.

ثانياً : تحديد مجتمع وعينة الدراسة

يتمثل مجتمع الدراسة في جميع العاملين من الأطباء والممرضين والعاملين بالمستشفيات العامة ببودي الشاطئ ويبلغ مجموعهم (793) مفردة، وقد ثم اختيار عينة عشوائية طبقية بعدد (260) مفردة (او ما سيكران ، 2010 ، 421)، وذلك لأن مجتمع البحث غير المتجانس حيث يضم الأطباء والعناصر

الطبية المساعدة والفنين والإداريين والذين تختلف تخصصاتهم وسمياتهم فضلاً عن اختلاف مستوياتهم الإدارية ولقد ثم استعادة (221) استماراً بنسبة 85% من الاستمار الموزعة ثم استبعد (3) استماراً لعدم اكتمالها وبذلك تكون الاستمارات التي تم تحليلاً (218) استماراً.

أ- التحاليل الإحصائية المستخدمة:

قام الباحث بترميز المتغيرات والبيانات ثم تفريغها بالحاسب الآلي وفقاً لبرنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) ولقد استخدم الباحث العديد من التحاليل الإحصائية لتحقيق أهداف الدراسة وهي:

- 1- الإحصاء الوصفي، التكرارات والنسب المئوية، المتوسطات الحسابية المرجحة، الأحرف المعياري، معامل الاختلاف، والترتيب وذلك لتحديد سمات عينة الدراسة والرسوم البيانية التوضيحية.
- 2- الإحصاء التحليلي متمثل في استخدام معامل ارتباط بيرسون (Pearson Correlation) وتحليل الانحدار الخطى البسيط (Simple regression) وأسلوب الانحدار الخطى المتعدد (multiple regression Stepwise) ، واختبار تحليل التباين (One Way Anova .independent sample(t- test)، و اختبار "ت"

الدراسة الميدانية

أولاً : توصيف عينة البحث :

توصل الباحث إلى تحديد بعض سمات مفردات عينة البحث باستخدام المقاييس الإحصائية الوصفية كما سبق الإشارة إليها وذلك على النحو التالي:

أ- متغيرات البيانات الشخصية والوظيفية:

توزيع أفراد عينة الدراسة طبقاً لمتغير النوع

الترتيب	%	العدد	التوزيع	M
2	34.9	76	ذكور	النوع
1	65.1	142	إناث	
1	44.0	96	من 30 سنة فأقل	الفئة العمرية
2	34.9	76	من 31 - 40 سنة	
3	11.9	26	من 41 - 50 سنة	

4	9.2	20	51 سنة فأكثر	المؤهل العلمي
4	6.0	13	ثانوية عامة فأقل	
1	34.4	75	دبلوم متوسط	
2	31.7	69	بكالوريوس	
3	22.5	49	دبلوم عالي	
5	3.2	7	ماجستير	
6	2.3	5	دكتوراه	
1	29.4	64	5 سنوات فأقل	سنوات الخبرة
2	27.1	59	من 6 - 10 سنوات	
4	18.3	40	من 11 - 15 سنة	
3	25.2	55	16 سنة فأكثر	
4	9.2	20	طبيب	المهنة
2	38.5	84	مريض	
3	13.3	29	فني	
1	39.0	85	اداري	
-	100	218	المجموع	

يتضح من الجدول السابق:

- النوع: أن توزيع مفردات عينة الدراسة وفقاً لمتغير "النوع" يشير إلى أن أغلبية عينة الدراسة من الإناث)، ويحوزون نسبة (65.1%)، ويرجع هذا إلى طبيعة العمل فأعمال التمريض والمستشفيات بصورة عامة تزداد فيها نسبة الإناث عن الذكور.
- الفئة العمرية: أن توزيع مفردات عينة الدراسة وفقاً لمتغير "الفئة العمرية" يشير إلى أن ما يقرب من نصف عينة الدراسة من الفئة العمرية (من 30 سنة فأقل) ويحوزون نسبة (44%)، والسبب في ذلك يرجعه الباحث إلى رغبة هذه المستشفيات في توظيف كوادر شابة تتصرف بكمال النشاط والحيوية.

3- المؤهل العلمي: أن توزيع مفردات عينة الدراسة وفقاً لمتغير "المؤهل العلمي" يشير إلى أن الأغلبية من حملة مؤهل (دبلوم متوسط) ويحوزون نسبة (34.4%)، وفقاً لردود عينة الدراسة ويرجع الباحث ذلك إلى كثرة العاملين في مجال التمريض والخدمات الطبية المساعدة.

4- سنوات الخبرة: أن توزيع مفردات عينة الدراسة وفقاً لمتغير "سنوات الخبرة" يشير إلى أن أغلبية العينة تقع في فئة الخبرة (5 سنوات فأقل) ويحوزون نسبة (29.4%)، وفقاً لردود عينة الدراسة.

5 - أن توزيع مفردات عينة الدراسة وفقاً لمتغير "الوظيفة" يشير إلى أن أغلبية العينة من الفئة الوظيفية (الإداريين) ويحوزون نسبة (39%)، وفقاً لردود عينة الدراسة.

ثانياً: المتغيرات المتعلقة بضغط العمل:

قد تم استخدام المقاييس الإحصائية الآتية: (المتوسط الحسابي، الانحراف المعياري، معامل الاختلاف، ترتيب الأهمية) على الأبعاد المتعلقة بضغط العمل.

1- النتائج المتعلقة ببعد عبء العمل:

جدول (1) الإحصاء الوصفي (التوزيع التكراري والنسب المئوية والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري ومعامل الاختلاف) محور "عبء العمل"

الرتب	معامل الاختلاف	معامل المعياري	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العبارة	الرقم
2	36.16	1.244	3.45		لا اجد القدرة على انجام اعمال المكلف بما في اوقات الدوام	58
4	38.47	1.281	3.33		انا مسؤول عن عدة واجبات غير مرتبطة مع بعضها	59
5	39.69	1.294	3.26		احطى في اداء عملي بسبب كثرة الاعباء	60
3	37.12	1.277	3.43		احيانا ما تكون المهام المسندة لي معقدة او صعبة للغاية	61
1	35.50	1.278	3.60		ينقصني التدريب على بعض الاعمال التي تتطلب مهارات مهنية	62
6	41.55	1.342	3.23		أشعر بالملل نظراً لتكرار نفس المهام	63
-	23.10	.78	3.38		المجموع	

من الجدول السابق يتضح:

(240)

- أن مفردات عينة الدراسة وفقاً لمحور "عبء العمل" أشارت إلى الاتجاه بالموافقة لحد ما هذا وقد بلغ المتوسط العام لإجمالي المحور (3.38) ومعامل اختلاف قدره (0.23.10)، اي بما يعادل نسبة اتفاق (76.90%)، وقد كانت أهم العبارات اتفاقاً على بنود المحور عبارة، (ينقصني التدريب على بعض الاعمال التي تتطلب مهارات مهنية)، بمعامل اختلاف (0.35.50%)، أما العبارات الأقل اتفاقاً فكانت عبارة، (أشعر بالملل نظراً لتكرار نفس المهام)، بمعامل اختلاف (0.41.55%)، على التوالي. وذلك وفقاً لردود عينة الدراسة، ويرى الباحث أن عبء العمل ناجم عن حجم العمل الكبير المطلوب إنجازه من الباحثين ضمن وقت محدد مع نقص في المهارة والتدريب وكذلك المسؤلية الكبيرة عن حياة الأفراد والتعامل اليومي مع المرضى ودوبيهم وغيرها من العوامل التي تزيد من معدلات الضغط في العمل و مما يزيد من ذلك العباءة قلة عدد الأطباء والممرضين وهذا النقص وخصوصاً في الأطباء يرجعه الباحث إلى أن هذه المناطق تصنف مناطق نائية وبالرغم من الرواتب العالية التي تدفع لهم نجد أن العديد منهم يفضل العمل في المدن الكبيرة والخارج، وكذلك عدم التقسيم الجيد للعمل بين الأفراد واما عبء العمل النوعي فيكون مرده عدم توفر الخبرة الازمة وقلة البرامج التدريبية وضعف التأهيل.

2- النتائج المتعلقة ببعد صراع الدور: طرهاز

جدول (2) الإحصاء الوصفي (التوزيع التکاري والنسبة المئوية والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري ومعامل الاختلاف) محور "صراع الدور"

الرقم	العبارة	المتوسط الحسابي	معامل الانحراف المعياري	معامل الاختلاف	الترتيب
64	تدخل الآخرين في مجال عملي لا يتيح لي اداة باسلوب مناسب	3.66	1.254	34.26	1
65	يطلب مني تنفيذ اعمال متعددة ومتناقضية من عدة رؤساء	3.09	1.313	42.49	4
66	يطلب مني القيام بأعمال تتناقض مع القيم والمبادئ التي أؤمن بها	3.07	1.344	45.41	5
67	تعارض مسؤوليات عملي مع حياني الشخصية	3.34	1.272	38.08	2
68	احياناً أؤدي بعض الاعمال بطريقة اعتقاد اخما خطأه	3.15	1.313	41.68	3

الرتب	معامل الاختلاف	الانحراف المعياري	المتوسط الحسبي	العبارة	الرقم
6	45.47	1.396	2.96	الاعمال المكلف بها بعيدة عن خبرتي ومهاراتي	69
-	26.23	.84	3.21	المجموع العام	

من الجدول السابق يتضح:

- أن مفردات عينة الدراسة وفقاً لخور "صراع الدور" أشارت إلى الاتجاه بالموافقة، لحد ما هذا وقد بلغ المتوسط العام لإجمالي الخور (3.21) ومعامل اختلاف قدره (26.23%)، اي بما يعادل نسبة اتفاق (73.77%).

- هذا وقد كانت أهم العبارات اتفاقاً على بنود الخور عبارة، (تدخل الآخرين في مجال عملي لا يتيح لي اداة بأسلوب مناسب)، بمعامل اختلاف (34.26%), اما العبارة الأقل اتفاقاً فكانت عبارة، (الاعمال المكلف بها بعيدة عن خبرتي ومهاراتي)، (45.47%)، وذلك وفقاً لردود عينة الدراسة.

ويرى الباحث ان صراع الدور ناجم عن تعارض مسؤوليات عملهم مع حياتهم العائلية ولعل السبب يعود لطبيعة مهنة الطب والتمريض التي تتطلب استمرارية تقديم الخدمة للمرضى على مدار الساعة والعمل بنظام المناوبات وخصوصاً الليلية منها والالتزام بالحضور في الحالات الطارئة الذي قد يتعارض مع بعض الالتزامات الأسرية، وكذلك المسؤلية الكبيرة عن حياة الأفراد والتعامل اليومي مع المرضى ودوفهم وغيرها من العوامل التي تزيد من معدلات الضغط في العمل وما بسببه من صعوبات في التوفيق بين متطلبات المستشفى والحياة الأسرية وتدخل الغير في مجال العمل ربما مرده لعدم وضوح السلطات والمسؤوليات، و ان الاعمال المتناقضة من عدة رؤوساً فيكون خلل في مبدئ وحدة الرئاسة اد يتوجب أن يتلقى الموظف الأوامر من رئيس واحد لمنع الازدواجية، والصراع ينعكس على المستشفيات قيد الدراسة بشكل سلبي.

2- النتائج المتعلقة ببعد غموض الدور:

جدول (3) الإحصاء الوصفي (التوزيع التكراري والنسب المئوية والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري ومعامل الاختلاف) محور "غموض الدور"

الرقم	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف	الترتيب
70	عدم وضوح الصالحيات والمسؤوليات الملقاة على عاتقى	3.20	1.282	40.06	4
71	عدم وضوح طبيعة العمل الذى اقوم به	3.12	1.339	42.92	5
72	عدم وضوح الانظمة والتعليمات في المستشفى	3.47	1.281	36.92	1
73	لا اعرف الطريقة السليمة لاداء المطلوب مني	3.36	1.251	38.85	2
74	لا اعرف مدى مساهمة عملي في تحقيق اهداف المستشفى	3.22	1.338	39.82	3
	المجموع العام	3.27	1.0	30.78	-

من الجدول السابق يتضح:

- أن مفردات عينة الدراسة وفقاً لمحور "غموض الدور" أشارت إلى الاتجاه بالموافقة، لحد ما هذا وقد بلغ المتوسط العام لإجمالي المحور (3.27) وبمعامل اختلاف قدره (30.78)، اي بما يعادل نسبة اتفاق (69.22%)، وقد كانت أهم العبارات اتفاقاً على بنود المحور عبارة، (عدم وضوح الانظمة والتعليمات في المستشفى)، بمعامل اختلاف (36.92%)، أما العبارات الأقل اتفاقاً فكانت عبارة، (عدم وضوح طبيعة العمل الذي اقوم به)، وذلك وفقاً لردود عينة الدراسة.

ويرى الباحث وجود غموض في الدور حيث اجاب الكثير منهم بعدم وضوح الصالحيات، وعدم وضوح طبيعة العمل وأن غموض الدور ناجم بشكل أساسى عن افتقارهم للمعلومات التي تبين حدود سلطتهم ومسؤولياتهم، ويرجع ذلك إلى عدم تطبيق الوصف الوظيفي الذي يحدد بشكل واضح المسؤوليات والواجبات.

3- النتائج المتعلقة ببعد العلاقة مع الزملاء:

جدول (4) الإحصاء الوصفي (التوزيع التكراري والنسب المئوية والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري ومعامل الاختلاف) محور "العلاقة مع الزملاء"

الرقم	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف	الترتيب
75	اجواء العمل تتسم بالتوتر والشد العصبي	3.39	1.333	39.32	2
76	أشعر بان هناك شيء من عدم الثقة بيني وبين زملائي في العمل	3.13	1.375	43.93	4
77	اتعامل مع الجميع بقسوة بسبب ضغوط العمل	2.89	1.365	47.23	5
78	قليل ما شارك زملائي في مناسباتهم بسبب ضغوط العمل	3.15	1.276	40.51	3
79	يزعجني اللامبالاة الكبيرة من قبل العاملين تجاه المستشفى	3.76	1.280	34.04	1
	المجموع العام	3.26	.87	26.68	-

من الجدول السابق يتضح:

- أن مفردات عينة الدراسة وفقاً لمحور "العلاقة مع الزملاء" أشارت إلى الاتجاه بالموافقة لحد ما هذا وقد بلغ المتوسط العام لإجمالي المحور (3.26) ومعامل اختلاف قدره (26.68)، اي بما يعادل نسبة اتفاق (73.32%)، وقد كانت أهم العبارات اتفاقاً على بنود المحور عبارة، (يزعجني اللامبالاة الكبيرة من قبل العاملين تجاه المستشفى)، ومعامل اختلاف (34.04%)، أما العبارة الأقل اتفاقاً فكانت عبارة، (اتعامل مع الجميع بقسوة بسبب ضغوط العمل) معامل اختلاف (47.23%)، وذلك وفقاً لردود عينة الدراسة.

ويرى الباحث أن المبحثين يشعرون بضغوط ناجمة عن ضعف روح الفريق والسلبية من بعض الزملاء ويرجع سبب ذلك إلى الصراع الناجم عن التنافس، وتضارب المصالح ، واختلاف وجهات النظر مع الرؤساء وعدم اشراك المبحثين في عملية اتخاذ القرار مما يولد الشعور بالضغط لدى البعض منهم.

5- النتائج المتعلقة ببعد بيئة العمل المادية:

جدول (5) الإحصاء الوصفي (التوزيع التكراري والنسب المئوية والمتوسط الحسابي والانحراف

المعياري ومعامل الاختلاف) محور "بيئة العمل المادية"

الرتب	معامل الاختلاف	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العبارة	الرقم
1	32.24	1.209	3.75	أشعر بالخوف على صحي نتيجة ظروف عمل	80
2	37.74	1.302	3.45	التجهيزات المتوفرة تتناسب مع طبيعة العمل	81
5	49.63	1.484	2.99	الادوية والمستلزمات الطبية متوفرة	82
4	46.70	1.429	3.05	وسائل الاتصال والتقنيات الحديثة كافية ومناسبة	83
3	46.01	1.408	3.07	مكان العمل غير مزدحم	84
-	27.96	.91	3.26	المجموع العام	

من الجدول السابق يتضح:

- أن مفردات عينة الدراسة وفقاً لمحور "بيئة العمل المادية" أشارت إلى الابحاث بالموافقة، وإن كانت بعض العبارات تشير إلى الموافقة لحد ما هذا وقد بلغ المتوسط العام لإجمالي المحور (3.26) ومعامل اختلاف قدره (27.96%)، أي بما يعادل نسبة اتفاق (72.04%).

- هذا وقد كانت أهم العبارات اتفاقاً على بنود المحور عبارة، (أشعر بالخوف على صحي نتيجة ظروف عمل)، بمعامل اختلاف (32.24%)، أما العبارات الأقل اتفاقاً فكانت عبارة، (الادوية والمستلزمات الطبية متوفرة)، بمعاملات اختلاف (49.63%)، وذلك وفقاً لردد عينة الدراسة.

يرى الباحث أن شعور المبحثين بضغوط ناجمة عن خوفهم المستمر على صحتهم وعملهم في ظروف غير مريحة، ويعود السبب في ذلك إلى طبيعة عمل الأطباء، والممرضين التي تتطلب الاهتمام المباشر بالمرضى والتعاييش معهم لفترات طويلة، مما قد يتسبب لهم العدوى أو الاصابة ببعض الأمراض وفي دراسة أمريكية اظهرت أن التمريض أكثر المهن عرضة للعدوى والممرضات أكثر عرضة للعدوى وخصوصاً الامراض المنقولة بالدم من غيرهن في المجال الطبي عن طريق الوخز العشوائي للإبر الملوثة.

ملخص للمتغيرات التابعة : ضغوط العمل :

جدول رقم (6) ملخص المقاييس الإحصائية الوصفية لمحاور المتغيرات التابعة

"ضغطوط العمل"

الترتيب	معامل الاختلاف	انحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العبارة	الرقم
1	23.10	78.	3.38	عبء العمل	1
2	26.23	84.	3.27	صراع الدور	2
5	30.78	1.00	3.21	غموض الدور	3
3	26.68	87.	3.26	العلاقة مع الأصدقاء	4
4	27.96	.91	3.26	بيئة العمل المادية	5
المتوسط العام لإجمالي محاور: ضغوط العمل					
-	20.32	.66	3.27		

من الجدول السابق يتضح:

- أن اتجاهات مفردات عينة البحث قد أظهرت اتجاهًا عاماً نحو الموافقة لحد ما، على إجمالي محاور " ضغوط العمل "

وذلك بمتوسط حسابي قدرة (3.27) وبمعامل اختلاف قدرة (20.32)، اي الاتفاق في الآراء ما يقرب من نسبة (79.68%) تقريباً.

- وعن مدى الاتفاق على أهمية هذه المحاور مجتمعة مرتبة وفقاً لمعامل الاختلاف فجاء الترتيب لمحور (عبء العمل)، (صراع الدور)، (العلاقة مع الأصدقاء)، (بيئة العمل المادية)، (غموض الدور)، بمعاملات اختلاف (23.10)، (26.23)، (26.68)، (27.96)، (30.78)، على التوالي وذلك وفقاً لردود عينة الدراسة.

ويفسر الباحث أن عباء العمل جاء في المرتبة الاولى قد يعود إلى قلة عدد الأطباء والممرضين او عدم توفر المهارات لدى بعض الأطباء والممرضين للقيام بالأعمال الموكلة إليهم وكذلك طبيعة العمل في المستشفيات الذي يتطلب الدقة والانتباه.

ثالثاً: اختبار فرضية الدراسة:

لا يوجد اختلاف معنوي لضغط العمل وفقاً للمتغيرات الشخصية (الجنس - العمر - الخبرة - المسمى الوظيفي - المستوى التعليمي) للأطباء والممرضين والإداريين العاملين في المستشفيات العاملة بوادي الشاطئ.

جدول رقم (7) قياس فروق محاور ضغوط العمل طبقاً للمتغيرات الشخصية باختبار تحليل التباين

أحدى الاتجاهات

المتغير	قيمة F	مستوى معنوية	الدلالة
العمر	2.609	*0.05	دالة
الخبرة	2.038	0.11	غير دالة
المسمى الوظيفي	6.687	**0.01	دالة
المستوى التعليمي	2.576	*0.02	دالة

** دالة عند مستوى معنوية أقل من (0.01). * دالة عند مستوى معنوية أقل من (0.05).

من الجدول السابق يتضح ما يلي:

1- **متغير العمر:** توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين محاور ضغوط العمل تعزى إلى متغير (العمر)، حيث بلغت قيمة "F" (2.609)، عند مستوى معنوية أقل من (0.05) ويرجع ذلك لصالح الفئات العمرية (51 سنة فأكثر)، (من 41 - 50 سنة)، ويفسر الباحث ذلك أن صغار السن قد يكونوا في بداية عملهم متخصصين للعمل أكثر من اجل اتباث كفاءتهم وقدرتهم على انجاز الأعمال عكس كبار السن اللذين لديهم الكثير من المسؤوليات و المشاغل الاسرية والاجتماعية خارج العمل و لا يوجد ذلك الحماس لديهم للعمل و يعتبرونه روتيني.

2- **متغير الخبرة:** لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين محاور ضغوط العمل تعزى إلى متغير (الخبرة)، عند مستوى معنوية أكبر من (0.05).

3- **متغير المسمى الوظيفي:** توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين محاور ضغوط العمل تعزى إلى متغير (المسمى الوظيفي)، حيث بلغت قيمة "F" (6.687)، عند مستوى معنوية أقل من (0.05) ويرجع ذلك لصالح وظيفة (طبيب)، (مريض)، (إداري)، (فني)، ويرى الباحث ذلك طبيعي باعتبار الأطباء والممرضين هم الأكثر احتكاكاً بالمرضى ويتأنلون لألمهم وتقع عليهم المسؤلية في أي خطأ قد يحدث للمريض.

4- متغير المستوى التعليمي: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين محاور ضغوط العمل تعزى إلى متغير (المستوى التعليمي)، حيث بلغت قيمة "ف" (2.576)، عند مستوى معنوية أقل من (0.05) ويرجع ذلك لصالح وظيفة (دكتوراه)، (ماجستير)، (دبلوم متوسط)، (ثانوية عامة فأقل)، (بكالوريوس)، (دبلوم عالي)، بمتوسطات حسابية (3.520)، (3.480)، (3.450)، (3.129)، (3.415). عند مستوى معنوية أكبر من (0.05).

جدول رقم (8) قياس فروق محاور ضغوط العمل طبقاً لمتغير النوع

الدلالة	مستوى المعنوية	قيمة ت	اسم المتغير
دالة	0.03	2.140	ضغط العمل

توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين محاور ضغوط العمل تعزى إلى متغير النوع (ذكر/انثى)، حيث بلغت قيمة "ت" (2.140)، عند مستوى معنوية أقل من (0.05). وذلك لصالح فئة (الإناث) ويفسر الباحث ذلك ل تعرض الإناث لضغوط متعددة تنقسم بين ضغوط العمل وضغط المنزل باعتبارها الأم التي تتبع اعمال عديدة في البيت و من هنا تصبح غير قادرة على التوفيق بين مسؤولياتها فتشعر بالضغط أكثر.

رابعاً: نتائج الدراسة:

1- أظهرت الدراسة أن الأطباء والممرضين والإداريين والعاملين بالمستشفيات العامة بوادي الشاطئ يشعرون بضغط العمل، وهذا يتفق مع ما توصلت إليه الكثير من الدراسات مثل دراسة (Golubovic 2012) ودراسة (Shamaila: 2010) ودراسة (Aoki 2011) ودراسة (Jones:2015) في إن وظائف الأطباء والممرضين والإداريين مهن ضاغطة، ويرجع السبب في ذلك إلى مصادر متعددة من ضغوط العمل.

2- أظهرت نتائج الدراسة أن مصادر ضغوط العمل التي تمت دراستها تشكل جميعاً ضغوطاً وظيفية يشعر بها الأطباء والممرضين والإداريين والعاملين بالمستشفيات العامة بوادي الشاطئ ولكن مستويات مختلفة ويمكن ترتيبها وفقاً لأهميتها النسبية (عبء العمل – صراع الدور – العلاقات في العمل – بيئة العمل – غموض الدور) وهذا يتفق مع الكثير من الدراسات مثل دراسة (Namrata: 2014) ودراسة (Aoki 2011) ودراسة (Golubovic 2012).

3- أظهرت الدراسة أنه يوجد اختلاف معنوي بين مصادر ضغوط العمل التي يشعر بها الأطباء والممرضين والإداريين في المستشفيات العامة بوادي الشاطئ تعزى إلى متغيرات (النوع - العمر -

المستوى التعليمي - المسمى الوظيفي) ولا يوجد لمتغير (الخبرة) وهذا يتفق مع الكثير من الدراسات مثل دراسة (Jones:2015) ، ودراسة (Shamaila:2010) أن للمتغيرات الشخصية علاقة بالضغط.

خامساً: توصيات الدراسة:

- 1- الاهتمام بموضوع ضغوط العمل لما له من تأثيرات وانعكاسات سلبية على سير العمل بهذه المستشفيات من خلال إصدار نشرات لتوضيح مفهوم ضغوط العمل وآليات التعامل معها والكيفية المثلث لإدارة الضغوط.
- 2- تحسين المناخ التنظيمي للعمل من خلال تجنيس الجو المناسب للعاملين في هذه المستشفيات وذلك بتوفير بيئة عمل مريحة للأطباء والممرضين والعاملين وتطوير وتعديل هذه البيئة بما يتاسب مع متطلبات المهام والمسؤوليات المهنية المرتبطة بالعمل في المجال الطبي والرعاية الصحية وأماكن للتوفيق.
- 3- ضرورة استقطاب العدد الكافي من الأطباء والممرضين لسد النقص ليتناسب مع حجم العمل في هذه المستشفيات والتتأكد من مناسبة أعباء العمل والمهام الموكولة وقدرات العاملين فضلاً عن توفير وصف وتوصيف للوظائف يحدد لكل فرد واجباته ومسؤولياته لتحقيق من شعورهم بالضغط الناجمة عن صراع الدور وغموض الدور.

قائمة المراجع :

- (1) Shamaila Khalid , (Frequency Of Stress And Depression In Female Nurses Working In A Teaching Hospital), **KMJ**, Vol.2 ,No.1,(2010),pp122-144
- (2)Aoki M,Keiw karka chompikul J "job stress among nurses in public hospitals in Ratchaburi province, Thailand" **J pub Health Dev** ,91,(2011) p 19 – 27.
- (3) Dragana, Golubovic pila " Professional Stress and Health among Critical Care Nurses in Serbia" **Archives of Industrial Hygiene and Toxicology** No.2,(2012).
- (4) Barbara Farquharson, Cheryl Bell, Derek Johnston, "Nursing stress and patient care: real-time investigation of the effect of nursing tasks and demands on psychological stress, physiological stress, and job performance: study protocol " , **Journal Of Advanced Nursing** , Blackwell Publishing Ltd 2013

- (5) Namrata Mohite "Occupational Stress among Nurses Working At Selected Tertiary Care Hospitals" , **international Journal of Science and Research (IJSR)** , Vol.3, No.6, June 2014
- (6) Gabrielle Jones" Demographic and occupational predictors of stress and fatigue in French intensive-care registered nurses and nurses' aides: A cross-sectional study" **International Journal of Nursing Studies** Vol 52, Issue 1, January 2015, Pages 250–259
- (7).Dip.Psych "Occupational stressors, burnout and coping strategies between hospital and community psychiatric nurses in a Dublin region " **Journal of Psychiatric and Mental Health Nursing** Voll21,NO.10,(2015)
- (8) سيد محمد جاد الرب، " الاتجاهات الحديثة في ادارة المخاطر والازمات التنظيمية " دار النهضة العربية 2011 ص 398.
- (9) Sally Jacobs ,Sheena Johnson " Managing workplace stress to enhance safer practice in community pharmacy: a scoping study" **Pharmacy Research UK** June 2013 (10)
- محمود العميان السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال دار وائل عمان 2005 ص 161.
- (11) سيد محمد جاد الرب الاتجاهات الحديثة في إدارة المخاطر و الإزمات التنظيمية، مرجع سبق ذكره ص 400.
- (12) محسن علي الكبي، السلوك التنظيمي بين النظرية والتطبيق، 2005 ص 216.
- (13) Barbara Farquharson, Cheryl Bell, Derek Johnston, "Nursing stress and patient care: real-time investigation of the effect of nursing tasks and demands on psychological stress, physiological stress, and job performance: study protocol " , **Journal Of Advanced Nursing** , Blackwell Publishing Ltd 2013
- (14) Peter Holland , " Survey on Nurses' Attitudes to Work and Work Conditions in Australia", Monash University , February 2012
- (15) Nilgün Anafarta "The Relationship between Work-Family Conflict and Job Satisfaction A Structural Equation Modeling (SEM) Approach " **International Journal of Business and Management** vol 8 ,No 4 April2011
- (16)Salami A.O, Ojakuku, R.M, Il esanmi. OA " Impact of job stress on managers' performance "European journal of scientific Research issn vol.45 no.2 (2010) pp 249 – 260.

(17) OSACH, (2006). "The Fast Facts about stress, Ontario Safety Association for Community Healthcare" (OSACH), Toronto Ontario Canada M2N, www.osach.ca

(18) او ما سيكران طرق البحث في الإدارة مدخل لبناء المهارات البحثية تعریب د إسماعيل بسيوني دار المريخ للنشر 2010 ص 421.

بلاغة العدول في التعبير القرآني

(سورة الصحي نموذجاً)

د. علاء الدين محمد الأسطي
كلية الآداب والعلوم قصر الاختيار / جامعة المرقب

المقدمة

لا غرو أن القرآن الكريم معجز الشعراء، وسابق البلغاء والفصحاء، أنزله الله على خير خلقه، وآخر رسله محمد بن عبد الله ﷺ، ووجوه بلاغة القرآن الكريم كثيرة، ما زالت حقولاً خصباً للبحث والدراسة، كيف لا؟، وهو كلام الله، ووحي منه إلى نبيه ﷺ؛ ليكون معجزة يعجز بها أرباب الفصاحة والبيان من العرب في فترة كان علمهم بها أسمى العلوم، لا سيما في فن الشعر والخطابة، حتى قال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "كان الشعر علم قوم، لم يكن لهم علم أصح منه" (ابن سالم، ج 1، ص 24)؛ لذلك كان القرآن معجزاً لأولئك القوم الذين تحداهم الله جل وعلا – وهم في الفصاحة والبلاغة من هم – أن يأتوا بمثل هذا القرآن فقال: ﴿فَلَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُانُونَ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضِلُ ظَاهِرِهِ﴾ (الإسراء، الآية 88)، بل إن الله تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شَهَادَاتُكُمْ مِّنْ ذُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة، الآية 23).

ولما كان القرآن الكريم المثل الأعلى في البلاغة والفصاحة تعبيراً وتصويراً وتركيبياً، فإنه لا مناص من الإقرار بأنه ما زال حقولاً خصباً للبحث والدراسة، وميداناً واعداً بالنتائج الجديدة، وأن النص القرآني صالح لإسقاطات المناهج النقدية الحديثة، والنظريات اللسانية واللغوية والأدبية المعاصرة.

ومن هنا كان الدافع للبحث في بلاغة العدول في التعبير القرآني، وذلك من خلال الوقوف على

المطالب الآتية:

أولاً: مفهوم العدول:

1 _ العدول لغة: العدول مصدر مشتق من الفعل عدل، " وَعَدْلُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ، أَعْدِلُهُ عَدُولًا إِذَا ساوهَتْهُ بِهِ، وَالْعَدْلُ وَالْعَدْلَيْلُ سَوَاءً، أَيْ: التَّنْظِيرُ وَالْمِثْلُ، وَقِيلُ هُوَ الْمِثْلُ، وَلَيْسَ بِالْتَّنْظِيرِ عَيْنِهِ..." (ابن منظور، مادة عَدْلٌ). ومنه أَنَّ مَنْ يُشْرِكُ بِرِبِّهِ إِنَّمَا يُعْدِلُ بِهِ غَيْرُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يُعْدِلُونَ (١) ﴾ (الأنعام، الآية 1).

وبهذا لا يكون العدول إلى الشيء إلا بوجود شيء آخر، سواء أكان مثيلاً له، أم نظيراً، وكل ما يأتيه المرء من خطوات تجاه هذين الشيئين، هو عدول، فالموازنة بينهما قبل اختيار أحدهما هي عدول، ولو كانوا متساوين. ومن العدول ترك الشيء وتجنبه، كأن يعدل الفحل عن الإبل ويتركها (ابن منظور، مادة عَدْلٌ)، فهو بتركها عدل عنها إلى غيرها.

2 _ العدول اصطلاحاً: العدول الأقرب للمفهوم الاصطلاحي هو اختيار أحد الشيئين دون الآخر، والميل إليه عن الآخر، ومنه أن يعدل الفحل عن الإبل إذا تركها.

ولفظة (العدول)، تستعمل عادة للدلالة عن ترك شيء لأجل آخر، ففي تعريف أسلوب الالتفات مثلاً، يقول الجرجاني (ت 471 هـ): " الالتفات: العدول عن الغيبة إلى الخطاب والتكلم، أو العكس" (الجرجاني، 1405هـ، ج 1، ص 51). وكثيراً ما نقرأ جملة: " الحق لا يمكن العدول عنه..."، إذن فالعدول إلى الشيء: اختياره، والعدول عنه تركه.

وقد تكلم ضياء الدين بن الأثير (ت 637 هـ) في هذا الأسلوب البلاغي، في باب سماء: (معرفة ما يُحتاج إليه من اللغة)، وفيه وصف العدول بالباب الواسع حيث قال: " ويفتقرب أيضًا مؤلف الكلام إلى معرفة عدة أسماء لما يقع استعماله في النظم والنشر، ليجد -إذا ضاق به موضع في كلامه بإيراد بعض الألفاظ- سعًه في العدول عنه إلى غيره مما هو في معناه، وهذه الأسماء تسمى المتدايرة، وهي اتحاد المسمى، واختلاف أسمائه، كقولنا: الخمر، والراح، والمدام، فإن المسمى بهذه الأسماء شيء واحد، وأسماؤه كثيرة" (ابن الأثير، ج 1، ص 37).

ثم زعم أنه أول من تكلم في العدول حيث قال رداً على من يمنع وجود اللفظ المشترك في المعنين: " فأقول في الجواب عن ذلك ما استخرجته بفكري، ولم يكن لأحد فيه قول قبلي، وهو: أما قولك: إن فائدة وضع اللغة إنما هو البيان عند إطلاق اللفظ، وللفظ المشترك يخل بهذه الفائدة، فهذا غير مسلم، بل فائدة وضع اللغة هو البيان والتحسين.

أما البيان: فقد وقَّى به الأسماء المتباينة، التي هي كل اسم واحد دلَّ على مسمَّى واحد، فإذا أطلق اللفظ في هذه الأسماء كان بینًا مفهومًا لا يحتاج إلى قرينة، ولو لم يضع الواضع من الأسماء شيئاً غيرها لكان كافياً في البيان.

وأما التحسين: فإن الواضع لهذه اللغة العربية التي هي أحسن اللغات، نظر إلى ما يحتاج إليه أرباب الفصاحة والبلاغة فيما يصوغونه من نظم ونشر، ورأى أنَّ من مهمات ذلك "التحجيس"، ولا يقوم به إلَّا الأسماء المشتركة التي هي كل اسم واحد دلَّ على مسميين فصاعداً، فوضعها من أجل ذلك، وهذا الموضع يتजاذبه جانبان يترجح أحدهما على الآخر.

وبيانه أن التحسين يقضي بوضع الأسماء المشتركة، ووضعها يذهب بفائدة البيان عند إطلاق اللفظ، وعلى هذا، فإن وضعها الواضع ذهب بفائدة البيان، وإن لم يضع ذهب بفائدة التحسين، لكنه إن وضع استدرك ما ذهب من فائدة البيان بالقرينة، وإن لم يضع لم يستدرك ما ذهب من فائدة التحسين، فترجح حيئذ جانب الوضع فوضع (ابن الأثير، ج 1، ص 39).

وهو بهذا يجعل لاشتراك الألفاظ فائدة هي التحسين، الذي هو من مهارات أرباب الفصاحة والبلاغة، وهو أعلى مرتبة من البيان؛ وإن لم تكن له ضوابط باستثناء الذوق السليم، فإن اختيار لفظة دون أخرى تشتراك معها في المعنى، يعد من السمات المهمة والدقيقة، فقال: " ومن هذا النوع ألفاظٌ يُعدَّل عن استعمالها من غير دليل يقوم على العدول عنها، ولا يُستَفَّي في ذلك إلَّا الذوق السليم، وهذا موضع عجيب لا يُعْلَم كُثُرَ سِرَّه" (ابن الأثير، ج 1، ص 277). وهذا قريب لما أشار إليه علماء الأسلوبية المعاصرة، الذين يرون أن العدول: " بمثل الطاقة الإيجابية في الأسلوب" (عبد المطلب، 1994م، ص 270).

ثم جعل ابن الأثير (ت 637 هـ) العدول قسماً من أقسام التوسع في الكلام، وقال بيان التوسع في الكلام مطلوب. (ينظر ابن الأثير، ج 1، ص 348).

وأكَّد على أهمية العدول وخصوصيته، فقال: " واعلم أيها المتتوشح لعرفة علم البيان أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلَّا لنوع خصوصية افتضلت ذلك، وهو لا يتتوخاه في كلامه إلَّا العارف برموز الفصاحة والبلاغة، الذي اطلع على أسرارهما، وفتح عن دفائرهما، ولا تجد ذلك في كل كلام، فإنه من أشكال ضروب علم البيان وأدقها فهماً، وأعمضها طریقاً" (ابن الأثير، ج 2، ص 12).

والخلاصة أن العدول يكون في الألفاظ المشتركة في المعنى، حتى إذا اختار المتكلم لفظا دون آخر لفائدة بلاغية، كان أكثر بيانا، وأجمل تحسينا.

والعدول عند المعاصرین هو رصد اخراج الكلام عن النسق المألوف، ومن خلاله يمكن التعرف على طبيعة الأسلوب، بل لربما كان هو الأسلوب ذاته؛ لأن اللغة عندهم مستوى مثالي في الأداء العادي، وآخر إبداعي يختلف هذه المثالية، ويسمى الانتهاك، أو الاحرف، وهذا هو العدول. (ينظر عبد المطلب، 1994م، ص 268).

وقد ضرب ابن الأثير (ت 637 هـ) أمثلة من القرآن الكريم، منها قوله: " فَمَا جَاءَ مِنْهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿يَا هُوَذَا مَا حِجَّتْنَا بِيَبْيَنَةٍ وَمَا تَحْنُّ بِتَارِيْخِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا تَحْنُّ لَكَ بِمُؤْمِنِيْنَ، إِنَّ نَفْوُ إِلَّا أَعْتَرَكَ بَعْضُ آهَيْتَنَا بِشَوْءِ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بِرِيَّةٍ بِمَا تُشَرِّكُونَ ﴾ ، (هود، الآيات 53، 54)، فإنه إنما قال: ﴿أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا ﴾ ، ولم يقل: "أشهدكم"؛ ليكون موازنا له وبمعناه؛ لأن إشهاده الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت، وأما إشهادهم بما هو إلا تهانٍ بهم، ودلالة على قلة المبالغة بأمرهم، ولذلك عدل به لفظ الأول؛ لاختلاف ما بينهما، وجيء به على لفظ الأمر، كما يقول الرجل لمن ي sis الشري بيته: "أشهد على أني أحبك"، تحكمما به، واستهانة بحاله". (ابن الأثير، ج 2، ص 11، 12).

وفي معرض استقراء اللطائف البلاغية من حين لآخر في كتب التفسير والبلاغة، تبين شيعيُّون أسلوب العدول في القرآن الكريم، ومن ثم وقع الاختيار على سورة الضحي، التي تكلم كثير من البلاغيين وبعض المفسرين لها عن فوائد بلاغية في اختيار بعض الألفاظ، والعدول عن أخرى، والعدول لذكر كلمات في مواضع، ثم العدول إلى حذفها في مواضع أخرى.

ثانياً: سورة الضحي: من المشهور أن الله تعالى تحدى العرب أن يأتوا بسورة من مثل سور القرآن، ولم يستثن سورة من سوره؛ لذلك فإن البحث في سورة الضحي – وهي من قصار السور – لا يعد نقصاً أو فصيراً في البحث، حيث إنها كغيرها من سور القرآن الكريم واحدة بالنتائج والأسرار البلاغية واللغوية تعبيراً وتصويراً، خاصة وأنها نزلت على رسول الله ﷺ، في ظرف استثنائي، يجدر الانتباه له في تحليل هذه السورة الكريمة؛ لأنها يساعد على الوقوف لاستنتاج الأسرار البلاغية واللغوية.

1 _ سورة الضحي سورة مكية، من قصار السور، وهي السورة الثالثة والتسعون في ترتيب المصحف، وعدد آياتها إحدى عشرة آية، وهي قوله تعالى:

﴿وَالضُّحْىٰ (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (2) مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (3) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ (4) وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَقَرْضًا (5) أَمْ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَآوِي (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (8) فَأَمَّا الْيَتِيمُ فَلَا تَنْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ (10) وَأَمَّا بِنْعَمَةٍ رَبِّكَ فَحَدَثْ (11).﴾

2 _ سبب نزول السورة:

لا مبالغة في القول: إن سبب نزول سورة الضحى مشهور ومعلوم، وهو أن الوحي قد أبطأ عن رسول الله ﷺ، وفي ذلك تعدد الروايات، منها: أن رسول الله ﷺ اشتكي، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد؛ إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليتين أو ثلاثا، ومنها: أن رسول الله ﷺ مكث أيام لا ينزل عليه جبريل، فقالت أم جليل امرأة أبي هب: ما أرى صاحبك إلا ودعك وفلاك. ومن الروايات المشهورة⁴⁷ أن حروا دخل بيت النبي ﷺ، فدخل تحت السرير فمات، فمكث النبي ﷺ أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي، فاشتكى خادمه، فهياطات البيت وأخرجت الجن، فجاء النبي ﷺ، يرعد بجنبه، وكان إذا نزل عليه الوحي أخذته رعدة، فأنزل الله: ﴿وَالضُّحْىٰ (1)﴾ إلى قوله: ﴿فَقَرْضًا (5)﴾.

ينظر السيوطي، 2004م، ص 271).

ثالثا: العدول في السورة:

1 _ العدُولُ في الفاصلَةِ: والفاصلة: "كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، وسجعة الشر، والتفصيل: تؤافِقُ أواخر الآيَ في حروف الروي، أو في الوزن، مما يقتضيه المعنى، وتستريح إليه النفوس". (الحسناوي، 2004، ص 29).

والفاصلة في سورة الضحى تتغير من الألف المقصورة، في كل من (والضحى، سجى، قلى، الأولى، فرضى، فآوى، فهدى، فاغنى)، إلى الراء في كل من: (تقهر، تنهر)، بينما تفرد الفاصلة الأخيرة في الكلمة : (فحدث)؛ لتكون على حرف الشاء الذي لم يكن موجوداً في السورة أصلاً إلا في هذه الكلمة.

⁴⁷ - قال المأذون بن حجر: "وقصة إطاء جبريل سبب كون الكلب تحت سريره مشهورة، لكن كونها سبب نزول هذه الآية غريب شاذ، بل مردود بما في الصحيح والله أعلم". فتح الباري، ج 8، ص 710.
(256)

وبالنظر إلى مناسبة كلمات الفوائل لآياتها، فإن المناسبة واضحة جلية في عدد منها، وذلك في الآيات الواقعة في الآية الخامسة وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رِئْكَ فَتَرْضَى (5) ﴾، وفي الآيتين التاسعة والعشرة في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمُ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ (10) ﴾. فالعطاء يناسبه الرضى، ومعاملة اليتيم لا يناسبها القهر، ومعاملة السائل لا يناسبها النهر.

وتبقى مناسبات بقية الفوائل مستترة خفية، تحتاج إلى بحث ودراسة، ثم إلى تأمل، منها:

أـ فوالة ﴿ والضُّحَى (1) ﴾، لماذا عَدَلَ الله تعالى في هذه السورة بالذات إلى القسم بالضحى؟، وعَدَلَ عن القسم بآيات أخرى عظيمة كالفجر، والشمس، والليل، والنهر، والقمر، وغيرها .؟

ما عليه جمهور المفسرين أن الله اختار القسم بالضحى؛ لأنه الوقت الذي كلام الله فيه نبيه موسى عليه السلام؛ أو أنه الوقت الذي خر فيه السحر سجداً بعد توبتهم من السحر، (ينظر الزمخشري، ج 20، ص 1384هـ، ج 4، ص 765، وابن عادل 1419هـ، ج 20، ص 379، والقرطبي، ص 91)، مستدلين للرأي الثاني بقوله تعالى: ﴿ قَالَ مُؤْعِدُكُمْ يَوْمُ الرِّبْيَةِ وَأَنْ يُخْشَرَ النَّاسُ ضُحَى ﴾ (طه، الآية 59).

وقد علل شهاب الدين الألوسي (ت 1270هـ) من قالوا إنه الوقت الذي كلام فيه الله تعالى نبيه موسى عليه السلام، وذكر المناسبة حيث قال: "... ؛ ولأنه على ما قالوا: الساعة التي كلام الله تعالى فيها موسى عليه السلام، وألقى فيه السحر سجداً، لقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ يُخْشَرَ النَّاسُ ضُحَى ﴾ (طه، الآية 59)، ففيه مناسبة للمقسم عليه، وهو أنه تعالى لم يترك النبي صلوات الله عليه ، ولم يفارقه إلطافه تعالى وتتكليمه سبحانه...". (الألوسي، ج 15، ص 372) . وهذا توجيه مقبول؛ لأنه يأخذ بعين الاعتبار مناسبة نزول السورة، وهي أن الله تعالى يطمئن حبيبه المصطفى صلوات الله عليه بأنه لن يتركه، وسيكلمه وحياناً، وسيعطيه حتى يرضى.

وأما ابن عادل (ت 880هـ)، فقد أورد في اللباب أقوالاً لم ينسبها لقائلها منها: أن الضحى نور الجنة، والليل ظلمة النار، وأن الضحى نور قلوب العارفين، والليل سواد قلوب الكافرين. (ينظر ابن عادل، ج 20، ص 379) .

وقال القرطبي (671 هـ) في قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (2)﴾ يعني عباده الذين يعبدونه في وقت الضحى، وعباده الذين يعبدونه بالليل إذا أظلم . (القرطبي، 1384هـ، ج 20، ص 92).

ولا يخفى ما في هذه التفسيرات من تكليف؛ لعدم وجود مناسبة أو قربة لها.

وكان شهاب الدين الألوسي (ت 1270 هـ) قد اهتم كثيراً مناسبة نزول السورة؛ ليتسنى له الوقوف على لطائف عدّة، منها على أنها من باب التأويل والإشارة، ولا دخل للتفسير فيها، فالسورة – كما هو مشهور – جاءت تطميناً وتحناناً على النبي ﷺ؛ ولهذا كانت بعض التأويلات والإشارات ذات وجوه معتبرة، منها:

- القسم بالضحى، وهو الوقت الذي كلام الله فيه نبيه موسى عليه السلام، إشارة إلى أن الله تعالى لن يترك تكليم نبيه محمد ﷺ.
- أن الضحى إشارة إلى الرسالة الحمدية، وأن الليل هو احتباس الوحي؛ لأن في النزول استثناء، وفي الاحتباس استثناؤه؛ فالوحي إشراقة لهذه الأمة، والاحتباس عتمة عليها.
- أن الزمان ساعة من نهار، وساعة من ليل، وتارة تزداد ساعات الليل وتنقص ساعات النهار، وأخرى بالعكس، فلا زيادة لها، ولا نقصان لقليل، بل كل حكمه. ومن ثم فإن الوحي تارة إنزال، وأخرى حبس. (ينظر الألوسي، 1415هـ، ج 15، ص 373).
- وهذه هي الدنيا تتقلب بين السراء والضراء.

والناظر بعين المتأمل يلمس لطافة التأويلات التي أخذت بعين الاعتبار مناسبة نزول السورة، فالحالة التي كان عليها المصطفى ﷺ، مع إبطاء الوحي وشماتة المشركين، وحزن المسلمين، تحدث بأن الله تعالى بريت على فؤاد محبوبه، ويحنو عليه، ويطمئنه بهذه السورة، بدليل أنه يذكره بأنه آواه في يتمه، وهذا بعد ضلاله – ضلاله معرفة هذا الدين جملة وتفصيلاً –، وأغناه بعد فقر، وسيأتي بيانه في عدول الألفاظ.

ولا مبالغة في القول بأن الضحى هو إشراقة الوحي على هذه الأمة، وأن الليل هو عتمة احتباسه عنها، وأن الضحى والليل هما نقىضان يدلان على تقلب هذه الدنيا بين السراء والضراء، وأن الله الذي أنعم على حبيبه المصطفى في السراء، لم ولن يتخلى عنه في الضراء.

بـ- فاصلة: ﴿سَجِيٌّ﴾ (2)، لماذا عَدَلَ الله سبحانه إلى الفعل سجي، في الوقت الذي عدل فيه عن أفعال أخرى، فلم يقل مثلاً : والضحى والليل إذا دجى، أوَّلَ الليل إذا يغشى، أوَّلَ الليل إذا غشى؟.

للإحاجة لابد من الوقوف على معنى الفعل سجا، وسجا معناه: سكّنٌ وذَامٌ، وركد، ومعنى ركد : سكن، وقال مَعْمَرٌ: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَى﴾ إذا سكن بالناس ، ومنه قول الشاعر⁽⁴⁸⁾:

يا حَبَّدَا الْقَمَرَاءَ، وَاللَّيْلُ السَّاجُ ...

وما زال معنى سجا يدور حول السكون، حتى إنهم قالوا: " وامرأة سجواء الطرف، وساجية الطرف: فاترة الطرف، ساكِنَة، وطرف ساج أي: ساكِنٌ، ونافقة سجواء: ساكِنَة عند الحلب... ". (ابن منظور، مادة سجا).

ولم يخرج جمهور المفسرين عن معنى السكون، ، (ينظر الزمخشري، 1407هـ، ج 4، ص 765، وابن عادل، ج 20، ص 379، وابن عطية، 1422هـ، ج 5، ص 493، والقرطبي، 1384هـ، ج 20، ص 91)، وهذا المعنى لا يوجد في الكلمة الدجى التي تعني سواد الليل مع غيم، فلا يرى فيه نجم ولا قمر، (ابن منظور، مادة دجا)، ولا يوجد في الكلمة يغشى، التي تعني أنه يغطي بظلامه، أو غشى، التي تعني أطبق وأليس، وغطى. (ابن منظور، مادة غشا).

ومن الواضح مناسبة اختيار الفاصلة: ﴿سَجِيٌّ﴾، والعدول عن غيرها؛ لما فيها من السكون الباعث على السكينة والطمأنينة؛ - موضوع السورة -، وفي هذا يقول الألوسي (ت 1270هـ): "... وتخصيص الليل بناء على أن المراد وقت اشتداد الظلمة؛ قيل لأنّه وقت خلو المحب بالمحبوب، والأمن من كل واش ورقيب...". (الألوسي، 1415هـ، ج 15، ص 374).

ومعلوم أن اجتماع الظلمة مع السكون، يبعث في النفس رواحاً وارتياحاً بين المتحابين، وإليه ذهب الطيبي فقال: إن الله تعالى : "... أقسم له بِكَلَّ بوقتين فيما صلاته عليه الصلاة والسلام، التي جعلت قرَّ عينيه، وسبَّ مزيد قريه وأنسيه، أمّا الضحى؛ فلِمَا رواه الدارقطني في الجبي عن ابن عباس

⁴⁸ - جاء في لسان العرب (مادة سجا) أن البيت للحارثي، ولم يذكر اسمه، ولم يتثن التعرف عليه عند غيره، ولعله أراد جعفر بن علبة الحارثي، أو عبد الملك الحارثي.

مرفوعاً، أن الرسول ﷺ قال: ﴿كُتِبَ عَلَى النَّحْرِ وَمَ يُكْتَبُ عَيْنِكُمْ وَأُمْرُتُ بِصَلَاةِ الْضَّحَىٰ وَمَ تُؤْمِنُوا بِهَا﴾. (الدارقطني، 1386 هـ، ج 4، ص 282).

وأما الليل؛ فلقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْلَّيلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾، (الإسراء، الآية 79)؛ إرغاماً لأعدائه وتكتيماً لهم في زعم قلاه وجفائه، فكانه قيل وحق قربك لدينا، وزلراك عندنا، إننا اصطفيناك، وما هجرناك وقليناك". (الألوسي، 1415هـ، ج 15، ص 374).

ومن هنا يتبين أن الله أقسم لحببي المصطفى بوقتين لما عنده حظوة، لا سيما وقت سكون الليل؛ حيث ينادي الحبيب ربه متهمجاً حتى تكاد تششقق قدماه.

ج - فاصلة ﴿قَلَى﴾ (3)، والسؤال هنا: لماذا عدل إلى حذف الضمير، وقد عدل إلى ذكره في قوله: ﴿وَدَعَكَ﴾؟.

الظاهر الذي عليه بعض المفسرين أن حذف الكاف من (قلى) جاء لرعاة الفاصلة، غير أن آخرين كان لهم توجيه بلاغي لطيف، ومنهم شهاب الدين الألوسي (ت 1270 هـ)، حيث قال: "وتحذف المفعول؛ لغلا يواجه عليه الصلاة والسلام بنسبة القلى، وإن كانت في كلام منفي -لطفاً به ﷺ، وشفقة عليه، عليه الصلاة والسلام؛ أو لنفي صدوره عنه عز وجل بالنسبة إليه ﷺ، وأحد من أصحابه ومن أحبه ﷺ إلى يوم القيمة...". (الألوسي، 1415هـ، ج 15، ص 375).

وقد ذهبت عائشة بنت الشاطئ (ت 1419هـ) إلى رفض القول بأن حذف الكاف جاء لرعاة الفاصلة، حيث قالت: "ولو كان البيان القرآني يتعلق بهذا؛ لما عدل عن رعاية الفاصلة في الآيات بعدها: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَعْهِدْ (9) وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهِ (10) وَأَمَّا بِعْنَمَةِ زَيْلَكَ فَحَدَّدْ﴾، وليس في السورة كلها (ثاء) فاصلة، بل ليس فيها حرف ثاء على الإطلاق، ولم يقل تعالى: فخبر؛ لتفق الفواصل على مذهب أهل الصنعة ومن يتعلقون به.

ويبقى القول بأن الحذف للدلالة ما قبله على المذوف، وتفتضيه حساسية معنوية مرهفة، بالغة الدقة في اللطف والإيناس، هي تحاشي خطابه تعالى لحببي المصطفى في مقام الإيناس: ما قلاك؛ لما في القلى من الطرد والإبعاد وشدة البغض، أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك، بل لعل الحس اللغوي فيه قد يؤذن بالفرق على كره، مع رجاء العودة واللقاء...". (بنت الشاطئ، 1977م، ج 1، ص 35).

د- فاصلة **﴿الأولى﴾ (4)**، وهنا كان العدول إلى **﴿الأولى﴾** عن مرادفات أخرى مثل **﴾الدنيا﴾**، فما السر في هذا العدول؟.

إن العدول إلى التعبير بـ **﴿الأولى﴾**، يرجح تفسيرا آخر لقوله: **﴿وللآخرة﴾**، التي تحتمل أن تكون آخر أمر الإسلام، وليس الدار الآخرة التي هي يوم القيمة.

معنى أن يكون آخر أمر الرسالة خيرا من أوله، نصرا وفتحا وسيادة، وهو ما احتمله ابن عطية (ت 542 هـ) حيث قال: "... ويحتمل أن يريد حالته في الدنيا قبل نزول السورة وبعدها، فوعده الله تعالى على هذا التأويل بالنصر والظهور...". (ابن عطية، 1422هـ، ج 5، ص 493، 494).

وقد فسر الألوسي (ت 1270 هـ) رأي ابن عطية (ت 542 هـ)، فقال: "وقال ابن عطية وجماعة: يحتمل أن يراد بهما نهاية أمره ﷺ وببدايته، فاللام فيهما للعهد، أو عوضٍ عن المضاف إليه، أي: أَنْهَايَةُ أَمْرِكَ خَيْرٌ مِنْ بِدَائِتِهِ، لَا تَرَالْ تَزَايِدُ قُوَّةً وَتَضَاعِدُ رَفْعَةً...". (الألوسي، 1415هـ، ج 15، ص 377). وعلى هذا كان العدول إلى قوله: **﴿الأولى﴾** أنساب من أن يعبر بالقول: **﴾الدنيا﴾**.

هـ-فواصل **﴿فَاؤَي﴾ (6)، فَهَدَى﴾ (7)، فَأَغْنَى﴾ (8)**، وفيها عدل سبعانه إلى حذف المفعول به، وهو الكاف، وقد تبين في فاصلة (قلى) تكرير الله لنبيه ﷺ بحذف الكاف؛ لأن القلى يكون بين المتباغضين، أما في هذه الفواصل، فإن ذكر المفعول مقبول مع الأفعال (**آوى، هدى، أغنى**)، ومع ذلك فقد عدل إلى حذف الضمير!.

والمتأمل لمعاني هذه الآيات يلمس أن حذف الكاف قد أفاد العموم، أي أن الإيواء، والمداية، والإغماء، كان للرسول ﷺ وللمسلمين، أو أنها مجتمعة كانت للرسول ﷺ وللناس كافة، وفي ذلك تقول عائشة بنت الشاطئ (ت 1419هـ): "وفي حذف كاف الخطابِ مِنْ **﴿فَاؤَي﴾، فَهَدَى﴾، فَأَغْنَى﴾**، قال مُعْسِرُون بالحذف لرعايَةِ المَوَالِ، وهو ما لا تَرَى البَيَانُ العَالِي يَتَعَلَّقُ بِهِ، وَأَوْلَى مِنْهُ: قولُ مَنْ قَالُوا بالحذف لدلالَةِ صَرِيحِ السَّيَاقِ عَلَى الْمَخَاطَبِ، وَتُنْسَيِفُ إِلَيْهَا فَائِدَةَ الْإِطْلَاقِ، فَتَحْتَمِلُ: **فَاؤَكَ وَآوَى** بِرِسَالَتِكَ الْيَتَامَى وَالْمُسْتَضْعَفِينَ، فَهَدَاكَ وَهَدَى بِكَ أَمْتَكَ، فَأَغْنَاكَ وَأَغْنَاهَا بِكَ". (بنت الشاطئ، 1977م، ج 1، ص 51).

ثم إن هذه الآيات، وإن كانت موجهة للرسول ﷺ فقط، فإنها أيضاً تفيد العموم، وفي ذلك قال ابن القيم (ت 751هـ): "وهذا يُعْطِي مَا يُعْطِي مِنَ الْقُرْآنِ، وَالْهُدَى، وَالتَّصْرِ، وَكُشْرَةُ الْأَثْبَاعِ، وَرُغْبَةُ ذِكْرِهِ، وَإِغْلَاءُ كَلِمَتِهِ، وَمَا يُعْطِي بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَمَا يُعْطِي فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ، وَمَا يُعْطِي فِي الْجَنَّةِ" (ابن القيم، ج 1، ص 73).

و- فاصلة ﴿فَحَدَّثُ﴾ (11)، وهنا كان العدول إلى قوله: ﴿فَحَدَّثُ﴾، دون غيرها من المرادفات، لا سيما فخبر التي تناسب الفاصلتين اللتين قبلها وهما: ﴿تَقْهِرُ، تَنْهَرُ﴾.

لا مبالغة في القول: إن العدول إلى قوله: ﴿فَحَدَّثُ﴾، دليل على أن الأسلوب القرآني لا يراعي اللفظ على حساب المعنى، حيث إنه هنا لم يراع الفاصلتين: ﴿تَقْهِرُ، تَنْهَرُ﴾، خاصة إذا أضفنا دليل حذف الكاف من فاصلة: ﴿قَلَى﴾ الذي سبق ذكره.

ومن هنا يمكن القول: إن في العدول إلى قوله: ﴿فَحَدَّثُ﴾ فيه تحديد للأسلوب الذي تعودته العرب، سواء في الشعر ومراعاة القوافي، أم في النثر ومراعاة فاصلة السجع؛ وعليه فقد جاءت هذه الفاصلة بمقدمة للتعبير العربي شرعاً ونشرأ.

هذا من جهة الشكل، ولو أنعم المتأمل البصيرة في المعنى، لآنس الفرق بين معنى الإخبار، ومعنى التحدث، فالإخبار يكون مرة واحدة، والتحدث يكون صاحبه مداوماً على تكرار الخبر؛ وبذلك يكون التعبير بقوله: ﴿فَحَدَّثُ﴾ (11)، هو الأبلغ. وفي هذا قال الألوسي (ت 1270هـ): "وَآتَرَ سَبْحَانَهُ فَحَدَّثُ عَلَى فَحَبَّرٍ، قَلِيلٌ: لِيَكُونَ ذِكْرُ النَّعْمَةِ مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَدِيثًا لَا يَنْسَاهُ، وَيَوْجَدُهُ سَاعَةً غَيْبٍ سَاعَةً". (الألوسي، 1415هـ، ج 15، ص 384).

2 العدول في الألفاظ: تبين في المطلب السابق كيف أن العدول إلى الفواصل كان لغايات وأسرار بلاغية، وفي هذا المطلب يمكن الوقوف على بعض الألفاظ التي لم تكن في موضع الفاصلة، ومنها:

أ_ العدول إلى لفظ : ﴿وَدَعَكَ﴾، حيث عدل سبحانه عن ألفاظ أخرى فلم يقل: (ما تركك، أو ما خلأك).

جاء في لسان العرب أن الترك هو التخلية، وخلّي الأمر، وتخلّى منه وعنده: تركه، وقولهم: أنا خلّي منك، أي: بريء منك. (ابن منظور، مادة ترك، خلا)، وأما التوديع فيكون في الخفاض والدعة معا. (ابن منظور، مادة ودع).

وبالبحث في الفرق بين المعانى الدقيقة لهذه المترادفات، جاء تعريف أبي هلال العسكري (ت 395هـ) لمعنى الترك، حيث قال: "وَالْتَّرْكُ عِنْدُ الْعَرَبِ: تَخْلِيفُ الشَّيْءِ فِي الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، وَالْاِنْصَارَافُ عَنْهُ عَنْ عَمَدٍ؛ وَلِمَا يَسْمُونَ بِيَضْنَةِ النَّعَامَةِ إِذَا خَرَجَ فَرَحْخَهَا تَرِيكَةً؛ لِأَنَّ النَّعَامَةَ تَنْصَرِفُ عَنْهَا". (ال العسكري، ج 1412هـ، ص 124).

وهنا يتضح أن معنى الترك هو الانصراف عنه دون الرجوع إليه، كما قالوا في يبضة النعامة: ترِيكَة، وفي الفرق بين الترك والتخلية قال العسكري (ت 395هـ): "الفرق بين الترك والتخلية: أن الترك هو ما ذكرنا، والتخلية للشيء: نفيضُ التوكيل به، يقال: خلاه، إذا أزال التوكيل عنه، كأنه جعله حاليا لا أحد معه، ثم صارت التخلية عند المتكلمين ترك الامر بالشيء، والرغبة فيه، والنهي عن خلافه...". (ال العسكري، ج 1412هـ، ص 123).

وهنا يتضح أن معنى التخلية هو التخلّي عن الشيء، وإزالة التوكيل عنه؛ ليكون حاليا ليس معه أحد، ولا ريب أن هذه المعانى لا تراعي مناسبة السورة، ومن ثم عدل الله سبحانه في خطاب حبيبه ﷺ إلى ﴿وَدَعَكَ﴾، وأكرمه بذكر الضمير وهو الكاف، وقد ألمح شهاب الدين الألوسي (ت 1270هـ) إلى نكتة العدول إلى التعبير بودعك حيث قال: "قيل: إن المعنى ما قطعك قطع المودع، على أن التوديع مستعارة تبعية للترك، وفيه من اللطف والتعظيم ما لا يخفى، فإن الوداع إنما يكون بين الأحباب ومن تعز مفارقتهم، ... ولئما كان المقصود إيناسه ﷺ، وإزالة وحشنته عليه الصلاة والسلام، جيء بما يتضمن نفي ما زعموه على أبلغ وجه، كأنه قيل: إن هذا النوع غير المخل بمقامك من الترك، لم يكن فضلا عمما زعموه من الترك المخل بعزيز مقامك". (الألوسي، ج 1415هـ، ص 15، 374، 375).

ولعل اهتمام الألوسي (ت 1270هـ) بمناسبة نزول السورة، جعله أكثر دقة وبيانا في بيان بلاغة العدول إلى التعبير بودعك.

ثم إن التوديع يكون معه رجاء العودة، قالت بنت الشاطئ (ت 1419هـ): "... وأما التوديع فلا شيء فيه من ذلك، بل لعل الحس اللغوي فيه يؤذن بأنه لا يكون وداع إلا بين الأحباب، كما لا يكون توديع إلا مع رجاء العودة وأمل البقاء ...". (بنت الشاطئ، ص 268).

بــالعدول إلى لفظ ﴿ربك﴾: وكان ذلك في ثلات مناسبات، الأولى في بداية السورة في الآية الثالثة، والثانية في وسط السورة في الآية الخامسة، والثالثة في آخر السورة في الآية الأخيرة، وكأنه يريد أن يذكره من حين لآخر بأنه ربه الذي لن يتخلى عنه؛ لذلك عدل إلى لفظ: ﴿ربك﴾ دون غيره من أسمائه أو صفاته سبحانه وتعالى، أضف إلى ذلك ما يدل عليه لفظ الرب، من الروبية والتربية، خاصة وأن السورة تحدثت عن كفالة الله لحبيبه المصطفى ﷺ في يتمه، وإيوائه، ورعايته، وإنائه بعد فقر، وتلك النعم منوطة بالمربي الذي يحنو ويهتم على من يربيهم.

جــالعدول إلى تكرار (الكاف)، وذلك في مرات عدّة، في قوله: (ودعك، ربك، لك، يعطيك، ربك، يجدك، وووحدك، ربك)، والملحوظ أن الكاف العائدة على الرسول ﷺ متصلة بأفعال تدل على رعاية الله لنبيه مثل: (ودعك، يعطيك، يجدك، وحدك)، وقد تبين سبب حذف الكاف من ﴿ قل﴾ التي لا تناسب رعاية الله لنبيه ﷺ، كما يلاحظ أن الكاف اتصلت باسم وحيد تكرر ثلاث مرات وهو: ﴿ربك﴾، الذي يحمل دلالات حانية تم التبيه على بعضها في الفقرة السابقة.

وليس من النافلة التبيه على أن التعبير بكاف المحاطب، والعدول عن ضمير الغائب يعزز من إيقاع السورة بعرضها الأساس، وهو مواساة الرسول ﷺ، وطمأنته والحنو عليه ﷺ.

دــالعدول إلى لفظ: (السائل)، حيث عدل عن التعبير بلفاظ مرادفة مثل: (المحتاج، أو العائل)، لا سيما وأنه عبر قبلها بقوله: ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَعْنَى (8)﴾، والظاهر أنه لم يُرد بلفظ السائل الذي يسأل الناس الطعام أو المال؛ إذ يحتمل بقوعه أن يراد به أي سائل، سواء فقيرا جاء يسأل الغنى، أم ضالاً يسأل المهدى، أم جاهلاً يسأل العلم، وبهذا قال جمع من المفسرين، (ينظر بنت الشاطئ، ص 268)، وبهذا يؤدي العدول إلى لفظ السائل ما لا تؤديه لفاظ أخرى مرادفة كالعائل أو المحتاج، كما أن لفظ السائل يفيد في الوقف على بلاغة ترتيب الأسلوب في النص القرآني، من خلال الوقف على العدول في الأسلوب.

3 العدول في الأسلوب: تبيّن في المطلب السابق كيف تنوّع العدول في أمور عدّة، منها الحذف والذكر، كحذف الكاف من قلي، وذكره في ﴿ وَدَعَكَ﴾، ومنها التكرار كتكرار كاف المحاطب تسعة مرات، والعدول في الأسلوب كثير جداً، منه على سبيل المثال لا الحصر:

أ-العدول في الترتيب: ومن الترتيب التقديم والتأخير، فتقسم الضحى الذي هو إشراقة الوحي، على الليل الذي هو اقطاعه، كان أكثر مناسبة؛ لأن مواساة المهموم تستوجب تقديم الأمور المفرحة على الحزنة، وفي ذلك قال شهاب الدين الألوسي (ت 1270 هـ): "وتقديم الضحى على الليل بناء على ما قلنا أولاً لرعاية شرفه، لما فيه من ظهور زيادة النور، وللنور شرف ذاتي على الظلمة؛ لكونه وجودياً أو لكثرة منافعه؛ أو لمناسبة عالم الملائكة، فإنها نورانية، وتقديم الليل في السورة السابقة؛ لـما فيه من الظلمة التي هي لعدميتها أصل للنور الحادث بإزالتها؛ لأسباب حادثة وقيل تقديمها هناك؛ لأن السورة في أبي بكر وهو قد سبقه كفر، وتقسم الضحى هنا؛ لأن السورة في رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو لم يسبقه ذلك" (الألوسي، 1415هـ، ج 15، ص 373).

ومن العدول في الترتيب، مناسبة ترتيب الآيات وتنسيقها على هذا النحو:

(8) **أَمْ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَأَوِي (6)** وَوَجَدَكَ ضَالًا فَهَدَى (7) **فَأَعْنَى**
فَأَمَا الْيَتَيمَ فَلَا تَفْهَرْ (9) **وَأَمَا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10)** **وَأَمَا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدَّثْ (11)**

فبعد أن ذكر الله تعالى نبيه بنعمه، أخذ يوصيه بما يجب عليه تجاه من يفتقد تلك النعم، فبدأ بالtosohiya على الإحسان لليتيم في الآية التاسعة؛ التي تناسب نعمة إيواء اليتيم المذكورة في الآية السادسة، ثم أوصاه بالإحسان للسائل في الآية العاشرة، التي تناسب نعمة المداية المذكورة في الآية السابعة، ثم أوصاه بشكر النعم المختلفة التي أسبغها الله تعالى عليه؛ التي تناسب نعمة الإغاثة التي أنعم الله عليه بها.

ومثل هذا الترتيب يمكن توضيحه على هذا النحو:

(9) أَمْ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَأَوِي	=	(6) فَأَمَا الْيَتَيمَ فَلَا تَفْهَرْ
(10) وَوَجَدَكَ ضَالًا فَهَدَى	=	(7) وَأَمَا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ
(11) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَعْنَى	=	(8) وَأَمَا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدَّثْ

ومن فوائد هذا الترتيب أنه يساعد بشكل كبير في الوقوف على معنى كلمة السائل، حيث يظهر من خلال هذا الترتيب أن المراد بها ليس العائل المحتاج الفقير، وإنما سائل العلم والمداية من الضاللة، ومن ثم فإن الله تعالى يعلم نبيه ﷺ كيف تكون المعاملة تجاه من يسأل المداية، فلا تكون مثلا كما كانت مع عبد الله بن أم مكتوم، وقصته المشهورة التي كانت سبب نزول قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّ﴾ (1) **أَنْ حَاءَةُ الْأَعْمَى (2)** **وَمَا يُدْرِيكَ لَعْلَهُ يَزَّكِي (3)** **أَوْ يَذَّكَرُ فَتَنَفَّعَهُ الدَّكْرُ (4)** **أَمَا مَنْ اسْتَعْنَى (5)**

فَأَنْتَ لَهُ تَصَدِّي (6) وَمَا عَيْنِكَ أَلَا يَرَكِي (7) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (8) وَهُوَ يَخْشَى (9) فَأَنْتَ عَنْهُ ثَلَمَّي (10).

بــالعدول بين الخبر والإنشاء: تبدأ السورة بالعدول إلى الأسلوب الإنسائي في الآياتين الأولى والثانية، من خلال القسم: ﴿ والضُّحَى (1) واللَّيل إِذَا سَجَى (2) ﴾، ثم العدول إلى الأسلوب الخبري، كنتيجة طبيعية بحوار القسم: ﴿ مَا وَدَعْكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3) وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَضِي (5) ﴾، ثم العدول إلى الأسلوب الإنساني مرة أخرى، من خلال الاستفهام في قوله: ﴿ أَمْ يَجِدُكَ يَتِيمًا فَأَوْي؟ (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى؟ (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى؟ (8) ﴾ ثم من خلال النهي في قوله: ﴿ فَأَقْمَأَ الْيَتَيمَ فَلَا تَقْهِرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ (10) ﴾ ثم من خلال الأمر في قوله: ﴿ وَأَمَّا يَنْعَمُهُ رَبُّكَ فَحَدِّثْ (11) ﴾. فما قيمة كل هذا العدول؟.

أولاً: الخبر وأغراضه: كان الخبر الأول ابتدائياً، حيث جاء الخبر في قوله: ﴿ مَا وَدَعْكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3) ﴾ دون مؤكدات، وفيه دلالة على أن المخاطب – وهو الرسول ﷺ – كان خالي الذهن من هذا الحكم، ثم كان الخبر الثاني طليباً، حيث أكدده مؤكد واحد هو لام الابتداء، وذلك في قوله: ﴿ وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4) ﴾، وفيه دلالة على أن المخاطب متعدد تجاه هذا الحكم، ثم كان الخبر الثالث إنكارياً حيث جاء مؤكدًا بمؤكدتين اثنين، هما: (لام الابتداء، سوف) ، في قوله: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَضِي (5) ﴾، وفيه دلالة على أن المخاطب منكر لهذا الخبر.

هذا ما يحدّث به ظاهر أضرب الخبر كما تنص كتب البلاغة، لكنها تنص أيضاً على أن الخبر قد يخرج عن مقتضى ظاهره، ومنه إنزال المخاطب منزلة المتعدد أو المنكر، وإن لم يكن منكراً أو متعددًا. (عتيق، ص 49، ص 57 – ص 60).

والمتأمل في درجات تأكيد الخبر يلاحظُ بيسراً أن الخطاب الموجه للرسول ﷺ خاصة جاء دون تأكيد، ويسمى هذا الخبر ابتدائياً، يقبلُ المخاطب ويستفيده العلَمُ به، ثم جاء الخبر الثاني مؤكدًا بمؤكد واحد؛ ليفيد أن القادر أفضل للرسول ﷺ وال المسلمين، وأن العاقبة لهم على الكافرين، ومن ثم عدل سبحانه وتعالى إلى تأكيد هذا الخبر؛ لطمأنة المتزددين من الصحابة، ثم جاء الخبر الثالث مؤكدًا بمؤكدتين اثنين؛ للدلالة على أن الخطاب ليس موجهاً للرسول ﷺ وال المسلمين فحسب، بل والمشركين أيضاً؛ لأنهم بعد

شماتتهم باحتباس الوحي، نزلت السورة حانية وادعة على الرسول ﷺ وال المسلمين، قاسية محطة للكفار والمشركين الذين كانوا من ضمن المحاطبين بأن الله تعالى سينصر دينه وسيعطي نبيه حتى يرضي.

ثانياً: الإنشاء وأغراضه: عدل سبحانه إلى الأسلوب الإنسائي في ثمان آيات من السورة هي الآية الأولى، والثانية، وال السادسة، والسابعة، والثامنة، ونهاية كل من الآية التاسعة، والعشرة، والحادية عشرة، وكلها كانت من نوع الإنشاء الطلبـي، عدا الآيتين الأولى والثانية، فقد كانتا من نوع الإنشاء غير الـطـلـبـي؛ ولا شك أن العدول عن التكثير من الإنشاء غير الـطـلـبـي أمر مقبول؛ وذلك لقلة الأغراض البلاغـية التي تتعلق بهـ، ولأن أكثر أنواعـهـ في أصلـهاـ أحـبـارـ نـقـلـتـ لـعـنىـ الإـنـشـاءـ. (يـنـظـرـ عـتـيقـ، صـ 70ـ).

1-أسلوب القسم: عـدـلـ إـلـيـهـ فيـ قـوـلـهـ: ﴿ وـالـضـحـىـ (1) وـالـلـيـلـ إـذـاـ سـجـىـ (2) ﴾، والـقـسـمـ إـنـشـاءـ غـيرـ طـلـبـيـ، وـهـوـ مـاـ لـاـ يـسـتـدـعـيـ مـطـلـبـاـ، وـقـدـ تـقـدـمـ عـرـضـ فـائـدـةـ الـعـدـولـ بـالـضـحـىـ الـذـيـ يـعـنيـ إـشـرـاقـ نـزـولـ الـوـحـيـ، وـالـلـيـلـ الـذـيـ يـعـنيـ اـحـتـبـاسـ الـوـحـيـ. وـإـنـ كـانـ إـنـشـاءـ غـيرـ طـلـبـيـ قـلـيلـ الـأـغـرـاضـ الـبـلـاغـيـةـ، إـلـاـ أـنـ لـهـ فـوـائـدـ مـعـنـوـيـةـ، فـمـنـ فـوـائـدـهـ: " أـنـ يـتـحـقـقـ وـجـودـ مـعـناـهـ فـيـ الـوقـتـ الـذـيـ يـتـحـقـقـ فـيـ وـجـودـ لـفـظـهـ، أـيـ فـيـ الـوقـتـ الـذـيـ يـتـمـ التـلـفـظـ بـهـ " (عـتـيقـ، صـ 70ـ).

وـبـمـنـاـ يـمـكـنـ الـاسـتـدـلـالـ عـلـىـ أـنـ الضـحـىـ هـوـ إـشـرـاقـ نـزـولـ الـوـحـيـ، فـقـدـ أـقـسـمـ اللـهـ سـبـحـانـهـ بـالـضـحـىـ وـهـيـ؛ـ لـيـتـحـقـقـ وـجـودـ الـمـعـنـىـ مـعـ وـجـودـ الـلـفـظـ، وـكـذـلـكـ بـالـنـسـبـةـ لـلـلـيـلـ اـحـتـبـاسـ الـوـحـيـ، فـقـدـ وـافـقـتـ نـهاـيـةـ الـاحـتـبـاسـ بـدـاـيـةـ الـقـسـمـ، الـذـيـ بـهـ اـنـتـهـىـ لـيـلـ إـبـطـاءـ الـوـحـيـ.

2-أسلوب الاستفهام: وقد عـدـلـ إـلـيـهـ فيـ قـوـلـهـ: ﴿ أـمـ يـعـذـكـ يـتـيـمـاـ فـآـوـيـ؟ (6) وـوـجـدـكـ ضـالـاـ فـهـدـىـ؟ (7) وـوـجـدـكـ عـائـلاـ فـأـعـنـىـ؟ (8) ﴾، وـهـوـ اـسـتـفـهـاـمـ تـقـرـيـرـيـ عـدـلـ إـلـيـهـ الـبـارـئـ جـلـ وـعـلـاـ؛ـ لـلـدـلـالـةـ عـلـىـ أـنـ حـبـيـهـ الـمـصـطـفـيـ ﷺ مـقـرـرـ مـعـرـفـ غـيرـ مـنـكـ لـعـمـ اللـهـ عـلـيـهـ، وـفـائـدـهـ هـذـاـ التـقـرـيـرـ هـوـ " حـمـلـ الـمـخـاطـبـ عـلـىـ إـلـقـارـ بـمـاـ يـعـرـفـ إـثـبـاتـاـ وـنـفـيـاـ؛ـ لـغـرـضـ مـنـ الـأـغـرـاضـ " (عـتـيقـ، صـ 90ـ) ،ـ وـالـغـرـضـ مـنـهـ فـيـ هـذـهـ الـآـيـةـ تـطـمـيـنـ الـحـبـيـبـ الـمـصـطـفـيـ ﷺ بـأـنـ رـبـهـ الـذـيـ آـوـاهـ، وـهـدـاهـ، وـأـغـنـاهـ لـنـ يـتـخلـلـ عـنـهـ.

3-أسلوب التهـيـ: وـعـدـلـ إـلـيـهـ فيـ قـوـلـهـ: ﴿ فـلـاـ تـقـهـرـ (9) فـلـاـ تـنـهـرـ (10) ﴾،ـ وـالـنـهـيـ فـيـ حـقـيـقـتـهـ " طـلـبـ الـكـفـ عـنـ الـفـعـلـ، أـوـ الـامـتـنـاعـ عـنـهـ عـلـىـ وـجـهـ الـاسـتـعـلـاءـ وـالـإـلـزـامـ "،ـ (عـتـيقـ، صـ 79ـ)،ـ وـلـاـ رـيبـ أـنـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ الـحـقـيـقـيـ لـلـنـهـيـ لـاـ يـنـاسـبـ سـيـاقـ الـسـوـرـةـ وـلـاـ مـنـاسـبـ نـزـولـهـ؛ـ لـذـاـ عـدـلـ بـهـ هـنـاـ مـنـ خـالـلـ الـسـيـاقـ –ـ إـلـىـ الـخـرـوجـ بـهـ عـنـ مـعـنـاهـ الـحـقـيـقـيـ؛ـ لـيـكـونـ الـغـرـضـ الـمـعـنـوـيـ وـالـبـلـاغـيـ مـنـهـ فـيـ هـاتـيـنـ الـآـيـتـيـنـ

هو النصح والإرشاد، فبعد أن أسبغ رب العزة على حبيبه المصطفى ﷺ كل هذه النعم، أرشيده من خلال النهي إلى كيفية معاملة اليتيم والسائل.

4- أسلوب الأمر: وعدل إليه في قوله: ﴿فَحَدَّثْ (11)﴾. وهو في حقيقته "طلب الفعل على وجه الاستعاء والإلزام"، (عتيق، ص 71)، غير أنه هنا خرج عن هذا المعنى المُحِقِّقي؛ لاحتماله أغراضًا أخرى منها: النصح والإرشاد، ومنها الندب، وعليه اختلف المفسرون في الغرض من الأمر هنا، هل هو على الوجوب، أم على الندب؟. (ينظر الألوسي، 1415هـ، ج 15، ص 383، وابن عادل، 1419هـ، ج 20، ص 394، وابن عطية، 1422هـ، ج 5، ص 495، والقرطبي، 1384هـ، ج 20، ص 102).

وقد لخص الطاھر بن عاشور (ت 1393هـ) الخلاف بقوله: " ومنها ما يدخل التحدیث به في واجب الشکر على النعمة، فهذا وجوبه على النبي ﷺ حاصل من عروض المعارض؛ لأن النبي ﷺ معصوم من عروض الرياء، ولا يظن الناس به ذلك فوجوبه عليه ثابت، وأما الأمة فقد يكون التحدیث بالنعمه منهم محفوفاً برياء أو فناخراً". (ابن عاشور، ج 30، ص 404).

هكذا كان العدول إلى الإنشاء بين طليي وغير طليي يفيد معانٍ متعددة، من خلال أربعة أنواع من أساليب الإنشاء في هذه السورة القصيرة، فمن فائدة تقرير تحقق النصر والفتح من خلال القسم، إلى غرض الإقرار بالنعم من خلال الاستفهام، إلى هدف النصح وإرشاد عن طريق النهي، ثم إلى إفاده وجوب شكر كل تلك النعم التي أسبغها الله سبحانه على حبيبه المصطفى ﷺ خاصة، وعلى المسلمين عامه.

والخلاصة:

- كلما تعاهد المرء النص القرآني بالدرس والبحث والتأمل، تكشفت له أسرار، وظهرت أمامه لطائف بلاغية وفوائد، ولا أدل على ذلك ما تنسى الوقوف عليه من بلاغة أسلوب العدول في هذه السورة القصيرة.
- معرفة العرب القدامى لأسلوب العدول الذي أحذ تسميات حديثة عدّة منها: الانحراف، الانزياح، الانتهاء.

- التأكيد على ما ذهب إليه بعض القدامى والمخذلين من أن أسلوب العدول هو أسلوب دقيق، يحتاج صاحبه ملكة خاصة، ومهارة عالية؛ ليكون عدوله من مفردة إلى أخرى، أو من أسلوب إلى آخر، بياناً وتحسيناً.
- تعددت أدوات العدول وأساليبه في سورة الضحى، سواء في اللفظة المفردة، أم في فوائل الآي، أم في الأسلوب، أم في الجملة، فكان العدول للذكر مثلاً مناسباً في مواضع، كذكر الكاف في قوله: ﴿ وَدَعْلَكَ ﴾، بينما كان العدول إلى الحذف – وهو نقيضه – هو الأنسب في مواضع أخرى، كحذف الكاف من ﴿ قَلَى ﴾.
- إن معالجة النص القرآني بالتحليل والتأويل – من خلال سورة الضحى – تحتاج من الباحث والدارس أن يضع بعين الاعتبار مناسبة السورة وسياقها؛ لأن ذلك يساعد على كشف بعض الرموز والمصطلحات التي لا يفيد التفسير وحده للوقوف على المراد منها، وإنما تحتاج تأويلاً كما هي الحال في تأويل كلمة (الضحى) بإشراقة الوحي من جديد بعد احتجاسه مدة؛ لذلك كانت توجيهات شهاب الدين الألوسي (ت 1270 هـ)، وتأويلاً له لطيفة في مواضع عدّة.
- كان الغرض الأساس من السورة هو الحنّ على الحبيب المصطفى ﷺ، وتطمينه، وكان نزولها نصراً لدينه وتبليطاً للمشركين الذين ظنوا أن الوحي انقطع إلى غير رجعة؛ لذلك كانت كلماتها وأساليبها تتراوح بين الحنّ والإيناس للرسول ﷺ والمسلمين، وبين التفريع والتبييط للكفار والمشركين.
- ما زال النص القرآني، ويقى، حقلًا خصباً للبحث والدراسة، فهو معجزة زمانه وكل زمان، تغري الباحثَ أَعْوَارِهِ، وتدھشُهُ أَسْرَاؤُهِ، ومثل سورة الضحى كشفت بعض تلك الأسرار، منها استعمال الرمز الذي يشرحه السياق، كالرمز بالليل إلى احتجاس الوحي وإبطائه، والإشارة بالسائل لطالب العلم.

المصادر والمراجع

المصدر: القرآن الكريم.

المراجع:

- 1- ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، بلا طبعة ، بلا تاريخ.
- 2- الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثان، تحقيق علي عبد البارئ عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هجرية.
- 3- بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعرف، القاهرة، الطبعة الثالثة، بلا تاريخ.
- 4- بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعرف، مصر، الطبعة السابعة، 1977 ميلادية.
- 5- الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى ، 1405 هجرية.
- 6- الحسناوي، محمد، الفاصلة القرآنية، دار عمار، الأردن، الطبعة الثانية، 1412 هجرية، 2004 ميلادية.
- 7- الدارقطني، علي بن عمر، سنن الدارقطني، تحقيق عبد الله هاشم المد니، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ، 1386هـ، 1966م.
- 8- الزمخشري، جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 هجرية.
- 9- ابن سلام، الجمحى، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدى، جدة، الطبعة الأولى ، بلا تاريخ.
- 10- السيوطي. جلال الدين. أسباب النزول. مراجعة محمد تامر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2004 ميلادية.
- 11- ابن عاشور، الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، بلا طبعة، 1984 ميلادية.

- 12- ابن عادل، أبو حفص، تفسير اللباب، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا طبعة، بلا تاريخ.
- 13- عبد المطلب، محمد، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الشركة المصرية العالمية للنشر لوبخمان، القاهرة، الطبعة الأولى، 1994 ميلادية.
- 14- عتيق، عبد العزيز، في البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، بلا تاريخ.
- 15- العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري على شرح صحيح البخاري، ترقيم وتوسيب محمد فؤاد عبد الباقي، تصحيح محب الدين الخطيب، تعليق عبد العزيز بن باز، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، 1379 هجرية.
- 16- العسكري، أبو هلال، معجم الفروق اللغوية، تحقيق بيت الله بيات، مؤسسة التشرد الإسلامي، قُمُّ، الطبعة الأولى، 1412 هجرية.
- 17- ابن عطية، عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1422 هجرية.
- 18- القرطي، شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني، إبراهيم إطفيفش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384 هجرية.
- 19- ابن القيم. الجوزية، التبيان في أقسام القرآن، تحقيق محمد الفقي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، بلا تاريخ.
- 20- ابن منظور، محمد، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ، بلا تاريخ.

مؤتمر سرت 1922-1-21م

د. الصادق محمد السنوسي

كلية العلوم الاجتماعية العروبة

المقدمة

يعتبر مؤتمر سرت من المؤتمرات الوطنية المهمة التي حاول الداعين إليه تقريب وجهات النظر بين الأئحة ، وإنماء حالة الانقسام ، بسبب الحروب الأهلية ، والفنن الداخلية ، بين المناطق الليبية في تلك الفترة. وإزاحة حالة الجمود والوهن الذي أصاب حركة الجهاد الوطني بسبب التدخلات الإيطالية ، وتوحيد الحركة الوطنية تحت زعامة رجل وطني.

وقد جاء هذا المؤتمر نتيجة للخلاف الذي بدأت بوادره مابين زعماء الحركة السنوسية في شرق ليبيا وبعض قادة الجهاد في غربها بسبب الغائم التي حصل عليها المجاهدون من الإيطاليين عقب معركة القرضاية 1915م، حيث قدم عدد من ممثلي الحركة السنوسية وعلى رأسهم صفي الدين السنوسي وأحمد التواتي إلى أعيان مصراتهة وبني وليد وترهونة يطلبون منهم أن يسلم لهم زعيم مصراتهة رمضان السويحلي جميع الغنائم التي حصل عليها من الإيطاليين بعد انسحابهم من مدينة مصراتهة في 5 أغسطس عام 1915م، كما فعلوا مع عبد النبي بالخير عندما جمعوا ما تركه الطليان في بني وليد من غنائم وأموال، فذهب الأخير إلى صفي الدين الذي تصادف وجوده في مصراتهة ليشكوا له ما فعله معه أحمد التواتي وأحمد سيف النصر مندوبياه في بني وليد وترهونة ، ولكن رجع خالي الوفاض، ولم يستجب لطلبه .

ومن الأمور التي زادت الهوة بين المنطقتين محاولة عامل الحركة السنوسية صفي الدين السنوسي جباية الضرائب من الأفراد في بعض المناطق الغربية وأحقية تسليمها لمندوبيهم، إضافة لجمع زكاة الأموال من المكلفين بها ، دون النظر إلى حالة الفقراء والأسر التي قدمت الدعم للمجاهدين ضد الإيطاليين فقدت من كان يعولها، وقد تركت هذه الفتنة أثارها في النفوس بين الطرابلسيين والبرقاوين.

كما أدى تأزم الأوضاع السياسية في منطقتى طرابلس وبرقة بسبب الضغوط الإيطالية على الزعماء في الإقليمين إلى حالة من الإرباك والفوضى السياسية في البلاد، ففي إقليم طرابلس لم يتوصل الزعماء الطرابلسيون إلى أي تسوية مباشرة مع الإيطاليين ، وفي برقة أصرت السلطات الإيطالية على الأمير محمد

إدريس السنوسي بضوره إغلاق معسكرات المجاهدين تنفيذاً للاتفاقيات التي عقدت معه (عكرمة والرجمة) ، وهو ما رفضه قادة القبائل ووضع الأمير محمد إدريس السنوسي في موقف يحسد عليه.

وتأتي أهمية دراسة مؤتمر سرت باعتباره أحد المؤتمرات الوطنية المهمة التي جاءت لتحقيق المصالحة الوطنية ، ومحاولة من الداعين إليه توحيد الجهود القتالية في البلاد بعد حدوث العديد من الإنقسامات فيما بينهم ، وتدخل الفتن بين رؤساء القبائل ، وتوسيع الخلافات في محاولة من الاحتلال لشل وإضعاف حركة المقاومة الوطنية ضده.

ومن الأسباب التي أدت إلى اختيار هذا الموضوع (مؤتمر سرت) أنه نموذج للمؤتمرات الوطنية التي تعكس مدى المعاناة والصعوبات التي كان يعانيها الليبيون من حرا الاحتلال الإيطالي ، ومحاولة قادة الجهاد وزعماء القبائل الليبية إيجاد الحلول الكفيلة لتوحيد صفوفهم وقدراتهم لتجيئها نحو هدفهم الأساسي ألا وهو مقاومة الاحتلال، وتوحيد القيادة في شخص وطني ، ومن الأسباب أيضاً معرفة ما مدى تأثير هذا المؤتمر على حركة الجهاد الليبي ضد الاحتلال الإيطالي ، وعلى الحالة السياسية في البلاد.

كما يمكن من خلال هذا البحث التعرف على أهم المؤتمرات التي سبقت مؤتمر سرت كمؤتمر العزيزية و مسلاطه وغريان ، وما هي الأسباب التي أدت إلى انعقادها ، وما أهم الشخصيات التي حضرتها ، وما موقف إيطاليا منها ، وما هي النتائج التي ترتبت عليها وعلى حركة المقاومة الليبية؟.

أولاً- لمحة عن الأوضاع السياسية في ليبيا قبل انعقاد المؤتمر:-

بعد أن استكملت إيطاليا وحدتها في عام 1870م ، بدأت أطماعها الاستعمارية القديمة في ليبيا بالتزامن ، وقد غدا هذا الاتجاه تنامي الروح القومية عند الإيطاليين إضافة إلى المشاكل الاقتصادية الداخلية التي كانت تعانيها إيطاليا ، والتي من بينها تفشي البطالة وزيادة عدد السكان ، كما أن التوسع الاستعماري كان سيمثل رمزاً للقوة والعظمة آداً أرادت إيطاليا أن تلعب دوراً رئيسياً في السياسية الأوروبية التي كانت تنتهي بـ مبدأ التوسيع والتنافس فيما بينها في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي.

ولأجل ذلك حاولت إيطاليا أن تقوم بأولى محاولاتها التوسعية في شرق أفريقيا، إلا أن هزيمتها في معركة (عدوة) عام 1896م بالحبشة وضع حدًّا لتلك المغامرة ، فلم يكن أمامها سوى ولاية طرابلس الغرب وخاصة بعد فرض الحماية الفرنسية على تونس في عام 1881م، واحتلال مصر من قبل الجلطة في

عام 1882م. لذلك قامت إيطاليا بخطوات مهمة من أجل التمهيد لاحتلال ولاية طرابلس الغرب تمثلت في التمهيد السياسي والاقتصادي والثقافي ، فمن خلال المساعي الدبلوماسية المتمثلة في انضمامها للحلف الثلاثي الذي جمعها مع المانيا والنمسا استطاعت إيطاليا أن تحصل على تفويض من الدول الكبيرة في حقها بالحصول على ولاية طرابلس الغرب ، ومن جانب آخر حاولت كل من إنجلترا وفرنسا إيجاد دولة ضعيفة تكون حداً فاصلاً بين ممتلكاتهما في كل من الجزائر وتونس ومصر والسودان.(بروشين،2005،406-407)

وبعد أن حصلت إيطاليا على موافقة الدول الكبرى في حقها بولاية طرابلس الغرب بدأت في سياسة التمهيد للغزو من خلال إرسالها للبعثات الكشفية وفتحها للمدارس في أهم المدن الليبية مثل طرابلس وبنغازي ، وإصدار الصحف والمجلات ، وتأسيس المكتبات . كما مهدت إيطاليا اقتصادياً في شكل فتح فرع لمصرف روما في طرابلس في عام 1907م ، وفتح فرع للمصرف التجاري الإيطالي ، وفرع لمصرف الاعتماد الإيطالي ، وقد بلغ استثمار مصرف روما لوحده في ليبيا حوالي 245 مليون ليرة إيطالية، صرفت في مناحي الحياة الاقتصادية المختلفة مثل إقامة مصانع كبس الحلفاء والإسفنج والنسيج ومعاصر الزيت وغيرها من المناشط الاقتصادية ، حتى استطاعت إيطاليا أن تصل للمرتبة الثانية من حيث التصدير والاستيراد مع ولاية طرابلس الغرب بعد إنجلترا. (ياسين،2012،16-1)

كما لا يفوتنا هنا أن نذكر ما قام به الفاتيكان من نشاط عملٍ في تحييّة الرأي العام الإيطالي روحياً بمعنى أهمية الحملة الإيطالية التي يتوقع لها أن تعيد للمسيحية أحاجدتها في شمال أفريقيا ، وإعطاء صورة واهية للشعب الإيطالي عن التأخر والفقر و العبودية التي كان يعييها أهل طرابلس وبرقة من قبل العثمانيين .(ياسين،2012،21) ، وعندما تأكدت إيطاليا من اكتمال جاهزتها الداخلية والخارجية بادرت بإعلان الحرب على الدولة العثمانية بعد توجيه إنذار لها في 27 سبتمبر 1911م ، وتحرك الأسطول الإيطالي باتجاه شواطئ مدينة طرابلس ، وفي 29 سبتمبر أعلنت إيطاليا الحرب على الدولة العثمانية و ذلك بتسلیم بلاغاً إلى الصدر الأعظم بذلك، كما أعلنت وزارة الخارجية الإيطالية ذلك الخبر لجميع الصحف المحلية والأوروبية.

وفي الثالث من أكتوبر استكملت القوات الإيطالية استعداداتها العسكرية أمام الشواطئ الليبية وبدأت بقصف مدينة طرابلس بعد الظهر، كما قامت في نفس اليوم بقصف مدينة طرق الواقعة شرق

البلاد على الحدود المصرية، وفي اليوم الخامس من أكتوبر قامت إيطاليا بإإنزال أكثر من 1700 جندي من مشاة البحرية في طرابلس بعد سيطرتها على أجزاء من المدينة ورفع العلم الإيطالي عليها، وفي اليوم السادس اجتمع زعماء البلاد من المشايخ والأعيان في بلدة العزيزية وتم تعين العقيد نشأت باشا قائدا عاما للقوات العثمانية وللمحاجدين ووالياً على جبهة طرابلس. (رحومة، 1993، 58، ماكولا، 1999، 111، 111)

وفي يوم 17 أكتوبر استولت القوات الإيطالية على مدينة درنة بعد مقاومة شديدة، وبعد سقوط درنة أصبحت مدينة بنغازي المهدى الثاني أمام القوات الإيطالية في يوم 19 أكتوبر حينما بدأت قذائف القوات الإيطالية تنهال على المدينة، وبعد عدة معارك خاضها المجاهدون ضد الإيطاليين مثل معركة جليانة و سيدى حسين وغيرها، وفي يوم 20 أكتوبر دخلت القوات الإيطالية المدينة بعد انسحاب المجاهدين منها. (رحومة، 1993، 63)

وفي يوم 21 أكتوبر هاجم الأسطول الإيطالي مدينة الخمس وأجبرت الحامية العثمانية المتواجدة فيها على الانسحاب أمام القوات الإيطالية خارج المدينة استعداداً للمعركة الشهيرة (المرب) التي دارت يوم 23 أكتوبر 1911م، و الواقعة حول مدينة الخمس من الغرب والجنوب. (الطوير، 1999، 48)

كما جرت معارك عدّة في مدينة طرابلس مثل الهليني وشارع الشط في الفترة من 23 إلى 26 أكتوبر ونتج عنها قتل وجرح المئات من الأطفال والنساء والشيوخ، ونفي العديد من السكان إلى الجزر الإيطالية بهدف إإنزال الرعب في نفوس الأهالي والقضاء على حركة المقاومة. (الطوير، التليسي، 1999-1983، 48) (121)

وفي 5 نوفمبر 1911م أصدرت الحكومة الإيطالية مرسوماً ملكياً يتضمن وضع طرابلس وبرقة تحت السيادة الإيطالية بالرغم من فشلها في فرض احتلالها العسكري عدا بعض المناطق الساحلية وهو ما آثار حفيظة الرأي العام الإيطالي والأوروبي بسبب المقاومة الوطنية الليبية، والدليل على ذلك استمرار تلك المقاومة وتجددها في معارك أبو مليانة الثانية في 6 نوفمبر 1911م، وحصن الحميدية في 25 نوفمبر ، والهليني الثالثة في 26 نوفمبر من نفس العام ، حيث بقت القوات الإيطالية داخل حصونها حتى مارس 1912م. (4) (رحومة، 1993، 66)، وواصل الليبيون كفاحهم في كافة الميادين ودارت العديد من المعارك الطاحنة ضد الغزاة الإيطاليين منها معركة أبو كمامش في 13 أبريل 1912م، ومعركة سيدى سعيد 26 أبريل من نفس العام، واستطاعت بعدها القوات الإيطالية من احتلال مدينة زواره في 6 أغسطس 16 يونيو ثم

مصراته في 8 يوليو 1912م ، واستمرت المقاومة المسلحة في معظم المدن الساحلية الليبية ، ولم تنكسر شوكة المقاومة الليبية إلا عندما تم التوقيع على معاهدة الصلح بين الدولة العثمانية وإيطاليا ، والمعروفة بمعاهدة أوشي لوزان* في 18 أكتوبر 1912م، والتي ثم بموجبه تخلي الدولة العثمانية عن رعايتها في ولاية طرابلس الغرب، وانسحابها من ميدان القتال وتركه لوحده يواجهه مصيره بالظهور بإعطائه الاستقلال الكامل والناتم ، وكان لهذا الاتفاق أثره على حركة الجهاد وانتقال حركة الجهاد من المرحلة المشتركة بين الليبيين والعثمانيين إلى بداية الحركة الوطنية المستقلة . (الطوير، 1999، 52-53)

وقد جاء هذا الاتفاق كنتيجة للضغط الذي مارسته إيطاليا على الدولة العثمانية من أجل التخلص عن دعم المقاومة ومساندتها للمقاومة في ولاية طرابلس الغرب، حيث قامت إيطاليا بتهديد ممتلكات الدولة العثمانية في الخارج فوجئت ضربة عسكرية إلى جزر (الدووديكانيز) في بحر إيجه، وحاصرت الشواطئ اليمنية بالبحر الأحمر، إضافة إلى إشعال الثورة ضد العثمانيين في البلقان. (إبراهيم، 1993، 101. ياسين، 2012، 39) ، وكان لزاماً على المجاهدين إيجاد مخرج لقضية الفراغ السياسي ، والعسكري الذي تركه قرار الأتراك بالانسحاب من البلاد، فكان انعقاد مؤتمر العزيزية في نوفمبر 1912م ترجمة فعلية لذلك؛ والذي حضره لفيف من الأعيان وقادة المجاهدين في المنطقة الغربية إلى جانب قائد القوات العثمانية نشأت باشا، وانتهت اجتماعات المؤتمر دون التوصل إلى قرارات موحدة حول استمرار حركة الجهاد تحت قيادة وطنية موحدة، فانقسم المجتمعون إلى فريقين الأول رفض التفاوض مع العدو والثاني فضل التفاوض معه. (قناوي، 2011، 25) وبالرغم من بروز الخلافات بين قادة حركة الجهاد التي استفادت منها إيطاليا في فرض سيطرتها الإستعمارية فإن روح المقاومة ظلت مستمرة في نفوس أبناء الوطن الذين اعتمدوا على أنفسهم في تدبير السلاح والتموين ، كما حدث في معارك الشعب ، واشكده، ومحروقة، وسيدي كريم القرياع في عام 1913م. (إبراهيم، 1993، 104)، وبفضل تصاعد حركة المقاومة من جديد في بداية الحرب العالمية الأولى في كل من فزان والجبل الغربي.. والمنطقة الوسطى عامي 1914-1915م، فقد تعرضت القوات الإيطالية إلى أقصى هزيمة لها في معركة القرضاية يوم 29 ابريل 1915م

* صلح أوشي لوزان هو الاتفاق الذي عقد بين الحكومة التركية والحكومة الإيطالية في 18 أكتوبر 1912م، وتم بموجبه تنازل تركيا عن ليبيا لإيطاليا وانسحابها من ميدان القتال ، تاركة الليبيين يواجهون مصيرهم لوحدهم، للمزيد انظر، (رحومة، 1993، 87)

، وأجبرت بعدها على الإنتحاب من معظم المنطقة الوسطى والغربية من البلاد ماعدا مدیني الحمس وطرابلس. (الطوير، 1999، 57)، وفي عام 1916 حدثت فتنة داخلية بين قبائل الرنتان والرجبان* من جهة والأمازيغ من جهة أخرى، يضاف إليها المشاكل التي حدثت بين السنوسيين بقيادة صفي الدين السنوسي ورمضان السويفي عقب معركة القرضاوية، واستغلال إيطاليا لهذه الأحداث لشق الصف الوطني؛ فكان لزاماً على الخيرين من أبناء الوطن بدل المساعي لإيجاد الحلول الالزمة لتلك المشاكل العالقة فسعوا إلى تكوين الجمهورية الطرابلسية في عام 1918 نوفمبر. (الطوير، 1999، 61-ياسين، 2012، 46) والى جانب حركة المقاومة العنيفة التي شهدتها الأرضي الليبية، و ما أفرزته مراحلها من فنون الحرب والقيادة ، فإن مجالات التنظيم السياسي والإداري والعسكري ساحت أيضا ظواهر متقدمة كان من أبرزها انعقاد المؤتمرات الوطنية وما نتج عنها من قرارات مهمة لصالح البلاد وحركة الجهاد، فمن خلالها تشكل كيان الجمهورية الطرابلسية **، وهيئة الإصلاح المركبة، والعديد من التطورات في حركة الجهاد الليبي التي سوف يتم عرضها في هذا البحث..(ياسين، 2012، 3)

ثانياً- أهم المؤتمرات الوطنية التي سبقت مؤتمر سرت:-

شهدت ليبيا بعد الغزو الإيطالي لها العديد من الاتفاقيات والمؤتمرات الوطنية التي كان لها الأثر الكبير في توجيه مسار حركة الجهاد الوطني، وتوحيد صفوف المجاهدين منها :-

-مؤتمـر العزيـزـية***:-

انعقد هذا المؤتمر في يوم الجمعة الموافق 25 أكتوبر عام 1912م، لمواجهة الأوضاع الناجمة عن توقيع معاهدة أوشي-لوزان وانسحاب الدولة العثمانية من ليبيا ، وما ترتب عنه من

*للمزيد من المعلومات حول الحرب التي وقعت بين العرب والبربر(الأمازيغ)انظر(غرتسيني، 1995، 41)

**نشأت الجمهورية الطرابلسية بناء على مقررات مؤتمر مسلاطه المنعقد في 16 نوفمبر 1918م، بجامع المجايره بمدينة مسلاطه، فقد قرر هذا المؤتمر تشكيل حكومة لإدارة شؤون البلاد العامة تسمى (الجمهورية الطرابلسية)، وتم تشكيل مجلس لإدارتها يتكون من سليمان الباروني، رمضان السويفي ، أحمد المريض، وعبد النبي بالخير، للمزيد انظر ، (بغني ، 1993 ، 226).

***تقع في الجنوب الغربي لمدينة طرابلس وتبعد عنها بحوالي 40 كم.

تبعد لذلك التعاون وتشظي التحالف الذي كان يربط بين المجاهدين الليبيين والأتراك ، وتغير الوضع السياسي والعسكري في البلاد تغييراً تاماً ، ومن ثم دخلت حركة الجهاد ضد الغزو الإيطالي مرحلة جديدة اختلفت عما كانت عليه في بداية الغزو. (إبراهيم، 1993، 101)

ولمواجهة الأوضاع الناجمة عن توقيع معاهدة أوشي –لوزان، وانسحاب الدولة العثمانية من ليبيا وجه قائد القوات العثمانية في طرابلس (نشأت بك) الدعوة إلى زعماء وأعيان البلاد وقادة الجهاد من غرب البلاد لإبلاغهم بالأمر الوصل إليه من نظارة الحرية العثمانية ، المتعلق بإثناء الحرب مع إيطاليا، وكان من أبرز الشخصيات التي حضرت هذا المؤتمر فرحتات بك الزاوي ، وسليمان الباروني ، والمادي كعبار، و مختار كعبار، وأحمد المريض، و الصغير المريض، و علي بن تنتوش (قائممقام العزيزية)، ومحمد عزيز (قائممقام زليتن)، ومحمد بك شلاي (قائممقام الزاوية)، و محمد عبد الله البوسيفي، وأحمد البدوي الأزهري، ومحمد فكيني، و محمد سوف المحمودي ، وغيرهم من أعيان البلاد.(إبراهيم، 1993 ، 101؛ باخيموفتش، 1970، 181)

وقد تبانت الآراء في هذا المؤتمر حيث انقسم المجتمعون إلى فريقين منهم من نادى بمواصلة الجهاد وعدم الاستسلام لما تم الاتفاق عليه بين الأتراك والإيطاليين ، واخذدوا يعدون العدة وينظمون صفوف المجاهدين للمقاومة في منطقة الرابطة ويفرون ، والأصابة، الأمر الذي دفع بالإيطاليين إلى الإسراع إلى احتلال المناطق الساحلية والداخلية، مثل الزاوية وسواني بني ادم والخمس وزليتن وغريان وبني وليد وترهونة ومسلاطنة. (ياسين، 2012، 48-49)

وكان هناك فريق آخر من المجاهدين أدرك بخبرته السياسية أن ليبيا بعد اتفاق أوشي –لوزان أصبحت مستعمرة إيطالية ، ولم يكن أمام الليبيين إلا اللجوء إلى الحل السلمي عن طريق المفاوضات مع الإيطاليين. (الطوير، 1999، 55)

وانتهت اجتماعات المؤتمر دون التوصل إلى قرارات موحدة حول استمرار حركة الجهاد تحت زعامة وطنية موحدة،أد انقسام الزعماء في المنطقة الغربية واتسعت شقة الخلاف فيما بينهم، و حاولت الحكومة الإيطالية استغلال هذا الانقسام الحاصل بين قادة المجاهدين في المنطقة الغربية انطلاقا من مبدأ (فرق تسد) بإذكاء روح الفرقة والعداء بين المجاهدين ، ولترسيخ سيطرتها على البلاد من خلال قيامها بشن هجومها الواسع على الدواخل الليبية في الفترة ما بين نوفمبر 1912 م ومارس 1913 م، أد تمكن القوات

الإيطالية من احتلال سواني بن يادم والعزيزية وقصر بن غشير، ومناطق مسلاة وزليطن ومصراتة وتاورغاء وجنزور والزاوية. (شكري 1948، 149؛ إبراهيم، 1993-106-107)

وفي بداية عام 1913م وصلت القوات الإيطالية إلى مدينة ترهونة وبني وليد، وعندما حاولت تلك القوات التقدم إلى الجبل الغربي اصطدمت بقوات المجاهدين في معركة جنوبية الواقعه جنوب مدينة غريان، في يوم 23 مارس 1913م، وعلى الرغم من شراسة القوات الإيطالية والفارق الكبير بينها وبين قوات المجاهدين إلا أنها استطاعت الصمود أمام الزحف الإيطالي، وإلحاق الخسائر في صفوفه. (شكري ، 1948، 149، الطوير، 2003، 79)

و بالرغم من المقاومة العنيفة التي أبدتها المجاهدون بقيادة سليمان الباروني آلا إن القوات الإيطالية تمكنت من الانتصار على المجاهدين واحتلال منطقة الجبل الغربي، ثم زحفت على مناطق غدامس ومزدة، وبذلك أصبح الطريق مفتوحاً أمام القوات الإيطالية نحو فزان الواقع في الجنوب الليبي. (البوصيري، 1993، 13)

أما المنطقة الشرقية من البلاد فإنها لم تكن متأثرة باتفاقية أوشي-لوزان، آد استطاع الشیخ أحمـد الشـریف أن يقنـع أنـور باشا القـائد العـثمـانـي بمـديـنة درـنة أن يستـلم منه دور الـقـيـادـة لـحـرـکـة الجـهـاد في المـنـطـقـة ، واستطاع أن يلحق هزائم قاسية بالإيطاليـن في مـعارـك سـیدـي كـرـیـم القرـیـاع في 16 ماـیـو 1913م، وزـاوـیـة اسـقـفـة الـأـوـلـی وـالـثـانـیـة في 13-16 يولـیـو 1913م. (التـیـسـیـ، 1980، 41-43.)

وبالرغم من النتائج السلبية التي تمحضت عن مؤتمر العزيزية على المقاومة الوطنية الليبية إلا أن حركة المقاومة لم تتوقف بل استمرت في العديد من مناطق البلاد. بعد احتلال الإيطاليـن للـجـبـلـالـغـرـبـيـ زـحـفـ قـواـهمـ بـاتـجـاهـ الـجـمـعـةـ وـفـرـانـ بـقـيـادـةـ القـائـدـ (مـیـانـیـ) Miani ، وـتصـدـیـ المجـاهـدـوـنـ لـھـ بـقـيـادـةـ الشـیـخـ مـحمدـ عـبدـالـلـهـ الـبـوـسـیـفـیـ فـیـ مـعـرـکـةـ الشـہـادـةـ اـشـکـدـهـ مـحـرـوـقـةـ، وـلـكـنـ قـلـةـ العـدـدـ وـالـفـارـقـ فـیـ الـعـتـادـ وـالـعـدـةـ رـجـحـ كـفـةـ الجـانـبـ الـإـیـطـالـیـ فـیـ مـعـرـکـةـ مـحـرـوـقـةـ بـعـدـ اـسـتـشـهـادـ الشـیـخـ مـحـمـدـ الـبـوـسـیـفـیـ ، وـتمـكـنـتـ الـقـوـاتـ الـإـیـطـالـیـةـ بـعـدـھـ اـسـتـهـلـ وـاحـاتـ فـرـانـ وـمـدـنـاـ ثـمـ الوـصـولـ إـلـىـ مـدـيـنـةـ غـاثـ فـیـ أـقـصـيـ الـجـنـوبـ الـغـرـبـيـ مـنـ لـيـبـیـاـ، وـبـهـذـاـ تـمـ اـسـتـهـلـ اـسـتـهـلـ الـمـنـطـقـةـ الـغـرـبـیـةـ وـالـجـنـوـبـیـةـ مـنـ الـبـلـادـ. (یـاسـینـ، 2012، 69؛ الزـاوـیـ، 1984، 184)

-مؤتمر مسلاطة 1816 نوفمبر-

عند قيام الحرب العالمية الأولى في شهر أغسطس من عام 1914م، حاول الأتراك استغلال الرابط الديني والتاريخي القائم بينهم وبين الليبيين في تأليهم ضد الإيطاليين، فعملوا على توثيق

صلتهم ببعض الشخصيات الوطنية* في البلاد والمنطقة العربية، وإقناعهم بضرورة التخلص من الاحتلال الإيطالي والإنجليزي ، ولكن هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى - والدول المتحالفه معها (المانيا وبلغاريا) أمام دول الوفاق(إنجلترا وإيطاليا)- أدت إلى سحب مالها من معدات وقوات عسكرية في طرابلس الغرب، وتأكدنا على ما جاء في معاهدة مودروس Moudros التي نصت في بعض موادها على سحب جميع الضباط العثمانيين المتواجدين في طرابلس وبرقة ، وعدم إرسال المؤن والذخائر، وتسلیم مواني البلاد إلى أقرب حامية ايطالية . (ياسين،2012،84)

ومن النتائج السياسية التي انتهت إليها الحرب العالمية الأولى أيضاً قيام كيانات مستقلة على أنقاض الإمبراطوريتين العثمانية والنساوية أي إن أجزاء كانت إدارية في كيان الدولتين أصبحت دولاً مستقلة، وإعادة بناء الجغرافية السياسية في شرق أوروبا كما حصل في تشييك سلوفاكيا ، وهو ما استوحى منه الليبيون بمساعدة الأتراك وإقناعهم للبيبين بالعمل على إنشاء كيان مستقل باسم الجمهورية الطرابلسية، أسوة بما صارت إليه أوضاع الولايات العثمانية في شرق أوروبا والمقطاعات النمساوية في شرق ووسط أوروبا ، فكان إعلان الاستقلال وقيام الجمهورية الطرابلسية يوم 16-11-1918م. (المدوب،1988،

(32-33)

* سارعت تركيا بإرسال وزير حريتها (أنور باشا) للاتصال برعيم الحركة السنوسية في برقة أحمد الشريف و منحه لقب نائباً للسلطان في أفريقيا ، كما أرسلت المانيا أحد ضباطها المدعو (مانسمان) مبعوثاً من الإمبراطور الألماني إلى أحمد الشريف، وإقناعه بالهجوم على القوات الإنجليزية المتواجدة في مصر، في أوائل شهر نوفمبر عام 1915م، بمشاركة بعض القبائل المصرية ، ودارت عدة معارك بين نوفمبر 1915 ومارس 1916م، تمكنت القوات الإنجليزية خلالها من هزيمة القوات الليبية والتركية وإبعادها من التراب المصري خائياً، (هويدى،1993،189-194).

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بتوقيع معاهدة المدنة في 31 أكتوبر 1918م، ووصول الخبر إلى ممثل المانيا والدولة العثمانية في طرابلس البارون (فون توندورت) Fon tondort والأمير عثمان فؤاد قائد الفيالق الإفريقية، والذي قام بتوجيه الدعوة إلى الزعامات الوطنية المتواجدة آنذاك في مدينة مصراتة ، (بغني ، 1993 ، 225). لاتخاذ التدابير اللازمة حيال ماورد في اتفاقية المدنة، ورأى المجاهدون الليبيون إن انقطاع المساعدات العثمانية سوف يؤثر على قدراتهم العسكرية والسياسية، لذلك قرروا عقد مؤتمر وطني يضم معظم القيادات الوطنية. (الطوير، 1999، 61) وعقد المؤتمر في 16 نوفمبر سنة 1918م، بمسجد المحابرة بالقصيبات في مدينة مسلاطة، وقرر الحاضرون من المشايخ وزعماء حركة الجهاد تشكيل حكومة محلية أطلقوا عليها اسم الجمهورية الطرابلسية جعلوا لها مجلس للرئاسة يتكون من أربعة أعضاء هم: رمضان السويحلي وأحمد المريض وعبد النبي بالخير وسليمان الباروني. (بغني ، 1993 ، 226) واختار الحاضرون مجلساً تشريعياً برئاسة الشيخ محمد سوف الحمودي و مجلساً شرعياً* كما تم اختيار مديراً للشئون المالية للجمهورية (اختيار كعبار)، وقادراً لجيش الجمهورية (عبد القادر باشا الغنayı)، والضابط أحمد أبو شادي قائداً للشرطة، كما تم اختيار مستشار للجمهورية وهو المصري (عبد الرحمن عزام). . (ياسين، 2012، 91) واتخذت الحكومة مقراً لها بمدينة العزيزية، وبدأت الحكومة خطواتها التنظيمية الأولى بإصدار عدة بلاغات** موجهة إلى الداخل والخارج، وقد دلت هذه البلاغات على اهتمام زعامة

* يتكون من أربعة أعضاء هم: الشیخ محمد الإمام ، الشیخ عمر المیساوی ، الشیخ مختار الشکشوکی ، الشیخ الزیوق أبوخریص ، (الطوير، 1993 ، 61)

** كان البلاغ الأول موجهاً إلى أبناء الشعب الليبي معلنًا لهم تشكيل الجمهورية الطرابلسية، والبلاغ الثاني ويدعوا الضباط الوطنيين إلى الانتحاق بخدمة الجمهورية؛ وأرسلت الجمهورية بلاغها الثالث إلى الحكومة الإيطالية عن طريق العقيد (بيتساري) Bizzarri القائد الإيطالي للمنطقة العسكرية في مدينة الخمس، وطلبت منها الإعتراف بما ودعتها إلى عقد هدنة تجرى خلالها مفاوضات للوصول إلى صلح مقبول بين الطرفين، أما البلاغ الرابع فكان موجهاً إلى الرئيس الأمريكي (ويلسون) Wilson وطلب منه وضع المسألة الليبية على طاولة البحث في مؤتمر الصلح؛ وكان البلاغ الخامس والسادس موجهاً من رئاسة الجمهورية الطرابلسية إلى رئيس الوزراء البريطاني والفرنسي مطالبة إياهما بالوقوف إلى جانب الليبيين وحقهم في تقرير مصيرهم والنظر في مطالبهم باستقلال بلادهم من الحكم الأجنبي، (بغني ، 1993 ، 228، ياسين ، 2012، 94).

الجمهورية بالدول الكبرى، وحرصها على استعمالتها والوقوف معها ومحاولة انتزاع الاعتراف بها، ولكن يبدو أن تلك البلاغات لم تجد تجاوباً من تلك الدول ، كما إن إيطاليا رفضت الاعتراف بقيام واستقلال الجمهورية الطرابلسية، ومارست القوة ضد الطرابلسيين ، ورفضت التعاون مع مجلس الرئاسة ، واستعماله بعض الشخصيات النافذة فيها مثل اللواء عبدالقادر الغنائي لتوقيع اتفاقية صلح معها دون موافقة مجلس الرئاسة في الجمهورية، وهو ما تسبب في تصاعد كبير في صفوف حركة المقاومة الوطنية الليبية. (الصالي، 2009، 39-399) حيث تمكنت إيطاليا بفعل تلك السياسة من احتلال مدينة الزاوية في الأول من شهر ابريل 1919م، بواسطة حملة انطلقت من مدينة زواره بقيادة العقيد (ماتزيني)، وحملة أخرى انطلقت من طرابلس بقيادة اللواء (بنتانو) Bentano ولكن المجاهدين تصدوا لهذه الحملة في بلدة صياد بالقرب من مدينة الزاوية والحقوا بها خسائر فادحة. (الطوير، 1993 ، 63) وعندما لم تجد القوة مع المجاهدين اضطررت إيطاليا إلى الدخول في مفاوضات معهم توجت بعقد صلح سواني بنبيادم* في 18 ابريل 1919م، والذي اعتبره الطرابلسيون نصراً على عدوهم إيطاليا، وفي 24 سبتمبر أصدر الوالي بلاغاً عن زيارة زعماء وأعيان البلاد إلى مدينة طرابلس واجتمعوا بهم في حفل بقصر الحكومة. (فشيكة، 1973، 214) ولعل من أهم القرارات التي أسفرا عنها مؤتمر مسلااته هو إعلان الجمهورية الطرابلسية وتوحيد صف المجاهدين ونبذ الخلافات التي كانت قائمة بين أبناء الوطن لنيل استقلال بلادهم، والوقوف بكل قوة أمام التهديدات الإيطالية وإرغامها على التفاوض معها وهو مأتم في صلح بني ادم. (ياسين، 2012، 113) ولأجل الحفاظ على المكاسب الوطنية التي نص عليها القانون الأساسي رأى الطرابلسيون إن الظروف تحتم عليهم إنشاء حزب شعبي سياسي**، وهو ما عرف بحزب الإصلاح. (شكري، 1948، 239).

*عقد صلح سواني بنبيادم (بني ادم) بالمنطقة الواقعة في الجنوب الغربي مدينة طرابلس بمنحو 12 كم، وصدر في هذا الصلح القانون الأساسي للجمهورية الطرابلسية والذي تضمن عدة مواد بلغ عددها أربعون مادة شملت نواحي الحياة المختلفة السياسية والإدارية في البلاد ، كما تمنع العرب بشروط خاصة منها: عدم دخول القوات الإيطالية إلى بعض المناطق ، وعدم أحد السلاح من الليبيين ، وتبادل الأسرى، للمزيد انظر (الزاوي، 1984، 360 وما يليها).

** تم الإعلان عن تأسيس حزب الإصلاح رسمياً في 30 مارس 1919 ، برئاسة أحمد بك المريض ، ورئيسة شرفية لرمضان بك السويحلي، وكان من أعضاء هذا الحزب البارزين عبد الرحمن عزام ، وخالد القرقي وعثمان الغرياني وكانت من مبادئ الحزب التي نشا من أجلها المحافظة على حقوق الطرابلسيين ، وتدریبهم على حكم أنفسهم حتى يصلوا إلى حريةهم ، وتحقيق التضامن بين العرب والإيطاليين على أساس المساواة التامة واتحاد المصالح، ونشر التعليم بكل الوسائل ، مع المحافظة على العادات الإسلامية ، وبديل العناية لصلاح الحالة الاقتصادية ، وتوزيع الثروة الوطنية على أساس عادل.(1) كما اصدر حزب

وعلى الرغم من الجهود المضنية التي بذلها الزعماء في مؤتمر مسلاطة على الصعيدين السياسي والعسكري من أجل استقلال بلادهم، إلا إن الجانب الإيطالي في طرابلس كان متلكئ في تنفيذ جميع المطالب الوطنية للشعب الليبي و كان هدفه من وراء المفاوضات التي عقدت مع المجاهدين هو در الرماد في العيون، وأكتساب الوقت، وخدعه الموقف السياسي لحين الانتهاء من تصفية حسابات الحرب العالمية الأولى مع دول الوفاق ، كما إن الجمهورية الطرابلسية منذ تأسيسها لم يكن لها داعم خارجي قوي، يمكنها من تنفيذ ما تم الاتفاق عليه في صلح سواني بنيادم وخاصة فيما يتعلق بالسلطات التشريعية وانحسارها على السلطات الاستشارية فقط..(أندرسون، 1985؛ 238؛ بعني، 1993، 226).

أما منطقة برقة فقد وقع إدريس السنوسي معاہدة مع الطليان اعترفوا له فيها بالسيادة على الزوايا السنوسية ، ودفعوا له راتبا ولمشايخ الزوايا شريطة أن يلقي السلاح ويهادنهم . وقد تم ذلك في(الزوايتينة) ثم جددت ووثقت عرها في اتفاقية عكرمة (1917م)، حيث تشكلت على هذا الأساس حكومة (اجداديا) التي يرأسها إدريس السنوسي ، وتكون أيضا مجلس أعيان(برمان) برقة تحت رعاية الوالي الإيطالي.(القشاط، 1998، 108) وفي عام 1920م وقعت إيطاليا اتفاقية الرجمة مع الأمير إدريس مثلاً عن سكان المنطقة الشرقية . (الطوير، 1993، 66) ، وانتهز الإيطاليون فرصة المهادنة التي قامت بينهم وبين قيادة المجاهدين فزرعوا بذور الفتنة بين العرب والبربر من جهة ، وبين البدو والحضر من جهة أخرى ، وبين المدن والمناطق المجاورة.(الصاليبي، 2009 ، 403) و زادت من نشاطها الفعال الموجه إلى شق حركة التحرر الوطنية وشق وحدة الصيف بين زعماء الجهاد وزملاء الأئم الذين تناست بينهم الأخوة أيام الجهاد، حيث تمكنت إيطاليا من إيقاد نار الفتنة بين العرب(الرنتان والرجبان) والبربر، التي دارت رحاها بين عامي 1920-1921م، والتي انتهت بنهايتها المؤسفة، والفتنة التي حدثت بين رمضان السوكيجي وعبد النبي بالخير التي ذهب ضحيتها رمضان السوكيجي يوم 24 من أغسطس 1920م.(الصاليبي، 2009 ، 403، 293، 1993 ، بعني، 1983) وقد أدت تلك التطورات السلبية إلى نتائج خطيرة أثرت على حركة الجهاد سياسياً وعسكرياً، ووجب الأمر القيام بمبادرة جديدة لرأب الصدع وتوحيد الصفوف لتجاوز حالة الخلاف والإنشقاق التي أحدثتها تلك الفتنة، وتطلب الحال وجود مؤتمر وطني عام يدرس الأوضاع العامة في البلاد فكان مؤتمر غربان.(يعني، 1983، 91).

-مؤتمر غريان 1920م:-

لعل من الأسباب المهمة التي أدت إلى عقد هذا المؤتمر هي حالة الفتنة * و الانشقاق التي حدثت بين زعماء البلاد بفعل الدسائس الإيطالية ، وأصبحت الجمهورية الطرابلسية من الناحية العملية غير ذات جدوى بفعل الصراعات السياسية بين زعمائها وما آلت إليه من نتائج كما ذكرنا سابقا . (ياسين، 2012، 122؛ بني، 1983، 239) ، وحيث إن أول ضربة تلقتها تلك الجمهورية والبلاد بأكملها هي صدور القانون الأساسي للقطر الطرابلسي بتاريخ 1 يونيو 1919م، واستعمال السلطات الإيطالية لقائد الجيوش الطرابلسية إلى صفها (عبد القادر الغنayı) وما ترتب عليه من خلاف كبير بين الزعماء، كما أن وفاة رمضان السويفلي قد أدت إلى حدوث خلافات كبيرة بين زعيم مصراطة الجديد أحمد السويفلي، وبين أحمد المريض زعيم ترهونة ، حول السيادة على منطقة مسلاطة والجفارة وغيرها، والتي اعتبرها كل زعيم منطقة نفوذه له. (قناوي، 2011، 42) كما إن السلطات الإيطالية حاولت جاهدة عن طريق واليها في طرابلس (فوليبي Folbe) إلى ضم خليفة بن عسكر إلى جانبها في صراعه مع محمد فكيبي وهما عضوي الجمهورية. (قناوي، 2011، 44) ونتيجة للأوضاع المتردية التي كانت تمر بها البلاد أحس بعض الزعماء الوطنيين ومنهم أحمد المريض ، والأحمر الهادي والمحتر كعبار، بالخطر الذي أصبح يهدد المقاومة الوطنية وضعفها في وجه الخطط الاستعماري الإيطالي، واستقر رأيهما على الدعوة إلى عقد مؤتمر وطني للتشاور ورأب الصدع الذي كان قائماً بين أبناء الوطن الواحد، وتشكيل حكومة وطنية تكون قادرة على فرض السلطة الدينية والمدنية والعسكرية برئاسة رجل مسلم يشمل حكمه جميع أنحاء البلاد . (الطوير، 1993 ، 77) وقد سبق مؤتمر غريان مؤتمر تشاروري في مدينة العزيزية في شهر أكتوبر 1920م، لوضع جدول أعمال آلية عمل مؤتمر غريان من أجل تحقيق وحدة البلاد ، وقد تم تخصيص عن هذا المؤتمر انتخاب لجنة للإصلاح والتوفيق في منطقة الجبل بين قبائل الزنتان والرجبان والبربر تكونت من الشيخ الطاهر الراوي ، من الزاوية ، وعبد الله أفندي من طرابلس، و محمد بن حمد من ترهونة، والشرع في انتخاب أعضاء يمثلون مختلف مناطق البلاد في مؤتمر غريان . (قناوي، 2011، 46 ؛ ياسين، 2012، 124).

* نتيجة للصراع السياسي الذي عم مختلف البلاد الليبية بسبب ازدياد الدسائس والمؤامرات الإيطالية بين الزعماء والقادة الوطنيين مثل الذي حدث بين رمضان السويفلي وعبد النبي بالخير، والذي انتهى بمقتل السويفلي ، و الصراع الذي قام في الجبل الغربي بين محمد فكيبي(زعيم الرجبان)، و سالم عبد النبي (زعيم الزنتان) من جهة و سليمان الباروني وخليفة بن عسكر(من زعماء الأمازير) من جهة أخرى ، وانتهى الصراع بمغادرة الباروني للجبل إلى المنفى ، وأصبح بالخير معزولاً عن بقية زعماء البلاد بسبب مقتل السويفلي، ولم يبقى إلا بعض الزعماء الذين وقع عليهم عباء النهوض بالبلاد وإيجاد الحلول لحالة التشرذم التي كانت تمر بها من أمثال أحمد المريض والشقيقين الهادي والمحتر كعبار(زعيم غريان) فدعا أولئك الزعماء إلى عقد مؤتمر وطني في مدينة غريان ، (جميدة، 1995، 157).

وبعد شهر من انعقاد مؤتمر العزيزية انعقد مؤتمر غربان في شهر نوفمبر 1920م، بعد أن اختار كل بلد من يمثله ماعدا المنطقة الجبلية التي تضم البربر، حيث رفض زعيمهم سليمان بك الباروين المشاركة بسبب الحرب التي كانت مشتعلة في الجبل، وبعد العديد من المداولات بين

الجمعيين أسفر المؤقر عن انتخاب أحمد بك المريض رئيساً، وعبد الرحمن عزام مستشاراً، ومجموعة من الأعضاء منهم محمد بك فرات، وعمر أبو دبوس، والأخوين نوري وبشير السعداوي، والعيساوي بوخنجر، وغيرهم من الأعضاء الذين بلغ عددهم عشرون عضواً*(الصلabi، 2009، 403)

وأصدر المؤتمر بعد انتهاء جلساته عدة توصيات أو قرارات منها: تشكيل حكومة وطنية بزعامة رجل مسلم ينتخب من قبل الأمة تكون له السلطة الدينية والمدنية والعسكرية، ولا يعزل إلا بمحنة شرعية، أو بقرار من مجلس النواب، ويكون حكمه على جميع أنحاء البلاد. (فناوي، 45، 2011)

وتكون هيئة الإصلاح المركزية بزعامة أحمد المريض وهو بمثابة الرئيس المباشر للحكومة الوطنية التي كان عليها القضاء على الصراعات المحلية، والإستعداد لمقاومة التوسع الإيطالي باتجاه المناطق الداخلية. (Mrkathly، 1993، 67) كما أبلغ المؤمنون قراراً لهم إلى الحكم الإيطالي في طرابلس(مركتلي) الطوير، وقاموا أيضاً بإرسال وفد مكون من أربعة أعضاء وهم : محمد بك فرات الزاوي رئيساً، ومحمد نوري السعداوي، والصادق بالحاج ، وخالد القرقني، وعبدالسلام البوصري، إلى إيطاليا للانتقاء بالأحزاب ورؤساء محرري الجرائد الإيطالية (الصلايي، 2009، 406) وفي شهر ديسمبر 1920م وصل الوفد الطرابلسي الذي شكله مؤتمر غربان إلى روما لعرض قضيته الوطنية على المسؤولين الإيطاليين، ولكن دون جدوى، وذلك أن الحكومة الإيطالية أرسلت وفداً آخر ليعارض وفد غربان في مطالبه .

*للمزيد من المعلومات حول أعضاء لجنة المصالحة الذين تم اختيارهم في مؤتمر غربان انظر، محمد محمد الطوير، المرجع السابق، ص 67.

^{**}تألف الوفد المعارض للمؤتمر الوطني من حسونة القرمانلي، ومصطفى بن قداره، ومحمود عبد العزيز، وحميد الزملي، و علي بن شعبان، و عامر المعكفي، وأبو الاسعد العام، ويوسف خريش، والسنوسي القاضي، والمترجم اللبناني لواجي، (ياسين، 131,2012)

وأسفرت مهمة الوفد الوطني عن الرجوع بخفي حنين ، وتأزم الوضع بعد رجوع الوفد، نتيجة النشاط الإيطالي العسكري ، للحد من الروح الوطنية التي عممت البلاد بعد مؤتمر غريان. (شكري، 1948، 256)

ثالثاً: - مؤتمر سرت:-

قبل العوص في التحليل و التحدث عن هذا المؤتمر الوطني الداعي إلى الوحدة الوطنية ولم شتات البلاد بعد حالة الشژرم التي مرت بها جراء الفتن الداخلية التي قامت بين المناطق الليبية نتيجة للتدخلات الإيطالية وبخاصة في المنطقة الوسطى والغربية ، يجب معرفة الأسباب والظروف التي أدت إلى قيامه ، وما هي الشخصيات و الوفود التي حضرته ، وما هي النتائج التي تمخضت عنه ، وما موقف الحكومة الإيطالية منه؟

-الأسباب والظروف التي أدت إلى قيام المؤتمر:-

أدت الخلافات السياسية بين البرقاوين والطرابليسين عقب معركة القرضاية إلى إضعاف التعاون المتبادل بينهما في النضال ضد الإيطاليين ، ومنذ ذلك الوقت والقطيعة قائمة بين الجانبيين حيث امتد هذا الفتور نحو خمس سنوات، وقد أدرك كثير من المجاهدين في كلا المنطقتين أن استمرار القطيعة لا يزيد العدو إلا قوة، وأن فرقتهم سوف لن تؤدي إلا إلى المزيد من الخسائر ، فحررت مكاتب واتصالات بين البرقاوين والطرابليسين ، كما تباحث المجتمعون في مؤتمر غريان في نوفمبر 1920م، هذا الخلاف وقرروا العمل على إيجاد الحلول المناسبة لرأب الخلافات القائمة، وتوحيد حركة الجهاد بين المنطقتين ، لذلك شكلوا وفداً للتفاوض مع السنوسيين، وفي مقابل ذلك أرسل إدريس السنوسي وفداً برئاسة الشيخ (مفتاح الفيل) إلى أحمد المرتضى رئيس هيئة الإصلاح و زعيم قبائل ترهونة، بعد علمه بمقررات

مؤتمر غريان لتسوية حالة النزاع القائمة بين المنطقتين. (الزاوي، 1984، 403)، وبالعودة إلى يوادر وأسباب الخلاف بين برقة وطرابلس نراها تعود في بدايتها إلى ما بعد انتصار الطرفين على الإيطاليين في معركة القرضاية الشهيرة في عام 1915م، بسبب الغائم التي حصل عليها المجاهدون من الإيطاليين حيث قدم عدد من مثلي الحركة السنوسية وعلى رأسهم صفي الدين السنوسي وأحمد التواتي إلى أعيان مدينة مصراتة وبني ولید يتطلبون منهم ثلاثة مطالب وهي: الأول أن يسلم لهم زعيم مصراتة رمضان

السوبحلي جميع الغنائم التي حصل عليها من الإيطاليين بعد انسحابهم من مدينة مصراتة في 5 أغسطس عام 1915م، كما فعلوا مع عبد النبي بالخير عندما جعوا ما تركه الطليان في بني وليد من غنائم وأموال، فذهب الأخير إلى صفي الدين الذي تصادف وجوده في مصراتة ليشكوا له ما فعله معه أحمد التواتي وأحمد سيف النصر مندوياه في بني وليد، ولكن دون جدوى رجع خالي الوفاض، أما الامر الثاني فهو فرض جبایة الضرائب على الأفراد وأحقية تسليمها لمندوب السنوسيين، أما الثالث فهو جمع زكاة الأموال من المكلفين بها ،دون النظر إلى حالة الفقراء والأسر التي قدمت الدعم للمجاهدين في حربهم ضد الإيطاليين وقدرت من كان يعولها.(فشيكة،1973،98)

كما كان رمضان السوبحلي يطمح بعد حصوله على الأموال إلى قيادة المنطقة الغربية بالكامل مؤكداً أحقيته في ذلك بأنه هو وزعماء القبائل المتحالفه معه في المنطقة الغربية من قام بجزءه الإيطاليين وطردهم من سرت ومصراتة دون مساعدة السنوسيين،لذلك بدا بتوسيع نفوذه على المنطقه الخطيه بمدينة مصراتة حتى مدينة مسلاطه والمنطقة الوسطى، كما بدأ بالتصدي لنفوذ السنوسيه في المنطقة الغربية ، حيث قام بشنق ثلاثة من رجالها بذرعة التأمر عليه . (حيدة،1995،176)

وابلغ رمضان صفي الدين أنه لن ينفذ من تلك القرارات شيئاً ،وكان موقف رمضان السوبحلي هذا أول موقف صريح يسمعه الناس في معارضه السنوسي لما لهم من مكانة سياسية واجتماعية في البلاد، ومن هنا نشأ الخلاف بين رمضان السوبحلي وصفي الدين الذي انضم إليه مجموعة من المعارضين لسلطة رمضان السوبحلي ، واضطرب صفي الدين إلى مغادرة مصراتة إلى بني وليد التي كان يقيم فيها وكيله أحمد التواتي ، ومن مدينة بني وليد انتقل صفي الدين إلى ترهونة التي عقد فيها اجتماع بزعامة قبائل المنطقة الغربية(ورشفانة والزاوية والنواحي الأربع)، وأخذ يحرضهم على رمضان السوبحلي وطالب بتنحيته وأعلن لهم بأن رمضان (مهجور) أي مطرود من قبل السنوسيين.(ياسين، 2012؛ 139؛ فشيكة،1973،99)

وعندما تيقن صفي الدين من اتساع دائرة المؤيدين لرمضان السوبحلي وقوة شيكيمته غادر إلى سرت وحاول أن يستقره و يضعف من شأنه فقام بغزو بادية مصراتة إلا أنه هزم واحتل رمضان مدينة سرت وجعل عليها حسن الشريف قائمقام ،وعندما علم السنوسيون بانشغال رمضان السوبحلي بخلافه مع أسرة آل المريض حكام ترهونة بسبب قتلها لأحمد التواتي، انتهزوا فرصة انشغاله مع خصومه، فاحتلوا مدينة سرت مرة أخرى بقيادة (صالح الأطيوش)، وفر حسن الشريف عائدا إلى مصراته. (فشيكة،1973،122)

غير أن تدخل سليمان بك الباروبي حل الأزمة بين الطرفين بعد عودته من تركيا إلى طرابلس حل هذا النزاع باستجابة إدريس له قد أدى إلى سحب قواته من سرت، وبذلك عادت سرت تحت سيطرة رمضان السويحلي من جديد. (ياسين، 2012، 141)

ويضاف إلى الأسباب السابقة الذكر الجهد الإيطالية في إشعال نار الفتنة وال الحرب بين الليبيين ، حيث سعت السلطات المحلية الإيطالية في كل من طرابلس وبرقة إلى فرض سياسة العزلة بينهما ، و العمل على تطبيق سياسة فرق تسد بين الزعماء الوطنيين، كما أن معارضة الرعماء الطرابلسيين للحركة السنوسية بدأت تزداد حدة بسبب ما فعله صفي الدين في المنطقة الغربية وبخاصة في كل من مصراتة وبنغازي وترهونة. (الزاوي، 1988، 32)

وبحد الإشارة هنا انه من بين أهم النتائج أيضا التي خرج بها مؤتمر غريان هو تكوين هيئة الإصلاح المركزية التي جاءت بسبب عدم فاعلية القيادة السياسية للجمهورية الطرابلسية في إيجاد الحلول المناسبة وحسن الخلافات بين القبائل المتصارعة في المنطقة الغربية ، ومن أهم النتائج أيضا تكوين حكومة موحدة على كافة أقاليم البلاد الليبية بقيادة رجل مسلم. (ياسين، 2012، 132)

ولذلك اتفق زعماء تلك المناطق على الاتصال بالسيد إدريس السنوسي الذي تسلم زعامة الحركة السنوسية من ابن عمه أحمد الشريف في شرق البلاد، وتحصل من قبل الحكومة

الإيطالية على حكم ذاتي على إقليم برقة، وبخاصة بعد توقيعه لاتفاقية الرجمة، واتفاقية (أبو مريم)* مع الإيطاليين . (جميدة ، 1995، 137) ، وذلك لإنهاء حالة القطيعة والفتور التي دامت بين شرق البلاد وغرتها لمدة تقارب الخمس سنوات حيث أدرك الكثير من الوطنيين إن استمرار تلك الحالة لا يزيد إلا في تمادي العدو في طغيانه ، وإن فرقتهم تزيد في ضعفهم ، فجرت مكتبات واتصالات بين الحزء البرقاوي والطرابلسي ، للتقرير بين وجهات النظر وإيجاد حل للمشاكل العالقة بين المنطقتين في مؤتمر وطني يضم الأطراف المتخاصمة يكون مقره سرت. (ياسين، 2012، 142؛ شكري ، 1957، 555)

-الوفد التي حضرت المؤتمر:-

عندما حان الوقت المحدد لانعقاد مؤتمر سرت ، وسافر الأعضاء للاجتماع ، كان يمثل الوفد الطرابلسي في هذا المؤتمر كل من أحمد بك السويحلي - الذي تولى الزعامة في مصراتة بعد وفاة شقيقه رمضان

السويفلي - وعبد الرحمن عزام، وعمر أبو دبوس، ومحمد نوري السعداوي، والشتيوي بن سالم، و الصويعي الخيتوني ، وال حاج صالح بن سلطان، وتالف الوفد البرقاوي من الشيخ صالح الأطيوش،والشيخ نصر الأعمى، والشيخ خالد القيصية ،والشيخ صالح السنوسي بن عبد الهادي البراني ،واجتمع الوفدان عدة مرات استعرضوا من خلالها أسباب الخلاف القائم بين المنطقتين والحلول الناجحة لها . (الزاوي، 430، 1984)

ـ مداولات المؤتمر ونتائجـه:

بدأت المفاوضات بين الطرفين في سرت ،في جماد الأول سنة 1340 هـ الموافق يناير سنة 1922م،لأنهما كافة الخلافات القائمة والوصول إلى المهدف الوطني الذي يحقق مصلحة البلاد ويعمل على طرد المستعمر الإيطالي . (أبو شارب، 249، 1993) والنظر في إقامة حكومة وطنية موحدة بزعامة رجل عربي مسلم دون تحديد الاسم فمؤتمر غريان ترك الباب مفتوحا أمام أي شخص تتوحد عليه الكلمة ،ولذا قرر مؤتمر سرت العمل على توحيد الزعامة في شخص يكون قادرا على فرض السلطة الدينية والمدنية دون الإشارة إلى شخص الأمير محمد إدريس السنوسي .(الطوير، 69، 1993)

*اتفاقية أبو مريم:- عقدت في 11 نوفمبر 1920م، بين إدريس السنوسي والحكومة الإيطالية نتيجة لرفض رجال القبائل تسليم أسلحتهم الشخصية ،وتسلیم أماكن المعسكرات ،وقد جاء في هذا المؤتمر ضرورة وضع الأدوار العسكرية(الصفوف) تحت إشراف إدريس السنوسي ،وان تدار بالمشاركة بين الجانبين على أن يرأس كل معسكر ضابط إيطالي ،وتكون النسبة بين القوات الليبية والإيطالية في كل معسكر من 10:8، للمزيد انظر (ياسين، 244، 2012)

وقد اقر المؤمنون ميثاقا عرف فيما بعد بميثاق سرت وهذا نص الميثاق ((الحمد لله المبدئ المعيد، الفعال لما يريد ،ألف بين قلوب المسلمين وجعلهم خير امة للعاملين ،والصلة والسلام على رسول المهدى والرحمة الذي جاء يدعونا إلى العزة والإباء ،ويعلمونا كيف نقاتل الأعداء وبعد : فقد اجتمعنا نحن الموقعين على هذه المعاهدة المفوضين من قبل طرابلس وبرقة ، وقررنا بعد مداولة الفكر المواد الآتية المتضمنة اتفاق القطر الطرابلسي البرقاوي على الاتحاد والتعاون في السراء والضراء)). (الصلايى، 407,2009)

- يجب أن نوحد كلمتنا ضد عدونا الغاصب لبلادنا وضد المفسدين .

- يجب أن يكون عدونا وصديقنا واحد.

- إن كافية ما وقع بين الطرفين من التجاوز لا يطالب به الآخر إلى أن تستقر الأمور في الوطن، وتتعين وضعية البلاد العمومية. ومع ذلك يجب أن يسعى الطرفان في المساحة بين العريان، ومن يتبعه بعد ألان فعلى الحكومة التابعة لها أن تعاقبه بما يستحق.

- كل من يخالف الجماعة ويسس الدسائس الأجنبية، على الحكومة المنسوب إليها إعدامه ومصادرة أمواله حسب الشريعة الإسلامية.

- يرى الطرفان أن مصلحة الوطن وضرورة الدفاع عنه ضد العدو المشترك تقضي بتوحيد الزعامة على البلاد ،ولذلك يجعلان غايتها انتخاب أمير مسلم تكون له السلطة الدينية والمدنية داخل دستور ترضاه الأمة.

- يتخذ الطرفان الوسائل الالزمة لتحقيق هذه الغاية المذكورة في المادة الخامسة ،وان تكون تولية الأمير بإرادة الأمة.

- متى تحققت الغاية المذكورة في المادة الخامسة يجب انتخاب مجلس تأسيسي من الفريقين

لوضع القانون الأساسي والنظم الالزمة لإدارة البلاد، وقبل ذلك، وتمهيدا لهذه الأعمال ،يجب

على الفريقين أن يرسل كل منهما مندوبيا للبلد الآخر لأجل أن يشتراكا في سياسة البلاد والتداير

المقتضاة للدفاع عن الوطن.

- يتعهد الطرفان بالا يعترفوا للعدو بسلطة ، وان يمنعوه من بسط نفوذه خارج الأماكن المحتضن بها الآن ، وفي حالة وقوع حرب يتضادون على حرب العدو، وإلا يعقد صلحًا أو هدنة إلا بموافقة الفريقين.
- إذا خرج العدو من حصنونه مهاجمًا جهة من الجهات وجب على الجهة الأخرى أن لا تمدد المهاجم بالمهامات الحربية والمال والرجال ، وان تندِّر العدو بالكُف عن التجاوز وإن لم يكُف تهاجمه هي بدوها.
- تجتمع هيئة منتخبة من أهالي طرابلس وبرقة مرتين في كل سنة شهر المحرم ورجب للنظر في مصالح البلاد.
- يشترط أن توافق على هذه المعاهدات كل من حكومة برقة والميَّة المركبة في جهة طرابلس.
- مهمَّة الميَّة المذكورة تأييد العلائق الودية بين الطرفين وتتأييد هذه الاتفاقيَّة. (الصلabi، 2009، 408؛ ابوشارب، 1993، 250)

(قصر سرت يوم السبت 22 من جمادي الاولى سنة 1340هـ الموافق 21 يناير سنة 1922م.)

التوقيعات

عن برقة	عن طرابلس
صالح الاطيوش	أحمد السويحلي
نصر الأعمى	عبد الرحمن عزام
حالد القيصية	عمر بودبوس
صالح السنوسي	محمد نوري السعداوي
عبد الهادي البرانى	الشتيوي بن سالم
صالح بن سلطان. (الزاوى، 2004، 73)	الصويعي الخيتوني

وبذلك جاءت قرارات مؤتمر سرت وفق الأهداف الوطنية التي كان يرجوها الزعماء وقادة الجماد ضد المستعمر الإيطالي، وإفشال مخططاته القائمة على إبقاء حالة الإنقسام في حركة المقاومة الوطنية حتى يسهل عليه مواجهتها والتصدي لها ، كما أن توحد المقاومة ينبع عنه مهاجمة موقعه في شرق البلاد وغيرها وسيؤدي إلى تشتت قواه وإرباكه على طول خط المواجهة مع قوات المجاهدين ، وبخاصة الشريط الساحلي الذي يمتد من زواره غربا إلى طريق شرقا والذي تبلغ مسافته حوالي 1900 كم. (أبو شارب، 1993، 250)

كما استطاع مؤتمر سرت أن يجد مخرجاً مناسباً للتحرر من التسلط الإيطالي الذي مورس على زعامات المنطقة الشرقية من خلال التوقيع على اتفاقية عكراقة وأبو مريم القاضية بحل الأدوار* وتكونين الأدوار المختلطة بين الليبيين والإيطاليين، وهو ما يعني تسليم المجاهدين لأسلحتهم والانضواء تحت القيادة العسكرية الإيطالية. (أبو شارب، 1993، 252)

و من بين أهم النتائج التي جاء بها مؤتمر سرت هو مبايعة إدريس السنوسي بالإمارة على البلاد ، والذي وجد نفسه في حرج منها فإذا قبل البيعة أهل طرابلس فإنها ستؤدي إلى غضب الإيطاليين منه، وإذا رفض البيعة فإنه يبدو متخاذلاً في أعين المقاومين في مختلف أنحاء البلاد ، ولذلك نجده قد تصرف بمنتهى الذكاء ، فقد قبل البيعة من الزعماء الطرابلسرين ، وفي نفس الوقت غادر إلى مصر متذرعاً بإجراء بعض الفحوصات الطبية . (حميدة، 1995، 180)

*للمزيد من المعلومات عن الأدوار ودورها في حركة الجماد الليبي انظر، (البرغتي، 1996، 30).

وتنفيذاً لهذا القرار أوفد الطرابلسيون بشير السعداوي^{*} ليكون مثلاً لهم و لميئه الإصلاح المركزية لذى حكومة برقه ،وفي المقابل أوفد الأمير محمد إدريس السنوسي الشيخ عبد العزيز الشناوي ليمثله لذى هيئة الإصلاح في طرابلس؛ وبasher السعداوي مهمته بالاجتماع بالرعماء البرقاوين في مدينة اجدايا في 22 ابريل 1922م،للنظر في الدفاع عن البلاد وتوحيد الزعامة وإقرار الإمارة في شخص الأمير إدريس السنوسي .(قناوي،2011،49) إذ أن الظروف التي أحاطت بالطرابلسين بعد انعقاد مؤتمر سرت هي التي جعلت إسناد الإمارة إلى السيد إدريس السنوسي أمراً لامناص منه على الرغم من بعض المأخذ عليه بتوقيعه بعض الاتفاقيات مع الطليان دون أن يشرك الطرابلسين معه أو يستشيرهم في شيء دلت على أنه يريد الانفصال عن طرابلس،ولكن الظروف التي شهدتها المنطقة الغربية(طرابلس) من وراء النزاع و الاقتتال بين أبنائها هو ما جعل إسناد الإمارة إلى السيد إدريس ضرورة لابد منها.(قناوي،2011،50) وما زاد من تمسك اغلب الزعامات في هيئة الإصلاح بذلك القرار أن احد بنود مؤتمر سرت نص على تقديم الدعم العسكري آداً وقع اعتداء على أحد الأطراف وجوب على الطرف الآخر أن يمد الذي وقع عليه الاعتداء بالرجال والسلاح،ولكن السيد إدريس لم يتقييد بهذا البند من الاتفاقية وتأخر في إرسال المعونة من برقه إلى طرابلس وهو ما خيب الآمال ومكن الطليان من السيطرة على طرابلس ومن تم برقه، وكان تأخير المعونة عن طرابلس دليلاً على أن إدريس السنوسي كان ينظر إلى اتفاقية سرت من ناحية واحدة،هي ما يتفق مع ميله ورغباته كما يذكر الزاوي(الزاوي،1984،446) وعلى اثر هذه البيعة** أبلغ ولی برقه مجلس النواب بان السنوسيين نقضوا اتفاق الرجمة بقبول السيد إدريس للبيعة على كل من برقه وطرابلس ،وأعلن سقوط الاتفاقيات الأخرى،وتربت على ذلك حل الأدوار المختلطة .(أبو طالب،1997،40)

* بشير السعداوي:ولد بشير بن إبراهيم بن محمد السعداوي بمدينة الخمس الواقعة شرق مدينة طرابلس بحوالي 125كم، عام 1884م، درس في كُتابها تم أكمال حفظ القرآن بمدينة سرت - التي انتقل إليها برققة شقيقه الأكبر نوري لتوليه وظيفة مدير مال قضاء سرت - وعمره 13 سنة في كتاب الزاوية السنوسية سنة 1897م ،تم عاد إلى مدينة الخمس وقرأ فيها علوم اللغة العربية والتوحيد والفرائض، وفي عام 1902م التحق بالمدرسة الرشيدية بمدينته والتي تفوق فيها على أقرانه، وكان متأثراً بأفكار محمد عبده والكواكيبي للمزيد انظر (قناوي،2011،4,5).

**للمزيد عن نص البيعة التي أرسلتها هيئة الإصلاح للأمير إدريس السنوسي ونص الرد على كتاب البيعة انظر (الزاوي،2004،81-77).

وأحس الأمير إدريس بحاجة شديدة، ولم يكن الأمر بالغين عليه فمن جهة لم يكن يرغب في إغضاب الإيطاليين حتى لا يعلنوا عليه الحرب، ومن جهة أخرى لم يكن قادر على إغضاب الطرابلسين الذين مدوا أواصر العلاقة بينهم وبين البرقاوين وانحوا حالة الخلاف القائمة وبالتالي يؤدي إلى غضب البرقاوين أنفسهم، فلم يكن أمامه للخروج من هذا الضرر إلا تدرعه بالمرض والسفر إلى مصر* للتداوي.(الزاوي، 1984، 453)

وكان لسفر الأمير إدريس وابتعاده عن المشهد السياسي أكبر الأثر في حالة الوهن والضعف التي مرت بها البلاد وبخاصة على الطرابلسين الذين اشتدت الحرب عليهم، وكانوا يأملون من وراء البيعة التي قدموها للأمير إدريس الآمال في إعلانه الحرب على إيطاليا، والوفاء بمعاهدة سرت وشروط البيعة، وكانت أمالمهم معلقة على هذه البيعة(الإمارة) ، ويرون في عودة السيد إدريس وتأكيداته لهم بالوفاء مدعاة لانتظار ذلك الوفاء وبخاصة في الظروف التي كانت تمثل بها المنطقة الغربية من البلاد، على الرغم من تضامن البرقاوين مع إخوانهم في طرابلس ورغبتهم في المساعدة إلا أنهم لم يكونوا يملكون إمكانية التنفيذ ، وكان بودهم لو أن السيد تقدمهم ليقولوا بما عاهدوا عليه في مؤتمر سرت ، كما استنتاج الطرابلسيون من سفر السيد إدريس السنوسي إن مسألة الإمارة قد فشلت. (الزاوي، 1984، 461-462)

موقف إيطاليا من المؤتمر ونتائجـه :-

أثارت مقررات مؤتمر سرت غضب إيطاليا التي كانت تعارض منذ مؤتمر غربان فكرة أي تقارب بين أحزاء ليبيا المختلفة ، وكانت ترى في توحيد القيادة الإدارية ، والعسكرية ما يشكل أكبر خطر على وجودها الاستعماري . (الطوير، 1993، 69)

ولذلك لم يرق لها حالة التقارب التي حصلت بين القطرين وظهر ذلك جليا حين طالبت الوفد الطرابلسي برئاسة بشير السعداوي بمعادرة مركز حكومة برقة(اجدابيا) وإلا تعرضت للهجوم ، كما حاولت بكل قوة قطع أية هزة وصل قد تؤدي إلى توحيد الرعامة بين برقة وطرابلس، ومن أجل ذلك أرسلت (أوميندو) وزير مستعمراتها ، وفوليبي والي طرابلس للاتجمام بالأمير إدريس بمنطقة جردس العبيد ، لإبلاغه برفض الحكومة الإيطالية لأي تدخل من جانبه للقيام بوساطة بينه وبين الطرابلسين ، أو بقبول أية مبادرة من شأنها أن تؤدي إلى قيام وحدة بين الإقليمين ، وهو ما قام بنقله للوفد الطرابلسي في مدينة اجدابيا. (قناوي، 2011، 50)

ولما أدرك الأمير إدريس خطورة الموقف حاول قصاري جهده إقناع الحكومة الإيطالية بأن ما حاوله الطرابلسيون القيام به ما هو إلا محاولة من قبلهم لحقن الدماء وفض خلافاتهم مع إخوانهم في برقة ،وان الواجب على الحكومة الإيطالية يحتم عليها وقف اعتداتها على الطرابلسيين ،وقد بني رأيه هذا من خلال ما تم من تفاهم بينه وبين الإيطاليين في اتفاقية الرجمة وعكرمة التي أعطته الحق في عرض ما يراه في مصلحة البلاد على الحكومة الإيطالية،ووضع ذلك في عين الاعتبار في كل ما يديه من أراء.(الصلاي، 410،2009) ولأجل ذلك كانت إيطاليا تتبع بحذر كل الأخبار وما يدور بين برقة وطرابلس ولم يرق لها التقارب الذي حدث بين القطرين ،وأحسست بالخطر الداهم من جراء توحيد الزعامة في الإقليمين فقرر فولي (والى طرابلس)احتلال ميناء قصر أحمد بمدينة مصراتة.(قاوي،2011،50) منتها فرصة عقد مؤتمر سرت، وأوكل إلى (بيتساري) مهمة قيادة القوات الإيطالية في سرية تامة يوم 26يناير 1922 أي بعد أربعة أيام من انتهاء مؤتمر سرت لمحاجة قصر أحمد. (الطوير،1993،69)

وقد رأى الكونت فولي انه إذا أمكن لدولته أن تستعيد احتلال مصراته فإنها بعد ذلك تستطيع أن تمد سلطتها إلى نالوت في أقصى الغرب من البلاد ومنها حتى فزان في الجنوب،وبذلك يتم لها السيطرة الأكيدة على أحزاء طرابلس وفزان. (فشيكه،1973،260).

*للمزيد من المعلومات عن سفر الأمير إدريس السنوسي إلى مصر والطريق الذي سلكه، و الوفود التي استقبلته،وصدى تلك الزيارة في الأوساط الصحفية ،انظر(الزاوي ، 83,82,2004).

ولذلك سارع فولي إلى تنفيذ خطته في احتلال مصراة التي كانت تعتبر مركز المقاومة في شرق إقليم طرابلس ،فبينما كان الوفدان مجتمعين في سرت، نزلت القوات الإيطالية في ميناء "قصرا حمد" يوم 26 يناير ،وكان الوفد الطرابلسي في هذه الأثناء في طريق عودته من سرت إلى مصراة ،فسارع أحمد السويفلي زعيم مصراة الجديد في مخاطبة قائم مقام سرت على المنقوش أن يلحق بالوفد البرقاوي ليخبرهم بما وقع ،ويطلب منهم تنفيذ ما جاء في المادة التاسعة من ميثاق سرت، إلا إن الإمدادات لم تأتِ من برقة طوال هذه الحرب التي استمرت لأكثر من سبعة عشر يوما.(ياسين،2012،144)

وكانت الحملة الإيطالية تقدر بـ 1500 جندي و 4 مدافع جبلية و 34 مدفعاً رشاشاً و 18 قطعة بحرية، وفي الساعة الثالثة صباحاً نزلت القوات الإيطالية إلى اليابسة واحتلت حصن الميناء ،وانتشر الخبر في جميع أنحاء مصراة والمناطق المجاورة لها ، وقد بلغ عدد المجاهدين الذين حضروا إلى ميدان المعركة بحوالي 2000 مجاهد من مصراة و زلين والخمس وسرت.(غرتسيني،1994،54) بقيادة مؤقتة من الشيخ على الأسطى زعيم قبائل منطقة الرملة -في غياب أحمد السويفلي- وأندفع المجاهدون مbagutin القوات الإيطالية وأنزلت بها خسائر كبيرة الأمر الذي أضطرها للإنسحاب إلى الميناء في آخر النهار .(فشيكة،1973،262).

وازداد ضغط المجاهدين على الواقع الإيطالية ، خاصة خلال يومي 30 و 31 يناير 1922 ،وفي صباح يوم 3 فبراير قامت وحدة من المجاهدين بمحاولة السيطرة على بعض الواقع في الجهة اليسرى للقوات الإيطالية وذلك لعزل تلك القوات عن مواقعها الأمامية في سidi أبي شعيف ،قطع الاتصال عنها ، وعلى المنطقة الواقعة بين رأس البرج أو (رأس الزروق) بالميناء وأبي شعيف.

وفي يوم 4 فبراير قامت قوات الإيطاليين بمحاولة تخفيف الضغط على قواها بهجوم مضاد على المساكن الواقعة في الجنوب الغربي من سidi أبي شعيف (منازل كيزان)، والتي كانت أكثر المضايقات تأثيراً منها بالنسبة للقوات الإيطالية ، ولكنها لم تتحقق أهدافها أد سرعان ما عاد المجاهدون في اليوم التالي للسيطرة عليها ، وتخفيف الضغط على قواه استعان القائد بيتساري بالمدمرة (فكثور عمانوبل) التي لم يفلح قصفها في إجلاء المجاهدين من البيوت التي كانوا مت桓ن بها (التليسي،1983،420)

ودافعت قوات المجاهدين عن موقعها دفاعاً مستميتاً، واستطاعت أن تجبر العدو على الانسحاب إلى موقعه بالشاطئ على الرغم من فقدانها لأكثر من 23 شهيداً، كما تمكنت قوات المجاهدين من عزل موقع أبي شعيفه عن قصر أحمد، وبالرغم من مرور أكثر من ثمانية أيام من معارك الكر والفر لم تتمكن القوات الإيطالية من تحقيق أهدافها حتى يوم السبت الموافق 11 فبراير 1922 وهي المعركة الكبرى التي حشد لها العدو كل إمكاناته العسكرية من سفن حربية، ومدافع رشاشة وجند وسيارات (أبوشارب، 1993، 275).

وبعد انسحاب القوات الإيطالية عمليه المحروم نحو طريق مصراتة المدينة تحت غطاء كثيف من النيران اشتربت فيه قواها البحرية والبرية ، وبعد معركة عنيفة استمرت لأكثر من خمس ساعات ، استطاعت القوات الإيطالية السيطرة على ميناء قصر أحمد تم المدينة بعد مقاومة عنيفة أبدتها المجاهدون ، (التليسي، 1983، 421) حيث استشهد منهم في هذا اليوم حوالي 200 شهيد و300 جريح ، أما خسائر الإيطاليين فقد بلغت 142 قتيلاً و328 جريحاً.(الطوير، 1999، 70)

وقد كان لسقوط قصر أحمد في أيدي الإيطاليين أثره الكبير على الأحداث السياسية والعسكرية التي أعقبت تلك المعركة ، حيث كان نزول القوات الإيطالية إلى ميناء قصر أحمد بداية التحول في السياسة الإيطالية ، واتجاهها للعمل الحربي الذي عرف بعملية الاسترداد للمناطق والمدن التي فقدتها بعد معركة القرضاوية في عام 1915م بالمنطقة الغربية. (التليسي، 1983، 421)

وبسبب وقوع المعركة في يوم السبت 4 فبراير ، ويوم السبت 11 فبراير فقد عرفت عند الأهالي بمعارك السبت ، وفي حقيقة الأمر كانت تلك المعركة متلاحقة من يوم 26 يناير حتى 11 فبراير .(التليسي، 1983، 421) وكان من نتائج هذه المعركة انسحاب المجاهدين انسحاباً جزئياً من قصر أحمد إلى سidi الزروق، وانطلاق المقاومة في المنطقة الغربية من البلاد وتحديداً من الزاوية الغربية شمالاً إلى ترهونة جنوباً ، وذلك بقطع السكك الحديدية في الزاوية وجنزور والعزيزية ، وحصار المجاهدين للقوات الإيطالية المتواجدة فيها . (أبوشارب، 1993، 258). واعتبر المجاهدون أن نزول القوات الإيطالية في قصر أحمد ما هو إلا نقضاً صريحاً لما جاء في صلح سوانى بني ادم ، والتعهدات التي قدمتها إيطاليا لميئه الإصلاح المركزية في الحفاظ على استقلالية المناطق الغربية وحقها في الحكم الذاتي ، وإلغاء ماجاء في القانون الأساسي ، الذي من شروطه الا يتعرض الطليان أو يتدخلوا في شيء من الأمور الخاصة بالحكم الوطني المحلي .(فشيبة، 1973، 269).

وقد شهدت هذه الفترة محاولة الإيطاليين إعادة احتلال ما فقدته من مناطق قبل القرضاية، وعندما بدأت المقاومة تحدد الوجود الإيطالي في المنطقة الغربية ومن أجل كسب الوقت رأى الكونت فولي الإتصال بزعماء حركة الجهاد وإجراء المدنة معهم، فأرسل المحامي الإيطالي (مارتيني) وعثمان القيزاني إلى قصر أحمد للعمل على وقف القتال وعقد المدنة مع المجاهدين، كما أرسل في نفس الوقت السنور (بيلا) و سكرتير الوالي الإيطالي (رابكس) إلى رئيس هيئة الإصلاح أحمد المريض لنفس الغرض، وأسفرت تلك الاتصالات على وقف القتال، وسحب بعض القوات الإيطالية من ميناء قصر أحمد والدخول في مفاوضات عامة لتسوية الأوضاع في البلاد، والنظر في الأسباب التي أدت إلى استئناف الحرب بين الجانبيين، والعمل على إيجاد الحلول الكفيلة بإيقافها . (ياسين، 2012، 146).

ولأجل ذلك اتفق الطرفان على عقد هدنة مبدئية لمدة شهر بداية من 26 فبراير 1922 م، وعقد مؤتمر بين الجانبيين بفندق الشريف - في الجنوب الشرقي من مدينة طرابلس - في الفترة من 25 مارس إلى 10 أبريل 1922 م، وقد حضر المؤتمر عدداً كبيراً من الشخصيات الإيطالية والعربية من بينهم أحمد السويفلي و عمر ابودبوس من مصراته ومن طرابلس حضر كل من عثمان القيزاني وخالد بك القرقني و فرحات الزاوي و مختار كعبار وغيرهم من الشخصيات الوطنية وكان الوفد برئاسة أحمد المريض ، ومن الجانب الإيطالي حضر بيلا Bella وكيل الوالي الإيطالي في طرابلس (فولي) و احد الاقتصاديين الكبار، والمترجم (رابكس) . (فشيبة ، 1973، 270)

وقد قدم الجانب الوطني الليبي عدة شروط للجانب الإيطالي من بينها :أن تسحب إيطاليا بعضاً من قواها الموحدة بقصر أحمد مع تحمل المسئولية الكاملة عن بداية العمليات العسكرية فيها، والقبول بما جاء في مقررات المؤتمرات السابقة (مؤتمر غربان وسرت) الداعية إلى إقامة حكومة حقيقة مستقلة بزعامة رجل مسلم ؛ وكان الرد الإيطالي على تلك الشروط هو الرفض والتغيب والطلب من الجانب الليبي التخلص عن المسلك الحربي ضد إيطاليا ، و نزع السلاح وتسليمها وتسرير العناصر المسلحة . (ابوشارب، 1993، 259 ، 258) وفي 10 أبريل 1922 م انتهى المؤتمر بالفشل لسببين أوهما إصرار الطرابلسين على اتحاد القطرين الطرابلسي والبرقاوي على الرغم من عدم تجاوب البرقاوين لذلك ، وتأييدهما تصلب وتعنت الجانب الإيطالي لهذا الطلب . (فشيبة ، 1973، 270)

وريما يعود السبب في التعتن والتشدد الإيطالي تجاه المطالب حركة المقاومة الوطنية إلى أن الفاشستية أخذت تتغلغل في إيطاليا وقوى حزبها ، وأصبحت وشيكة أن تستولي على مقدرات إيطاليا ، والتي كان من مبادئها الوصول إلى أغراضها بكل وسيلة (الزاوي، 1984، 433).

وعلى إثر تصلب موقف الإيطاليين من مطالب المجاهدين استأنفت حركة المقاومة من جديد باستهداف المصالح العسكرية والمدنية الإيطالية في المنطقة الغربية من طرابلس بقطع خطوط الاتصالات الهاتفية والسكك الحديدية بمنطقة قرقوزة الواقعة في الجنوب الشرقي من مدينة الزاوية والحرشه الواقعة إلى الغرب من مدينة الزاوية ، وتمكن المجاهدون من قطع خطوط الإمداد للقوات الإيطالية من طرابلس إلى زواره، فاضطرر الحاكم الإيطالي (فولي) إلى سحب قواته من صرمان وصبراته والعجيات إلى زواره. (الزاوي، 1984، 433) ، كما قام بنقل الحامية الإيطالية المتواحدة في الزاوية إلى قرب حصن الرأس الأحمر استعداداً لسحبها إلى طرابلس على ظهر البارحة الحربية (روما) آذا تطلب ذلك ، وهذه التحركات العسكرية من جانب القائد العام الإيطالي فولي نراها قد شجعت المجاهدين على مهاجمة المراكز الإيطالية في تلك المناطق يوم 4 مارس 1922م، حيث قامت بهاجمة محطة القطار بصرمان ومراكز الشرطة في صبراته والعجيات. (الطوير، 1999، 71).

وضيق مجاهدو الزاوية الخناق على القوات الإيطالية في حصن الرأس الأحمر وفي شمال المدينة على شاطئ البحر بالقرب من ضريح الولي (نصر بن روح)، فكانت ردة فعل الأسطول الإيطالي قوية تجاه هذا الحصار حيث قام بقذف حمم نيران مدفعه وقتابله على المدينة لمدة عشرة أيام ، ورأىت القيادة الإيطالية أن تقوم بمجوم كاسح على المدينة من الجهة الغربية ليكون المجموع مزدوجاً من الشرق والغرب، فجمعوا لذلك اثنى عشر ألف مقاتل من الجنود الإيطاليين والمرتزقة الأحباش و المرتزقة الليبيين . (الزاوي، 1984، 477) ، وفي يوم 15أبريل 1922م تحركت قوة عسكرية من سidi (بلال) -الواقعة شرق مدينة الزاوية- بقيادة العقيد (كورتو)، وتحركت قوات ايطالية أخرى من غرب الزاوية من مدينة زواره في 22أبريل بقيادة العقيد (جرسياني) ، وقد تصدى لها المجاهدون على مشارف مدينة الزاوية من الغرب بمنطقة القبي وأسفر هذا التصدي عن استشهاد حوالي مائة مجاهد وجرح ثمانين آخرین في يوم 24أبريل . (الطوير، 1999، 73)، وفي يوم 25أبريل تمكّن الإيطاليون من احتلال مدينة الزاوية والدخول إلى وسطها (الحارة)، (الزاوي، 1984، 478) واضطر المجاهدون إلى التراجع نحو بئر الغنم والعزيزية وفرض حصار عليها مما اضطر القيادة الإيطالية إلى تكليف أربعة ألوية لفك الحصار على مدينة العزيزية بقيادة الجنرال

جراتسياني وقاليينا وكوتور و بتساري، واستطاعت تلك القوات فك الحصار على المدينة في 30 ابريل وانسحب المحتدون منها إلى بئر المرغني وبئر عباذه وسيدي السائع بمنطقة النواحي الأربع^{*}، ووقعت معارك كبيرة بين المحتدين استخدم فيها الجانب الإيطالي سلاح الطيران بسبب عجز قواته البرية عن التقدم الأمر الذي أجبر المحتدين إلى الإنسحاب والتوجه بالقرب من مشارف ترهونة وغريان والقره بولي بأمر من الشيخ المبروك المنصور قائد الجبهة. (ابوشارب،1993،262-263)

وبذلك استطاع الإيطاليون أن يؤمّنوا طرق مواصلاتهم البرية من طرابلس إلى زواره ، واخذوا يعدون العدة لاحتلال الجبل الغربي ومدينة غريان حاضرة الجبل الغربي ومقر حكومة هيئة الإصلاح المركبة . (الزاوي،1984،448). فبدأت القوات الإيطالية العمل على إعادة احتلال الخط الجبلي المتمد من جادو (فساطو)إلى غريان خلال الفترة الواقعة بين شهر يونيو ونوفمبر 1922م، وعلى ثلاثة مراحل بدأت المرحلة الأولى منها في 28 مايو 1922م انطلاقاً من مدينة زواره نحو الوطية بقيادة جراتسياني لاحتلال بلدة الجوش التي تم احتلالها في 12 يونيو بعد انسحاب المحتدين منها وردم الآبار التي كانت في طريق القوات الإيطالية كثیر الحمراء والكردي.(جراتسياني،1984،91-81)، وفي يوم 18 يونيو احتلت القوات الإيطالية قرية السلامات و جادو وتراجعت قوات المحتدين ناحية الجنوب والشرق، وفي يوم 7 يوليو تم تعيين الجنرال جراتسياني حاكماً عام للجبل الغربي، وأخذت قواته تحكم السيطرة على المنطقة الغربية من الجبل الغربي مثل كاباو و الرحيبات وبعد أن تمكن جراتسياني من احتلال المناطق الغربية من الجبل أمر قواته بالزحف من جادو إلى يفرن في يوم 28 أكتوبر وبصحبته 4000 مقاتل من المشاة ، و300 من الفرسان.

^{*} يوجد في جنوب مدينة طرابلس وتبعد عنها بمسافة 30 كم، وتقع فيها قبائل عكاره، العلاونه، الرقيعات والختنه. والرجان والزنغان وتزوح بعض الأهالي إلى منطقة القبلة ، وان تعيد تنظيم المنطقة على حسب مصالحها السياسية . (ابوشارب،1993،265)

بحدف السيطرة على بلدة يفرن ، وفي 30 أكتوبر وصلت قوات جراتسياني إلى عين الرومية وأنظمت إليه مجموعات من القوات غير النظامية من السكان المحليين (الباندات) ، وفي اليوم التالي اصطدمت قوات جراتسياني بقوات المجاهدين في أم الجرسان وصُفيت بقيادة الشيخ محمد فكيني وأحمد السنى والمحنت هرائم كبيرة بالقوات الإيطالية واستشهد حوالى 230 مجاهداً، وفي اليوم ذاته احتلت قوات جراتسياني قصر يفرن والتquamت معها القوات الوافدة من العزيزية بقيادة (بيزارى). (بوكا، 2007، 162، 163). ومن يفرن تحركت القوات الإيطالية باتجاه غريان التي وصلتها في يوم 17 نوفمبر 1922م ، دون معارك عدا معركة قصر القواليش التي سقط فيها خمسة شهداء، وعقب تمكن جراتسياني من فرض السيطرة الإيطالية على غريان واصلت قواته الزحف نحو ترهونة ، ولنفس الوقت خرجت قوات أخرى بقيادة بيتشاري في اتجاه الخمس ومنها إلى القصبات للإطباقي على مدينة ترهونة، كما خرجت قوات أخرى بقيادة بيللي من العزيزية وتمنت ذلك القوات من احتلال ترهونة مركز هيئة الإصلاح في 6 فبراير 1923م بعد أن فقد المجاهدون أكثر من 400 شهيد. (الطوير، 1999، 75؛ جراتسياني، 1984، 170). وفي إطار استكمال احتلال المناطق الواقعة شرق طرابلس وجهت الحكومة الإيطالية ثلاثة جيوش ضخمة بقيادة جراتسياني وبيتشاري والمرتزقة الليبيين، واستطاعت تلك القوات أن تتحل مدينة زليتن في 23 فبراير ومصراته في 26 فبراير 1923م وان تفك الحصار على القوات الإيطالية المحاصرة في ميناء قصر أحمد منذ يناير 1922م، بعد أن خاضت معارك كبيرة مع المجاهدين في رأس الحمام ورأس القطارة ووادي كعام . (القريو، 1994، 58؛ الطوير، 1999، 75). وتلتها بني ولid وكافة أراضي ورفله في 27 من ديسمبر 1923م، وفي شهر فبراير 1924م تمنت القوات الإيطالية من بسط نفوذها على الواحات النائية في أقصى الجنوب الغربي (غدامس وسيناون) وحاضرة القبلة (مزدة) ، ثم سرت التي كانت آخر من اسقط من المواقع في 23 نوفمبر 1924م، وباحتلال الأخيرة يمكن القول إن السيادة الإيطالية انبسطت على كل طرابلس الغرب. (بوكا، 2007، 163)، وفي شرق البلاد وبخاصة في الجبل الأخضر اشتدت حركة المقاومة الليبية ضد القوات الإيطالية بقيادة الشيخ عمر المختار* في عام 1924م، والذي خاض العديد من المعارك مثل الكويسيبة في 20 مارس من نفس العام، وأم الجوابي ، وسيدي سليم ، وقصر طلوبن، وغيرها من المعارك الأخرى والتي استمرت حتى 1931م. (الطوير، 1999، 76).

*للمزيد من المعلومات عن الشيخ عمر المختار وجehاده ضد الإيطاليين انظر (الزاوي ، 2004، 55).

الخاتمة:-

من خلال ما سبق سرده يتضح أن مؤتمر سرت حاول من خلال الداعين إليه من الزعماء الوطنيين توحيد الكلمة و إحياء حالة الفرقة التي كانت قائمة بين أبناء الوطن الواحد في شرق البلاد وغرتها، وفرض الصفوف لمقاومة الاحتلال الإيطالي الغاصب للبلاد، فقد حاول من قبله مؤتمر غريان التوفيق بين المناطق المنافرة في منطقة طرابلس ولكنه فشل في تحقيق هذا المدف، ولكنه في الوقت نفسه استطاع أحد زمام المبادرة في حل الخلاف وأسباب القطيعة القائمة بين الجزئين الشرقي والغربي من البلاد.

ولذلك ومن أجل الحصول على بعض الحماية السياسية اتفق الزعماء الطرابلسيون على الاتصال بزعماء الحركة السنوسية في برقة التي كانت قد تحصلت على اعتراف من الحكومة الإيطالية بحكم ذاتي لبرقه في عام 1920م، ولأجل ذلك دهب وفد من مؤتمر غريان إلى سرت في عام 1922م لعرض البيعة على السيد إدريس السنوسي ليكون حاكما على كامل البلاد.

و لكن عندما علمت إيطاليا بخبر انعقاد مؤتمر سرت في يناير 1922م، ونتيجة لخوفها من حالة التقارب التي قد تحدث بين برقة وطرابلس قامت على الفور بمهاجمة ميناء قصر أحمد بمصراته في أثناء انعقاد المؤتمر، وعادت الحرب من جديد بعد توقيتها بين الجانبين فترة من الزمن ، فلم يكن أمام هيئة الإصلاح المركزية التي كانت تدير الأمور في غرب البلاد إلا اللجوء إلى إدريس السنوسي و اختياره أميرا على ليبيا بأكملها وذلك لسببين أولهما انه كان أميرا على جزء من أراضي برقة ، وثانيهما أن إيطاليا قد اعترفت له بالسيادة على تلك المناطق بناءً على اتفاقية الرجمة .

ومن الأشياء الداعمة لتلك الأسباب إن من أهم مقررات مؤتمر سرت هي توحيد كلمة الأمة تحت إمرة رجل مسلم يتفق عليه الجميع ، فأرسل لأجل ذلك السيد بشير السعداوي لعرض البيعة على السيد إدريس السنوسي ، ورأى الطرابلسيون إن إرسال ذلك الوفد إلى الأمير محمد إدريس السنوسي لييايعوه بالإمارة ما هو إلا تنفيذا لما قررته هيئة الإصلاح المركزية في مؤتمر غريان ومؤتمر فندق الشريف، و عند وصول الوفد إلى مدينة اجدابيا ، مقر الحكومة البرقاوية، و مقابلته للأمير محمد إدريس السنوسي وإبلاغه بالهدف الذي جاء من أجله. ولكن الحكومة الإيطالية أرسلت أمندولا (Amandola) وزير المستعمرات للدخول في مباحثات مع الأمير محمد إدريس واشترط مغادرة بشير السعداوي مثل

الحكومة الوطنية الطرابلسية مدينة اجدابيا. وكان الأمير محمد يأمل من خلال تلك المباحثات في إيقاف الحرب بين إيطاليا و الطرابلسيين في ذلك الوقت.

وبالرغم من قبول الأمير محمد إدريس بالبيعة إلا انه لم يطبق شروطها بل نراه يغادر إلى مصر بحجة العلاج أو لخوفه من ردة فعل الحكومة الإيطالية تجاهه بسبب قوله للبيعة أو خوفاً من مهاجمة مقر حكومته في اجدابيا؛ وكان لسفر الأمير محمد إدريس إلى مصر أثره البالغ في ضعف حركة المقاومة الوطنية، ووهن قوة المجاهدين وبخاصة البرقاوين منهم حيث إن السيد إدريس قد غادر البلاد دون أن يعلن أمر الجهاد لهم بعد أن قام بحل بعض أدوار الجihad بناء على معاهده عكرمة وأبو مريم.

واستمر الطرابلسيون ولمدة عام كامل يقاومون هجمات الظليان بمفردهم على أمل أن يتحقق ما انفقوا عليه في مؤتمر سرت بإرسال العون والمدد في حالة مهاجمة الإيطاليين لا طرف من الأطراف الليبية فبدأت إعادة الاحتلال والزحف على المناطق التي فقدتها في غرب البلاد والتي كانت تحت سيطرتها في عام 1915م. كما أدى صعود الحزب الفاشي للحكم في إيطاليا عام 1922م، إلى سياسية استعمارية توسعية ترفض أية مشاركة من الجانب الوطني وعدم الاعتراف به كشريك في الحكم، وقد عبر عن ذلك الحاكم الإيطالي فولي بقوله ((سياستنا في ليبيا ليست بالتعاون مع الأعيان ،وليست ضد الأعيان ،ولكن في الحكم بدونهم)).

فقد هدفت السياسة الفاشستية الجديدة إلى احتلال البلاد احتلالاً تاماً بإعداد جيش كبير مدعم بسلاح الطائرات والسفن البحرية (حميدة، 1995، 182)، حيث بدأت القوات الإيطالية بإنزال قواتها في ميناء قصر أحمد تم شملت الحرب ولايات ليبيا الثلاثة بأكملها (طرابلس، برقة، فزان)، واستمرت ثمانية سنوات انتهت بالقبض على الشيخ عمر المختار وإعدامه أمام أهله حرب الاسترداد الإيطالية في عام 1931م، بمدينة سلوق ،وبذلك تكون قد طويبة فترة مهمة من تاريخ النضال الليبي ضد المستعمر الإيطالي

قائمة المصادر والمراجع

أولاً -المصادر العربية والمعربة:-

- بوكا، أنجلو ديل ،على مقربة من المشنقة محمد فكيني والاستعمار الإيطالي ملحمة الكفاح المسلح والنضال السياسي،دار ميلالي،فرنسا،2007م.

- جرتسيني ، ردولفو ، نحو فزان ،ترجمة :طه فوزي،ط2،دار الفرجاني ،1994م.

-الزاوي،الطاھرأحمد،جهاد الأبطال في طرابلس الغرب ،ط3 دار دارف المحدودة،لندن،1984م.

- -----،عمر المختار الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا ،ط2،المدار الإسلامي ،بيروت،2004م.

ثانياً-المراجع:-

أبوشارب،محمد علي،الحركة الوطنية 1922-1923، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي،ج2،إعداد مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف صلاح الدين السوري وحبوب وداعية الحسناوي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،طرابلس ،1993 .

- أبو طالب،عبد الرحمن عبد المادي على،الجامعة العربية وقضية استقلال ليبيا،دار نهضة الشرق،القاهرة،1997م.

- باخيموفتش،ز.ب،الحرب التركية الإيطالية،ترجمة:هاشم التكريتي،الجامعة الليبية،بنغازي،1970م.

- بروشين ، ن.إ. ،تاريخ ليبيا في العصر الحديث منتصف القرن السادس عشر-مطلع القرن العشرين،ترجمة: عماد حاتم،مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،طرابلس ،2005م.

- حميده ،علي عبداللطيف ، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا1832-1930 ، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،1995م.

- رحومة ، مصطفى حامد ،صلاح أوشى لوزان أكتوبر عام 1912م، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي،ج2،إعداد مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف صلاح الدين السوري وحبوب وداعية الحسناوي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،طرابلس ،1993 .

- سعيد بغني ،عمرو ،حركة الجهاد الليبي خلال الفترة 1919-1921، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي،ج2،إعداد مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف صلاح الدين السوري وحبيب وداعية الحسناوي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،طرابلس ،1993م.

- شكري، محمد فؤاد،السنوسية دين ودولة،دار الفكر،القاهرة،1948م.

- -----،ميلاد دولة ليبيا الحديثة،وثائق تحريرها واستقلالها،ج 1،مطبع الاعتماد،القاهرة،1957م.

- علي ، علي البوصيري ، التوغل الإيطالي في الداخل عقب صلح لوزان ، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي،ج2،إعداد مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف صلاح الدين السوري وحبيب وداعية الحسناوي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،طرابلس ،1993م.

- فشيبة، محمد مسعود،رمضان السويفي البطل الليبي الشهير بكفاحه للطليان،ط1 ، دار الفرجاني،طرابلس،1973م.

- التلissi، خليفة محمد،معارك الجهاد الليبي من خلال الخطط الحربية الإيطالية،دار النشر،طرابلس،1980م.

- ----- ، معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911-1931م،الدار العربية للكتاب،طرابلس،1983م.

- الصلايي ، علي محمد،تاريخ الحركة السنوسية في أفريقيا ،ط3 ،دار المعرفة ،بيروت،2009م.

- الطوير، محمد أحمد،تاريخ حركات التحرر من الاستعمار في العالم خلال العصر الحديث((بالوطن العربي وإفريقيا وأسيا وأوروبا والأمريكيتين))منشورات تأثيت ،الرباط،1999م.

- -----،الشيخ فرحات الزاوي احد قادة الجهاد الليبي ضد الغزاة الإيطاليين،دن،بنغازي،2003م.

- القريو، محمد مفتاح ،معارك الجهاد التي وقعت في مصراته زمن الحروب الإيطالية،الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ،1994م.

- الجلوب، عمر بن محمد،احتلال منطقة تجمع المجاهدين بيني وليد وما حولها 1923م،مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ، طرابلس ،1988م.

- ماكولا، فرنسيس ، حرب إيطاليا من أجل الصحراء مشاهدات المراسل الحربي البريطاني مع الإيطاليين في طرابلس، ترجمة: عبد المولى صالح الحرير، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1999 م.
- محمد سعيد القشاط، الصحراء تشتعل 1889-1931م، دار الملتقي للطباعة والنشر، دم ن، 1998 م.
- هويدى، مصطفى على ، تأثيرات الحرب العالمية الأولى على حركة جهاد الليبيين ، بحوث ودراسات في التاريخ الليبي، ج2، إعداد مجموعة من الأساتذة والباحثين، إشراف صلاح الدين السوري وحبيب وداعية الحسناوي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس ، 1993 م.
- ثالثا - الرسائل العلمية:-
- قناوي، ارو يعي محمد ، بشير السعداوي ودوره في الحركة الليبية 1884-1952، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، القاهرة، 2011 م.
- ياسين، سالمة سالم، المؤشرات الوطنية الليبية ودورها في الجهاد ضد الاحتلال الإيطالي-1952 1912 م، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عين شمس، كلية الآداب، القاهرة، 2012 م.
- رابعا- الدوريات:-
- أندرسون، ليزا ،((أراء غربية في إصلاح عثماني في ليبيا في أواخر القرن التاسع عشر)), مجلة البحوث التاريخية ، العدد السابع ، السنة الثانية، 1985 م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية
- بعني ، عمرو سعيد ، ((حركة الصنوف وأثرها في حركة الجهاد)) ، مجلة الشهيد ، العدد الرابع، 1983 م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس .
- البرغتى ، يوسف سالم ، ((الأدوار في حركة الجهاد الليبي))، مجلة الشهيد ، العدد الثاني، 1996 م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس .
- . - الحرير، إدريس صالح ،((سياسة فرق تسد الاستعمارية الإيطالية وأثرها على حركة الجهاد الليبي 1911-1932))، مجلة الثقافة العربية ، عدد 10 أكتوبر، أمانة الإعلام ، طرابلس، 1988 م.

الانتماء التنظيمي عند العاملين في صناعة الأسمنت

دراسة ميدانية على عينة من العاملين بمصنع أسمنت زليتن(الشركة العربية للأسمنت)

د. عبدالمنعم محمد الغويل

د. محمود أحمد الكبير

قسم علم الاجتماع - كلية الآداب - الجامعة الأسميرية

ملخص الدراسة:

هدفت الدراسة إلى التعرف على مستوى الانتماء التنظيمي عند العاملين بمصنع أسمنت زليتن، حيث يتكون مجتمع الدراسة من مجموع العاملين بمصنع أسمنت زليتن التابع للشركة العربية للأسمنت، وتم اختيار عينة عشوائية حجمها (120) عامل تمثل نسبة 21.16% من مجتمع الدراسة، واستخدمت الدراسة الاستبيان كوسيلة لجمع البيانات، حيث احتوى على 28 سؤالاً، تمثل ثمانى أسئلة للتغيرات الاجتماعية ، وعشرون سؤالاً تمثل مؤشرات الانتماء التنظيمي، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج وهي:

- أن درجة مستوى الانتماء التنظيمي لدى العمال بمصنع أسمنت زليتن مرتفعة جداً.
- لا توجد فروق في الانتماء التنظيمي عند العاملين بمصنع الاسمنت زليتن حسب الجنسية، ومكان الإقامة، والحالة الزوجية للعاملين بالمصنع.
- وجود علاقة طردية بين درجة الانتماء التنظيمي للعاملين بمصنع اسمنت زليتن على أساس العمر، والمستوى التعليمي، والدخل، ومدة الخبرة، والتخصص المهني للعاملين بالمصنع.

المقدمة:

تعتمد المنظمات على الموارد البشرية في تحقيق أهدافها وزيادة فاعليتها، لهذا تختتم بتنميتها وتدريبها وتطويرها وتحفيزها مادياً ومعنوياً، مما يؤدي إلى زيادة مستوى الانتماء التنظيمي بين أفرادها، ولذا تعمل المؤسسات بتقصي ومتابعة سلوك العاملين وعلاقتهم التفاعلية فيها في ظل تزايد تعقد العمل وتشابك العلاقات داخلها، فالمصانع شأنها شأن المؤسسات الأخرى تسعى إلى خلق الانتماء التنظيمي من خلال عملية التفاعل بين العاملين ورضاهما عن العمل مما يؤدي إلى تحفيزهم وزيادة الانتاجية داخل المصنع، حيث أن الانتماء التنظيمي يمثل انعكاس لاتجاهات الأفراد وأنماطهم السلوكية، وأن انخفاض

مستوى الانتماء التنظيمي عند العاملين ينعكس على اتجاهاتهم مما يؤدي إلى تدني الانتاجية والبحث عن أعمال أخرى، وعدم القبول بأهداف المؤسسة ومن هنا تكمن أهمية دراسة الانتماء التنظيمي عند العاملين، ومعرفة مستوى هذا الانتماء والعوامل التي تلعب دور في ارتفاع أو تدني هذا الانتماء.

أولاً: مشكلة الدراسة:

أصبحت دراسات وبحوث تنظيمات العمل المركبة مرتبطة بالتحولات المائلة في مجالات الاقتصاد والتكنولوجيا وعمليات السوق العالمي، والتي استوجبت تطوير المداخل النظرية والرؤى العلمية لدراسة التنظيمات الاقتصادية والصناعية والتكنولوجية من مختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فضلاً على أن سياسات تنظيمات العمل والتي تختص بالعملة والإداء التنظيمي لم تعد ملائمة بالقدر الكافي لمواجهة النمط الحديث من العلاقات بالغة التعقيد بين التوقعات والفعل، ولاسيما في ظل نظام اقتصادي موحد بدأت ملامحه ترسم بوضوح على علاقات السوق العالمي، فمن خلال انتشار التصنيع والاقتصاد السوق وتعاظم أدوار التنظيمات المختلفة ساهمت اهتمامات علماء الاجتماع من التركيز على قضايا تقليدية مثل الصراع التنظيمي والاغتراب إلى قضايا حديثة مثل الانتماء التنظيمي وعلاقاته لما يتطلبه عمليات المنافسة بين التنظيمات المختلفة الانتاجية والخدامية داخل السوق العالمي، وبذلك أصبح الانتماء التنظيمي مدخل لدراسة التنظيمات الرسمية المركبة، نتيجة التحولات الصناعية والخدامية في أوروبا الغربية والولايات المتحدة واليابان وتعاظم الدور التنظيمي وانهيار سياسات جديدة تتعلق بالعملة وتحقيق أكبر قدر من انتمائها نحو التنظيمات الرسمية كانت من أهم دوافع الاهتمام بالانتماء التنظيمي كمدخل عند علماء الاجتماع لدراسة التنظيمات.⁴⁹

ومن هنا تكمن مشكلة الدراسة في طبيعة تأثيرات المتغيرات الاجتماعية والمتغيرات التنظيمية، وفهم طبيعتها الأساسية، للوقوف على الجوانب الإيجابية والسلبية، ومعرفة العوامل الدالة على تباين العاملين نحو آليات الانتماء التنظيمي، والمعنكة على عملية الانتاج والعمل، نتيجة تغيرات آليات سوق العمل ومتطلباته المتعددة، والأذنة في الاتساع، كالكفاءة، والإنجاز، والتكنولوجيا العالية والمحوسبة، وتأثيرها على شبكة العلاقات الاجتماعية بين العاملين كمعايير للعمل.

وتتحدد مشكلة الدراسة في التساؤلين التاليين:

1- ما مدى درجة الانتماء التنظيمي لدى العمال بمصنع الاسمنت؟

⁴⁹ أحمد الأصفر، أديب عقيل، علم اجتماع التنظيم ومشكلات العمل، دمشق، منشورات جامعة دمشق - كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2003م، ص 39.

2- هل توجد فروق في الانتماء التنظيمي بين العمال وفق لعدد من المتغيرات الاجتماعية كالنوع والعمر وسنوات العمل والمستوى التعليمي ومكان الاقامة والحالة الزواجية ومستوى الدخل؟

ثانياً: أهمية الدراسة:

تكمّن أهمية الدراسة في النقاط التالية:

1- أهمية قضايا التنظيم والعمل كمؤثر حيوي وفعال في حياة أفراد المجتمع والتي من خلالها يتشكل سلوكهم وفاعلية انتمائهم التنظيمي مما يزيد من مستوى أداء الخدمات الانتاجية والعمل على احداث التنمية والنهوض بالمجتمع.

2- أهمية الصناعة في مجال الأسمت والتي تعتمد على كثافة رأس المال والتقنية، والعماله التي يتم اختيارها للعمل داخل التنظيمات الرسمية تتصف بالمهارة التي تعتمد على مستويات علمية متخصصة، وهذه تضفي أهمية لدراسة المتغيرات الاجتماعية لانتماء التنظيمي.

3- الاهتمام الكبير الذي توليه الدولة للصناعات التحويلية الثقيلة وتنفيذ خطط وبرامج التنمية، من خلال انتشار مصانع الأسمت التي تساهم في تنوع مصادر الدخل القومي، فالدراسات الاجتماعية العلمية على التنظيمات الرسمية لتلك الصناعات تساهم في معرفة اشكاليات الانتماء التنظيمي وال العلاقات بين العاملين والادارة، للمساهمة في علاج هذه الاشكاليات للرفع من مستوى الانتاج المحلي.

ثالثاً: اهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- قياس درجة مستوى الانتماء التنظيمي لدى العاملين بمصنع الأسمت زلين.

2- معرفة العلاقة بين المتغيرات الاجتماعية كالنوع والعمر وسنوات العمل والمستوى التعليمي ومكان الاقامة والحالة الزواجية ومستوى الدخل والانتماء التنظيمي لدى عمال مصنع الأسمت زلين.

رابعاً: مفاهيم الدراسة

ترتکر الدراسة الحالية على المفاهيم التالية: الانتماء- التنظيم- الانتماء التنظيمي- العاملين- الصناعة- صناعة الأسمت.

1- مفهوم الانتماء:

يعني الاقتراب والاستمتاع بالتعاون أو التبادل مع اخرين، وفي الحقيقة أن دافع الانتماء إذا توفر لدى الفرد أن يعدل كثيراً من سلوكه حتى يصبح سلوكه مطابقاً لما يرضيه مجتمعه.⁵⁰

⁵⁰ فريديريك معتوق، معجم العلوم الاجتماعية، بيروت، اكاديميا انترناشونل للنشر، 1999م، ص64.
(309)

وورد في معجم العلوم الاجتماعية أن الانتماء هو ارتباط الفرد بجماعة، حيث يرغب في الانتماء إلى جماعة قوية يتقمص شخصيتها ويوجد نفسه لها مثل الأسرة أو النادي أو الشركة.⁵¹

2- مفهوم التنظيم:

يرى بارسونز أن التنظيم نسق اجتماعي له اتجاه اساسي نحو تحقيق هدف ما أو مجموعة أهداف، وكما يعرفه كان - وكاتز بأنه النسق الاجتماعي المفتوح والرامي لتحقيق أهدافه والمحافظة على بقائه واستمراره من خلال العلاقات المتبادلة بينه وبين البيئة الخارجية الخبيثة به.⁵²

ويعرفه ريتشارد هال، وبيتر بلاو بأنه عبارة عن وحدات اجتماعية يتم تصميم بنائها بأسلوب رشيد لتحقيق أهداف معينة، ولذلك تعتبر الشركات والمصانع نماذج للتنظيم، بينما لا ينطبق ذلك على الأشكال الاجتماعية الأخرى كالقبيلة والأسرة.⁵³

وبناء عليه فإن التنظيم هو النسق الاجتماعي الذي له حدود يحافظ عليها ويسعى لتحقيق هدف أو مجموعة أهداف محددة، ويتألف التنظيم من بناءات ومكانة وأنمط تفاهم بين الأفراد المترابطين في أداء النشاط التنظيمي وترتبطهم علاقات اجتماعية مع وجود نسق اداري يتولى انجاز الواجبات والمهام التنظيمية، مع قدرته على احلال واستبدال العمالة التنظيمية وفق معطيات التنظيم، وضمن اطار علاقته بالبيئة الخارجية.⁵⁴

3- مفهوم الانتماء التنظيمي:

تتعدد وتباين مفهوم الانتماء التنظيمي عند علماء العلوم الاجتماعية، حيث يعتمد على فرضية أساسية مفادها أن سلوك الفرد داخل التنظيم الرسمي قد يتخطى حيز التوقعات المعيارية من جانب هذا التنظيم، وأن السلوك التنظيمي تم تحديه الفرد لمارسته بشكل مسبق وبالكيفية التي تحقق له ارتباطه القوي المستمر بأهداف التنظيم، حيث يرى الوتو وهرينيك أن المشاركة التنظيمية قد يتم التخطيط لها وتقدير تكلفتها وحساب عائلتها بشكل مسبق من قبل الأفراد.

ويعرف مود واي الانتماء التنظيمي بقدرة الفرد على التوحد والاندماجية مع التنظيم الرسمي الذي يعمل بداخله، ويركز علماء الاجتماع على قياس اتجاهات الأفراد نحو التنظيم الرسمي مثل هال، شيلدون ، حيث يرى أن الانتماء التنظيمي الاتجاهي يحدث عندما ترتبط شخصية الفرد بالتنظيم الرسمي أو تكامل

⁵¹ أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان، 1986م، ص16.

⁵² وجدي شفيق عبداللطيف، علم الاجتماع الحضري والصناعي، القاهرة، دار المصطفى للنشر والتوزيع، 2005م، ص27.

⁵³ اعتماد محمد علام، دراسات في علم اجتماع التنظيمي، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1994م، ص265.

⁵⁴ المرجع السابق، ص269

الاهداف التنظيمية مع اهدافه حيث يمثل حالة انعكاس على شخصية الفرد من خلال دراسة خصائص التنظيم الرسمي بعينه واهدافه ومدى توافقها مع المتطلبات الشخصية للأفراد ورغبتهم في استمرار عضويتهم داخل التنظيم الرسمي.⁵⁵

وتتبني الدراسة الحالية تعريف بوشنان للالتماء التنظيمي بأنه ارتباط فعال بين الافراد وتنظيم بعينه، ويقوم هذا الارتباط على ولاء الافراد للتنظيم وتطابق اهدافهم مع اهدافه، ويحدد ثلاثة عناصر أساسية للالتماء التنظيمي هي التوحد ، والاندماجية في العمل ، والولاء للتنظيم، ويمكن قياس الالتماء التنظيمي باستخدام المقياس الاتجاهي عند بورتر وأخرين من خلال الابعاد الآتية:

1. التكامل والتواافق بين أهداف وقيم كل من الفرد والتنظيم.
2. بذل أقصى جهد من قبل الفرد لتحقيق أهداف التنظيم.
3. اصرار الفرد على استمرارية البقاء في عضوية التنظيم.⁵⁶

4-مفهوم العاملين:

وهو مرادف لمصطلح القوى العاملة، وهو يعني مجموعة الأفراد العاملين الذين يمثلون مركباً معيناً من الوظائف والمهن والأعمال والخصائص وينتظمون في خدمة واحدة كشخصية اعتبارية مقابل مكافأة عمل، ويربطون بعلاقة عمل قانونية وفعلية سواء كان انتاج سلعة أو تقديم خدمة، ويتقاسمون الأعمال الادارية والتنفيذية والانتاجية في وحداتهم أو منظماتهم بمقتضى تنظيم رسمي يدخل ضمن قوة العمل ويقع على مختلف مستويات التنظيم الاداري.⁵⁷

5-مفهوم صناعة الأسمنت:

يشير مفهوم الصناعة إلى عملية تحويل شكل المواد الخام في الطبيعة لزيادة قيمتها باستخدام أدوات مناسبة بهدف جعلها قابلة لإشباع حاجة معينة سواء كانت وسيطة أو نهائية.⁵⁸

وتعتبر صناعة الاسمنت من الصناعات الاستراتيجية تعتمد على توافر المواد الخام وتحويلها إلى مادة الأسمنت الناعمة التي تتصلب وتكتسب خواصاً تماسكيّة بوجود الماء مما يجعلها قادرة على ربط مكونات الخرسانة بعضها بعض.

خامساً: فروض الدراسة:

⁵⁵ محمد الجوهرى، علم الاجتماع الصناعي والتنظيم، ط2، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2011م، ص37

⁵⁶ اعتماد محمد علام، دراسات في علم اجتماع التنظيمي، مرجع سابق، ص270

⁵⁷ محمد كامل مصطفى وأخرون، معجم مصطلحات القوى العاملة، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، 1984م، ص120.

⁵⁸ محمد عويس، العمل الاجتماعي في التنظيمات الصناعية، القاهرة، دار النهضة العربية، 1991م، ص27.

من خلال العرض السابق تم صياغة فروض الدراسة على النحو التالي:

- 1- توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة 0.05 في الانتماء التنظيمي لدى العمال حسب الجنسية
- 2- توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة 0.05 في الانتماء التنظيمي لدى العمال حسب مكان الاقامة
- 3- توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة 0.05 في الانتماء التنظيمي لدى العمال حسب العمر
- 4- توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة 0.05 في الانتماء التنظيمي لدى العمال حسب الحالة الزوجية.
- 5- توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة 0.05 في الانتماء التنظيمي لدى العمال وفق المستوى التعليمي
- 6- توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة 0.05 في الانتماء التنظيمي لدى العمال حسب عدد سنوات العمل
- 7- توجد فروق ذات دلالة احصائية عند مستوى دلالة 0.05 في الانتماء التنظيمي لدى العمال حسب الدخل

سادساً: الأطار النظري للدراسة:

يمكن تقسيم المداخل النظرية في دراسة الانتماء التنظيمي التي يحظى بها تراث علم الاجتماع إلى المداخل الآتية:

1- مدخل التبادلية المحدثة في دراسة الانتماء التنظيمي:

تقوم الفكرة المخورية لهذا المدخل بافتراض علاقة تبادلية بين هذا الانتماء والمنفعة التبادلية بين كل من الفرد والتنظيم الرسمي الذي يعمل بداخله الناتجة عن نظير مادي للفرد من قبل التنظيم. ويركز كل من (مورتيمر، بيكر) أن الانتماء التنظيمي يقوم على العلاقة بين ثلاثة متغيرات مرتبطة هي التكلفة، العائد، الاستثمار، حيث تمثل التكلفة الحالة التعليمية والحالة الزوجية، ويمثل الاستثمار مدة خبرة الفرد في التنظيم الرسمي، بينما يركز (ريتشاردھال، دوين) في دراستهم للانتماء التنظيمي العلاقة حول المكافآت التنظيمية من خلال ارتباطها بمتغيرات أخرى مثل الرضا عن العمل، وقيمة العمل، ويفرق (كيدرون) بين نوعين من الانتماء التنظيمي هما الانتماء المحسوب، والذي يمثل رغبة الفرد في البقاء والعمل

داخل التنظيم، والنوع الآخر يمثل الانتماء الأخلاقي المتعلق بنمط السلوك والقبول الاجتماعي، بمعنى ما يتوقعه التنظيم من سلوك أفراده العاملين بداخله.⁵⁹

2- مدخل الانتماء (التنظيمات المتعاظمة):

يقوم هذا المدخل على فرضية أساسية مفادها أن تحقيق الحد الأدنى من انتمائية الأفراد لأهداف التنظيم الرسمي وقيمته تأثر من خلال تعاظم هيمنة التنظيم الرسمي ليس فقط في محیط العمل بل على حياتهم الاجتماعية خارجها، حيث يستمد هذا المدخل توجهاته النظرية من اسهامات ثلاثة مدارس فكرية هي تنظيمات العمل في المجتمع الياباني، حيث البرامج المتعلقة بالعملة والسوق وتعاظم دور التنظيمات الرسمية المركبة في المهيمنة على العاملين وحياتهم الاجتماعية داخل وخارج حدود تلك التنظيمات، واسهامات الراديكالية الحديثة (برون، فريدمان) من خلال الرؤية للعلاقة بين كل من بيئة العمل والانتماء التنظيمي بالضبط البيروقراطي، واسهامات مدرسة النسق الاجتماعي الفني عند وود، بلومر، وليم فوت واين.⁶⁰

3- مدخل البنائية المحدثة:

يركز هذا المدخل على العديد من القضايا مثل سوق العمل والتنظيم والابحاث والمكانة والطبقة ورأس المال البشري، وبناءات القوة والعمل ، ومن أبرز علماء هذا المدخل (مورجان، توسكي).

ويرى هذا المدخل أن الانتماء التنظيمي يتضمن بالعلاقة الدينامية العالية بين الفرد والتنظيم من خلال سلوك الأفراد والرضا عن العمل وأخلاقياته، وبناءات التنظيم والإدارة (السلطة والقوة)، والتوزيع النسبي للعمالة داخل سوق العمل الداخلي بمعنى انتمائية الفرد داخل التنظيم وسلطته وإداراته، ومدى استجاباته وعلاقته داخل محیط العمل مقارنة بعملية الانتاج والخدمات داخل التنظيم ذاته.⁶¹

سابعاً: الدراسات السابقة:

1- دراسة سعود العتيبي، عوض الله السواط، الانتماء التنظيمي والإداري لمنتسبي جامعة الملك عبد العزيز 1997م:

هدفت الدراسة إلى قياس الانتماء التنظيمي لمنتسبي جامعة الملك عبد العزيز وتحديد العوامل التي تؤثر على هذا الانتماء، واجريت الدراسة على عينة حجمها 291 موظفاً، وبينت نتائج الدراسة أن أفراد العينة

⁵⁹ المرجع السابق ، ص262

⁶⁰ سعد عيد مرسي بدر، عملية العمل "مدخل في علم الاجتماع الصناعي" الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2001م،

ص87

⁶¹ اعتماد محمد علام، دراسات في علم الاجتماع التنظيمي، مرجع سابق، ص264

⁶² سعود العتيبي، عوض الله السواط، الانتماء التنظيمي والإداري لمنتسبي جامعة الملك عبد العزيز الرياض، مجلة الإداري، العدد 70 1997م، ص 67-13..

يتصنفون بدرجة متوسطة من الانتماء التنظيمي، ويتأثر بعدد من العوامل وهي الصفات الشخصية – خصائص العمل - الخبرة في العمل.

2- دراسة راشد العجمي، الانتماء التنظيمي والرضا عن العمل، 1999م:⁶³

هدفت الدراسة إلى قياس مستوى الانتماء التنظيمي والرضا عن العمل بدولة الكويت، واجريت الدراسة على عينة مكونة من 500 موظف، وتوصلت الدراسة إلى أن هناك ارتفاعاً في مستوى الانتماء التنظيمي لدى الموظفين، ووجود علاقة ايجابية بين مستوى الانتماء التنظيمي وظروف بيئه العمل الداخلية.

3- دراسة روان حمدان، الانتماء التنظيمي للعاملين في المؤسسات الحكومية فلسطين 2011م:⁶⁴

هدفت هذه الدراسة للتعرف أثر التحفيز على الانتماء التنظيمي للأفراد العاملين في المؤسسات الحكومية بمدينة نابلس بفلسطين، وتكونت مجتمع الدراسة على 19 مديرًا ، وتوصلت الدراسة ان الحوافر المادية لها أثر على الانتماء التنظيمي لدى الأفراد، وإن كانت درجة الانتماء التنظيمي لدى العاملين متوسطة.

4- دراسة اعتماد محمد علام "التنظيم الاجتماعي للمصنع الحديث" دراسة لصناعة الدواء بمصر 1974م:⁶⁵

وهدفت الدراسة إلى معرفة مدى اعتمادية العلاقة بين تقسيم العمل والتسلسل الرئاسي للسلطة، وفعالية مشاركة العمال في عضوية مجلس ادارة التنظيم ودور اللجنة النقابية، وقامت باجراء الدراسة على شركة مصر للمستحضرات الطبية وشركة سويس فارما، واختارت عينة حجمها 264 فرداً ، وتوصلت الدراسة الى عدة نتائج منها:

- وجود علاقة عكssية بين القدرة على اكتساب التنظيم للخصائص المهنية ومركزية السلطة، وكلما زادت المهنية قلت مركزية السلطة.
- وجود علاقة طردية بين المهنية ونطاق الضبط، أي كلما ازدادت المهنية ازداد عدد المؤسسين التابعين لكل رئيس.
- وجود اللجان النقابية ساعد على تكوين علاقات غير رسمية بين الادارة والعمال وتقليل التوترات بينهما.

⁶³ راشد العجمي، الانتماء التنظيمي والرضا عن العمل ، الرياض، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، العدد 13 ، 1999م، ص 69-49.

⁶⁴ ماجدة العطيّة، سلوك المنظمة"سلوك الأفراد والجماعات"، عمان، دار الشروق للنشر والوزيع، 2003م، ص 57.

⁶⁵ اعتماد محمد علام، دراسات في علم الاجتماع التنظيمي، مرجع سابق، ص 286 (314)

5- دراسة اجلال حلمي " الاغتراب بين العمال الصناعيين في مصر 1979":⁶⁶

وهدفت الدراسة الى التعرف على مستوى الاغتراب لدى العمال من خلال المستوى التقني واندماجية العامل في النظم المجتمعية وتفاعله مع زملاء العمل، وتم قياس الاغتراب عن العمل من خلال مؤشرين وهما مدى سيطرة العامل على عملية التشغيل المباشر، وقدرته على صنع القرارات المتعلقة بهذه العملية، واجريت الدراسة على عينة حجمها (212) مفردة من مصنع النسيج التابع لشركة "اسكو" ومصنع الدراجات البخارية التابع لشركة "الترامكو" بجمهورية مصر، واسفرت الدراسة على عدة نتائج منها:

- وجود علاقة بين درجة الميكنة وتحكم العامل في عملية التشغيل المباشر، بمعنى أن المستوى المنخفض للميكنة اتاح قدرًا محدودًا من تحكم العامل في عملية التشغيل المباشر.
- وجود علاقة بين درجة الميكنة ودرجة التحكم أو السيطرة على صنع القرار بمعنى أن المستوى المنخفض من الميكنة قد هيأ أعلى درجة من السيطرة على عملية صنع القرار.
- توجد درجة منخفضة من حالة اللامعيارية بين العمال.

تعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال استعراض الدراسات السابقة التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالدراسة الحالية، حيث تناولت الدراسات السابقة موضوع الانتماء التنظيمي وحددت عدد من العوامل التي تؤثر فيه، واستفادت الدراسة الراهنة من الدراسات السابقة في تحديد مفهوم الانتماء التنظيمي وفي تصميم وسيلة جمع البيانات، ووجه الاختلاف أن الدراسة الحالية تهتم بالانتماء التنظيمي في المؤسسة الصناعية الانتاجية لصناعة الاسمنت، بينما معظم الدراسات السابقة اهتمت بالانتماء التنظيمي بالمؤسسات الخدمية والادارية.

ثامناً: الاجراءات المنهجية

1- نوع الدراسة

تعد الدراسة الحالية دراسة وصفية تحليلية، فهي تحاول أن تقدم وصفاً لموضوعها، وذلك من خلال جمع البيانات وتحليلها، وقد استخدمت الدراسة المسح الاجتماعي عن طريق العينة، ويعد منهجاً مناسباً لتحقيق أهداف الدراسة الحالية.

2- استماراة الاستبيان:

⁶⁶ المرجع السابق ، ص245

مر إعداد الاستمارة بعدة مراحل، فبعد تحديد مشكلة البحث وبيان أجزائها، وتحديد وحدة الاهتمام المتمثلة في الفرد، صمم الباحث الاستمارة ، حيث احتوت الاستمارة على (28) سؤالاً.

وقد مر تصميم الاستبيان بمراحل وهي:-

1- المرحلة الأولى:- الإطلاع على الدراسات السابقة بقصد تحديد العناصر التي يعتقد أنها تشكل موضوع الدراسة، ثم ترجمة هذه العناصر إلى عبارات أو أسئلة، وبناء عليها تم وضع استمارة أولية للدراسة.

2- المرحلة الثانية:- وقام الباحثان بإجراء الإختبار على عينة صغيرة من العمال بمصنع أسمنت زليتن وذلك بطريقة إعادة الاختبار، حيث قام الباحث بتطبيق الاستمارة مرتين بفارق (10) أيام على نفس العينة، ثم بعد ذلك تم حساب معامل ارتباط بيرسون بين الدرجات التي تم الحصول عليها من التطبيقين عن طريق الخفية الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، وكانت النتيجة أن معامل الارتباط يساوي (0.84)، وهذا يدل على ثبات الأداة.

3 مجالات الدراسة

تتضمن الدراسة ثلاثة مجالات وهي:

(أ) المجال المكاني:

ويقصد به النطاق المكاني لإجراء الدراسة، حيث تقع الوحدات ضمن الحدود الإدارية لمدينة زليتن التي تقع على البحر المتوسط بطول خمسين كيلو متر خط طول 14/34 شرقاً، ودائرة عرض 32/28 شمالاً وترتفع عن سطح البحر 18 متراً، وتقع على بعد 158 كيلومتراً إلى الشرق من مدينة طرابلس - ليبيا.⁶⁷ قد حدد الباحث مجتمع البحث بمصنع أسمنت زليتن (الشركة العربية للأسمنت)

(ب) المجال البشري:

يشمل المجال البشري للدراسة على جميع العمال بمصنع أسمنت زليتن(الشركة العربية للأسمنت).

(ج) المجال الزمني:

حددت المدة بين 2015/07/01 م إلى 2015/09/30 م مجالاً زمنياً للدراسة الميدانية وهي المدة التي تم فيها جمع البيانات والمعلومات من مجتمع الدراسة.

4- مجتمع البحث:

⁶⁷ اللجنة الشعبية العامة للمرافق، المخطط الشامل 2000- التقرير النهائي- مكتب مشاريع البلدية(زليتن)، شركة بولسيرس 2000، وراسو-بولندا، ص14

الدراسة الحالية تدرس الاتماء التنظيمي لعمال مصنع أسمنت زليتن، حيث يقع المصنع جنوب غرب مدينة زليتن ويبعد عنها 12 كم عن مركز المدينة، ويقع بمحلة الغويلات، وتبلغ مساحته 26² كم²، وتعتبر صناعة الأسمنت من الصناعات الاستراتيجية للبلاد، وجاءت فكرة إنشاء المصنع نتيجة التحول العمالي الذي شهدته ليبيا فترة السبعينيات، وبتاريخ 07/06/1980 تم التوقيع على عقد إنشاء المصنع مع شركة كاوازكي اليابانية للصناعات الثقيلة، وبدأ المصنع مرحلة الانتاج الفعلي منتصف عام 1984م، وبلغت الطاقة الانتاجية للمصنع مليون طن سنوياً، حيث يضم المصنع عدة مرافق متعددة منها الصناعية والخدمية، حيث يشتمل على المبنى الاداري ومبني ادارة الانتاج الذي يشتمل على حجرة التحكم المركزي، والمخبرات والمعامل لتحليل العينات، كذلك مبني الالات الصناعية الداخلة في عملية الانتاج، ومحطة معالجة المياه، ومحطة الكهرباء، ومحطة للوقود، بالإضافة الى مطعم وعيادة طبية ومسجد، ومخيم سكني للعاملين.

ويبلغ عدد القوى العاملة بالمصنع حوالي (567) عامل، بمحختلف التخصصات منهم (48) عامل غير ليبي⁶⁸.

5- تحديد حجم العينة:

توجد طريقة إحصائية شائعة الاستعمال بين الباحثين لتحديد الحجم المناسب أو تحديد أصغر حجم يمكن لعينة أن تأخذه وذلك بتوظيف ما يعرف بالخطأ المعياري، ولتحديد حجم العينة المناسب يقرر الباحث مستوى الدلالة.⁶⁹

وقد افترض الباحثان فترة الثقة (0.05)، أما مستوى الدلالة فهي (95%) وقيمتها الجدولية (1.96)، أما المتوسط الحسابي والانحراف المعياري فقد تم تحديده من خلال تكرارات متغير مدة الخبرة لعينة الدراسة ، حيث بلغ المتوسط الحسابي للعمر (13.1)، أما الانحراف المعياري يساوي (3.3)،

وببناء عليه تم اختيار عينة حجمها (120) عامل، أي بنسبة 21.16% من مجتمع البحث.

تاسعاً: عرض نتائج الدراسة وتحليلها

1- مؤشرات الاتماء التنظيمي لدى عمال مصنع الأسمنت:

جدول (1)

⁶⁸ مكتب الاحصاء والتوثيق، مصنع أسمنت زليتن، (بيانات غير منشورة).

⁶⁹ مصطفى عمر التير، مساهمات في أسس البحث الاجتماعي، ط1، بيروت، معهد الإنماء العربي، 1989م، ص101. (317)

يوضح الأهمية النسبية لمؤشرات الانتفاء التنظيمي لعامل مصنع اسمنت زليتن

ر.م	المؤشرات	الوسط المرجح	الوزن المئوي
.1	قرار العمل بهذا المصنع كان قرار صائب	4.95	%99.00
.2	أشعر بالفخر والسعادة بالعمل بهذا المصنع	4.93	%98.50
.3	العمل في المصنع على أساس الجهد والمقدرة والكفاءة عند العمال.	4.83	%96.67
.4	أتحدث عن هذا المصنع مع الأصدقاء على أنه أفضل مصنع يمكن العمل به	4.80	%96.00
.5	اعتقد أن قيمى تتفق مع قيم المصنع	4.73	%94.50
.6	اتطلع إلى تحقيق مزيد من الفوائد من العمل في المصنع	4.57	%91.33
.7	ابدل مجهود كبيراً لنجاح عمل المصنع	4.54	%90.83
.8	أشعر بكثير من الولاء تجاه المصنع	4.51	%90.17
.9	اقوم بالعمل في المصنع حتى أضمن استمرارية المرتب	4.49	%89.83
.10	أقوم بكل جهد وطاقة عندي في اداء عملي بالمصنع	4.44	%88.83
.11	أهتم كثير بمستقبل هذا المصنع	4.32	%86.33
.12	علاقاتي بالإدارة في العمل جيدة	4.30	%86.00
.13	استطيع بدل جهد أكثر من الجهد الحالي في العمل في المصنع	4.167	%83.333
.14	أشارك في الاعمال والنشاطات التطوعية التي تقام في المصنع	4.04	%80.83
.15	اشارك في اقتراح الحلول لكثير من المشكلات التي تعرقل عمل المصنع	3.76	%75.17
.16	لا ارى ضرورة في حضور المناسبات والاجتماعات التي تقام في المصنع	3.56	%71.17
.17	اجد صعوبات في التوافق مع سياسات المصنع التي تحكم العمال	3.47	%69.33
.18	أشعر برغبة بترك العمل في هذا المصنع إذا تحصلت على عمل آخر	3.02	%60.33
.19	العمل في المصنع على أساس القرابة والواسطة والمحسوبة	2.95	%59.00
.20	اتغيب عن العمل مدام لا يوجد خصومات على المرتب	2.70	%54.00

من خلال الجدول رقم(1) يظهر أن مؤشرات الانتفاء التنظيمي الأكثر قوة بين عمال مصنع اسمنت زليتن، حيث يحتل المرتبة الأولى مؤشر أن قرار العمل بهذا المصنع كان قرار صائب بوزن مئوي 99%， ويأتي في المرتبة الثانية أشعر بالفخر والسعادة بالعمل بهذا المصنع بوزن مئوي 98.5%， ويأتي في المرتبة الثالثة العمل في المصنع على أساس الجهد والمقدرة والكفاءة عند العمال بوزن مئوي 96.67%， وهكذا

... إلى أن يحتل المرتبة الأخيرة مؤشر اتغيب عن العمل مدام لا يوجد خصومات على المرتب بوزن مئوي 54%.

2- اختبار الفرضيات

الفرضية الأولى: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) في الانتماء التنظيمي لدى العمال تبعاً لمتغير الجنسية.

جدول (2)

يوضح نتائج اختبار (T: test) بين متوسطي درجات الليبيين وغير الليبيين في مقياس الانتماء

النظيمي

مستوى الدلالة	T قيمة	درجة الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	حجم العينة	الجنسية
0.361	0.843	118	6.71635	82.3862	98	ليبي
			7.81897	86.2273	22	غير ليبي

يظهر من الجدول رقم (2) أن متوسط درجات الليبيين (82.39)، بانحراف معياري (6.72)، في حين بلغ متوسط درجات غير الليبيين (86.23)، بانحراف معياري (7.82)، ولعرض معرفة دلالة الفروق بين هذين المتوسطين باستخدام اختبار (T) لعيتين مستقلتين اتضح أنه ليس هناك فروقاً دلالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.05)، حيث كانت قيمة (T) المحسوبة (0.843)، وبدرجة حرية (118). وتدل هذه النتيجة على ان الانتماء التنظيمي لا يختلف باختلاف الجنسية بالنسبة للعامل.

الفرضية الثانية: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) في الانتماء التنظيمي لدى العمال تبعاً لمتغير مكان اقامة العامل.

جدول (3)

يوضح نتائج اختبار (T: test) بين متوسطي درجات الريف والحضر على مقياس الانتماء التنظيمي

مستوى الدلالة	T قيمة	درجة الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	حجم العينة	مكان الإقامة
0.130	2.323	118	5.90654	82.5276	49	الريف
			7.76781	83.4789	71	الحضر

يظهر من الجدول رقم (3) أن متوسط درجات العمال الذين يسكنون الريف (82.53)، بآخراف معياري (5.91)، في حين بلغ متوسط درجات العاملين الذين يسكنون الحضر (83.48)، بآخراف معياري (7.77)، وللعرض معرفة دلالة الفروق بين هذين المجموعتين باستخدام اختبار(T) لعينتين مستقلتين اتضح أنه ليس هناك فروقاً دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.05)، حيث كانت قيمة (T) المحسوبة (2.323)، وبدرجة حرية (118). وتدل هذه النتيجة على ان الانتماء التنظيمي عند العاملين لا تختلف باختلاف مكان إقامة العامل.

الفرضية الثالثة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) في الانتماء التنظيمي تبعاً لعمر العامل.

(4) جدول

يبين الوصف الإحصائي لمتغير العمر ومقاييس الانتماء التنظيمي

فئات العمر	المجموع	التكلارات	المتوسط الحسابي	الآخراف المعياري
25 - 18 من	24	78.2917	7.40434	
35 - 26 من	56	82.2321	6.29283	
36 من 45	30	85.6283	5.42115	
من 46 سنة فأكثر	10	91.8000	3.11983	
المجموع	120	83.0904	7.05592	

(5) جدول

يوضح نتائج تحليل التباين الأحادي في درجات استجابات أفراد العينة لدرجات الانتماء التنظيمي

حسب متغير العمر

مصدر التباين	المجموع الكلي	داخل المجموعات	بين المجموعات	مقدمة المربعات	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
المجموع الكلي	5924.541	4378.819	1545.723	37.748	515.241	13.649	0.000
	119	116	3				

يتبيّن من الجدول رقم (5) أن الفروق بين متوسطات فئات العمر للعاملين بالنسبة لقيم الانتماء التنظيمي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05)، إذ كانت قيمة (F) المحسوبة (13.649)، وبدرجتي حرية

(3)، وتدل هذه النتيجة على أن الانتماء التنظيمي عند العاملين مختلف باختلاف الفئات العمرية للعاملين.

ولمعرفة قوة الارتباط بين المتغيرين قام الباحثان باستخدام معامل ارتباط ايلسون (E) فكانت قيمة المقياس (0.56)، وهذا يعني أن متغير العمر يفسر (31.36%) من التباين في الانتماء التنظيمي لدى العاملين.

جدول (6)

يبين مصدر الفروقات بين متوسطات فئات العمر في الانتماء التنظيمي باستخدام مقياس شيفيه

مستوى الدلالة	قيمة شيفيه	المتوسط الحسابي	فئات العمر	الفئة	المتوسط الحسابي	فئات العمر	الفئة
0.081	-3.94048-	82.2321	-26 من 35	2	78.2917	- من 18 25	1
0.001	-7.33667-*	85.6283	- 45 من 36	3	78.2917	- من 18 25	1
0.000	-13.50833-*	91.8000	من 46 سنة فأكثر	4	78.2917	- من 18 25	1
0.119	-3.39619-	85.6283	- 45 من 36	3	82.2321	- من 26 35	2
0.000	-9.56786-*	91.8000	من 46 سنة فأكثر	4	82.2321	- من 26 35	2
0.061	-6.17167-	91.8000	من 46 سنة فأكثر	4	85.6283	- من 45 36	3

تشير بيانات الجدول (6) إلى المقارنة بين الفروق بين المتوسطات الحسابية لفئات العمر على مقياس الانتماء التنظيمي للعاملين أن مصادر الفرق الأساسية بين هذه الفئات بالدرجة الأولى من تفوق الفئة الرابعة على الفئة الأولى إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (-13.51).

كذلك تفوق الفئة الرابعة على الفئة الثانية إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (-9.57).

تفوق الفئة الثالثة على الفئة الأولى إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (-7.34). ومن خلال المقارنات نستنتج أنه كلما كان زاد العمر زادت درجة الانتماء التنظيمي للعامل.

الفرضية الرابعة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) في الانتماء التنظيمي تبعاً للحالة الزوجية للعامل.

(7) جدول

بيان الوصف الإحصائي لمتغير الحالة الزوجية ومقاييس الانتماء التنظيمي

الحالة الزوجية	المجموع	التكرارات	المتوسط الحسابي	الآخraf المعاري
اعزب	120	14	81.5000	8.95931
متزوج	99	4	83.2207	6.82859
مطلق	3	84.2500	6.23832	8.50490
أرمل	120	3	84.6667	7.05592

(8) جدول

يوضح نتائج تحليل التباين الأحادي في درجات استجابات أفراد العينة لدرجات الانتماء التنظيمي حسب متغير الحالة الزوجية للعامل

مصدر التباين	المجموع الكلي	داخل المجموعات	بين المجموعات	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	F قيمة	مستوى الدلالة
	5924.541	5874.617	49.925	119	3	16.642	0.329	0.805

يتبيّن من الجدول رقم (8) أن الفروق بين متوسطات فئات الحالة الزوجية للعاملين بالنسبة لقيم الانتماء التنظيمي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05)، إذ كانت قيمة (F) المحسوبة (0.329)، وبدرجتي

حرية (3)، وتدل هذه النتيجة على أن الانتماء التنظيمي عند العاملين لا يختلف باختلاف فئات الحالة الرواجية للعاملين.

الفرضية الخامسة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) في الانتماء التنظيمي تبعاً للمستوى التعليمي للعامل.

جدول (9)

يبين الوصف الإحصائي لمتغير المستوى التعليمي ومقاييس الانتماء التنظيمي

المستوى التعليمي	المجموع	الدرجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة	الأحرف المعياري
أساسي	120	3	69.6667	6.65833		
متوسط	28	79	79.8929	6.76231		
جامعي	79	10	83.7956	6.14517		
دراسات عليا	10	90.5000	5.16935			
	120	119	83.0904	7.05592		

جدول (10)

يوضح نتائج تحليل التباين الأحادي في درجات استجابات أفراد العينة لدرجات الانتماء التنظيمي حسب متغير المستوى التعليمي للعامل

مصدر التباين	المجموع	متوسط المربعات	درجة الحرية	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	1415.175	471.725	3	12.135	0.0001
داخل المجموعات	4509.366	38.874	116		
المجموع الكلي	5924.541	119			

يتبيّن من الجدول رقم (10) أن الفروق بين متوسطات المستوى التعليمي للعاملين بالنسبة لقيم الانتماء التنظيمي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05)، إذ كانت قيمة (F) المحسوبة (12.135)،

وبدرجتي حرية (3، 116)، وتدل هذه النتيجة على أن الانتماء التنظيمي عند العاملين يختلف باختلاف المستوى التعليمي للعاملين.

ولمعرفة قوة الارتباط بين المتغيرين قام الباحثان باستخدام معامل ارتباط ايلسون (E) فكانت قيمة المقياس (0.52)، وهذا يعني أن متغير المستوى التعليمي يفسر (27.04%) من التباين في الانتماء التنظيمي لدى العاملين.

جدول (11)

يبين مصدر الفروقات بين متوسطات فئات المستوى التعليمي في الانتماء التنظيمي باستخدام

مقياس شيفيه

مستوى الدلالة	قيمة شيفيه	المتوسط الحسابي	مستوى التعليم	الفئة	المتوسط الحسابي	مستوى التعليم	الفئة
0.069	-10.22619-	79.8929	متوسط	2	69.6667	أساسي	1
0.003	-14.12890-*	83.7956	جامعي	3	69.6667	أساسي	1
0.000	-10.22619-	90.5000	دراسات عليا	4	69.6667	أساسي	1
0.049	-3.90271-*	83.7956	جامعي	3	79.8929	متوسط	2
0.000	-10.60714-*	90.5000	دراسات عليا	4	79.8929	متوسط	2
0.020	*6.70443	90.5000	دراسات عليا	4	83.7956	جامعي	3

تشير بيانات الجدول (11) إلى المقارنة بين الفروق بين متوسطات الحسابية لفئات المستوى التعليمي على مقياس الانتماء التنظيمي للعاملين أن مصدر الفرق الأساسي بين هذه الفئات بالدرجة الأولى من تفوق الفئة الرابعة على الفئة الأولى إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (-10.266).

كذلك تفوق الفئة الرابعة على الفئة الثانية إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (-10.607).

كذلك تفوق الفئة الرابعة على الفئة الثالثة إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (6.704).

وتفوق الفئة الثالثة على الفئة الأولى إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (-14.128). وتفوق الفئة الثالثة على الفئة الثانية إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (-3.902). ومن خلال المقارنات نستنتج أنه كلما ارتفع المستوى التعليمي زادت درجة الانتماء التنظيمي للعمال.
الفرضية السادسة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) في الانتماء التنظيمي تبعاً لمستوى الدخل للعامل.

جدول (12)

يبين الوصف الإحصائي لمتغير مستوى الدخل ومقاييس الانتماء التنظيمي

مستوى الدخل	النكرارات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
أقل من المتوسط	17	88.1176	6.66035
متوسط	20	86.5925	3.24768
مرتفع	46	81.7174	6.35142
مرتفع جداً	37	80.5946	7.82964
المجموع	120	83.0904	7.05592

جدول (13)

يوضح نتائج تحليل التباين الأحادي في درجات استجابات أفراد العينة لدرجات الانتماء التنظيمي
حسب متغير مستوى الدخل للعامل

مستوى الدلالة	قيمة F	متوسط المربعات	درجة الحرية	مجموع المربعات	مصدر التباين
0.000	7.778	330.710	3	992.130	بين المجموعات
		42.521	116	4932.411	داخل المجموعات
			119	5924.541	المجموع الكلي

يبين من الجدول رقم (13) أن الفروق بين متوسطات مستوى الدخل للعاملين بالنسبة لقيم الانتماء التنظيمي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05)، إذ كانت قيمة (F) المحسوبة (7.778)، وبدرجتي حرية (3، 116)، وتدل هذه النتيجة على أن الانتماء التنظيمي عند العاملين مختلف باختلاف مستوى الدخل للعاملين.

والمعرفة قوة الارتباط بين المتغيرين قام الباحثان باستخدام معامل ارتباط ايلسون (E) فكانت قيمة المقياس (0.41)، وهذا يعني أن متغير مستوى الدخل يفسر (16.81%) من التباين في الانتماء التنظيمي لدى العاملين.

جدول (14)

يبين مصدر الفروقات بين متوسطات فئات مستوى الدخل في الانتماء التنظيمي باستخدام مقاييس

شيفيه

مستوى الدلالة	قيمة شيفيه	المتوسط الحسابي	مستوى الدخل	الفئة	المتوسط الحسابي	مستوى الدخل	الفئة
0.894	-1.12280-	81.7174	متوسط	2	80.5946	أقل من المتوسط	1
0.014	-5.99791-*	86.5925	مرتفع	3	80.5946	أقل من المتوسط	1
0.002	-7.52305-*	88.1176	مرتفع جداً	4	80.5946	أقل من المتوسط	1
0.056	-4.87511-	86.5925	مرتفع	3	81.7174	متوسط	2
0.010	-6.40026-*	88.1176	مرتفع جداً	4	81.7174	متوسط	2
0.918	-1.52515-	88.1176	مرتفع جداً	4	86.5925	مرتفع	3

تشير بيانات الجدول (14) إلى المقارنة بين الفروق بين المتوسطات الحسابية لفئات مستوى الدخل على مقاييس الانتماء التنظيمي للعاملين أن مصدر الفرق الأساسي بين هذه الفئات بالدرجة الأولى من تفوق الفئة الرابعة على الفئة الأولى إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (-7.52-).

وتفوق الفئة الثالثة على الفئة الأولى إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (-5.997-). وتفوق الفئة الرابعة على الفئة الثانية إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (-6.4-). ومن

خلال المقارنات نستنتج أنه كلما ارتفع مستوى الدخل زادت درجة الانتماء التنظيمي للعامل.

الفرضية السابعة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) في الانتماء التنظيمي تبعاً لعدد سنوات العمل للعامل.

جدول (15)

يبين الوصف الإحصائي لمتغير عدد سنوات العمل ومقاييس الانتماء التنظيمي

الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	التكرارات	عدد سنوات العمل
11.77757	75.4000	10	أقل من 5 سنوات
5.62308	80.5714	7	10 – 5
5.89692	83.2625	68	15 – 11
2.81069	80.5000	6	20 – 16
6.28275	86.4828	29	سنة فاكثر 21
7.05592	83.0904	120	المجموع

جدول (16)

يوضح نتائج تحليل التباين الأحادي في درجات استجابات أفراد العينة لدرجات الانتماء التنظيمي

حسب متغير عدد سنوات العمل للعامل

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	1011.849	4	252.962	5.922	0.001
	4912.693	115	42.719		
	5924.541	119			

يتبيّن من الجدول رقم (16) أن الفروق بين متوسطات عدد سنوات العمل للعاملين بالنسبة لقيم الانتماء التنظيمي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05)، إذ كانت قيمة (F) المحسوبة (5.922)، وبدرجي حرية (4)، وتدل هذه النتيجة على أن الانتماء التنظيمي عند العاملين يختلف باختلاف عدد سنوات العمل للعاملين.

ولمعرفة قوة الارتباط بين المتغيرين قام الباحثان باستخدام معامل ارتباط ايلسون (E) فكانت قيمة المقاييس (0.4)، وهذا يعني أن متغير عدد سنوات العمل يفسر (16%) من التباين في الانتماء التنظيمي لدى العاملين.

جدول (17)

يبين مصدر الفروقات بين متوسطات فئات عدد سنوات العمل في الانتماء التنظيمي باستخدام

مقياس شيفييه

مستوى الدلالة	قيمة شيفييه	المتوسط الحسابي	عدد سنوات العمل	الفئة	المتوسط الحسابي	عدد سنوات العمل	الفئة
0.632	-5.17143-	80.5714	10 - 5	2	75.4000	5	أقل من 5 سنوات
0.017	-7.86250-*	83.2625	15 - 11	3	75.4000	5	أقل من 5 سنوات
0.684	-11.08276-*	80.5000	20 - 16	4	75.4000	5	أقل من 5 سنوات
0.001	5.17143	86.4828	سنة 21 فأكثر	5	75.4000	5	أقل من 5 سنوات
0.897	-2.69107-	83.2625	15 - 11	3	80.5714	10 - 5	2
1.000	.07143	80.5000	20 - 16	4	80.5714	10 - 5	2
0.335	-5.91133-	86.4828	سنة 21 فأكثر	5	80.5714	10 - 5	2
0.911	2.76250	80.5000	20 - 16	4	83.2625	15 - 11	3
0.300	-3.22026-	86.4828	سنة 21 فأكثر	5	83.2625	15 - 11	3
0.389	2.93137	86.4828	سنة 21 فأكثر	5	80.5000	20 - 16	4

تشير بيانات الجدول (17) إلى المقارنة بين الفروق بين المتوسطات الحسابية لفئات عدد سنوات العمل على مقياس الانتماء التنظيمي للعاملين أن مصدر الفرق الأساسي بين هذه الفئات بالدرجة الأولى من تفوق الفئة الخامسة على الفئة الأولى إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفييه (5.17).

وتفوق الفئة الثالثة على الفئة الأولى إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (-7.86). ومن خلال المقارنات نستنتج أنه كلما زادت سنوات العمل زادت درجة الانتماء التنظيمي للعامل.

الفرضية الثامنة: توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) في الانتماء التنظيمي تبعاً للتخصص المهني للعامل.

جدول (18)

يبين الوصف الإحصائي لمتغير التخصص المهني ومقاييس الانتماء التنظيمي

الأنحراف المعياري	المتوسط الحسابي	التكرارات	التخصص المهني
6.95440	89.1818	11	رؤساء الأقسام والإداريون
4.53431	87.0000	26	المهندسون
5.91452	81.3306	54	الفنيون
8.26605	80.5517	29	العمالة العادلة
7.05592	83.0904	120	المجموع

جدول (19)

يوضح نتائج تحليل التباين الأحادي في درجات استجابات أفراد العينة لدرجات الانتماء التنظيمي حسب متغير التخصص المهني للعامل

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجة الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	مستوى الدلالة
بين المجموعات	1159.711	3	386.570	9.411	0.001
	4764.831	116	41.076		
	5924.541	119			

يتبيّن من الجدول رقم (19) أن الفروق بين متوسطات التخصص المهني للعاملين بالنسبة لقيم الانتماء التنظيمي دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05)، إذ كانت قيمة (F) المحسوبة (9.411)، وبدرجتي حرية (3، 116)، وتدل هذه النتيجة على أن الانتماء التنظيمي عند العاملين يختلف باختلاف التخصص المهني للعاملين.

ولمعرفة قوة الارتباط بين المتغيرين قام الباحثان باستخدام معامل ارتباط ايلسون (E) فكانت قيمة المقياس (0.46)، وهذا يعني أن متغير التخصص المهني يفسر (21.16%) من التباين في الانتماء التنظيمي لدى العاملين.

جدول (20)

يبين مصدر الفروقات بين متوسطات التخصص المهني في الانتماء التنظيمي باستخدام مقياس

شيفيه

مستوى الدلالة	قيمة شيفيه	المتوسط الحسابي	التخصص المهني	الفئة	المتوسط الحسابي	التخصص المهني	الفئة
0.826	2.18182	87.0000	المهندسون	2	89.1818	الاداريون	1
0.005	*7.85126	81.3306	الفنيون	3	89.1818	الاداريون	1
0.003	8.63009*	80.5517	العمالة العادية	4	89.1818	الاداريون	1
0.005	5.66944*	81.3306	الفنيون	3	87.0000	المهندسون	2
0.004	6.44828*	80.5517	العمالة العادية	4	87.0000	المهندسون	2
0.964	0.77883	80.5517	العمالة العادية	4	81.3306	الفنيون	3

تشير بيانات الجدول (20) إلى المقارنة بين الفروق بين متوسطات الحسابية لفئات التخصص المهني على مقياس الانتماء التنظيمي للعاملين أن مصدر الفرق الأساسي بين هذه الفئات بالدرجة الأولى من تفوق الفئة الأولى على الفئة الرابعة إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (8.63).

وتفوق الفئة الثانية على الفئة الثالثة إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (5.67)، وتفوق الفئة الأولى على الفئة الثالثة إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى (0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (7.85). وتفوق الفئة الثانية على الفئة الرابعة إذ كان الفرق بين متوسطي هاتين الفئتين دالاً إحصائياً عند مستوى

(0.05) حيث بلغت قيمة شيفيه (6.45)، ومن خلال المقارنات نستنتج أنه كلما ارتفع التخصص المهني زادت درجة الانتماء التنظيمي للعمال.

عاشرًا: نتائج للدراسة:

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- 1- توصلت الدراسة إلى أن العاملين داخل المصنع يتجهون نحو بدل أقصى جهد ممكن من جانبهم لتحقيق أهداف التنظيم الذي يعملون به، وتوافق قيمهم مع قيم التنظيم، واتجاههم نحو استمرارية عضويتهم وعملهم بالتنظيم.
- 2- تبين من الدراسة أن قوة مؤشرات الانتماء التنظيمي لدى العاملين بمصنع الأسمنت ترجع إلى أن هذه التنظيمات تقدم رواتب ومزايا عديدة للعاملين بها كالتأمين الطبي والمواصلات، مقارنة بالتنظيمات الحكومية الخدمية مما يحفز على فعالية الانتماء التنظيمي.
- 3- استنتجت الدراسة أنه لا توجد اختلافات أو تباينات في الانتماء التنظيمي حسب الجنسية ومكان الإقامة والحالة الزوجية للعاملين في مصنع الأسمنت.
- 4- توصلت الدراسة أنه هناك اختلافات وتباينات في الانتماء التنظيمي لدى العاملين في مصنع الأسمنت على أساس عمر العامل، والمستوى التعليمي، ومستوى الدخل، وعدد سنوات العمل، والتخصص المهني، حيث خلصت الدراسة إلى وجود علاقة طردية بين درجة الانتماء التنظيمي للعمال حسب العوامل سالفه الذكر.
- 5- بینت نتائج الدراسة أن البنية التنظيمية الحالية للمصنع تتصنف بعملية اكتساب الخصائص المهنية التخصصية دون الالتزام بمستويات وظيفية معقدة ومتدرجة، حيث توفر الكوادر العلمية العالية على المستويين الإداري والانتاجي داخل التنظيم الرسمي، وهذا ما عكسه متغير التعليم، أي أن علاقة التعليم بالانتماء التنظيمي تحافظ على توازنها داخل المستويين الإداري والانتاجي.

الحادي عشر: توصيات الدراسة:

1. الاهتمام بالربط بين مخرجات التعليم ومتطلبات سوق العمل والتوعي في زيادة الدورات التدريبية للعاملين وتكثيفها خاصة في المجالات الفنية والتقنية، والتوعي في استخدام الميكنة وادخال التقنيات الحديثة في مختلف مجالات العمل لرفع مستويات الأداء وكفاءة الانجاز، وتطوير الانتاج وتقسيم خدمات أفضل للمواطنين.

2. العمل على مواجهة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي تعيق طريق العاملين نحو العمل والانتاج، وتتويع وتنشيط كافة القطاعات الاقتصادية، مع التركيز على النشاطات ذات الطابع الانتاجي لدعم قيم الانتاج والعمل بدلاً من التشجيع على السلوك الاستهلاكي، واستحداث مواطن وفرص عمل جديدة بمنح التسهيلات والقروض الانتاجية، مع تبسيط الاجراءات من أجل التقليل من معدلات مشكل البطالة.
3. الاهتمام بإعداد وتوفير البيانات الإحصائية للقوى العاملة في الحالات الانتاجية والخدمية كقاعدة بيانات للاستفادة منها في التخطيط ورسم سياسات التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتنسيب العاملين والعاطلين لقطاعات العمل والانتاج.
4. إجراء دراسات وبحوث مستقبلية مماثلة في مختلف القطاعات الانتاجية والخدمية ومختلف الشرائح المهنية للوقوف على الصعوبات والمشاكل التي تواجههم.
5. تقترح الدراسة إنشاء مراكز بحثية داخل المصانع والمؤسسات الانتاجية والخدمية لرصد الظواهر والعلاقات والمشاكل ، والتعامل معها واقتراح الحلول لها والوقاية منها.

المراجع:

- أحمد الأصفر، أديب عقيل، علم اجتماع التنظيم ومشكلات العمل، دمشق، منشورات جامعة دمشق - كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2003م.
- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان، 1986م.
- اعتماد محمد علام، دراسات في علم اجتماع التنظيمي، القاهرة، مكتبة الابنالو المصرية، 1994م.
- راشد العجمي، الانتماء التنظيمي والرضا عن العمل ، الرياض، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز، العدد 13، 1999م.
- سعد عيد مرسي بدر، عملية العمل "مدخل في علم الاجتماع الصناعي" الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2001م.
- سعود العتيبي، عوض الله السواط، الانتماء التنظيمي والإداري لمنتسبي جامعة الملك عبدالعزيز، الرياض، مجلة الاداري، العدد (70) 1997م.
- السيد الحسيني، النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم، القاهرة ، دار المعارف، 1975
- فريديريك معتوق، معجم العلوم الاجتماعية، بيروت، أكاديميا انترناشنل للنشر، 1999م.

9. اللجنة الشعبية العامة للمرافق، المخطط الشامل 2000- التقرير النهائي - مكتب مشاريع البلدية(زليتن)، شركة بوكسirفس 2000، وراسو-بولندا.
10. ماجدة العطية، سلوك المنظمة"سلوك الافراد والجماعات"، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2003.
11. محمد الجوهري، علم الاجتماع الصناعي والتنظيم، ط2، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2011م
12. محمد عويس، العمل الاجتماعي في التنظيمات الصناعية، القاهرة، دار النهضة العربية، 1991م.
13. محمد كامل مصطفى وأخرون، معجم مصطلحاتقوى العاملة، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، 1984م.
14. مصطفى عمر التير، مساقات في أسس البحث الاجتماعي، ط1، بيروت، معهد الإنماء العربي، 1989م.
15. مكتب الاحصاء والتوثيق، مصنع أسمنت زليتن، (بيانات غير منشورة).
16. وجدي شفيق عبداللطيف، علم الاجتماع الحضري والصناعي، القاهرة، دار المصطفى للنشر والتوزيع، 2005م.